"المشير" وأنا

بقلم

برلنتي عبد الحميد



المشـــير«وأنا

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م

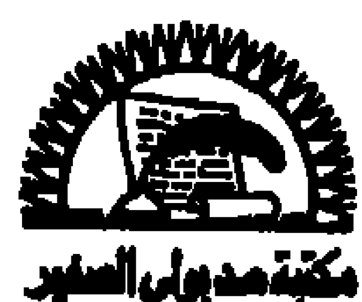
MADBOULY
EL — SAGHIR



مكتبة مدبولي الصغير
ميدان سفنكس — المهندسين
٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز ت: ٣٤٧٧٤١٠
ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٣٥

المشير وأنا

برلنتي عبد الحميد



إهـداء ...

إلى الرجـل ... الـذى أحب غيرنـا أكـثر ، فأحببناه أكـثر ... أحب مصر أكثر من نـفسه ، وأحب الجيش أكثر من أولاده ، وأحب الشعب أكثر من أهله ... إلى روح الشهيد عبد الحكيم عامر ..

أهدى هذا الكتاب .

برلنتى

المقـــدمـة

أقدم هذا الكتاب ـــ المشير وأنا ـــ بعد خمسة وعشرين عاما من وفاته ، وخلال هذا الربع قرن ، تحملت من الضيق فوق ما يتحمل البشر ، وأنا أتابع عبر السنين ، ما يشاع وينشر من افتراءات ضد عبد الحكيم عامر . فإن الأجهزة السرية والتنظيمات التى تعقبته حيا ، واصلت تعقبها له ميتا ... وكأن قادة هذه الأجهزة ، لم يكفهم ما انزلوه بالشعب المصرى من هزائم ، ممثلة فى هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، فواصلوا حملتهم عن طريق جيـش تابع لهم مـن الاعلاميين ، والصحفيين والكتاب .وهم قادرون على تصوير ما يشاءون ، على أنه الحقيقة والواقع ، مهما كان فيها ينشرون من اكاذيب وافتراءات .

وكان يزيدنى ألما أنى أعرف الحقيقة واكتمها ، وما كان بيـدى نشـرها ، رغم أنى حاولت مـرارا ، ولكن حال دون ذلك تصدى الاجهزة والتنظيمات ، ذوى القدرة والمقدرة ، بالتهديد مرة ، وبالتشهير مرة اخرى .

وكان حريا بى أن انشرها خارج مصر ، لولا أنى اكره اللجوء الى جهات خارجية لنـشر كتاب ، اعتبره موضوعا مصريا صميما ، لأن هذا الموضوع قضية مصرية ، واشخاصه مصريون ، فـلا ينبغى أن يطبع وينشر بأيدٍ غير مصرية .

إن أهم ما تنطوى عليه هذه المذكرات ، هو ذكريات الفترة الواقعة ما بين ٥ يونيو عام ١٩٦٧ حتى وفاة جمال عبد الناصر .

ولا أظن ان فى مصر كلها من لم يكتو بنار هذه الحقبة ، ولأنى مصرية ، فقد اكتويت بها مع سائر المواطنين ، ولكنى انفردت بنصيب أوفر من العذاب ، بحكم زواجى مـن المشـير عبد الحكيم عامر ، وبحكم ما عرضنى له هذا الزواج من الاعتقال ، والتشهير والتعذيب فى مبنى المخابرات العامة . وبحكم المضايقات والتعقب بعد الخروج واطلاق سراحى .

ولكن وقوف الاجهزة حائلا بينى وبين نشر المذكرات لم يطل ، ففى شرع الزمان ان دوام الحال من المحال ، فكان ان تبدل الحال ، واختفى الباطشون باختفاء اوقاتهم ، وابتلعهم الزمان ، وأخلى ما بينى وبين مذكراتى .

إن « الحقيقة » أمانة في عنق من يحملها ، والله يقول: « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » فكان لزاماً ان اضع هذا الحمل عن عنقى ، وأنا شاهدة ، على كثير من الحقائق التى مرت بى خلال حياتى معه .

ولذا فإن أول اهداف مذكراتى ـــ المشير وأنا ـــ هو جلاء الحقيقه ، كما رأيتها ، وعشتها فى بيت المشير ، تلك الحقيقة التى شوهت ، وطمست عمدا ، عن رجل ما أحب شيئا مثلما احب مصر وجيشها ، وما دافع عن شىء قدر ما دافع عن الحرية ، والديمقراطية ، ذلك الرجل هو المشير عبد الحكيم عامر ، الذي قُضى عليه با لموت ، بسبب حبه الخالص لمصر، ذلك الحب الذى لا تشوبه شائبة شرقية ولا غربية ، وهو بالتحديد ، ذلك الحب الذى ينبغى ان يموت فى نظر اعداء الوطن .

إن هزيمة ٥ يونيو ، ومصرع المشير ، اذيعت قصتهما من جانب واحد ، هو جانب جمال عبد الناصر ، ومراكز القوى ، وبعض أعضاء مجلس الثورة ، ممن التزموا طريق « الموافقة » على الدوام ، لضمان سلامتهم ، حتى لا يطاح بهم مثلما اطيح بمحمد نجيب ، ويوسف صديق ، وعبد المنعم أمين ، وصلاح سالم ، وجمال سالم ، وكمال الدين حسين ، وغيرهم ممن لا تخفى اسماؤهم على الجميع .

أما الجانب الآخر ، فقد أُخرس لسانه ، إما بالقتل ، أو السجن ، أو التهديد . وقد آن الأوان لهذا الجانب الصامت ان يتكلم ، لأن الحقيقة لا تُعرف من جانب واحد .

ويكفى هنا ان أشير إلى هزيمة الجيش فى ٥ يونيو ، وما أعقب ذلك من حملة تشهير ضد جنوده وضباطه وقياداته ، كما أشير إلى ملاحظة هامة أخرى ، تكشف عن دور مراكز القوى ـ أو الجانب الذى يتكلم ـ فى الحاق الهزيمة بالجيش ، والصاق التهمة بعبد الحكيم عامر ، واطلاق الشائعات لتشويه جيش مصر ـ هذه هى الأجهزة والتنظيمات !!

والملاحظة الهامة التى أشرت اليها ، هى أن جيش ٥ يونيو المهزوم ، هو ذاته جيش السادس من أكتوبر المنتصر ، وان قيادات أكتوبر هى ذاتها قيادات ٥ يونيو ، هى ذاتها ضباط الجيش فى حرب ١٩٥٦ .

وأضيف إلى الملاحظة السابقة ، ملاحظة أخرى ، .هى انه لا يمكن اعداد جيش قوى خلال بضعة أعوام ، هى الفترة من عام ٦٧ إلى عام ١٩٧٣ ، وأن الجيش الذى عبر هو نفسه الجيش الذى تعرض لمؤامرة خمسة يونيو ، وكان صاحب الفضل فى تكوين جيش مصرى قوى ، هو المشير عبد الحكيم عامر ، بوصفه مسئولا عن تحقيق أحد مبادىء الثورة ، وهو « انشاء جيش وطني قوى » .

ولقد استطاع المشير ان يقوم بالمهمة الجليلة ، فأنشأ جيشا قويا من حيث الكم والكيف ، فبينما كان الجيش قبل الثورة لا يزيد على عشرين كتيبة ، أصبح تحت قيادة المشير عبد الحكيم عامر جيشا مؤلفا من مائتى كتيبة ، اما من حيث الكيف فقد انشأ الكلية الفنية العسكرية ، وهى من أرقى الكليات العسكرية فى العالم ومهمتها تخريج علماء عسكريين ، وأنشأ الصاعقة ، والمصانع الحربية ، وفى عهده بدأوا فى انتاج طائرات واجراء تجارب لغواصات وقاموا فعلا بتجربة غواصة جديدة .

إن انشاء جيش وطنى قوى . كان أحد المبادىء الستة للثورة ، وفى وصف الجيش بأنه « وطنى قوى » كان مكمن الخطر ، الذى أودى بحياة المشير ، وأوقع الهزيمة فى ـ ٥ يونيو ـ بالجيش المصرى عن طريق التآمر لا عن طريق الحرب !!

لقد نجح عبد الحكيم عامر فى انشاء هذا الجيش الوطنى القوى ، فكان لا بد من مؤامرة حاكها الروس لتمزيق هذا الجيش ، وتدمير قادته ، عن طريق عملائهم . لأن عبد الحكيم وقادة الجيش الوطنيين ، كانوا يمثلون عقبة فى طريق أحلامهم فى إقامة قواعد لهم على أرض مصر ، تمهيدا للسيطرة والاحتواء .

كان عبد الحكيم يريد وطنا مصريا خالصا ، بلا تبعية ، ولا هيمنة أجنبية ، فهو القائل : « الشيوعى عميل ، والامريكي عميل ، أنا مصرى » ولذلك وجب التخلص منه ومن جيشه .

ونشير هنا إلى أن الروس لم يتمكنوا من إقامة قواعد لهم فى مصر ، إلا بعد هزيمة ٥ يونيو والتخلص من عبد الحكيم عامر والقادة الوطنيين . فهم الذين استدرجوا مصر إلى هذه الحرب ، وعملاؤهم اجهزوا على بقية القادة الوطنيين فى الجيش وعلى رأسهم عبد الحكيم عامر . وبعدها انفتح الباب أمامهم ، فأقاموا قواعدهم ، وادخلوا خبراءهم العسكريين ، حتى أصبح عددهم يربو على الستين ألفا داخل الجيش المصرى ، وأفلح هؤلاء العسكريون الروس ، فى شل حركة الضباط المصريين داخل الجيش ، وبلغ بهم الأمر ان صارت قواعدهم داخل مصر منطقة محرمة على المصريين ... حتى بلغ الأمر ان قاعدة روسية منعت وزيرا مصريا من دخولها ، وكلنا نذكر واقعة طرد الخبراء الروس التى قام بها الرئيس السادات .

وبعد ان خلت البلاد منهم ، حارب الجيش وانتصر ، وكان هو ذاته الذى انهزم وشوه فى حرب يونيو ، والفارق إنه حارب وليس على أرض مصر أى وجود للسوفييت ، بل ان عملاءهم أيضا كانوا قد أبعدوا عن مراكز القيادة ، وحوكموا بمحكمة أمن الدولة العليا ، بتهمة العمالة والتآمر ، وصدر ضدهم أحكام فى القضية رقم (١) لسنة ١٩٧١ .

ان تبرئة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر مما الصق به من تهم وشائعات هى الهدف الأول من كتابة هذه المذكرات .

واطرح هنا سؤالا : « إذا كان المشير قد تخلى عن مناصبه ، ورفض العودة اليها رغم الإلحاح ، فلماذا حوصر بيته بلواء كامل من لواءات الجيش ، ولماذا انتزع انتزاعا أمام أعين ابنائه ، ولماذا لم ينتحر إلا بعد ان أصبح بين أيديهم وبعيدا عن العيون ؟!

ولقد طلب المشير مرارا أن يقدم للمحاكمة ... فلماذا لم يحاكموه ، ليظهروا للعالم صحة ما نسبوه اليه من اخطاء وادعاءات ، إلا ان يكونوا قد خافوا أن تظهر براءته ، أو خافوا ان تظهر الحقيقة ، فتضر من أرادوا إدانته ؟!

أما الهدف الثانى فهو التأكيد على ان المبدأ الرئيسى لعبد الحكيم عامر ، هو الولاء الكامل للوطن ، ورفض العمالة بأى صورة من صورها .

ومن المهم هنا ان أوضح انى لست ضد مبادىء ثورة ٢٣ يوليو ، فلا أحد يقف ضد مبدأ العدالة الاجتماعية ، أو إقامة جيش وطنى ، أو إقامة حياة ديموقراطية ، أو الوحدة العربية ، وغير ذلك من المبادىء ، فهى مبادىء يؤمن بها كل وطنى مخلص لبلاده .

وأوضح أيضا ان جمال عبد الناصر ليس هو ثورة ٢٣ يوليو ، لأن الثورة مبادىء ، وبقدر ما تحقق الثورة من مبادئها بقدر ما تؤكد وجودها ، وبقدر ما تهمل من مبادئها بقدر ما تهمل من وجودها .

فإن اخطأ جمال عبد الناصر ، فليس معنى ذلك ان المبادىء خاطئة ، دائما ، وانما معناه أن حاكما فردا أخطأ ، اما المبادىء فنحن نتمسك بها ونجلها ، ونشارك فى ذلك كل الشرفاء فى مصر والعالم العربى .

إن مأساة عبد الحكيم عامر تتحدد أولا ، فى كراهية الروس له ، وثانيا فى خلافه الدائم مع جمال عبد الناصر ، وهذا الخلاف كان يقوم على مطالبة عبد الحكيم المستمرة بضرورة التخلص من الروس ، والانفتاح على الغرب ، وإقامة حياة ديموقراطية ، حتى يحترمنا العالم ، وإقامة أحزاب سياسية ويكون لكل حزب صحيفة ، مع إطلاق حرية التعبير ، وتوفير حصانة صحفية للصحفيين ، وتشجيع رأس المال الخاص !!!

كان هذا هو « مشروع عبد الحكيم عامر » الذى أثار ضده حفيظة الروس ، خصوصا أنه قابل فعلا وفدا امريكيا بفندق شبرد عام ١٩٦٦ بالاتفاق مع جمال عبد الناصر بل واقنع ناصر بمقابلتهم ، الذى قابلهم فعلا برئاسة الجمهورية ، وأثناء هذا الاجتماع وجهوا الدعوة للمشير لزيارة أمريكا ، ولكن جمال أرسل بدلا منه أنور السادات .

وعلى هذا نستطيع القول ان ناصر وعامر كانا صديقين على طرفى نقيض ، ويؤكد هذا قول المشير : « أليس من مهازل القدر ، ان يكون أصدق صديق لى ، هو ألدُّ عدو لى ؟! »

فماذا يكون رأى الروس وعملائهم فى مثل هذا الرجل ؟!

بالطبع يكون الرأى ان رجلا كهذا يجب التخلص منه ، ولكن كيف ؟

تجدون الإجابة بداخل هذا الكتاب ،،،



المشير عبد الحكيم عامر كما صورته ريشة الفنان المصري جمال عبد المعطى عام ١٩٦١.

الفصل الأول

نفيســـــة

« التفكير فى الماضى » هو أحد خصائص العقل البشرى ويكاد يكون له على طبائع الناس قوة الغريزة ، وقد أدى هذا إلى أن التفت خلفى ناظرة إلى حياتى السابقة كلها ، الآن وأنا أقف على تل من السنين ، انظر إلى الماضى فأرى حياتى كلها تبدو وكأنها قد أُلّفت لى خصيصاً ، وأنى قد أعطيت فيها دوراً بالغ الأهمية والحيوية .

ومنذ البداية إختارت لى العناية الإلهية مولداً كان له أكبر التأثير فى تشكيل وجدانى ، وإعطائى المفاهيم التى كانت بالنسبة لى زاداً فى رحلة الحياة الشاقة .

كان مولدى بحى « باب الشعرية » ، فى بيت جدى حيث كنا نعيش أنا وأمى وأبى «الابن الوحيد لجدى» وقد ظللنا فى هذا البيت حتى بلغت الرابعة تقريباً ، ثم انتقلنا للسكنى فى حى « السيدة زينب » تاركين بيت جدى .

وبالطبع لا أذكر من هذه الفترة الكثير، وإن كان القليل الذى رسخ فى وجدانى ـ ولاأقول فى ذاكرتى ـ قد وضع حجر الأساس فى بناء شخصيتى .

إن ما أذكره جيداً من تلك الفترة وما تلاها هو (جدى) دفقة حنان دافئة إختزنها وجدانى ، وعاشت فى كيانى على مر السنين ، وكانت لى زاداً ومدداً يمدنى بالعون والقوة عند الشدائد التى أصابتنى فيما تلى ذلك من سنين ، والتى وقعت فى مرحلة من أهم مراحل التاريخ المصرى المعاصر والتى سيبقى تأثيرها لأجيال طويلة قادمة .

كان رحمةالله عليه من سالكى الطريق.. متصوفاً من أبناء سيدى « محمد أبو خليل » الولى الصالح ومن أقرب مريديه .

ولذا نشأت منذ ميلادى وأذناى تتلقيان دائماً اسم الجلالة « حى » وهتاف الذاكرين الهائمين « مدد » ..

كانت حلقات الذكر تعقد فى بيت جدى ، وكان يوم « الحضرة » يوماً زاهياً بين الأيام ، فالطعام والحلوى كانا متعة لطفولتى ، حيث يصير البيت كله فى مثل هذه الليالى فى حالة من الاهتمام والانسجام.

وليلة الذكر ليلة ينشغل لها كل من فى البيت كبيراً وصغيراً لأهميتها وقدسيتها فكانت أمى تنشغل عنى بقيامها بالخدمة فى تلك الليالى .

جدى هو العالم المتصوف الشيخ محمد حسن على حواس ، من مشايخ الطرق الخليلية وله مقام فى جامع سيدى « الطشطوشى » فى حى باب الشعرية ، وكان رحمه الله شديد التقوى ومنه تلقيت أول مفهوم من المفاهيم التى يسير الإنسان على هديها فى حياته ، فقد فهمت منه أن الرجل المسلم هو «الجنتلمان» الحقيقى بالمعنى السائد فى هذا العصر ، وأن من يتصف بأخلاق الإسلام يكون رجلاً معاصراً فى كل زمان ومكان ، ويكون نوعا ممتازاً من الرجال إذا كان مسلماً حقاً وملتزماً بآداب الإسلام ومتحلياً بأخلاقه. وكثيراً ما كنت أراه يساعد جدتى فى أعمال البيت ، ولا يأنف من الذهاب بنفسه إلى السوق لشراء ما يلزم البيت رغم تمتعه بمكانة بارزة ، وشخصية محترمة فى الحى الذى يعيش فيه ، ورغم أن له مريدين يتمنى الواحد منهم لو قام على خدمته ليل نهار . هذا المفهوم الذى طبعه جدى على وجدانى لم يعط لى بصورة درس أو موعظة أو نص من نصوص الدين وطلب إلى حفظه ، وإنما كان واقعاً ماثلاً أمام عينى فى شخص جدى «الشيخ حواس»

ولكن الحياة فى بيت جدى لم تدم ، فسرعان ما انتقل بنا أبى من حى باب الشعرية إلى حى السيدة زينب ، وهى أولى الرحلات الكبرى فى حياتى فقد كان انتقالا من « حياة » إلى « حياة » تختلف عن الأولى اختلافاً كبيراً وفيما يخصنى ـ فوق ذلك ـ فإنى كنت انتقلت ـ من حيث السن ـ من الطفولة إلى بداية الصبا .

تفتحت عيناى على الدنيا ، فى حى « السيدة زينب » ففيه دخلت المدارس ، وفيه عرفت الصداقة ، ورأيت أناساً ذوى عقول شامخة ، وأناساً ذوى عقول منحطة ، وعرفت الجوع

والشبع ، والفقر والغنى ، وعرفت التحدى والتسليم ، وفيه عرفت المسلم بالعمل ، والمسلم بشهادة الميلاد ، ولكن الأهم من ذلك هو معرفتى بأن كل هذه الأشياء المتناقضة هى فى النهاية تنصهر كلها فى بوتقة واحدة اسمها « الحى الشعبى » .

ومن الوقائع التى لا أستطيع نسيانها لأثرها القوى الذى انطبع مثل « الكى » على حياتى ، وكأنها اختارتها لى الأقدار لتدفعنى إلى إتخاذ موقف معين ، أو لإدراك عبرة مامن عبر الحياة أو لتقوية شعور ما من مشاعرى ..

اذكر أنه كان يسكن فى البيت المقابل لبيتنا ، طبيب شاب ، استلفت نظرى بأناقته وحسن هندامه ، ومظاهر الشباب البادية عليه ، وذات يوم كنت أقف فى شرفة بيتنا انظر إلى الطريق ، فرأيت شيخاً مهدماً ، خارجاً من البيت المقابل ، وحوله رجال يسندونه ، فسألت أحد الواقفين من أهل حارتنا :

ـــ من هذا الرجل ؟

ـــ فأجابوا : « الدكتور » !

أدهشنى الرد ، وعدت أسأل « لماذا » ؟

ـــ قالوا : « الخمر أكلت كبده » !!

« الخمر !! » ، اخترقت الكلمة رأسى فنبهت عقلى بعنف إلى وجود شيطان غامض اسمه « الخمر » .

وكأنى لم أسمع مثل هذه الكلمة من قبل ، ولم أعرف أن هناك ساحرا يمارس سحره الأسود اسمه « الخمر » ومن سحره اللعين حوَّل شاباً يانعاً ، إلى عجوز ذابل البدن والحيـوية ...

كانت هذه هى المرة الأخيرة التى رأيت فيها جارى الدكتور ، الذى كان مثار إعجابى بتناسقه الخلاب ، ضاع الدكتور .. استقر فى وجدانى أنه من الحماقة .. الإدمان

وحملت فى قلبى كراهية وحذراً منها ، وتعاملت معها فيما بعد ـ معاملتى لرفيق من طبائعه الغدر والأذى .

ولم أجد من يشاركنى هذا الرأى ، بل ويحمل ضد الخمر آراء أشد صرامة وجهامة سوى المشير عبد الحكيم عامر . كان رحمه الله يكره الخمر وشاربها كرها شديدا ، ويرى أن الرجل الذى يشرب الخمر حتى يغيب عن وعيه ، ويصير هزؤه بين الآخرين رجلا غير جدير بالاحترام .

كان من حظى يومان جميلان فى كل أسبوع هما « الجمعة والثلاثاء » ففى هذين اليومين كنت أرى جدى « الشيخ حواس » .

ففى يوم الجمعة .. كان يزورنا فى الصباح الباكر آتيا من « باب الشعرية » فيدخل علينا بوجه بشوش ، حاملا الفطائر والحلوى ، عامر القلب بالحنان ، فما نكاد نلتف حوله وهو يفض اللفائف ، وقبل أن يقول « كلوا » نكون قد بدأنا الأكل ، بينما يمكث هو بجوارنا يراقبنا ووجهه ملىء بشاشة ونورانية لا أعرف كيف اصفها ولن أنسى ما حييت رقة يد مثل يديه وهما تتلمسان رءوسنا وتربت على ظهورنا ، والنعمة الكبرى حين يضمنا إلى صدره مداعبا ، ملاطفا وهو يقرأ بصوت هامس شيئا من القرآن والأدعية .

وكذلك كنت أراه يربت على كتف أمى بإشفاق ، وهو يتمتم بقراءة القرآن .

أما يوم الثلاثاء ، فله شأن آخر ، وله بهجة أخرى . ففى هذا اليوم تنتقل الأسرة كلها إلى بيت جدى لأنه يوم « الحضرة » وهو عندنا يوم عيد وفرح ، وحتى يومنا هذا كلما تذكرت تلك الليالى الربانية ، يخيل إلىّ انى اشتم رائحة المسك والبخور ، والصندل ، وماء الورد ، وكأنى أسبح فى فضاء وردى معطر على إيقاع الفاظ الجلالة « الله .. الحى .. القيوم .. الواحد .. الأحد .. القهار .. اللطيف .. الودود » .

ليلة يعجز لسانى عن وصف جمالها ورقتها ودفئها .

على هذه الوتيرة كانت تمضى بى الحياة ، وأنا انمو يوما بعد يوم ، وانتقل من عام دراسى إلى آخر ، حتى دخلت المدرسة الثانوية .

كنت فى حاجة إلى مدرس يساعدنى على فهم الدروس وشرحها ، وتطوع ابن خالة لى بأن يحضر مدرسا يقوم بهذه المهمة ، كان هذا الرجل صديقا لابن خالتى ، وقد ذكره بكثير من

عبارات المديح والأشادة بعقله الراجح ، وعلمه الغزير وفهمنا انه ليس مدرسا بل موظفا فى مصلحة البريد ، وذكر من مآثره انه حاصل على ماجستير فى العلوم السياسية والمالية ، وأن عمه هو « محمد حسين هيكل باشا » « باشا ... » اسكرتنى هذه الصفة فيه... كان عالم الباشوات بالنسبة لى عالما اسطوريا ، وان يدخل رجل من هذا العالم إلى بيتنا أمر يهز الوجدان .

وجاء اليوم ، وحددت ساعة مجيئه قرب المساء ، ومنذ الصباح لم يكن لى شغل سوى العناية بهندامى ، وزينتى ، ونظافة حجرة الجلوس ، ومدخل الشقة .

وكلما اقترب الوقت كلما زاد قلقى ، ووساوسى ... فقد صورت لى الوساوس ان حجرة الجلوس ليست فى حالة ملائمة ، وخطر لى ان اعيد نظافتها وترتيبها ، فخلعت الثوب الأنيق ، خوفا من الاتساخ ، ولبست ثوبا قديما ، وما كدت انتهى من هذا وأنظر إلى الحجرة بعين الرضا .. حتى دق جرس الباب ، فجريت اليه لأفتحه فإذ بى وجها لوجه امام « مصطفى هيكل » .

أنا التى تزينت منذ الصباح الباكر أجد نفسى فجأة أمامه بثيابى الممزقة البالية .. صافحته وأنا فى حالة يرثى لها ، وصافحنى وعلى وجهه ابتسامة هادئة واثقة وهو يقول : انتِ برلنتى .. ؟

ــ نعم .. تفضل .

وتقدمته وأنا حافية القدمين ، مبللة الوجه بالعرق ، إلى حجرة الجلوس ، ولم أجد هذا الرجل الآتى من عالم الباشوات كما تخيلته ، فارع الطول ، بالغ الأناقة والوسامة ، بل كان رجلا فى ثياب عادية ، قصير القامة ، ضامر الجسم .

ولكن .. فى خلال ساعة من الدرس الأول كان قد استولى على مشاعرى .. ورغم ان الفارق بينى وبينه كان كبيرا ، رغم ذلك فقد أسرنى .فى هذا اللقاء ، وفيما تلاه من لقاءات ، كنت أشعر بأننى لا أقرأ معه كتابا مدرسيا ، وإنما كنت أقرأ معه « كتاب الحياة » كان مصطفى هيكل من ذلك النوع من الرجال الذى لا يستولى عليك منظره ، بـل يستولى

عليك مخبره ، كان دمثا ، واسع الثقافة ، واستطاع بشخصيته المتميزة أن يحرك عقلى للتفكير ويحرك قلبى أيضا.

وخلال هذه اللقاءات تفتحت عيناى على دنيا غير الدنيا التى كنت أعيش فيها ، فقد كان يتناول فى حديثه كل شىء ، النجوم والسماء ، الأدب والأدباء ، الصراع الاجتماعى وطبقات المجتمع ، وكان هذا الموضوع بالذات محببا اليه غاية الحب ، فقد كان ماركسيا ـ رغم كونه من عائلة باشوات ـ ومنه عرفت لأول مرة ما هى الماركسية ـ وكان طبيعيا مع هذا النشاط الذهنى الذى أصابنى أن يرد على لسانى سؤال مثل « من هو الله ؟ » .

ولم يكن أمامى سوى جدى الشيخ حواس لألقى عليه هذا السؤال . وكان من عادة جدى رحمه الله ، أن يستريح فى فترة الظهيرة ، وأصبح من عادتى ان أُلازمة فى تلك الفترة إذا تصادف وكان فى بيتنا ، ومهمتى فى هذه الحالة أن أدعك قدميه ويعطينى نظير كل قدم « قرش صاغ » .

فى فترة القيلولة هذه سألته عن الله ، ولم يبد على جدى انه صدم بهذا السؤال ، وإنما أجابنى بكل هدوء ، وبصوت اكتسب نبرة غريبة من الخشوع « كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبه عرفونى » .

ورغم انى لم أفهم فى ذلك الوقت معنى هذا الكلام « وهو حديث قدسى » . الا أن شيئا ما كان فى اجابته ، جعلها ترسخ فى ذاكرتى دون أن أنساها ...

ومن يومها ، يمر العام وراء العام ، ومعانيها تتضح لى .. المعنى وراء المعنى ، تتضح لى سموا وإدراكا يستعصى على الشرح ، فثمة معان لا يجد الانسان لها الفاظا تفصح عنها ، انما هو فقط يجدها فى قلبه شعوراً فيّاضا .

المهم ظلت علاقتى بمصطفى هيكل عدة سنوات ، ظل خلالها يغذى عقلى بالثقافة ، بأن يحدثنى مرة عن هذا الشىء أو ذاك ، بأن يعطينى كتابا لأقرأه وكنت أقرأ ما يعطينى من كتب استجابة لميل غريزى عندى إلى المعرفة والاضطلاع ولعلى ورثت هذا عن أبى الذى زرع فىَّ الميل إلى القراءة لأنى كنت دائما أراه وبيده كتاب . وكان محدثا لبقا فتعلمت منه ان المعرفة تفيد المتحدث فى الاجتماعات والجلسات .

وتطورت علاقتى « بمصطفى هيكل » فاصبح اللقاء لا يتم فى بيتنا فقط وإنما تعدّاه إلى لقاءات خارج البيت وكان أكثرها يتم فى حديقة الأزبكية ، وكان كل لقاء أتعلّم منه شيئا جديدا ، أو اقرأ كتابا جديدا ويناقشنى فيه بعد قراءته ، ليعلمنى كيف احلل ما أقرأه وأفهم أبعد مما توحى به ظاهر الكلمات .

فى تلك الفترة عرفت اسماء كثير من الأدباء والمفكرين ، وقرأت بعض أعمالهم وكان فى مقدمتهم ، مكسيم جوركى ، ديستوفيسكى ، تولستوى ، استيفان زفايج ، وسومرست موم ، واونوريه دى بلزاك ، وفى علم النفس لفرويد وأدلر ويونج ثم اعطانى بعض أعمال ماركس «وأنجلز » وكان منها كتاب رأس المال لكارل ماركس .. وكان من أكثر الكتب اثارة لاهتمامى « الام » لمكسيم جوركى .

وفى تلك الفترة اعتبرت نفسى مثقفة ، واجدنى هنا اقفز فوق الأحداث لأروى واقعة حدثت لى فى احد لقاءاتى مع المشير « عبد الحكيم عامر » .

كانت قراءاتى الكثيرة ، ومجادلاتى مع مصطفى هيكل قد جعلت منى محدثة لبقة ، وإن كانت فورة الشباب تخرج بى أحيانا فى النقاش والحديث عن حد اللباقة ، إلى حد اللماضة ، فى هذا اللقاء مع المشير كان لسانى يتدفق بأسماء الأعلام من كبار الأدباء والمفكرين ويتشدق بأقوالهم ونظرياتهم ...

كان المشير يصغى إلىّ بهدوء ، فقد كان رحمه الله هادئا ، وكان لهدوئه « سلطان غريب » على من يحادثه أو يحاوره ، ثم قطع على تدفقى وزهوى بسؤال بسيط :ـ

« هل قرأت القرآن ؟ » .

ولا أدرى لماذا انتابنى الخجل وأنا أرد عليه بالنفى ، مع انه سؤال عادى للغاية وربما سمعه الكثيرون ، وأجابوا أيضا بالنفى دون خجل، ولكن سؤاله هذا البسيط: « هل قرأت القرآن ؟ » كان سؤالا متغلغلا نافذا إلى القلب واقتلع غرورى اقتلاعا ، ربما كان ذلك لطبيعة السائل (وطبيعة المسئول) .

كان السائل هو (المشير) بطبيعته وسجاياه ، ونقاء سريرته ، ونفاذ بصيرته بكل تلك الخصال التى عرفتها فيه ، والتى سوف اتحدث عنها فيما بعد .

وكان المسئول هو أنا ، حفيدة الشيخ حواس ، الشيخ التقى المتعبد فكان سؤاله هذا الذى القاه عليّ بهدوء وايهان سببا فى أن أرى بوضوح مدى ما فى حياتى من مفارقة غريبة.. ومدى ما أمتاز به من جهل .

قال رحمه الله : ـ « لعلك أيضا لم تقرأى شيئا عن عمر بن الخطاب .. هل تعرفين شيئا عن عدالته وحياته وعظمته .. ؟

قلت « أعرف عنه . كرّم الله وجهه ..

فقهقه ضاحكا ... وقال اكرمك الله ، اهذا كل شىء ؟؟

أعود إلى قصتى مع (مصطفى هيكل) الذى كان مهتما بتغذية عقلى بألوان من المعرفة والثقافة كان ينتقيها هو لىّ ، ولم يكن معنّيا بعواطفى رغم ان مكان اللقاء كان شاعريا بين الخضرة والزهور بحديقة الأزبكية ، الا انه فيما يبدو كان يعدنى اعدادا خاصا للقيام بدور رسمه لىّ ، ولم يفصح عنه بوضوح ، وانى الآن لأرى ذلك حين استرجع ذكريات تلك الفتـرة ، البعيدة من حياتى ، ولعل القصة التالية تبين للقارىء ما أعنيه من هذا الكلام .

ذات يوم جاءنى ومعه حقيبة كتب قال وهو يشير اليها « سأطلب منك القيام بمهمة ، أترين هذه الحقيبة .. ؟ » .

قلت : ـ نعم ... وماذا بها ؟؟

قال : ـ منشورات !!

وبعد ذلك أخذ يوضح لىّ المطلوب ، وكان الأمر كما رسمه لىّ ، أن أحمل هذه الحقيبة إلى محطة الأوتوبيس ، فإذا جاء وركبته أنزل فى محطة كذا ، .. وسوف يكون هو فى انتظارى ليأخذها منى ، وأخذ يوصينى بالتزام الهدوء والثقة والثبات ...

وبالطبع تظاهرت أمامه بالثبات . وإن كانت الحقيقة غير ذلك .

جاءت ساعة الصفر ، وحملت الحقيبة وسرت بها إلى محطة الأتوبيس كما طلب منى

بالضبط وكانت امام صيدناوى الخازندار ، وعند المحطة تسمرت تماما فى مكانى ، فقد استولى علىّ الذعر وشل حركتى فلم استطع مبارحة مكانى على الرصيف ، حيث كنت أرى الأوتوبيس يأتى وراء الأوتوبيس ، دون ان أجد القدرة على الحركة لركوبه ... ومكثت على هذه الحال فترة طويلة ، فلا أنا أعود أدراجى إلى البيت ، ولا أنا أتقدم لتنفيذ هذه المهمة . وكانت من أقصى التجارب التى تعرضت لها فى حياتى .

وفجأة رأيته إلى جوارى ومد يده إلى الحقيبة وأخذها منى وهو يقول : لا أنت ماتنفعيش خالص .. بالشكل ده حايقبض عليك البوليس حتى لو مكانش عارف عنك حاجة .. ولم تكد حقيبة المنشورات تخرج من يدى ، حتى خرج الرعب من قلبى ، عدت إلى البيت متعبة ، ولم يحاول مصطفى هيكل بعد ذلك أن يطلب منى شيئا ، وإنما مضت الحياة بنا كالمعتاد ، يعطينى دروسا فى البيت ، ودروسا فى الحديقة ، وكنت أنمو وازداد نضجا ، وعلاقتى بمصطفى تنمو هى الأخرى ، وتزداد قوة .. وبعد تجربة « حقيبة المنشورات » بدأ سلوكه معى يتسم بالعاطفة ، ولم تعد غايته كلها منصرفة إلى عقلى فقط ، بل بدأ يولى عواطفى اهتماما خاصا . وكأنما هو لم يعد يدخرنى « للنضال » وإنما ادخرنى للزواج وصارحنى بذلك واتفقنا عليه .

وفى ذات يوم سألنى والدى بخشونة : أين كنت ؟

لم أرد على الفور لأنى أدركت أن أحدا رآنا ووشى بى . ولما كانت طبيعتى تكره الكذب فقد أجبته باستسلام : كنت مع مصطفى هيكل .

قال بسخرية : ـ حقا وهل من عادة البنت المحترمة المهذبة ان تقابل الرجال فى الشارع ثم نظر الىّ غاضبا وقال : ولماذا تقابلينه خارج البيت ؟

قلت : إنه يريد أن يتزوجنى .. وسيأتى اليوم ليخطبنى !! ..

قال أبى بغضب : ومن قال اننا نريد ان نتزوج ؟ أنا لا أوافق على زواجك منه فى هذه السن .. فعليك أن تكملى تعليمك أولا . وحين يأتى سأطرده .

ودق جرس الباب فدق قلبى ، وأسرعت بفتحه ، فوجدت مصطفى هيكل أمامى ، قلت له هامسة : أبى قد رآنا ، هز مصطفى رأسه بهدوء ومضى حيث يجلس أبى فى انتظاره .

وفور دخول مصطفى على أبى أطلعه على خبر فى الجريدة التى بيده ، وكان الخبر يتناول إحدى القضايا السياسية الهامة ، والتى كانت تشغل بال المجتمع فى ذلك الحين . وكان أبى قارئا ، مهتما بالسياسة ، كأغلب جيله . كثير الجدل حولها وكان مصطفى هيكل يدرك نقطة الضعف هذه فى أبى الذى تجاوب بسرعة مع الموضوع ، والذى بسببه نجح مصطفى هيكل فى صرف ذهن أبى منذالوهلة الأولى عما كـان يشغله ويثيره ، فانـدفع يعلق على الخبر ، ويدلى بآرائه السياسية فى الوزارة والأحزاب ، والانجليز ، والثورة ، وهكذا افلح مصطفى منذ اللحظة الأولى فى إحباط مفعول القنبلة الزمنية التى كانت فى انتظاره.

وشرع بعد ذلك يغذى غرور أبى باظهار اعجابه بآرائه ، « الخطيرة » فى السياسة ويبدى دهشته لسعة اطلاعه ، وسداد رأيه ، فاندفع أبى ـ وقد أسكره المديح ـ يبسط وجهات نظره العميقة فى السياسة وحين دخلت عليهما بالشاى ، كان الحديث بينهما يدور بانسجام ، وعلى غاية ما يكون الانسجام ، حتى انهما لم يشعرا بى وأنا اضع الصينية امامهمـا ، وانسحب فى هدوء وترقب .

ومضى الوقت والنقاش بينهما حامٍ ، حتى اصبح كل منها على سجيته .. لدرجة أن مصطفى حين رآنى داخلة فى المرة الثانية ، طلب منى ان ارفع اقداح الشاى الفارغة وأن أصنع لهما قهوة وكأنه هو صاحب البيت .

وبعد ان اتممت دراستى الثانوية اشار على مصطفى بدخول « المعهد العالى للفنون المسرحية » وحدد لى قسم النقد . وكنت قد نشرت مقالات فى مجلات فنية ، احداهما يديرها المرحوم « عثمان العنتبلى » ومجلة أخرى اسمها « أهل الفن » ودنيا الفن ـ وكانت مقالاتى بعنوان « فيتامينات الفن » واقترحت فيها انشاء مكتبات فى الاحياء تتيح لأبناء البسطاء الاطلاع وتثقيف أنفسهم . وكتبت قصة قصيرة بعنوان « ناقد ناشـىء » ومقالة أخرى بعنوان « السينما حرب على المسرح » .. وكانت كلها محاولات . وكنت أتمنى أن أكون كاتبة أو صحفية .

وذات يوم دخل علينا الأستاذ « زكى طليمات » عميد المعهد . وما كادت عيناه تقع علىّ حتى بدأ يتفحصنى ثم قال لى : ماذا تفعلين هنا فى قسم النقد . نحن نحتاج اليك فى قسم التمثيل وبه تدرسَ معظم العلوم التى بقسم النقد .

وأخذنى إلى قسم التمثيل ، والمسافة بين النقد والتمثيل خطوات وغيرت هذه الخطوات مصيرى كله وكانوا يعدون مشروعات التخرج وهى عبارة عن مسرحية يقوم بالتمثيل فيها مجموعة من طلبة المعهد على مسرح قاعة « إيوارث الأمريكية » . وقبل الامتحان بأيام فوجىء الأستاذ زكى طليمات بغياب البطلة « ملك الجمل » الطالبة فى السنة النهائية والتى ستقوم بأدوار البطولة فى المسرحية ، وكانت الرواية التى اختارها الطالب « عبد الغنى قمر » لمشروعه للتخرج هى « الصعلوك » ووقع فى مأزق بغياب البطلة .

وجاءنى الأستاذ زكى طليمات ، وطلب منى القيام بتمثيل الدور أمام عبد الغنى قمر انقاذا للموقف ، وقلت له لن استطيع ، ولكنه أجاب مؤكدا : بل تستطيعين وجذبنى من يدى إلى احدى الحجرات الفسيحة ، ووضع النص بين يدى ، وبدأ فى تلقينى الدور والحركة « الميزانسين » وتركنى لعبد الغنى قمر الذى استمات فى تحفيظى الدور جيدا ، وإلا فإن فرصة السنة النهائية ستضيع من يده .

وجاءت ساعة الظهور على المسرح ، وكنت قبلها فى دوامة حفظ الكلام والانبهار بفكرة انى سأقف لأمثل أمام المشاهدين ، ولكن ما كاد يحين موعد رفع الستار حتى انتبهت ، وهى انتباهة أقرب إلى الإغماء ، منها إلى الصحوة .. ففجأة اصبحت وجها لوجه أمام الجمهور وهالنى ان أرى صفوفا من الرؤوس السوداء والعيون المحملقة التى تملأ الصالة وتغوص فى الظلام . وبدأ التمثيل وبدأت القى « محفوظاتى » وأنا نهب للقلق والارتباك ، وزاد الهرج فى الصالة فقد كان اغلب الجمهور من الشبان والشابات ، وكان مشهد البداية فى المسرحية فى حجرة النوم بملابس بها بعض الإغراء ، وحدث تصفيق وصفير بدرجة جعلتنا لا نسمع حوار بعضنا البعض ، ولم ينقذنى سوى اغلاق الستار فجأة ، وصعود زكى طليمات على خشبة المسرح مخاطبا الجمهور ومؤنبا له . وتحدث عن ضرورة احترام المسرح ، وعن قدسيته ، ودعاهم الى التزام الصمت ، وهدد إن هم عادوا إلى الهرج مرة أخرى فإنه سوف يلغى العرض .

وفتح الستار مرة ثانية ، وبدأ التمثيل ، وعبد الغنى قمر يشجعنى ، وفى هذه المرة كانت أعصابى أهدأ ، مما ساعدنى على الاندماج وحسن الأداء .

وانتهى العرض ولا أدرى كيف ، وتصاعد التصفيق ، وجاء عبد الغنى يهنئنى ، ويشكرنى على نجاح العرض ..

وزاد من سرورى أن الأستاذ زكى هنأنى وامتدح تمثيلى ، وأحسست بالزهو فانها أول مرة احظى فيها بهذا التقدير الجماهيرى ، وان هذه نشوة لا يعرفها سوى من ذاق حلاوتها .

كان من أثر نجاح المشروع ان فاز « عبد الغنى قمر » بالدبلوم وفزت أنا بميزات العام الدراسى ... ونجحت .

وبدأ نجمى يضىء بسرعة الصاروخ وكنت احصل على بطولات سينمائية رغم انى كنت ما زلت طالبة بالمعهد .

أما هيكل فإنه صرح لىّ فى يوم من الأيام بأنه ينوى السفر إلى الخارج للدراسة وأدركت ان الدراسة لم تكن هى الدافع وإنما الهروب بنفسه من الهلاك بعد أن رأى زملاءه يؤخذون الواحد بعد الأخر إلى المعتقل ورغم ادراكى لهذه الحقيقة أو استنتاجى لها فإننا لم نتحدث عنها فيما بيننا .. وبعد سنوات من سفره إلى باريس وصلنى منه خطاب يدعونى فيه إلى اللحاق به فى باريس للزواج والحياة هناك . لأنه قرر الهجرة وما كنت استطيع ترك والدتى وأخوتى للعيش بالخارج إلى الأبدفقد كنت فى ذلك الوقت مسئولة عن رعاية أخوتى ..

وفى خضم عملى السينمائى والإذاعى والمسرحى وبعد ان أصبحت نجمة فى وقت قصير تعرّفت بعدد من الصحفيين والمثقفين والكتاب المميّزين . مما جعلنى أشعر أنى فى حاجة إلى مزيد من الاطلاع . وكنا نجتمع كل خميس بمنزلى وأنا فى غاية الشوق لرؤيتهم والاستمتاع بأفكارهم الفنية دائما بما قرأوه ، وكان من المترددين على ندوة الخميس أحمد بهاء الدين ، أنيس منصور ، نجاح عمر ، وزوجها محمود المراغى ، عدلى فهيم ، حجازى ، مهجة عثمان وكثيرون ممن تفخر الحياة الثقافية بهم . وبالرغم من المكاسب المادية والشهرة فقد كنت أشعر بوحدة ، قاتلة ، وان شيئاما ينقصنى وللأسف لا أعرف ما هو : ! .. لمن اتعطّر واتزين ؟ .. كانت مشاعر غريبة خاصة اننى كنت انفر من مجرد التفكير فى الزواج لما رأيت وسمعت عنه !!

واتسعت الدائرة عن طريق عملى واختلطت بالأجانب من الفنانين والفنيين ، واستمتعت بأن أكون مضيفة لهم فى بلدى ، وعرف عنى هذا فكانوا يقصدوننى مباشرة ، واطلقوا على اسم « برلنتى عبد النيل » . وكانوا يقولون إنى اشعرهم بأننى سفيرة لمصر عندهم ..

وتمضى حياتى على هذه الوتيرة .. الوقوف أمام الكاميرات ، وندوة الخميس ، وتلبية دعوات السفارات ، ثم الانفراد بنفسى ، وحيرتى فى نهاية المطاف .... هكذا كانت حياتى فى أواخر عام سنة ٦٠ ، وكنت اتعرض لنقلات فجائية ، ابرز ما فيها ، انى لا اختارها ولا أسعى اليها !!

وفى ذات ليلة كنت مدعوة الى حفل أقامه مستر باتل ـ سفير الهند فى منزله بالزمالك ـ تكريما لقنصل امريكا فى القاهرة ، وكان الحفل يبدأ فى الساعة الثامنة والنصف ، ولكن نظرا لانشغالى بالتصوير فى احد الأفلام فقد ذهبت بالمكياج ، وحال دخولى هلل كثير من معارفى من الأجانب فى حفاوة وود ، وهم يهتفون بى مرحبين « هو ... « برلنتى عبد النيل » .

ولم يمض وقت طويل حتى تألفت حولى حلقة من السفراء واعضاء السلك الدبلوماسى ، وأصبحت هى الحلقة الرئيسية فى حفل السفير المقام بحديقة منزله . وفيما نحن نتبادل الأحاديث ، والفكاهات السارة ، احسست برجل يقف خلفى ويزاحم الرجل الواقف بجوارى ، كان يضغط عليه ـ وكأنه فى أوتوبيس مزدحم ـ ليحتل مكانه ، ثم دفعه بقوة دفعة أزاحته عن مكانه ، وأصبح بعدها الرجل الواقف خلفى ، واقفا بجوارى ، وفى غمرة دهشتى من هذا السلوك مال الرجل على أذنى حتى أصبح فمه فى أذنى مباشرة وقال لى هامسا :

« أنا فلان الفلانى .. (مخابرات) .

اعترانى الارتباك والخجل ، فإن الهمس يعد عيبا فى مثل هذه الحفلات وأحسست بأن جميع العيون ترقبنى وساد الصمت .

رفعت عينى نحو الشاب ـ وكان طويلا أسمر ـ وقلت له بالإنجليزية ـ حتى يفهم الجميع ـ : وما شأنى أنا بالمخابرات .. إننى فنانة ، ولا دخل لى بالسياسة ، والواقع اننى

تعمدت الحديث بالانجليزية حرصا على صداقتى بالرجال العاملين بالسلك الدبلوماسى، وحرصا على ثقتهم فى هذه الثقة التى دفعتهم الى أن يفتحوا لى أبواب بيوتهم لأخالط زوجاتهم وابنائهم .. مسلك كهذ كفيل بإدخال الشك إلى قلوبهم وابتعادهم عنى، خصوصا أن أغلبهم يلم ببعض اللغة العربية . ثم مال الشاب الأسمر مرة أخرى على أذنى ثم همس « الريس وصل » .

نظرت حولى غير مصدقة ، فأنا لم اسمع لفظا أو جلبة أو أى شىء مما يصاحب مقدم الرؤساء ، وأشار لى الرجل بيده ، فنظرت إلى حيث أشار ، فرأيت رجلا متوسط الطول خجولا ، يقف بمفرده تحت احدى الأشجار ، قلت لرجل المخابرات : هل البروتوكول يقضى بأن الرجل هو الذى يأتى للسيدة إذا كان يريد الحديث معها ، وليس من اللائق أن يدعوها إليه ، ثم ما شأنى أنا بكل هذا ؟؟

وعلى كل إذا كان يريد الحديث معى فليتفضل . كان الصمت والوجوم قد عاد إلى الحفل بعودة رجل المخابرات ، وحين قلت له هذا الكلام السابق ، لاحظت ظل ابتسامات ترفرف على شفاه الحاضرين .

انتهت الحفلة ، وعدت إلى البيت ، ولم أكد أغلق الباب ورائى حتى سمعت جرس التليفون يرن .. رفعت السماعة فجاءنى من الطرف الآخر صوت رقيق مهذب يقول : «أنا صلاح بدر مدير المخابرات الحربية » وصمت ، وواصل حديثه الهادىء قائلا : اسمعى يا مدام برلنتى .. نحن نعرف انك وطنية ، فرددت عليه : طبعا . قال: ـ إذا كان هناك خطر يهدد الوطن ، وطلب منك المساهمة فى حماية وطنك من هذا الخطر فهل تمانعين؟

قلت له : ـ إذا رأيت خطرا فلن انتظر حتى يطلب منى ذلك ، بل سأعمل من تلقاء نفسى . أجاب : عظيم ... ونحن لا نريد منك أكثر من ذلك فأنت يا مدام برلنتى صديقة لعدد كبير من الأجانب ، وكل ما نريده منك ان تؤدى خدمة للوطن وحماية للثورة ، فأنت بالنسبة لنا وجه نادر لمعرفتك العميقة برجال السلك الدبلوماسى ، وكل ما نطلبه منك أن تكتبى تقريرا عن أى شىء تسمعينه ..

قلت له على الفور : إسمح لى .. أنا بنت بلد ، ولا أخون من وضع ثقته فى ، وليس من عادتى ان انقل كلاما قيل أمامى ، هؤلاء الناس أنا دخلت بيوتهم واكلت معهم «عيش وملح » ثم اننى فنانة ولا دخل لى بالسياسة ، « الفن هو كل حياتى » قال الرجل بأدب ورقة : ـ إذن لا نطلب منك كتابة تقارير ، لكن هل نطمع فى انك إذا رأيت شيئا فيه خطر على أمن مصر أو الثورة ان تخبرينا عنه ؟

قلت : ـ طبعا

قال صلاح بدر منهيا حديثه : ـ هل لديك مانع إذا اتصلت بك مرة أخرى ؟

قلت : ـ أبدا يشرفنى ذلك .

وانتهت المكالمة ، ووضعت السماعة فى دهشة من ان يكون هذا الرجل الخجول الرقيق ، رجل مخابرات ، فأنا لم اكن قد رأيت من قبل رجلا من المخابرات.

ومرت أيام كنت قد نسيت خلالها هذه الواقعة ، وفى ذات يوم زارتنى فى بيتى كاتبة دينية معروفة وبعد ان جلست قالت :

ـ هناك شخص يريد ان يأتى لزيارتك .. فهل لديك مانع ؟

سألتها : ومن هو ؟

ـ انه شخصية هامة ، أحد المسئولين ، فما رأيك ؟

ـ ولماذا يريد أن يزورنى ؟

ـ لا أعرف ، هو بنفسه سوف يخبرك إذا وافقت على الزيارة وبعد محاولات بينى وبينها قلت لها فى النهاية : « لا مانع فليتفضل » .

ـ قالت قبل انصرافها : هل لديك مانع ان آتى معه ؟

ـ قلت ابدا « أهلا وسهلا » .

انصرفت السيدة ، وبقيت وحدى وبعد ساعة تقريباً دق جرس الباب ، وعندما فتحت وجدت أمامى « السيدة الكاتبة » ومعها رجلان ، افسحت لهم الطريق ، فإذا بالرجلين يدخلان ويدوران فى أنحاء الشقة ، فاحصين مدققين بنظراتهم هنا وهناك ثم سألنى أحدهم : « أين باب المطبخ ؟ » .

فادللتهما على مكانه ، فذهبا إليه ، واستطلعا المكان ، بل واستطلعا كل منافذ الشقة ، وبعدأن انتهيا بارحا البيت صامتين .. وبقيت أنا والسيدة فى انتظار الشخصية الهامة المجهولة .

لم يمض وقت طويل حتى دق الجرس مرة أخرى ، وعندما فتحته رأيت أمامى رجلاً ممتلئاً قليلاً مبتسم الوجه . دخل الزائر ، وبعد أن استقر ب المقام انشغلت قليلاً بإعداد الشاى فقد كان من عادتى صرف الشغالة بعد الظهر .. وبعد أن قدمت الشاى جلست ، فبدأ الرجل الحديث بالسؤال التقليدى عن الصحة والحال ثم قال :

ــ نحن نعرف يا مدام برلتنى أنك نجمة محبوبة ، وأن كثيراً من الأجانب المهمين المقيمين فى مصر يحبونك ويصادقونك ويهمنا حقاً أن تتعاونى معنا .

سألته : ومين حضرتك ... ؟

بدت الدهشة على وجهه ، ثم تساءل بأدب :

ــ ألا تعرفين صلاح نصر ... ؟

ــ لا لا أعرفه .. يعنى بتشتغل إيه حضرتك ؟ ضحك الرجل وهو يتفرس فى وجهى غير مصدق ، ثم قال : صلاح نصر مدير المخابرات ، قاطعته بقولى :

ــ ولكن مدير المخابرات اسمه صلاح بدر !!

قال : صلاح بدر مدير المخابرات الحربية .. لكن أنا مدير المخابرات العامة .. ان عملنا ينحصر فى نطاق الأجانب ، ومهمتنا هى العمل على حماية الوطن من الأجانب

الذين قد يقوم بعضهم بنشر مبادىء خاطئة ، أو عمل شبكات جاسوسية تستهدف الاضرار بمصلحة الوطن ، إن عمل المخابرات ضرورى لحماية مصر من اعدائها وهو عمل يتسم بالوطنية ، وأظنك يا مدام برلنتى توافقين على ذلك ..

قلت : طبعاً ..

استرسل صلاح نصر قائلاً : إنك تختلطين بالأجانب ، وتسمعين منهم كل ما يقولون ، وتعرفين كيف يفكرون ، وكل ما نطلبه هو تقرير لن يستغرق من وقتك أكثر من دقائق .

ــ قلت له : حقيقة أنا لا أذكر الجزئيات لأن تكوينى العقلى لا يهتم بالجزئيات وإذا قرأت كتابا فلا أذكر تفاصيله وإنما أذكر الخطوط العريضة به .

ــ دار صلاح نصر بعينيه فى أنحاء المكان وقال : هذه الشقة صغيرة .. ولا تناسبك سوف نعطيك شقة كبيرة ، ونؤثثها لك بشكل فاخر .

تساءلت : لماذا ؟

قال : حتى تكون صالحة لنشاطك ، ولائقة لاستقبال الضيوف ..

ــ قلت : ولكنى لا أريد ذلك ..

ــ قال : لماذا ؟

ــ لأن هذه الشقة هى شقتى ، استطيع أن أقابل بها من أشاء ، ولا أستقبل فيها من لاأريد .

ابتسم صلاح نصر ، قائلاً : والشقةَ الأخرى ستكون شقتك أيضاً .

ــ لا .. ليست شقتى .. أنا أحب هذا المكان ، فكل شىء صنعته بنفسى ، ووفق رغبتى ، وأنا أعيش حياتى راضية .

ــ بماذا ؟ بأربعمائة جنيه هم كل رصيدك فى البنك ؟

ــ هذا أكبر مبلغ ادخرته . وأنا أعتبره ثروة كبيرة وسعيدة به ..

قال وكأنه لم يسمع اعتراضى : ستكونين فى أمان تحت رعايتنا ، وإذا حدث وتهددك أى خطر فنحن سنقوم بحمايتك منه ، فإنك لن تدركى إن كان هناك خطر أم لا .

قلت مصممة على رفضى :

ــ أنا لا أصلح لمثل هذه المهمة ، أنا أحب وطنى حقاً ، ولكنى أخدمه عن طريق الفن ، فأنا لا أعرف شيئاً عن السياسة .

قال برقة : المسألة مسألة اختيار ، نحن نشرح لك الميزات ولك حرية الاختيار ، ثم قال: هل تسمحين بالسؤال عنك بين وقت وآخر ؟ ألا ترغبين فى سماع صوتنا .. ورددت بقولى : أبداً أهلاً بك ويشرفنى ذلك .

الفصل الثانى

الطريق إلى قـدرى ...
إلى عـامـــــر !!

كانت من المترددات على ندوة الخميس صديقة تعمل صحفية بروزا اليوسف وفى صباح أحد الأيام رن جرس التليفون وكانت المتحدثة هى الصديقة الصحفية .

قالت :هل استطيع أن أراك اليوم ؟

قلت لها : ولكن اليوم هو الثلاثاء وليس الخميس !!

قالت : اعرف ذلك .. ولكن لابد من رؤيتك اليوم لأمر هام جداً .. هل استطيع أن أمر عليك لنتحدث ؟ .. وجاءت الصديقة وقالت لى :

ــ لقد رشحتك للانضمام إلينا !!

ــ تساءلت بدهشة .. أنتم .. من ؟

ــ قالت ـ تعرفين ان اعداء الثورة كثيرون ، وإننا يجب أن نعمل على حمايتها من أى عدو لمصلحة الوطن ، والجماهير الكادحة ، ولبقاء الدافع الثورى مستمراً لابد من إزالة أى عائق فى طريقه ، ونحن نعمل من أجل ذلك .. وقد رشحتك وهناك اجتماع سوف يعقد غداً ولابد من حضورك !!

ــ قلت لها : أنت تعرفين أنى لا أهتم بالسياسة وحتى الجرائد لا أقرأها إلى درجة أنى لا أعرف رجال الثورة .. ولا أتحدث فى شىء غير الفن ...

قالت : ان كل ما تقولينه هو فى الحقيقة سياسة ، فالفن سياسة ، والاقتصاد سياسة ، ومشاكل الناس التى تعالجها الأفلام سياسة ، .. ان السياسة تدخل فى كل نواحى نشاطنا اليومى، وهكذا ترين أنه من الضرورى أن تنضمى إلينا وتحضرى الإجتماع غداً .

ــ سألتها ــ ومتى سيكون الاجتماع ؟

ــ فى الثامنة والنصف مساء غد .

قلت لها : دعينى أفكر ... ولكنها أصرت .

واتفقنا على أن أن تمر بى فى المساء لتصحبنى إلى مكان الإجتماع فسألتها : وأين سيكون ؟

أجابت : فى شارع الهرم ولن أخبرك بتفاصيل أكثر فربما تغيرين من رأيك غداً فلا داعى لأن تعرفيه .

وفى اليوم التالى ، كنت قد انتويت الذهاب معها بدافع الفضول ، وأصبح كل ما يشغلنى هو اختيار اللبس والزينة ، وعندما اقترب الموعد ، لبست ثوباً أبيض ذا أكمام طويلة ، وحذاء ذا كعب منخفض ، واخترت تسريحة شعر معينة ، جعلتنى أبدو كطالبة أنيقة رشيقة .

وعندما جاءت صديقتى فى الموعد سألتها : ما الغرض من هذا الاجتماع ؟

أجابت : إن السلطة يهمها أن تعرف ما تعانى منه الجماهير لتعمل على رفع المعاناة ، ومقاومة السلبيات التى قد تضر بمصالح الناس ، وأن الطريقة المألوفة هى كتابة التقارير غير الصادقة ، فكيف يعرف « اللى» فوق متاعب وأوجاع « اللى تحت » بصدق ؟ إن المهمة التى نقوم بها هى اعطاء الحاكم صورة صادقة عن مشاعر الناس ، ولذا فقد تم انتقاء الأفراد ذوى السمعة الحسنة ، والجرأة ليقوموا بذلك .

بدا لى هذا الكلام معقولاً ومنطقياً ، كما كان فى عصر عمر بن الخطاب الذى كان يتجول بنفسه فى الأسواق ليتفقد أحوال الرعية « كما درسناها فى المدارس » فالحياة المعاصرة من الاتساع والتعقيد بحيث يكون مثل هذا العمل نافعاً ومبصراً للحاكم .. وفى الطريق قالت إن الاجتماع فى مكان سرى .

وما هى إلا لحظات حتى وصلنا ، فرأيت بيتاً من دور واحد بحديقة ورأيت الأضواء قوية تشع من كل ركن فيه ، وعدداً من الرجال متناثرين حوله وعند المدخل ، وبدا لى المكان لا هو سرى ولا شبه سرى ، فقد بدا لخيالى أن المكان الذى نقصده لابد أن يكون مكانا غامضاً ، يختبىء فى الضباب والظلام ، والدخول إليه يكون تسللاً والحديث همساً ..

دخلنا وأول ما استرعى نظرى هو الإهمال الواضح فى طريقة تنسيق الأثاث بل إن المكان

كله كان يبدو بسيطاً فقيراً .. ورأيت فى هذا المكان عدداً قليلاً من الناس المتناثرين هنا وهناك فى انتظار مجىء السادة المسئولين .

وطال انتظارى حتى مللت ، واعربت لصديقتى عن رغبتى فى الانصراف ، ولكنها قالت « من العيب » أن تنصرفى خاصة أنى قد أعطيتهم اسمك ، فانتظرت على مضض ورغبتى فى الانصراف تزداد دقيقة بعد دقيقة .

وفجأة أصاب الحاضرين اهتمام وحركة ، وسرى همس « وصل .. وصل » فاهتممت مع المهتمين ، وتنبهت حواسى لما يجرى من حولى ، ثم دخل « عبد الحكيم عامر » ومن معه ، ولأنى كنت فى المؤخرة فقد رأيت رؤوساً تتحرك وسط الناس القليلة من الحاضرين الذين تجمعوا لاستقباله .

كانت فى مؤخرة القاعة منصة وهى عبارة عن مائدة مستطيلة وخلفها كنبه ، وعندما جلس الجميع استطعت أن أرى عبد الحكيم ومن معه ، كان هو فى الوسط وعن يمينه وشماله أشخاص لا أعرفهم وأخذت أتفرس بفضول فى وجه عبد الحكيم عامر ، هاهو أمامى .. واحد من الضباط الذين يحكمون مصر ، وأدهشنى أن أجده فى ثياب عادية ، ولا تبدو عليه طلاوة الرجل المودرن ، كان يرتدى بذلة زرقاء ، وكرافت أزرق مخططا ، وتسريحة شعره قديمة .

وبدأ الاجتماع بكلمة مختصرة ألقاها عبد الحكيم عامر فينا ، على قدر ما أذكر :

تعرفون جميعاً الغرض من هذا الاجتماع أن الثورة حريصة على مصالح الجماهير ، وإقامة حياة اجتماعية آمنة بالنسبة لأبناء الوطن ، والذى نريده منكم هو ابلاغنا عما يعانيه الناس من متاعب ، أو مظالم ، بل ونريد منكم تعرفينا بأخطائنا ، فإن كان ثمة قرار خاطىء ، أو انحراف فى أى موقع من المواقع ، فإننا نعتمد عليكم فى تعرفينا بكل ذلك حتى نقوم بإصلاحه ، والعمل من أجل مصلحة البلد والإنسان المصرى .. كان يتكلم بصوت هادىء ، وبلهجة عادية للغاية ، واختتم كلمته القصيرة بقوله :

والآن أريد ان أسمع منكم ، لأننا جئنا لنسمع منكم ، وسكت « عبد الحكيم عامر » قام أحدهم ليتكلم فإذا به يفيض مدحاً وثناء للثورة ورجال الثورة ، ومضى على هذه

الوتيرة يتحدث بحماس ، وأنا لا أدرى من أين يأتى بهذه الألفاظ الرنانة ، ولا من أين يستمد هذا الحماس الطاغى ، وهو يمدح ويثنى ويتملق ..

وانتهى الرجل من كلامه وجلس ، وقام آخر وتبعه آخر وكلهم تحدثوا كما تحدث أولهم ، مدحا وثناء للثورة ورجال الثورة ، وكأنه ليس فى الامكان ابدع مما كان ، واستبد بى ميل قوى للحديث ، فنهضت معربة عن رغبتى فى الكلام ، ويبدو أن حديثى بصوت هادىء لم يصله ، فطلب منى « عبد الحكيم عامر » أن أتقدم ، فسرت إلى أول الصفوف حتى أصبحت قريبة من المنصة ، فقال لى وهو يتفحصنى بعينيه غير الواضحتين وبصوته الهادى تفضلى .

قلت :

ــ قبل أن أتكلم أريد الأمان !! ولم أكد أقول ذلك حتى أحسست بمن يجذب طرف ثوبى ومن يلكزنى ويشد حزام وسطى .

وقال عبد الحكيم عامر :

ــ الأمان من أي شيء ؟

قلت : الأمان من ألا أخرج من هنا إلى المجهول ... الأمان لأضمن أنى سأبيت الليلة فى بيتى .

قال عبد الحكيم عامر ، وقد شاب صوته نبرة ساخرة :

ــ لك الأمان .. تكلمى .

قلت دون أن يشد أحد ثوبى هذه المرة أو يلكزنى :

ــ لى صديقة اختفى أبوها .. أخذوه من الدار إلى النار ولا أحد من أهله يعرف أين هو... أو ما هى التهمة ، ولا يجدون من يجيب على أسئلتهم من المسئولين ، أو يدلهم على مكان والدهم !! .. فكيف حدث مثل هذا الأمر ، ومن المسئول عنه ؟

غضب عبد الحكيم عامر ، وتلفت إلى من بجانبه قائلاً :

ــ كيف حدث هذا .. أهذا معقول .. ومرة أخرى امتدت الأيادى تلكزنى وتشد طرف ثوبى ... ثم رأيت عبد الحكيم يلتفت إلى من خلفه « وكان على شفيق » وتحدث معه قليلاً ثم قال :

ــ إن والد صديقتك قد تم القبض عليه عن طريق المباحث العامة .. وسوف أرى هذا الموضوع وأتخذ الاجراءات المناسبة ، وانفض الاجتماع ، وفى طريق العودة قالت صديقتى مندهشة .. « ما هذا الذى« فعلته » قلت : « فعلت ما يجب أن يفعل » وقلت ما يجب أن يقال ... فان لم يكن الكلام على هذه الصورة فإنى لا أرى داعياً لمثل هذه الاجتماعات ... اتظنين أنهم عملوا هذا ليسمعوا قصائد المدح ، أم ليسمعوا عن السلبيات والانحرافات .

وعدت إلى بيتى آمنة لأنام بين أمى واخوتى . وفى ذات ليلة اتصل بى صلاح نصر عن طريق التليفون ولما رفعت السماعة جاءنى صوته مداعباً :

« أهلاً باللمضة.. إيه اللماضة دى كلها.. » وأنهى حديثه معى فى تلك الليلة قائلاً :

اتصلنا بالمباحث العامة ، يمكنك الاتصال بصاحبتك لتطمئنيها على والدها .. ان اعتقاله تم عن طريقها وقد أمر سيادته « يقصد عبد الحكيم عامر » بالتحقيق معه تمهيداً لإطلاق صراحه خلال أيام . ثم قال : على كل حال كان تصرفك طبيعياً . ثم ودعنى ووضع السماعة . بعد ذلك بيوم فوجئت بصلاح نصر يزورنى مساء، وبعد تبادل التحية قال : «أريد أن تأتى معى الآن » . سألته مندهشة : الآن .. لماذا ؟ قال : « ستقابلين بعض الشخصيات الهامة » . فسألته : ومن هم ؟ قال : ستعرفين حين تصلين .. قلت :

ــ لا أذهب ... فليس من عادتى الذهاب لملاقاة ناس لا أعرف من هم !!

كان صلاح نصر ذكياً ، وقد أدرك منذ أول لقاء بينى وبينه مدى صلابة رأيى وعنادى فلم يحاول الإلحاح أو المناورة وإنما قال :

أنا أعرف أنك « بنت بلد » وأنا سوف أخبرك على شرط ألا يعرف أحد أنى أخبرتك وأنا أثق فيك ، اعطينى الموافقة على شرطى .. قلت : موافقة .. قال :

ستجدين هناك سيادة المشير عبد الحكيم عامر ، وهو يريد أن يتحدث معك ..

كانت الليلة من الليالى الباردة ، وانطلقت بنا العربة فى شوارع شبه خالية من المارة ، وعندما وصلنا إلى مكان اللقاء وجدته مكاناً منعزلاً ، غارقاً فى الظلام قلت لصلاح نصر فى نبرة مزاح أخفى بها شكوكى .. إيه الحكاية .. واخدنى على فين ؟ ودخل بى صلاح نصر إلى حجرة ضعيفة الضوء ، يجلس فيها عدد من الرجال الغارقين فى معاطفهم وكوفياتهم

وطواقيهم حتى أن الناظر إليهم لا يستطيع التعرف على ملامحهم ، وقدمهم لى صلاح نصر بأسماء وصفات أظن أنها جميعها منتحلة .. وكان من بينهم رجل ينادونه يا «دكتور» وكان هذا الدكتور هو « عبد الحكيم عامر » وكان مرتدياً طاقية ينزل طرفها حتى حاجبيه ويتلفح بكوفية تخفى نصف وجهه ، فلم يعد ظاهرا من وجهه سوى عينيه ، ويضع نظارة ، وإذا كان عبد الحكيم يريد أن يكسب ميزة فى الحوار بتخفيه ، فقد اكتسبت أنا أيضاً ميزة فى كونى أعرفه وهو لا يعرف أنى أعرفه وأبدى صلاح نصر ملاحظة عدم حضورى الاجتماعات وتساءل لماذا لا أواظب على الحضور فقلت :

ــ وماذا أقول فى مثل هذه الاجتماعات !! إنى أرى أن المتحدثين لا يقولون سوى قصائد مدح وثناء فماذا تنتظر فى جو ملىء بالنفاق مثل هذا .

رد على بقوله :

ــ يمكنك أن تقولى ما تشاءين ، فأنت « لمضة » تستطيعين الكلام فى كل ما تشاءين .

قلت : لمضة مع مين ؟ مع شوية ضباط ؟

قال : إذن فأنت لا تعرفين شيئاً عن الضباط ، ان كثيرين منهم واسعو الثقافة ..

وأخرجت سيجارة ولم أجد معى ثقاباً ، فإذا بعبد الحكيم عامر يخرج ولاعته رغم تخفيه ويشعل لى السيجارة ، قلت وأنا أنظر إلى وجهه على ضوء الولاعة :

ــ أنت تشبه شخصا أعرفه !!

قال : شخص تعرفينه ؟ .. من هو ؟؟

ــ أنت تشبه « الأستاذ عبد الحكيم عامر » !!

عاد إلى مقعده وأغرق فى الضحك ، سألنى أحدهم وكان عباس رضوان :

ــ وما هى ثقافتك أنت ؟

قلت :

قرأت لسومرست موم ، وبلذاك وداروِن و ....

رد عبد الحكيم :

يعنى كلهم خواجات : .. هل قرأت للمنفلوطى أو الجاحظ ، أو شوقى أو طه حسين .. هل قرأت عن عمر بن الخطاب ؟

اصابنى الوجوم ، فأنا لا أعرف شيئاً إلا القليل .. ثم سمعته يقول :

ــ طيب يا مسز سباجتى!!

قلت مقاطعة باستغراب : مسز سباجتى؟!!

قال :

ــ نعم .. أليس الإيطاليون يحبون « المكرونة الاسباجتى » وأنت لا تعرفين ولا تقرئين سوى للخواجات فأنت مسز سباجتى !! أحسست أنه أفحمنى .. وكنت نادراً ما أفحم ، وواصل سؤالى :

ــ لمن قرأت أول ما قرأت ؟

قلت : ـ كان أول ما قرأت هى رواية « الأم ـ لمكسيم جوركى » ، وقرأت أيضاً لديستويفسكى ، وتولستوى .

قال فى نبرة ساخرة :

ــ لكنهم شيوعيون ... يعنى !! ثقافة عيالى .. ثم قال :

اقرئى القرآن واقرئى عن عدالة عمر بن الخطاب ، اقرئى عن مصطفى كامل ، ومحمد فريد، والجاحظ .. ان الطفل يتعلم أول ما يتعلم الأشياء التى حوله ، والتى هى قريبة منه ، أما أنت فلم تنظرى للأشياء القريبة منك ، ولم تعرفيها ، ومع ذلك تدعين معرفتك بالأشياء البعيدة ، كان يجب أن تعرفى شيئاً عن أبناء بلدك أولاً ، وأن تعرفى شيئاً عن ثقافة دينك ولغة وطنك العربية ، فتاريخ بلادك ملىء بالثقافة والمواقف العظيمة والبطولات .

وعقب ساخراً « ولا إيه يا مسز سباجتى » .. ادرك عبد الحكيم نقطة ضعفى وهى جهلى بأى شىء عن الأدباء العرب والمسلمين ، وعن الشخصيات الإسلامية . وكان يبدو معجباً بهم غاية الاعجاب انتهت المقابلة بعد ذلك ، انصرف عبد الحكيم عامر ومن معه أولاً ووراءهم أنا وصلاح نصر الذى قام بتوصيلى حتى منزلى .

قلت : كانت حياتى كلها ملكاً للفن وأمى وأخوتى ، لندوة الخميس وأصدقائى من عائلات السلك الدبلوماسى وأصبح ما حدث لى فى الاجتماع الأول على هامش حياتى ولم

اندمج فيه . كان بالنسبة لى عارضا انتهى وعدت إلى نشاطى العادى من تمثيل وأحاديث صحفية وما إلى ذلك .

وفى ذات يوم .. وكان من آيام الخميس ـ اتصل بى فى الصباح « على شفيق » وسألنى : « هل أنت مشغولة اليوم ؟ قلت : عندى ندوة الخميس فى المساء . قال :

«خسارة» إذن اتصل بك فى يوم آخر .

قلت له : « إن الأمر فى يدى » . كلها التزامات أملك التخلص منها الليلة .. وحددنا موعداً فى المساء لنلتقى فى ذات المكان الذى تقابلنا فيه المرة السابقة ، وكان لابد من الاتصال بكافة صديقاتى وأصدقائى من أعضاء ندوة الخميس معتذرة بظروف طارئة .

وفى الموعد ركبت عربتى وانطلقت بمفردى إلى مكان اللقاء ، وعندما دخلت المكان لم أجد أحداً على الإطلاق سوى رجل فى ثياب مدنية يقوم على حراسة المكان فسألته إن كان أحد قد حضر .. قال لم يأت أحد . أوقفت سيارتى بالحديقة ، وبقيت بداخلها لمدة عشر دقائق دون أن يحضر أحد ، آنذاك أدرت المحرك وانطلقت عائدة .. ولمحتهم قادمين فى سيارة ولكنى لم أتوقف وواصلت السير راجعة إلى البيت . وعندما دخلت شقتى لم تمض دقائق حتى رن جرس التليفون كان المتحدث على شفيق سأل « لماذا انصرفت » قلت : انتظرت حوالى ربع ساعة علاوة على أنى جئت متأخرة ثلث ساعة .. أخذ منه عبد الحكيم عامر السماعة وقال لى بهدوء : ألم تشاهدينا ؟

قلت : نعم رأيتكم ولكن البروتوكول يقضى أن ينتظر الرجل وليس العكس ، قال بلهجة حاسمة لا تخلو من رقة : « نحن جميعاً فى انتظارك » . ولم ينتظر ردى !!

عدت إلى الفيلا مرة أخرى ، وهناك وجدت عباس رضوان ، وصلاح نصر وعبد الحكيم عامر وبعض معاونيه ـ وعند دخولى نهض واقفاً ليستقبلنى ببشاشة وقد أثرت فى نفسى طريقة لقائه المفعمة بالرقة والبساطة .

وفى هذا اللقاء لاحظت لأول مرة ان هناك شابا يلازم عبد الحكيم على الدوام ، لفت هذا الشاب نظرى بانشغاله الكامل بكل ما يخص عبد الحكيم ، واهتمامه العميق المخلص

بمتابعة وتلبية أوامره حتى قبل أن يطلبها منه عبد الحكيم وكأنما كان يحس بما يدور فى رأسـه .

كان شاباً أبيض اللون ، هادى الملامح ، خجولاً يوحى بالثقة والطمأنينة . من ذلك النوع الذى تألفه النفس وتطمئن إليه . وعرفت فيما بعد أن هذا الشاب هو « محمد متولى السيد » السكرتير المخلص لعبد الحكيم عامر .

وعند وصولى كانوا يناقشون موضوعاً غمض علىَّ فهمه ، فلم أدرك عمن يتحدثون ، فهم حريصون على تجنب ذكر الأسماء .

ولكنى فهمت أن عبد الحكيم عامر كان يشعر بالضيق من أفعال شخص ما وكانوا يتحـدثون بطريقـة توحى بأنهم أصـدقاء للطرفين ويبذلون جهدهم لتخفيف الأمر على عبد الحكيم ، الذى كان مهموماً ضائقاً بكل هذه التبريرات إلى حد أن سمعته يقول : وهى إسطال مالها .. والجبنة القريش مالها !! ...

وقد عرفت فيما بعد أن اسطال هى بلدته ..

ولم يستمروا فى مناقشة هذا الموضوع .. فقد التفت إلى عبد الحكيم فجأة قائلاً : كيف حال مسز سباجتى ؟

قلت مبتسمة : بخير ..

قال : وكيف حال أصدقائك الطليان ؟

قلت : بخير فى أحسن حال .

سألنى : أريد أن أعرف ما الذى يعجبك فى الأجانب ؟.

قلت : أنهم صرحاء وصادقون ، وإذا خرجت معهم عاملونى باحترام فهم يعاملون المرأة وكأنها « أميرة » ، والواحد منهم لا يفرض نفسه على المرأة ولا يعطى لنفسه حقوقاً لمجرد خروجه معها مرة « لشرب الشاى مثلاً » ، فلا يتدخل فى شئونها الخاصة ، ولا يفرض نفسه على حياتها .

قاطعنى قائلاً : ألم تجربى صداقة أحد من المصريين ؟

قلت : كانت لى تجربة مرة .. زيجة فاشلة ، جعلتنى لا أفكر فى الإرتباط أو الزواج .

قال : والرجل الشرقى .. ما عيبه ؟

قلت : عيبه أنه يفرض نفسه على حياة المرأة الخاصة لمجرد أن التقى بها مرة ، أو شربا قدحين من الشاى ، أو عاملته برقة ، ويتصرف معها وكأنه اشتراها !! .. تصور أن صحفياً التقيت به مرة وعاملته بلطف وذوق فإذا به يتصل فى اليوم التالى تليفونياً ، وإذا به يسأل فى أول الحديث « ماذا تفعلين الآن » ورغم ضيقى بالسؤال فقد أجبته : لا شىء سوى أنى انتظر صديقاً .. فسأل : من هو ؟ ...

قلت له : ماذا تقصد بهذا السؤال ؟

قال : إننى أسأل !!..

قلت :وأنا اجيب على سؤالك .. وتحولت المكالمة بعد قليل إلى عتاب ونقار ويقول : لماذا تعاملييننى هكذا ؟ من حقى أن أعرف ..

قلت له : فكر فى الواجبات قبل الحقوق .. هل بيننا هذه الحقوق والواجبات وهكذا تصور أننى ملك له بفنجان شاى !!

قاطعنى بقوله : سيمون دى بوفوار يعنى !! ..

قلت : أننى معجبة جداً بحياة سيمون دى بوفوار وجان بول سارتر ..

سأل : لماذا ؟

قلت : لأن كلا منهما يحترم حرية الآخر ، ويعيشان معاً فى حالة توافق عقلى وانسجام نفسى ، لهذا اعجب بهما لأنى أؤمن بأن الإنسان حر ولا يجب أن يفرض عليه شخص آخر ارادته ..

قال عبد الحكيم : ولكن الحرية ينبع منها الإلتزام بدافع الاحترام .

قلت : لم أجرب هذا الشعور ، ولم أجد هذا الشخص .. ساد الصمت لحظة ..

ثم قلت له : هل تسمح لى أن أحدثك بصراحك ؟

قال : « تفضلى » .

قلت : فى المرة السابقة عرفتك ..

قال باسماً : وأنا أدركت أنك عرفتنى

قلت : فى هذه الحالة ، أرجو ألا تغضب من قولى « شوية ضباط »

قال : « أنت معذورة » .. فمن أين لك أن تعلمى شيئاً عنا ؟ ـــ اننى أحب القراء ة منذ كنت طفلاً فى الصعيد ، وكان لدينا مكتبة ليس بها سوى بضعة كتب لا تعد على الأصابع ، ولكن هذه المكتبة امتلأت بالكتب التى كنت آتى بها من القاهرة لقراءتها . وأصبحت القراءة عادة من عاداتى ، فلا أستطيع النوم مهما كان الوقت متأخراً قبل أن أقرأ شيئاً ...

قلت : نعم لاحظت ذلك .. وبعد قليل سألته :

هل تسمح لى أن أبدى ملاحظة ؟ نظر إلى مشجعاً وهز رأسه بالإيجاب فقلت :

« رغم أنك رجل سياسى ، وقائد عسكرى فقد لاحظت أنك خجول » .

قال : أنت تحكمين على بسبب انطباعك عن اللقاء السابق ، والواقع أننا كنا نشعر بالارتباك لأن هذه هى المرة الأولى التى تحضر مجلسنا امرأة ، وكنت ... ورد عباس رضوان ضاحكاً : وكنا نتصورها الأخيرة .. وأكمل عبد الحكيم : ولا تتصورى مدى ترددى قبل أن أقبل هذه الجلسة .

ثم قال لى : ما دمت تسألين فهل تسمحين بسؤال لك عن شىء ؟

قلت : نعم .

قلت : لأنى لا أحب الانتظار فهو يثيرنى بالضيق حتى إذا كنت انتظر أحداً فى بيتى فإنى لا أرتدى ثيابى للمقابلة إلا بعد أن يحضر .. هذه طبيعتى .

فقال وفى صوته رقة وعتاب « ألا تنتظرين حتى تعرفى السبب ؟ أليس من الجائز أن

شيئاً ما حدث لنا ؟

هزتنى منه هذه الملاحظة ، ثم سمعته يقول : لو كنت غبت عن هذه الجلسة اليوم لضاعت منك الهدية .

صدمتنى كلمة هدية ، وقلت بتلقائية : أنا لا أقبل هدايا من أحد !!

قال باسماً : ولكن هذه الهدية ستقبلينها !!

قلت بعناد : لا لن أقبلها .

ضحك قائلاً : أراهن أنك ستقبلين ؟

قلت معاندة : أراهن أنى لن أقبل .

وعلى الفور التفت إلى متولى ، الذى أدرك مراده ، فأسرع بإحضار الهدية . قدم لى عبد الحكيم نسخة جميلة من القرآن الكريم لها غلاف بديع .

قلت : « حقاً هذه لا أستطيع رفضها » .

قال ضاحكاً : « أرأيت » أنك متسرعة فى الرد والحكم على الأشياء ، ثم قدم لى كتابا آخر ، نظرت فيه فإذا به كتاب « عبقرية عمر » للعقاد ، وتقبلت الهدية الأولى من المشير : كتاب الله وعبقرية عمر ، أحسست فى هذا اللقاء بحفاوة لم أجد لها مثيلاً من قبل حتى أنهم عند الانصراف خرجوا جميعاً حتى باب العربة ، وسلم على عبد الحكيم وودعنى الآخرون ، وافترقنا على غير موعد .

الأشباح .. فى الطريق إلى قدرى ..

تعرضت حياتى فيما تلى ذلك من أيام ، إلى مفاجآت غريبة ، ومقابلات غير متوقعة وعروض تجىء ، كأنها وعود لا يفى بها صاحبها ، ويلوح بها الناس ، ثم يختفون وكأنهم أشباح تظهر وتختفى .

من ذلك أنى فوجئت يوما بـ« مرسى سعد الدين » قال :

ــ أريد أن آتى لزيارتك لأتكلم معك فى أمر هام . فقلت له : اتفضل .

ولما جاء قال لى :

إن شركة فوكس تريد وجوهاً مصرية ، وقد رشحتك وأرسلت صورتك إليهم.ثم سكت لبرهة واستطرد : « إن مستر جون مدير شركة فوكس ، قد أرسل برقية ينبئنا بوصوله ، وأرى أنه ستكون مجاملة رقيقة لو أنك جئت معى إلى المطار لاستقباله .

ــ قلت له : آسفة .. لا أستطيع الذهاب .

فتساءل مرسى : .. « لماذا » ... !!

ــ قلت : لأنه من غير اللائق أن أذهب لمقابلة رجل لا تربطنى به صداقة .. إنه عمل يتعارض مع الكرامة ..

قال : لا أرى ذلك ما دمت مرشحة للعمل فى أفلام أمريكية ..

قلت له : ياه .. ده أنا بقيت مشهورة فى أمريكا ، ولما أحس بالسخرية فى صوتى اطلعنى على التلغراف الذى وصل من مستر جون (من لندن) .

مضى على ذلك أيام ... إلى أن طرق بابى يوماً سيدة بدينة، وكان وجهها مألوفاً لدى، وبرفقتها شاب قدمته لى على أنه مسيو « موريس » وشرحت لى السيدة مهمة موريس فى القاهرة وهى أنه جاء لمشاهدة بعض الفنانات ، لينتقى وجوهاً مصرية للعمل فى بعض الأفلام الفرنسية ، وأن مسيو موريس هو ابن صاحب شركات العربات الشهيرة (اعتقد رينو) ووجدت مسيو موريس يتحدث الفرنسية بطلاقة أهل فرنسا ، ولا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية ، رحبت بالزائرين وتذكرت أن السيدة البدينة تعمل « كومبارس » فى السينما وان كان ليس بينى وبينها معرفة على الإطلاق ، وتركتها وذهبت إلى المطبخ حتى فوجئت بالسيدة البدينة تدخل ورائى حاملة بيدها صرة منتفخة ، هى عبارة عن منديل أبيض رجالى ، وفتحت السيدة الصرة أمامى ، فإذا بداخلها عدد من الأساور الذهبية والخواتم المرصعة بفصوص من الماس ، وبعض اقراط دقيقة الصنع ..

نظرت بدهشة إلى هذه الثروة الملقاة تحت عينى ، وسألتها : « ما هذا ؟ »

فأجابت : هدية بسيطة لك ... من المسيو موريس !! وتملكنى الغضب وخرجت لمسيو موريس قائلة : « لماذا تقدم لى هدية مسيو موريس ؟ على أى أساس فعلت هذا ؟ خذ هديتك .. ولولا أنك فى بيتى ضيفاً لطردتك من هنا .

قال مسيو موريس معتذراً وهو يلملم أطراف صرته على كنزه الثمين .. أنا شديد الأسف .. فأنا لا أعرف تقاليد بلدكم ، ولا أعرف شيئاً عن عاداتكم ، ولكن هذه المرأة التى جاءت بى إلى هنا هى التى اشارت على بذلك .. وسألت المرأة بالعربية ، ثم ترجمت له سؤالى بالفرنسية « هل تعرفيننى ؟ اجابت : لا .. وترجمت له اجابتها ثم سألتها : هل شاهدتك قبل الآن وتكلمت معك ؟ .. هل زرتنى فى بيتى هذا ؟

قالت : لا ، قلت لها تفضلى الآن ولا تحاولى أن تأتى مرة أخرى ...

وكرر موريس اعتذاره ، وانصرفا معاً ، ومن الطريف أن أذكر هنا للقارىء ، أن مسيو موريس هذا ، ظهر لى مرة أخرى فى المخابرات العامة ، وكان ذلك بعد موت المشير ، فقد واجهونى به هناك ، فإذا به يتكلم العربية « أحسن منى » وإذا به مصرى من أب مصرى وأم فرنسية وأن مسيو موريس ليس اسمه الحقيقى وسألونى عند المواجهة :

« هل تعرفين هذا الرجل »

ــ قلت : نعم أعرفه فقد جاءنى يوماً زائراً ، وسردت على مسامعهم كل ما حدث فى تلك الليلة ، والرجل يصدق على كل كلمة أقولها ..

بعد واقعة مسيو موريس ببضعة أيام ، رن جرس التليفون فى منزلى ، وعلى الطرف الآخر جاءنى صوت يقول : مدام برلنتى ؟

قلت : نعم .. من المتحدث ؟

قال : أنا الدكتور .

سألته : الدكتور من ؟

قال بصوته الهادىء .. الا تعرفين من يتحدث إليك ؟

قلت : لا ...

قال : طيب ، ووضع السماعة ..

لم أذهب لحضور الاجتماعات سوى تلك المرة .. فلم تستهونى ، وكنت أضيق بمثل هذه الاجتماعات المرسومة ، وكنت أشعر بأمور غريبة تحدث حولى ، أمور غامضة لا أعرف دوافعها ، ففجأة تطلبنى السينما العالمية ، ويزورنى غرباء فى منزلى ، وأقابل فى ليلة شتاء باردة رجال غامضين متخفين فى بيت خافت الأضواء ، ويتصل بى مجهولون وغير ذلك مما لا أذكره .

وفى ذات يوم اتصل بى « أنور عمار » صاحب صحارى سيتى ، وأنبأنى أن وفداً سينمائياً أجنبياً وصل إلى مصر لعمل إنتاج سينمائى مشترك ، وأنها فرصة عظيمة بالنسبة لى أن أقابل هذا الوفد وأتعرف على أفراده ، وقال إن الوفد سيسهر فى صحارى سيتى ، ودعانى للعشاء هناك للتعرف عليهم .

قلت له : كيف يمكن أن أذهب لقضاء سهرة فى مكان عام مع قوم لا أعرفهم ، ولا تربطنى بهم صلة !!

تساءل وماذا فى ذلك ؟

قلت : انه يعد منافياً للذوق ، ولم يقطع الأمل ، فأنهى حديثه قائلاً :

ــ الكلام فى التليفون لن يكون نافعا ، وسوف احضر إليك لنتحدث قليلاً ...

جاء أنور عمار بالفعل إلى بيتى ، وأعاد على مسامعى ماسبق قوله ، وزاد :

ــ أنت « فيديت » والمفروض منك أن تقابلى كثيراً من الناس ، أنت ممثلة ونجمة فلا تضيعى على نفسك فرصة دخولك إلى ميدان السينما العالمية .

لم يغير ما قاله من تصميمى وقلت له :

ــ لا أريد السينما العالمية إذا جاءت بهذه الصورة .

وانصرف أنور عمار دون أن نتفق على شىء ، ووسط هذه العروض التى كانت تنهال على من السينما العالمية بصورة غزيرة وفجائية ، جاءنى عرض قبلته على الفور دون تحفظ ولم يكن من السينما العالمية ، وإنما هو فيلم مصرى اسمه « بنت البادية » .

إن الأسلوب الذى جاءتنى به هذه العروض ، قد حرك فى أعماقى غرائز الحذر التى تنبه الكائن الحى ، عند اقتراب خطر لا تراه العين ، ولا تسمعه الأذن ، ولا يدركه العقل الواعى .

ولم تكن العروض الفنية وحدها هى التى تأتينى وإنما أيضاً عروض للزواج ، لا يسبقها « حب » ولا يعقبها « حب » .

اتصل بى يوماً « مرسى سعد الدين » واتفقنا على أن يذهب معى إلى حفل يقام بإحدى السفارات « لأن عربته بها تلف » . وفى الطريق فاجأنى بأن عرض على الزواج .. وطبعاً رفضت ، فلن يسبق إن كانت بينى وبينه علاقة عاطفية بأى شكل من الأشكال وقلت له بصراحة أنه ليس « التيب » بتاعى ، والغريب أنه بعد ذلك بأيام طلبنى فى التليفون ، وكانت محادثة غريبة وغامضة ، فهو يسأل ولا يلقى بالا لأجابتى ، وإنما يجيب هو بإجابة من عنده غير التى أجيب بها ، حتى لقد خيل إلى أن شخصاً ما يقف بجواره ليتابع هذا الحديث المفتعل .. بل وسألته فعلاً « هل أحد بجانبك » .. فأجاب : لا .. لماذا ؟

ـــ لأنك تبدو كمن يحرص على أن يسمع شخصاً آخر اشياء لم أقلها ، وكان مرسى يريد أن يؤكد لهذا الشخص حقيقة ما ، أو اكذوبة ما على أنها الحقيقة .. لا أدرى بالضبط ، قال لى :

ـــ هل فكرت فى الأمر ؟

ـــ أى أمر ؟

ـــ عال .. متى نلتقى ؟ .. لابد طبعاً أن تختارى الدبلة بنفسك ؟

ـــ أى دبلة ؟

ـــ إتفقنا إذن !!

على هذه الوتيرة كانت تمضى مكالمته التليفونية معى ، وأنا لا أفهم شيئاً مما يقول أو يبغى من وراء مثل هذه المكالمة ..

أشياء كثيرة كنت أقف حيالها عاجزة عن الفهم .. وطرق كثيرة تفتح أمامى ولا أجد القدرة على السير فيها ، بل أقف على مشارفها ولسان حالى يقول مع ابن الرومى « الا من يرينى غايتى قبل مذهبى ، ومن أين والغايات بعد المذاهب » ...

يطابق هذا البيت من الشعر ، نفس الحال لى مع مسيو موريس الذى سبق الحديث عنه ، فإنه عاد فى اليوم التالى بعد أن أخذ ميعاداً للإعتذار ، وكان بمفرده ، وجاء وكرر اعتذاره بجهله بأساليب الحياة الاجتماعية فى مصر ، واظهرت له أنى سامحته ، وكان يتصل بى بعد عودته من فرنسا كل فترة قصيرة .

وفى يوم اتصل بى موريس قائلاً : أرجوك سأشترى فيلا بمصر الجديدة فأرجو منك رؤيتها قبل أن أمضى عقدها .. فأنا لا أعرف الأسعار هنا وأريد نصيحتك « وكان قد عرض على الزواج فى إحدى مقابلاته لى وأعطانى مهلة للتفكير » ، وفعلاً حضر إلى وأخذته فى عربتى يسوق وأنا بجانبه ووراءنا أختى ولما وصلنا الفيلا وجدتها مفروشة وأحس بدهشتى فقال : معروضة هكذا علىّ بما فيها .. تجولت داخل الفيلا وفى حجرة من الحجرات وكانت أختى تتأمل باقى الفيلا .. وجدته يتصرف بطريقة غير لائقة ، فزجرته

قائلة : كنت أظنك «رجلاً راقيا» ولكن خاب ظنى فيك ، ،وخرجت مسرعة وجاءت أختى على صوتى . وبعد أن ركبنا العربة . سألتنى أختى ماذا بك ؟ قلت لها ما حدث ، وعلقت قائلة : ده راجل نصاب، لأنه تصرف كما يتصرف « السوقة » ، وقالت لى أختى : ما رأيك فى استدراجه لشقتنا واعطائه « علقة » ، وقلت : لا ، يكفى أنى اكتشفت حقيقته .

وبعد ساعتين تقريباً من وصولى المنزل جاءتنى مكالمة من « الدكتور » قال بعد أن حيانى ، أين كنت ؟

قلت وأنا مازلت غاضبة : والله كنت فى مشوار سخيف .

فأجاب ضاحكاً : « كيف »

فأجبته : ذهبت مع رجل كنت أظنه محترماً فإذا به إنسان خسيس ، صحبنى أنا وأختى لمشاهدة فيلا يريد شراءها فذهبنا معه ورويت له القصة كلها ، وأنهيت حديثى بقولى : «أننى أشعر بالضيق من نفسى » .

فتساءل ... لماذا ؟

قلت : لأنى أحس بأننى خدعت فى التغرير بى .. مما يجعلنى أشعر بأننى غبية ...

رد ضاحكاً : مش قوى ...

كان صوته فى هذه المحادثة طليقاً مرحاً على غير عادته ، وفى نهاية المحادثة قال لى :

ــ أريد أن أراك حالاً ، عندى شيء هام أريد أن أكلمك بصدده .. كان يتحدث ببساطة ، وفى منتصف الحديث قال فجأة : اسمعى ، « تعالى زى ما انت ، تاخدى بعضك وتنزلى على طول هنا » .

غادرت المنزل فى الحال ، فقد جاءت المكالمة فى وقتها ، وهناك وجدته واقفاً ينتظرنى فى الحديقة ، مرتدياً قميصاً وبنطلوناً ، وحالما وقعت عيناه علىّ هتف مرحباً ـ أهلاً عروستى !!

خيل إلى أنى أخطأت السمع ، وظننت أنه قال كلمة أخرى توهمتها « عروستى » ولم يكن من الممكن أو الجائز أن اسأل أو استوضح حقيقة الكلمة .. وسار معى حيث يجلس الأعضاء التقليديون ـ زملاؤه وأصدقاؤه ـ عباس رضوان ـ صلاح نصر ـ ومدير مكتبه على شفيق ومتولى .

قال المشير ضاحكاً :

ــ أنا الذى سأقدم لك العشاء هذه الليلة .. فى المرة السابقة احضرت لنا العشاء ، ولكن هذه المرة على أنا .

قلت ضاحكة : ولكن هذا العشاء سيسبب لك المتاعب ، فأنت موظف ودخلك مهما كان محدوداً ــ أما أنا فإنى اكسب فى الشهر ألف جنيه على الأقل ضحكوا ، وقال عباس رضوان :

ــ هو انت دايماً لمضة ، إنه يقول سأعشيكِ ، قولى له متشكره !!

قاطعته معترضة : لا .. أخاف عليه .. إن انفق ثمن العشاء من مرتبه أن يصاب بأزمة مالية .

كانوا جميعاً فى هذه الليلة على سجيتهم ، والمشير بالذات كان على طبيعته ، ولأول مرة أراه بهذه الصورة ، يروح ويغدو ، يتحدث ويضحك ــ فما كنت أراه إلا جالساً فى كرسيه لا يبرحه ، حتى أنى لم أكن أعرف طول قامته إلا فى وداعى .

كان المرح يسود المجموعة كلها ، والطبيعة ذاتها كانت تزهو ببهجة الربيع ، الأشجار مورقة والأزهار متفتحة ، والألوان من حولنا زاهية ، وصوت أم كلثوم يغرد فى الحديقة والليلة كلها مزيج من الأنغام والعطور والضحكات .

قال المشير موجهاً الحديث إلى « ياللا يا عروستى حضرى لنا العشاء » . لم يعد ثمة شك أنه بالفعل يقول « عروستى » . وأنا لم أخطىء سماعها فى هذه المرة ولا فى سابقتها قلت متسائلة : « عروستى » . أجاب بوجه باش سعيد « طبعاً عروستى »

تساءلت : وما معنى هذه الكلمة ؟

أجاب : « معناها ... عروستى .. ألا تعرفين معنى عروستى ؟ ..

لم أصدق أنه يقصد المعنى الذى أعرفه ، وظننت أن هذه الكلمة تعنى شيئاً آخر عندهم ، سألته .. قال :

ــ ان معناها فى الصعيد هو ذات معناها هنا ، وفى كل مكان فى مصر ..

ــ قلت مترددة .. إذن تقصد عروسة .. عروسة ؟

قال : طبعاً عروسة بحق وحقيق !! قلت : بأى معنى ؟

قال وبسمته تتسع : بمعنى عروسة .. وزواج .. وأبناء . لزمت الصمت وقد بدا على الوجوم ، ولاحظ المشير ذلك فقال لى : « تعالى نتمشى فى الحديقة » . أخذنى وسار بى بين الأشجار ومشيت معه والصمت يظلنا ، إلى أن بلغنا بقعة بين الأشجار فقال لى مشيراً إلى الأرض « إجلسى » . فجلست على النجيل وجلس هو بجوارى .

قال : هل تعرفين لماذا قلت لك عروستى ؟

قلت : لا أعرف .. أجاب : « لأنك نجحت فى الامتحان » !!

غمرتنى الدهشة متسائلة : امتحان ؟ أى امتحان !! .

ضحك بسرور ومرح وقال : « يبدو أنك لا تدركين ما يجرى من حولك .. وعلى كل حال فأنت مازلت صغيرة ولا تعرفين كثيراً عن الدنيا .

قلت : ولكنى أريد أن أعرف ما هو هذا الامتحان ؟

هز عبد الحكيم رأسه وهو يردد سأقول لك كل شىء .

وتكلم .. وأحسست أن رأسى يدور كلما أوغل فى الحديث ، فقد عرفت الآن أنى حمقاء .. أنا كنت حمقاء خلال العام الأخير ، فكل ما رأيته كان خداعاً وتمثيلاً متقناً ، قام به رجال محنكون ، بداية من أنور عمار ، ونهاية بمسيو موريس ابن المليونير الفرنسى المشهور ، والذى ينطق الفرنسية « بالإغ » عرفت الآن أنه مصرى أباً عن جد .. وعروض الزواج ، وعروض العمل فى السينما العالمية ، كل هذه لم تكن حقيقية ، كان المشير يسترسل شارحاً لى الامتحان الذى نجحت فيه ، دون أن أدرى ماهو الغرض منه ، ودون أن أدرى ـ حتى ـ كيف نجحت فيه !! ...

أصبحت فريسة لمزيج من الغضب والدهشة فتساءلت « لكن » لماذا كل هذا ؟ أجاب المشير « لدواعى الأمن » جاء الرد مثيراً لمزيد من الحيرة والغموض ، فما علاقتى بدواعى الأمن الذى يتكلم عنها . وكأنما كان يقرأ خواطرى ، ويدرك ما يدور فيها من استفسارات ، فقد واصل حديثه موضحاً ، لعلك لا تعرفين ان من كان مثلى يصبح هدفاً للكثير من ... وهؤلاء الكثيرون على استعداد لأن يدفعوا الملايين ثمناً لرقبتى .. فكان ضرورياً أن تتأكد أجهزة الأمن .. من أن من اختارها لأضع بين يديها رقبتى وأسرار الدولة أنها لا ثمن لها... وقد برهنت على أنك امرأة لا ثمن لها ، أنت امرأة لا تشترى ، ولهذا قلت لك «عروستى» .. فأنت الآن تصلحين زوجة للمشير ..

وضحك المشير قائلاً : هل تعرفين أن عباس رضوان علق على ذلك بقوله : يا ناس حرام عليكم ، ده لو راجل كان سقط ...

تدفق فى صدرى غيظ كظيم ، إذن فقد كانت عروض الزواج وعروض التمثيل ، وكان الذهب والمال ، والشباب .. كانت هذه كلها شراكاً تنصب وأنا أسير كالعمياء !!

قلت : إذن فقد كنت أنا فأر تجارب طوال هذه المدة وأنا لا أدرى .

كان عبد الحكيم عامر فى تلك اللحظة بشوشاً لين الجانب ، تهزه الفرحة والإعجاب بنجاحى فيما اسماه الاختبارات ، أما أنا فقد أحسست بالهوان فقلت محتجة :

ـ ألم يكن من اللائق أن تسألنى أولاً عن رأيى فى الزواج ؟

قال : فى حالة مثل حالتى يكون الوضع بعكس ما هو سائد ، ففى مثل حالتى تفرض احتياجات الأمن نفسها ، ولذا يجب أن أوافق أنا أولاً ـ ثم يعرض عليك الأمر ... لم أعد قادرة على منع تيار الغضب المتدفق فى شراييني فقلت بانفعال :

ـ وما رأيك بعد كل هذا الذى فعلته ـ ما رأيك أنى لا أوافق .

نهضت غاضبة وانطلقت نحو عربتى ورآنى الرجال الجالسون فى الحديقة فاسرعوا نحوى متسائلين عما حدث .

وإذ رأونى اركب العربة ، والغضب باد على وجهى ، حاولوا تهدئتى ومنعى من الانصراف ، وقال على شفيق : انتظرى سيادتك واشرحى لنا ما حدث وحاول صلاح نصر أن يثنينى عن عزمى ، ولكنى لم أصغ لهم ، وحتى لو اصغيت ، فما اظننى قادرة على رد نفسى ، وقد استبد بى شعور بأنى وردة تعبث بها الريح ، وانطلقت بعربتى مغادرة المكان.

عدت إلى بيتى وأنا فى حاله من التشتت والتمزق ، لا أعرف كيف أصفها ، ومضى الوقت دون أن أحس به وكأنى فى غيبوبة .

فى تلك الليلة زارنى صلاح نصر قال : ما هذا الذى فعلتيه أيها المجنونة قلت غاضبة : نعم .. مجنونة .. ألا تعرف أنى مجنونة ، فما هو الجديد فى ذلك ؟ قال محاولاً تهدئتى : انت تعرفين أن الأجهزة لابد آن تقوم بدورها .. وما كنت لأتدخل فى مثل هذا الموضوع لولا أنه لا يعنى « المشير » أو يعنيك وحدكما .. ولكنه يتعلق بالأمن إنه يتعلق بالمشير وبعبد الناصر وبمصر .. ولذا فإن ما حدث كان لابد أن يحدث والحمد لله فإن المخابرات تعتبرك « نظيفة » تليق بزوجة المشير .. قلت :

ـــ إن ما حدث كان طعنة لذكائى وموهبتى وأنوثتى ، ولن أبقى فى مصر ، سأسافر إلى بيروت بجلابية ، وسأشتغل وأعيش هناك ، فأنا لا أريد البقاء هنا .. واصل صلاح : لست أرى داعياً لكل هذا الغضب فهو عرض للزواج .

قلت : ليس غضبى لذلك .. فهو رجل ممتاز ولكنى اكتشفت فجأة أن كل ما حدث لى كان زيفاً واستهتارا بعواطفى ، كان « لدواعى الأمن » .

واجهشت بالبكاء ، بكيت طويلاً وبحرقة ، وقال صلاح مازحاً : ها أنت تبكين كالطفلة !! أهذا بدلاً من أن تفرحى ، ألا يرضيك أنك المرأة الوحيدة التى قابلها المشير الرجل المتدين وأنه يعرض الزواج ؟

قلت له : دعنى بضعة أيام حتى أستطيع أن أُلم شتات نفسى وأفكر ..

وفى اليوم التالى لم أكن استعدت توازنى بعد ، ثم جاءتنى مكالمة تليفونية ردتنى فجأة إلى قلب الاعصار وكان صاحبها منتجا إيطاليا سبق لى معرفته مع بعض الفنانين الإيطاليين

ومعظمهم اشتغلوا فى أفلامه .. ويملك استديوهات خارج روما .. قال لى فى التليفون أنه عاد من إيطاليا وسيبقى فى القاهرة عشرة أيام ، وأنه يقيم الآن فى فندق شبرد ، واعطانى رقم الغرفة . وطلب منى اعداد نفسى للسفر بعد عشرة أيام ، وذكرنى بالعشرين فى المائة من العمولة من اجرى على كل عقد أوقعه .

وضعت السماعة وأنا أشعر بعجزى عن التفكير ، فإن الهواجس والشكوك كانت تعربد فى عقلى كأنها الريح العاتية .. وحاولت أن أضع نفسى خارج المشكلة فلم أفلح ، ورحت أفكر ، إذا كانوا قد فعلوا بى ما فعلوا بدواعى الأمن .. أو ليس من الجائز أن اقتل .. أو اسجن .. وكله لدواعى الأمن . أليس من الجائز أن يطلقنى لدواعى الأمن .. فأنا أسير إلى المجهول تحت عينى شبح مروع اسمه « دواعى الأمن » .

والمنتج الإيطالى .. هل أقبل عرضه وأصبح نجمة عالمية ؟ .. أم أصبح زوجة لعبد الحكيم عامر .

فجأة .. دق جرس الباب .. دهشت .. من عساه يأتى الآن فى هذا الوقت المتأخر ؟ .. فتحت الباب فإذ بى أجد « عبد الحكيم عامر » واقفاً أمامى .

تسمرت فى وقفتى وعجز لسانى عن الحركة .. قال المشير برفق « ألن تسمحى لى بالدخول ؟ .. تنبهت وافسحت له الطريق ، ودخل وخلفه متولى ، ومشى عبد الحكيم رأساً إلى الصالون بينما بقى متولى فى الصالة .

دخلت خلفه ، فوجدته جالساً ماداً ساقيه ، مسنداً رأسه إلى الوراء ، كان يبدو كمن يستريح بعد تعب شديد ، وظل ممدداً فى استرخاء وهدوء وصمت فترة من الوقت . كنت خلالها أجلس على كرسى قريب منه .

نهض فجأة ووقف ممشوقاً وقال بلهجة آمره : انهضى ، نظرت نحوه صامتة قال : ستأتين معى الآن !!

سألته : إلى أين ؟ ..

قال : سنذهب لأريك شيئاً هاماً ..

كنت ارتدى ملابس بسيطة تصلح للخروج ، خرجت أنا ومتولى أولاً ، ركبنا العربة ، ثم هبط المشير بعدنا بدقائق ، جلست على المقعد الأمامى بجوار متولى الذى كان يقود السيارة ، أما المشير فكان بالمقعد الخلفى وقد غاص قليلاً فى قلب السيارة .

قادنى إلى نفس المكان ورأيت هناك بعضاً من حرسه « أبو المعاطى » وسكرتيره على شفيق وسمعت المشير يصدر أوامره ، وصوته ينطلق قوياً قاطعاً ، فبدا لى بصورة لم أرها من قبل .

وأخذنى المشير إلى الداخل ، وهناك قادنى إلى قاعة واسعة لم أكن قد رأيتها من قبل ، حتى ظننت أنه ما أخذنى إلى هذا المكان إلا ليجلدنى !! ..

وقفت وسط القاعة .. قال لى : اجلسى .. جلست على الأرض ، وجلس هو بجوارى وفى أثناء جلوسى لاحظت أن فى نهاية القاعة شاشة عرض سينمائى .

قال المشير بهدوء : أنت غاضبة لأنك تعرضت للاختبارات .. وربما كنت تتساءلين لماذا كل هذه الأفعال ؟ .. ان ما أشاهده وما اسمعه كل يوم يجعل الإنسان لا يثق فى النساء!!

قلت معترضة : ولكن هناك كثير من النساء الفاضلات مثل والدتى ووالدتك فليس النساء جميعاً على شاكلة واحدة .

قال : ستعرفين المبرر القوى لما أقول ، ولما اعانيه من شكوك .. هل تريدين أن تعرفى ؟

قلت : نعم ..

اعتدل المشير فى مجلسه وأصدر أمره بصوت مرتفع من قلب القاعة « الشريط رقم كذا» . وقدم لى عبد الحكيم عامر البرهان ، واطلعنى على حقيقة لم يخطر ببالى يوماً أنها كانت حقيقة وما كنت لأصدق لو لم أكن قد رأيتها بعينى على الشاشة ، لقد نزل الأمر على كالصاعقة لهوله ، وفساده وبعده عن التصديق .

وقال لى المشير فى النهاية .. « هل صدقت » ؟

قلت : « نعم صدقت »

نهض المشير وعلى وجهه حزن دفين من تأثير ما شاهدناه ، ولم يترك نفسه لخواطره طويلاً ، فسرعان ما تخلص والتفت إلى قائلاً : « تعالى معى » .

وصحبنى إلى الحديقة الغناء ، التى تحيط بالمكان .

قادنى إلى مائدة عليها أطيب الطعام ، لحوم ، فاكهة ، حلوى ، وحولها باقات الورود التى جمعت من الحديقة ، وزينت بها المائدة وما حولها .

نظرت إلى هذا كله فى دهشة ، فلم اعتد أن أرى بذخاً فى اجتماعاتهم ، بل ولم اعتد أن يقدموا لى طعاماً ، وأنا التى كنت أحمل لهم الطعام .

ودعانى عبد الحكيم إلى الجلوس وقال بصوت عطوف : بعد الذى عرفته وشاهدته فلا شك أنك تلتمسين لنا العذر فى إجراء هذه الاختبارات التى اغضبتك .. والآن هل توافقين على الزواج ؟

استطاع عبد الحكيم بلطفه ورقة وقوة منطقه أن يطفىء من ثورتى ، وإن كان اختلاط الأمور فى نظرى لا يزال قائماً ، فلم يكن من السهل أن يعود النظام إلى عقلى بمثل هذه السهولة والسرعة .

وواصل حديثه : ستتم الخطوبة فى وقت قريب ، وبعدها نحدد موعد الزواج ، لقد تفاهمت مع والدتك على كل التفاصيل ، على أن يظل أمر الخطوبة والزواج سراً لفترة .

قلت له : ولكنى سأسافر إلى إيطاليا لأمثل بعض الأفلام هناك !

قال : لا.. لا سفر بعد الآن فما عاد يليق بك الذهاب وحدك إلى بلاد غريبة ثم العودة .

قلت : ولكن المنتج الإيطالى موجود الآن فى القاهرة ، وقد أعد لى كل شىء واتفقنا على السفر بعد عشرة أيام .

قال المشير : أنا لا أقبل أن تسافر امرأة سوف ارتبط بها لتعايش الأجانب فإما السفر.. وإما الزواج .

قلت : .. وما يمنع أن أسافر حتى لا تضيع مثل هذه الفرصة .. خاصة أننا لم نخطب فعلاً ويمكن تأجيلها بضعة شهور لحين عودتى من إيطاليا .

قال مصمماً : قلت لا .. لن تسافرى .

كان الموقف بالنسبة لى هائلاً .. فأنا بين اغراءين قويين : الزواج من رجل آراه ممتازاً، والسينما العالمية بكل فتنتها وجاذبيتها .

انقذنى عبد الحكيم من حيرتى حين سألنى :

ــ أين يقيم المنتج الايطالى ؟

ــ فى فندق شبرد ...

ــ اطلبيه .. أدرت القرص وعندما اجاب سألت عن المنتج وقيل أنه موجود وماهى إلا لحظة حتى جاءنى صوته قلت له :

ــ أنا برلنتى ..

وفيما نحن نتبادل التحية مد عبد الحكيم يده ، وانتزع السماعة من يدى ، ووجه حديثه بالانجليزية إلى المنتج قائلاً بعد أن وجه له تحية مقتضبة :

ــ أنا خطيبها .. إنها بجوارى الآن .. لا داعى للحديث معها . سنتزوج .. تقاليدنا لا تسمح بذلك .. ستترك السينما نهائياً ولا داعى للمحاولة ووضع المشير السماعة ..

وفى اليوم التالى فوجئت بوالدتى تدخل على قائلة إن الدكتور طلبها ، ويريد ذهابها إليه وأن متولى ينتظر فى العربة ..

وهناك قابلنا عبد الحكيم ، ولاحظت أن الحديث يدوربطريقة ، من يعرف كل منهم الآخر ، واكتشفت أنها تعرف كل الموضوع بما فيه الخطوبة .

واتفق عبد الحكيم ليلتها مع والدتى على خطوبتى وقال لها : « سوف اتصل بكم قريباً لنحدد الموعد واتمام الخطوبة ، ولا أريد أن يخرج هذا الأمر على ثلاثتنا أنا وأنت وبرلنتى .

كان عبد الحكيم عامر يثق فى والدتى ثقة كبيرة ، ويتحدث معها ببساطة عن أمور يعرفانها وأجهلها أنا ، كانا صديقين من وراء ظهرى .. فهل يا ترى تعرضت والدتى لإختبارات مثلما تعرضت أنا ؟؟ .. وإلا فما سر هذه الصداقة التى اكتشفها فجأة ، وما سر هذه الثقة البادية فى معاملته لها ، وفى حديثه معها ؟

مر يوم .. ويومان .. وثلاثة .. وفى اليوم السابع دق جرس التليفون ، لنجد المتحدث هو الدكتور الذى انفق وقتا يتحدث فيه مع والدتى دون أن أدرى ، فيما كان الحديث ، وفى النهاية وضعت والدتى السماعة والتفتت تزف إلى موعد الخطوبة قائلة : أنه يوم الخميس المقبل .. مبروك .

وجاء يوم الخطوبة فأعد متولى الطعام والحلوى وما إلى ذلك ..

ثم جاء عبد الحكيم كان يفيض حيوية وبشراً ومرحاً .. وبدا أنيقاً مهندماً . وفى صحبته شقيقاه ورجلان آخران هما فى الغالب ، من حراسه ..

وفى منتصف السهرة فاجأنى بأن قدم لى سواراً ذهبياً بسيطا ، وكنت أتزين بطقم من الذهب المرصع بالماس اشتريته منذ سنوات ، مؤلف من بروش وحلقين وأسوره وعقد وخاتم ، فلما البسنى عبد الحكيم سواره الذهبى بدا فقيراً منطفئاً بجوار الطقم المرصع بالماس ، واضطرنى ذلك إلى خلع طاقمى والاكتفاء بهديته التى أبقيتها فى يدى ، دبلة وسوار ذهبى متواضع هى كل شبكتى أنا نجمة السينما .

سار التلاقى بعد الخطوبة تليفونياً ، وعلى غير ميعاد .. ومن مكان غير معروف يعجز خيالى عن تصور ما هو ولا أين هو ، وأصبحت هذه المحادثات تقربنى من عبد الحكيم لما كشفته لى من جوانب هذه الروح الطيبة ، المليئة بالرجولة ، وسعة الأفق ، والحب الغامر للناس . وقد حملت هذه المكالمات إلى أذنى شيئاً أحبه فى الرجل ، هو الصوت ووقعه فى أذنى . كان صوته تأنس إليه النفس ، فيه دفء أبوى ، نقى تتفتح له القلوب ، كنت أجد الجرأة على نقده ، وكان ببساطة وسعة صدر يتقبل النقد ، بل ويعترف بالخطأ ، ويعتذر إذا وجب الأعتذار ، وكان أحياناً يقطع المحادثة فجأة قائلاً : سأكلمك بعد قليل ولم يكن يرد على سؤالى ، لماذا ، أو أين أنت الآن ؟



المشير وسوكارنو الذى أهداه أحد النياشين ... والصورة لهما أثناء الخروج من القصر عام ١٩٦٢ باندونيسيا .

وفى إحدى المكالمات قال فى اقتضاب : انتظرى متولى سيمر عليك غداً فى الساعة الثامنة .

وفى الموعد جاء متولى وصحبنى فى عربته ، ولدهشتى وجدت العربة لا تتوقف عند المكان الذى التقى فيه مع المجموعة ، بل تجاوزته وظلت تسير حتى بلغنا طريقاً متفرعاً من شارع الهرم ، هو شارع حدائق الأهرام ، وتوقفت العربة أمام شالية صغير ، يقع أمام قصر المرحوم ـ المطرب محمد فوزى ـ .

دخلت الشاليه ووجدت صالة واسعة ليس بها سوى كراسى من القش وترابيزة ، وحجرتين خاليتين .

وبعد قليل .. دخلت عربة صغيرة ماركة « نصر » ونزل منها عبد الحكيم ومعه على شفيق وآخر من حرسه . ورآنى عامر فأقبل نحوى بشوق ولهفة ولأول مرة قبلنى على وجنتى ، ثم سألنى : ما رأيك فى هذا المكان ؟ .. ولم ينتظر جوابى .. وقال « حاجة كدة فقايرى على قدنا » ثم أكمل مازحاً « لا تليق بنجمة كبيرة زيك »

قلت متأثرة : « وجودك فى هذا المكان يعطيه أكبر القيمة » . ابتسم قائلاً : وزى ما إنتى شايفه .. مفيش أثاث لغاية ما تفرشيه على مزاجك » .

اصبح عامر بعد ذلك يوجه لى الملاحظات الكثيرة الخاصة بثيابى الضيقة ، واكتافى العارية ، وكنت استجيب راضية دون أن يأمرنى .. فقد كانت له طباع المروّضين ..

كانت هناك تعاقدات لأعمال فنية فأتممتها .. ولم اتعاقد على شىء جديد .

مر أسبوع بأكمله دون أن يتحدث عبد الحكيم ، وعندما طلبنى أخيراً ، لم يطل الحديث، وإنما طلب منى الحضور إلى فيلا حدائق الأهرام .

وذهبت إليه من فورى ، وهناك وجدت معه صلاح نصر ، وأحسست إن فى الأفق شيئا غامضا ، وغير طبيعى ، فإن عامر لم يبد ميلاً كبيراً للحديث معى ، وإنما كان صلاح نصر هو الممسك بزمام الحديث ، وعامر يجلس صامتاً جاداً شارداً ، قال صلاح نصر :

ــ كيف حالك ..

ــ بخير ..

ــ واضح أنك بخير .. الأخبار تقول عنك أنك بخير ، وأنك تتحركين كثيراً هذه الأيام .

أدهشتنى هذه الاجابة فسألته : ما معنى تتحركين كثيراً ؟

قال وهو يهز كتفيه : « يعنى .. تتحركين .. وتتكلمين كثيراً » .

أوجست من كلامه خيفة ، وتحرك الشك فى أعماقى فسألته :

(اتكلم كثيراً ، ماذا أقول) .. قال محاوراً : (يعنى تحكين الحكايات .. قولى لنا أنت ماذا كنت تقولين ؟ ..

قلت : (هذا الاسلوب فى الكلام لا يعجبنى) فأجاب : (ولا يعجبنا نحن أيضاً) .

نظرت إلى عامر فوجدته يترقب صامتاً مهموماً هذا الحوار الغريب الذى يجرى بينى وبين صلاح نصر .

لم أدر كيف أتصرف ، فإن حديث صلاح نصر يحتم على إتخاذ موقف ، حديث هجومى ، طابعه المناورة ، والتخابث ، والأمر من ذلك أن شعوراً داخلياً سيطر على بأنهم يجرون تحقيقاً معى ..

قلت لصلاح نصر : إننى عشت حياتى كأننى رب أسرة مكافح ، وكان ذلك بسبب كلمة أعطيتها لأمى ، كانت وعداً أن أتكفل بها وباخوتى . ثم واصلت حديثى وقد آلمنى أن أجد نفسى فى هذا الوضع : (أرجو أن تتكلم بوضوح لأفهم ما تقول) ودار بينى وبينه حوار غريب غامض ، كأنه الألغاز ، فلما ضاق صدرى قلت : (أرجوك تكلم بصراحة ، وإلا سأغادر هذا المكان) ونظرت إلى عامر فوجدته مازال على صمته وكأن الأمر لا يعنيه ، فزادنى هذا حيرة وغيظاً ونظرت فى عينى صلاح نصر ، فوجدت فيهما الاصرار على المطاردة والتعقب ، ورداً على عبارتى الأخيرة قال : (ألم تقابلى أناساً وتحدثت معهم عن خطوبتك لسيادة المشير ؟ .. أليس كذلك ؟ رغم أننا اتفقنا على إبقاء الأمر سراً لدواعى الأمن ؟) .

اجتمع فى ذاكرتى لقاء كان بينى وبين الكاتبة الدينية ، سألتنى فيه عن سر اختفائى أثناء تصوير المسلسل وهو مالا يتوقعه منى أحد ، فقلت لها :

ـ لأوقف التساؤل والتخمينات ـ أننى مخطوبة لأحد المسئولين فى الوزارة .

ذكرت هذه الواقعة على الفور لصلاح نصر والمشير واضفت : (إننى لم أذكر اسم أحد ولم أحدد الوظيفة) وأنى أتحداك أن تثبت أنى ذكرت اسم أحد ، واقسم بالله العظيم أننى لم أذكر اسم أحد ، قال باصرار : (أنت كاذبة) .

حينئذ فقط بدأ المشير يبدى اهتماماً ، فهو يعرف طبيعتى .. يعرف أنى حين أشعر بالظلم أغضب ، وأننى حين أكذب أضحك .

كنت بالفعل امتلىء غضباً ، فتركتهما وانطلقت باكية إلى الخارج .

أسرع المشير خلفى ، وسمعت صلاح نصر يقول : (سيبها دى حاتودينا فى داهية .. حانلاقى ناس داخلين علينا بالمدافع الرشاشة ، ونحن بدون حرس) ..

أدركنى المشير عند العربة وكنت قد بدأت فى فتح بابها ودخلت ، وأنا فى ثورة غضبى . وتوقف المشير بدوره ، لا يدرى كيف يتصرف .. وعندما أدرت محرك السيارة ، خفض رأسه حتى أصبح مواجهاً لوجهى ، وأطل من نافذة العربة قائلاً : (معلش .. طولى بالك .. هو ، برضه عنده حق .. تعالى بس .. تعالى) ..

لم أصغ إلى حديثه وانطلقت بالعربة إلى بيتى .. ولم أكد أفتح باب شقتى حتى سمعت رنين التليفون فأغلقت الباب ورائى لأجيب الهاتف ، وجدت المشير على الطرف الآخر ، وما كاد يسمع صوتى حتى قال : (تمالكى أعصابك يا عيلة) .. قلت له : والله العظيم أنى لم أذكر اسمك لأحد .. واتحداه أن يواجهنى بمن قال ذلك .. بل وأُصر على ذلك .

اظهر المشير تفهماً لموقفى ، وفسر الأمر بأن السيدة المذكورة ـ سنية قراعة ـ ربطت بين مقابلاتى السياسية ، وبين رفضى للأعمال الفنية ، وتغيير أسلوب تعاملى ، واستنتجت بذكائها وجود علاقة بينى وبين المشير .

إن مثل هذه المواقف التى كانت تقتحم حياتى ، لتثير فيها الزوابع الفجائية ، اثقلت قلبى بالشعور إنى أمثل خطراً داهماً عليهم جميعاً ، وإن كنت فى الحقيقة لا أدرى لماذا ؟ كنت أشعر أنى هدف للشكوك والمراقبة ، بلا مبرر قوى يدعو إلى كل هذا .

وكان المشير أحياناً يساعد على زيادة هواجسى بانقطاعه طويلا عن زيارتى أو محادثتى، ومن ذلك ما حدث ذات مرة ، حين ظل شهراً كاملاً لا أراه ولا أسمع صوته ، وبالطبع اقلقنى هذا الوضع الذى لم أعد أعرف فيه إن كنت مرتبطة أم غير مرتبطة. ويزيد الأمر سوءاً أننى لا أعرف رقم تليفونه لأطلبه ، حين كان ينقطع لا أعرف عنه شيئاً .

وفى يوم بعد عودتى من الخارج دق جرس التليفون ، وسمعت صوتاً يقول لى بعد أن نطقت كلمة ألو .. وجدته يقول لى « أيوه » ثم صمت ... عرفت صوته على الفور ، واشتعل غضبى فهو يتكلم بعد شهر ليقول « أيوه » ثم ينتظر منى أن أتكلم .

قلت معاتبة : (هل هذا معقول ؟) تجاهل سؤالى ودهشتى وسألنى (أين كنت ؟ .. هذه هى المرة الثالثة التى أطلبك فيها اليوم ولا أجدك) قلت : أهذا هو الكلام الذى تقوله لى بعد شهر من عدم السؤال عنى ؟ .. قل لى : أين كنت أنت ؟

قال ببرود : « كنت موجود » ..

أغاظنى رده فقلت : (موجود فى القاهرة ولا تسأل عنى .. شهراً بأكمله ؟!)

قال بغموض : « ألا تعرفين السبب » ؟ ..

قلت باندفاع : لم أفعل شيئاً .

كنت أشعر أنى أتكلم مع شخص غريب ، ملىء بالجفوة ، والغموض ، والمكر .

تراجعت عن أسلوب العتاب وقلت له : نتقابل .. لابد أن نتقابل .

قال : « هذا غريب .. أنت تريدين رؤيتى » ؟!!

قلت : الغريب حقاً أن تسأل هذا السؤال .

قال : ولماذا تريدين مقابلتى ؟ ..

أحسست أنه يعنى ما يقول .. وأن هناك سوء تفاهم .. فصممت على لقائه وإذ لمس الحاحى واصرارى قال : « ألا تخافين منى ؟ »

قلت : لا .. لست خائفة ..

قال : احتمال أن أقتلك !

قلت : موافقة .. إن كنت قد أخطأت فأنا مستعدة لقبول هذه النتيجة ، وأفضل أن أراك فى كنج مريوط ، إذا سمح وقتك بذلك .

قال : إذن نتقابل .. وحدد لى اليوم والساعة .

وبالفعل ذهبت إلى الاسكندرية ، والفضول يملؤنى لمعرفة ماذا حدث ، ولم يكن يعادل فضولى سوى شوقى لرؤيته ..

وفيما أنا على هذه الحال من اللهفة والفضول ، توقفت عربتى ، وتبين لى أنى نسيت تزويدها بالوقود الكافى لمثل هذا السفر ، وضاع منى وقت طويل حتى وجدت من يمد لى يد العون ، وقد ساعدتنى عربة فى الطريق وأحضرت لى البنزين .

وصلت متأخرة عن الموعد ساعتين فوجدته جالساً فى تراس الفيلا ومعه شخص ثان ، وكانا يحتسيان الشاى . قال لى بعد أن استقر بى المقام : « انظرى إلى هذا الشخص .. من تظنينه ؟ » كان ذهنى مشغولاً ومشتتاً من تأثير السفر .

نظرت إلى وجه الرجل وقلت : « أظنه أحد أقاربك » .. قال : « أين ذكاؤك انظرى جيداً»

تفرست فيه تفرساً بغير إمعان ، وإذ لاحظ المشير حيرتى ، لم يتركنى طويلاً وقال : « هذا عبد المنعم عامر .. أخى الأكبر » . وعقب ، « يعنى لما أكبر حا أبقى كده » .

وبعد قليل قال المشير : « كنت أظن أن الخوف سيمنعك من الحضور ـ ألا تخافين أن أدفنك هنا فى الصحراء » ؟

قلت معاندة : « أنا لا أخاف » .

قال : « إذن تعالى معى » . وأمسك بيدى ، ودخل بى إلى صالون الفيلا . وبعد أن أجلسنى وجلس جاء سكرتيره ببعض الأوراق ، جلس المشير يقرأ بإمعان ، وبين الحين والحين يقول تعليقاً وهو ينظر إلى :

« إذن ـ أنا طظ فيا » .. وحتطلعى عنيا ؟!!

ــ قلت مستنكرة .. ما هذا الذى تقول ؟

ــ قال « أقول كلامك .. والمكالمة مسجلة بصوتك » .

اجتاحت عقلى ريح مزمجرة ، وعصفت الحيرة بكيانى كله ، وحاولت جاهدة أن أتذكر هذه المكالمة التى يشير إليها .. متى ؟ .. ومع من ؟ .. وعن أى شىء ؟ وفى قمة حيرتى وارتباكى سمعته يقرأ بصوت مسموع .

« لا .. لو مامشيش كويس أنا ح اطلع عنيه .. واشتكيه فى المحكمة ؟! .. صرخت فيه.. انتظر لحظة .. اشكوك فى المحكمة ؟! ماذا بينى وبينك لأشكوك فى المحكمة ؟! هل هناك قضية ، أو عقد بينى وبينك ؟! ..

صمت المشير ، وفكر ملياً فى حديثى ، فقلت له :

« أتعذبنى شهراً كاملاً بلا سبب ـ أهذا هو العدل الذى تتحدث عنه كثيراً ؟

طوى المشير الصفحات التى بيده ولم يكمل قراءتها ، وكان لم يقرأ منها سوى الصفحات الأولى فقط .

كانت كلمة « أشكوه فى المحكمة هى برهان براءتى » وغلب على الشعور بالظلم . لا لذنب اقترفته سوى حبى لرجل سياسى . فانخرطت فى البكاء ، ثم تمالكت نفسى وقلت له:

« لقد جئت لكى أعرف فقط .. وسأرحل حالاً » ولم يتركنى المشير ، فمازال بى حتى ذهب غضبى وتصالحنا . إنه أول شخص احببته فى حياتى ، وكان صدقى معه بلا حدود بدافع من اعجابى به ، ولكن هكذا السياسة ، .. دواعى الأمن !

كانت الأفلام السينمائية هى وسيلة التسلية فى لقاءاتنا ، وكنا تقضى السهرات القليلة إما فى بيت الزوجية المرتقب ـ فيلا الأهرام ـ وإما فى شقتى بالعجوزة .

وكان المشير يفضل فى الغالب الأفلام التى اختيرت موضوعاتها من روائع الأدب العالمى ، وإما من النوع العلمى الخيالى ، أو من الموضوعات الإنسانية التى تمجد فضيلة من فضائل الطبع الإنسانى ومعهم نوع آخر قد يبدو مستغرباً بجوارهم ، ذلك النوع هو أفلام رعاة البقر .

وكان لعامر وجهة نظر معينة فى مثل هذه النوعية من الأفلام ، فقد كان يقول لى عن شخوصها ، « هؤلاء الرجال ليسوا مجرمين » ان هذا العنف الذى يمثلونه هو ثورة فى مواجهة دنيا تكشر عن أنيابها ، انظرى كيف يقاسون ، وهم يبنون حياتهم .. إن هؤلاء الرجال هــم الذى بنوا أمريكا بسواعدهم القوية ، التى نراها أحياناً تطلق النار يميناً وشمالاً . أنهم ليسوا رعاة بقر فقط ، بل هم أيضاً رعاة حقول وبساتين وبيوت تضمهم هم وزوجاتهم ، وكيف ان الصبيان والبنات أيضاً يكافحون بجوار أبائهم وأمهاتهم . وكيف يدافعون عن الأرض بدمائهم .. هؤلاء هم الذين بنوا أمريكا ، ودفعوها إلى مقدمة الشعوب ولا أظن ان ما يقال عن أنهم جماعات مغامرة هاجرت من أوروبا إلى أمريكا . فليس المغامرون فقط والفارون من وجه العدالة هم الذين يتركون أوطانهم ويهاجرون ، وقد يكون العكس صحيحاً . فأصحاب المبادىء أيضاً يهاجرون وأصحاب الأفكار الجديدة والطموحات العالية أيضاً يهاجرون . ان منهم صاحب المبدأ ، ومنهم صاحب التجربة ، ومنهم جماعات دينية .. مثل هذه الأفلام وغيرها كانت هى اللون المفضل عندنا .

لكن عامر كان يبدو مهموماً فى أغلب الأوقات ، كثير التفكير والتأمل ميالا لاقتناص الحكمة والموعظة من أى عمل أدبى أو فنى يطالعه .

ولم أستطع أبداً أن أعرف أسباب كآبته ، وإن كنت قد ربطت بينها وبين حادث الانفصال بين مصر وسوريا الذى وقع فى سبتمبر من عام ١٩٦١ .

وإذا بدا عدم سؤالى غريباً ، فإن الأغرب منه ألا أسأل عن موعد الزواج بعد أن أصبحت مخطوبة !! ..

والحقيقة أننى فى هذه الفترة لم أكن استعجل الزواج ، فكل ما كان يتملكنى هو شعور بالسعادة فى تواجده معى بصرف النظر عن كوننا رجلا وامرأة ..

وكانت بداية هذا الشعور الذى استبد بى واستفحل عندى ، هو فى تلك الليلة الحالمة بكنج مريوط والتى قال لى فيها : اصبرى .

كانت ليلة من الليالى النادرة التى ننتزعها من براثن المهام والمشاغل و«دواعى الأمن» . ولا أنكر أنى فى ليلتى هذه .. همت به هياماً ، ويبدو أن دلالا أنثوياً بـدر منى وترامى عليـه .. لكن عامر أيقظنى من نشوتى حين نظر فى عينى طويلاً ثم ربت على ظهرى قائلا بغموض :لا بأس اصبرى ثم صمت طويلا وقال وعلى شفتيه ابتسامة « يمكن تقولى أنى راجل فلاح متخلف ، لكن بصراحة كده أنا راجل باركب طائرات وغواصات وعرضة أن أموت فى أى وقت ، واللى زيى ماينساش ربنا » . بدأ عقلى يفيق ، وأنا أتأمل كلماته .

وكان عبد الحكيم عامر يبدى لى الحب ، ولكنه لم يبد لى هياماً قط ، ولم تظهر منه بوادر رغبة من رغبات الرجال ، فهو دائم الحديث عن الأخلاق ، حريص على الصوم والصلاة .

تناسيت يوم الزفاف ، ولم أعد اسمح له بأن يراود خيالى ، إلى أن جاء يوم فوجئت فيه بوالدتى ، ومتولى يدخلان على شقتى بالعجوزة .. كان وجه أمى يبدو جاداً بصورة أثارت قلقى ، وزاد توجسى حين قالت باقتضاب « ارتدى ملابسك » .. سألتها بدهشة «لماذا » ؟ أجابت « الدكتور سيحضر الآن » .

قلت دون وعى « الآن ؟ .. لماذا ؟ »

قالت أمى فى دهشة من سؤالى : « أنه خطيبك ، ويريد أن يأتى لزيارتك أليس من حقه؟.. أحسست أنها تعلم شيئاً وتخفيه عنى ، وقد أثار هذا هواجسى . فلعل « اجراءات الأمن » وراء هذه الزيارة ، وعبثاً حاولت أن أعرف شيئاً من والدتى ..

ثم جاء المشير ..

دخل علينا بوجهه البشوش ، ووراءه على شفيق ، واختص أمى بملاطفاته وأحاديثه المرحة، وبعد أن أمضى لحظات على هذه الحال ، وجم ، ثم قال موجهاً الحديث إلى والدتى :

ـــ استمعى جيداً لما سأقوله الآن ـ فأنا أريدك شاهدة على كل كلمة فيه .. ثم ولى وجهه ناحيتى وفاجأنى بقوله :

ـــ أظن كفاية بقى لعب عيال .. مسألة الخروج والسفارات والتمثيل .. مفيش خروج خالص ، ومش عايز شغل .

قلت : معنى ذلك أن أمكث فى البيت فلا خروج ، ولا عمل .. ماذا أصنع إذن ؟

قال : « تفعلين كما تفعل كل زوجة .. تستقر فى بيتها .. وقد انتظرت حتى تنتهى الأعمال التى تعاقدت عليها ، والحمد لله قد انتهت فلا عقود جديدة بعد ذلك .

تساءلت : لماذا ؟!

قال : « لأننى لا أريد لزوجتى أن تشتغل بالتمثيل ، كما أنى رجل لا أحب أن تعمل زوجتى » .

قالت أمى مؤيدة له : « طبعاً .. التمثيل ليس لنا وكنت دائماً أتمنى أن تبتعد ابنتى عن هذا الميدان .. والحمد لله ان جاءت هذه الفرصة أخيراً ..

ولكنى واصلت حوارى ومعارضتى وقلت :

ـــ « لكن مسرحية العش الهادىء لم تنته بعد .. وليس من المعقول أن أتركها قال : كم يوماً تحتاجين ؟

فقلت : حوالى أسبوعين ..

قال : إذن الزواج بعد أسبوعين .. وصبر على حتى استوعب ما قال ثم واصل :

ـــ وبعد الزواج لا خروج إلا بإذن منى . ثم وجه حديثه إلى والدتى قائلاً :

كـل الملابس التى هنا اجمعيها يا ماما .. وضعيها فى حقيبة ، وكذلك جميع الصور هاتيها ، كان لدى « ألبومات » تجمع كثيرا من الصور التى التقطت لى أثناء الحفلات والرحلات ، وحدث إن كان عامر فى زيارتى يوماً فأطلعته عليها وأنا فى زهو وسرور ، وتفرج عليها واحدة واحدة ، ثم ردها إلى وهو يعلق « شىء عظيم » ولم أفهم مقصده من الشىء العظيم سوى الآن عندما طلبها ليمزقها .

قالت أمى فى حماس « أيوه كده ربنا يحميك .. أنا اللى سأحضر لك الصور » وقامت من فورها بجمع ثيابى السواريه ، وذات الصدر المفتوح ، وكنت أراها تقوم فى همة وحماس ، يساعدها فى ذلك متولى . وما هى إلا لحظات حتى كانت ثيابى فى حقيبة ، وصورى فى يد المشير ، الذى راح ينظر إليها قائلاً :

ــ بقى نفيسة بنت ابن الشيخ حواس ترقص مع خواجات ـ والله عال ـ إيه ده قاعدة وسط هيئة أمم بفستان بالشكل ده ؟! ـ ويحملق فى الصوره ثم يمزقها ، وأنا أمامه أشعر بالغيظ لفقدان صورى التى كنت اعتز بها ، وبعد أن انتهى من تمزيقها ، نظر إلى متسائلاً :

ــ غاضبة !! ـ نعم ـ « هذا غضب مؤقت ـ وسيزول فيما بعد حين تعرفين » .

قلت وأنا فى دهشة صادقة :

ــ أنت تبدو لى اليوم رجلاً صعيدياً تماماً .. إننى لم أرك من قبل بهذه الصورة .

ــ اجاب بهدوء : لأننى لم أكن زوجاً لك من قبل . ثم واصل ساخراً : « أتظنين أنك بذلك تكونين سيدة متحضرة .. أهذه هى الحضارة التى تفهمينها ؟ ..

إن الحضارة ليست تحللاً وفساداً .. إن الحضارة جد ، وعرق ، وذكاء وعلم .. ليست خلاعة .. إن ما تظنينه حضارة هو فى الحقيقة قشور ..

أراك تتكلمين كثيراً عن الحضارة .. هل اخترعت شيئاً أو أضفت شيئاً للحضارة ؟.

ثم صمت ونظر إلى بوجه عطوف ومبتسم قائلاً : أنت أصلك لسه صغيرة .. واحنا مش عاوزين الخواجاية برلنتى .. احنا عايزين نفيسة ..

وكان وقع « نفيسة » على نفسى وقعاً غريباً ، أيقظ بداخلى حقيقة كانت راقدة وراء بريق الحيـاة التى كنت أعيشها آنذاك من فن وثقـافة . وانطلاق وأوصلت وجدانى بوجـدان عبـد الحكيم عامر « الصعيدى المؤمن » .

ثم قال ليرضينى : « هيا بنا نتمشى قليلاً » .

ولا أنكر أنى فرحت بهذا الاقتراح ، فهذه أول مـرة يدعونى للتمشية غادرنـا جميعاً المنزل ، وبعد أن أوصلنا والدتى إلى منزلها بجوارى ، خرجنا إلى الطرقات . وما كان أعظم سعادتى فى تلك اللحظة ، وأنا بجانبه يحنو على ليزيل من نفسى ما أصابنى من ضيق منذ لحظات . ولم يعد الذى بجانبى رجلاً من الضباط الأحرار ، ولا من رجال الدولة وإنما مجرد خطيب يتنزه مع خطيبته فى عربة تجوب شوارع القاهرة ، ولأول مرة أضع رأسى على كتفه وأحسست لحظتها بالاطمئنان والراحة ، وكأن حملاً ثقيلاً انزاح عن صدرى ، فطوال حياتى أعيش فى كفاح ، وعلى كاهلى عبء أسرة والتزامات ثقيلة ، والآن أشعر بأنى ألقى هذا العبء عن كاهلى .

وتمضى بنا العربة إلى شارع الهرم ومازال متولى يصعد بنا حتى وصلنا إلى الطريق الصحراوى ، وعاودنى القلق ، فمازال شبح اجراءات الأمن لا يريد أن يبرحنى ، فقلت مازحة : « هل سنذهب إلى الاسكندرية » ؟.

قال المشير لمتولى « قف هنا » وقفت بنا العربة فى الطريق الصحراوى ، وهبطنا منها ، والصحراء من حولنا تسطع فى ضوء القمر ، ومن داخل العربة يصلنا صوت أم كلثوم يشدو بأغنية الأطلال « هل رأى الحب سكارى مثلنا » ..

وكان جوابى على سؤال أم كلثوم « نعم أنا والمشير » .

وجاءت لحظة العمر ، وعبارات الشكر لله تتحرك على شفتى أمى فقد استجاب الله لدعائها فخرجت ابنتها نفيسة من حياة الفن إلى « بيت العدل » .

واقبلت ساعة الصفر ، وقد تأهبت لها بثوب أبيض طويل الأكمام ، مقفول الصدر ، وحذاء أبيض ، وأقبل متولى لينقلنا إلى بيتنا الجديد ، رافقنى فى ليلة زفافى ، أمى ، وأختى

زهرة ، وأخـى الأصغر هشام ، وخالتى الحاجة فتحية ، وكان هؤلاء هـم كـل «معازيم العروسة » .

وهناك فى ذات الفيلا التى شاهدتها من قبل ، والتى قال المشير فيها أنها ستكون بيت الزوجية ، لم أجد سوى مائدة للطعام ، وضعت فى جانب من الصالة ، وفى الجانب الآخر بعض المقاعد « الفوتيل » ، وبعض الأرائك ، أما الجدران فقد أعيد طلاؤها ، ودخلت المطبخ فوجدت دولاباً فى الحائط ، مليئاً بالأطباق والحلل ، وبوتاجازاً صغيراً ، وثلاجة .

وبعد جولتى الاستطلاعية هذه لبيتى الجديد ، حملت حقيبتى ودخلت حجرة النوم . ولم أكد أفعل حتى وقفت فى وسطها مبهوتة غير مصدقة لما أرى ، فلم يكن بها سرير ، ولا دولاب للملابس ، ولا تسريحة ، لا شىء سوى مرتبة فرشت على الأرض !!

أهذه حجرة نومى ليلة عرسى !!

أهذه حجرة نوم المشير عبد الحكيم عامر ، وزوجته برلنتى عبد الحميد نجمة السينما ؟! أفقت من ذهولى على غضب يعصف بكيانى ، فجلست القرفصاء على المرتبة ، وعيناى تملأهما الدموع ، ويبدو أن جلوسى على هذه الحال قد طال ، فأن أمى جاءت للبحث عنى فلما وجدتنى على هذه الحال ، وقفت تحدثنى بكلمات طيبة مواسية ، لتزيل من نفسى ما أصابها من حزن ، وتذكرنى بأن كل شىء يمكن شراؤه فى وقت لاحق ، وليس المهم الآن ، إنما المهم ما سيكون ، ويكفينى سعادة أننى تزوجت رجلاً طيب الأخلاق عذب الطباع .

واستطاعت كلماتها أن تخرجنى بعض الشىء من هذه الحال ، فنهضت وأصلحت أيضاً ملامح وجهى ، وبدلتها من الحزن والهم إلى السرور والفرح ، مستعينة فى ذلك بمواهبى التمثيلية ، وخرجت عليهم فى دور العروس المرحة فى ليلة زفافها ، وإن كنت قد أضمرت مواجهته حين نخلو إلى بعضنا .

كان ترتيب السفرة والزهور ترتيباً يخلو من لمسة الجمال ، ولعله كلف به أحد حراسه ، وكذلك الكنب والكراسى ، فشرعت من فورى فى إعادة الترتيب ، وتنسيق الزهور ، وكذلك نثرت بعض الوسائد الصغيرة التى كانت معى ذات الألوان الزاهية على الأرائك مما أضفى جمالاً على المكان .

ثم جاء المشير وأخوته حسن عامر ومصطفى عامر ومعهم أنور السادات وكان قد سبقه للحضور على شفيق وأبو المعاطى ، كان المشير يبدو عريساً بحق ، يأخذ العين بأناقته ورشاقته وسعادته التى تضىء وجهه وعينيه ، كان الاشراق بادياً على كل شىء فيه، وقد دعانى ما لمسته فيه من فرح وسعادة إلى استبعاد فكرة مواجهته التى أضمرتها غضباً فى قلبى ، فقد عز على أن أكون سبباً يقلل من هذه السعادة التى ما رأيت مثلها من قبل ..

وتم عقد القران فى تلك الليلة . ورأيت عبد الحكيم عامر يطوى ورقة الزواج ، فور الانتهاء من كتابتها وتوقيعها ويضعها فى جيبه ، ثم يميل إلى الوراء مستنداً رأسه على حرف المقعد ، ماداً ساقيه ، واسترخى استرخاء من يجد الراحة بعد سفر طويل ..

وزاد تصميمى حين رأيته على هذه الحال ، على ألا أنغص عليه ليلته ، فمحال أن يجرؤ القلب على خدش هذه الفرحة الطاغية ، الصافية التى قد لا ينالها الإنسان إلا لساعات قليلة خلال عمره كله .

عقد القران ، ووزع الشربات ، وزاط المعازيم ـ وهم قليلون ـ وتألق الحفل بالبهجة والفرحة ، وواظبت أنا من ناحيتى على « التمثيل » فأخذت أروح وأغدو ضاحكة ، اجامل الحاضرين ، وانتهز المشير فرصة وقوفى بجانبه فى إحدى المرات ، فهمس فى أذنى ، قائلاً : « اعترف انك ممثلة ممتازة .. بس عينك بتقول إنك زعلانة » .

كان المشير دقيق الملاحظة ، ويملك شفافية القلب ، فما انطلى عليه تمثيلى ، وادرك ما أعانى فأصبح ينتهز كل فرصة ليداعبنى بمثل قوله السابق .

وعندما شارف الحفل نهايته ، قلت له هامسة « لماذا لا نقضى الليلة فى كنج مريوط »، فأجاب على الفور « نحن ذاهبون فعلاً إليها » . ثم نظر مبتسماً ، وعيناه تفيضان حباً .

وبالفعل سافرنا إلى الاسكندرية فى تلك الليلة ، وفى صحبتنا والدتى واخوتى ، وعندما وصلنا إلى كنج مريوط ، ودخلت الفيلا ، كان كل شىء فيها قد تغير ، فحجرة نومى أنيقة جديدة ، وكل شىء فى الفيلا قد استبدل بغيره أكثر جدة ، ما عدا حجرة الصالون .

أكملنا السهرة فى حديقة الفيلا ، والسعادة تملأ الجو حولنا ، فهنا ، ومنذ تلك الليلة كانت بداية عمرى ، فأنا لم أولد من قبل سوى الآن ، ولم أوجد فى الدنيا سوى الآن ..

هنا كانت بداية عمرى الحقيقى ، الذى لم يزد عن بضع سنوات ولكنها كانت هى كل حياتى ، وما عداها ، وما سبقها .. كلاهما لا شيء .

« كنجى حبيبتى »

لا توجد بقعة فى الأرض ، تعلقت بها ذاكرتى ، مثل « كنج مريوط » التى كنت أملك فيها الفيلا قبل الزواج ، ثم قضينا فيها أول يوم من أيام الزواج ، لذا فلى بها بعض الذكريات الغالية ، التى تتعلق بى وبالمشير بعد الزواج .

وأذكر أن جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر كانا فى أجازة صيفية طويلة ببرج العرب . وقد انتهزنا ـ أنا والمشير ـ هذه الفرصة لنقضى معاً وقتاً أطول من المعتاد ، ونسينا الرسميات تماماً ، وتحول المشير إلى طالب فى الكلية ، أو إلى ضابط صغير ، فصار من عادتنا أن نخرج إلى الصحراء حاملين السندويتشات ، وترامس الشاى والقهوة ،ونقضى أوقاتاً سعيدة نتجول فى الصحراء ، ولم يكن البدو الذين نمر بهم يعرفون من هو أو من أنا ، فلم نكن فى نظرهم سوى « افندى والست بتاعته ».

وقد جعل هذا التعامل معهم أكثر بساطة وأكثر تلقائية ، فنتجاذب معهم أطراف الحديث على سجادة يحضرها البدو لنا ، وتدور علينا اقداح الشاى .

كان المشير يحب مجالستهم ، ويداعب أطفالهم ، ويطعمهم بيده ، ثم نغادرهم بعد أن يمنحهم بعض المال ، ونحن نشعر بسعادة غامرة .

ثم نعود إلى البيت ، فنجد « متولى » حارسه الأمين فى إنتظارنا فيطلب منه إحضار بعض الكتب .

كان من عادة المشير أن يحضر من عربته بعض الكتب من مكتبة منزله بالقاهرة ، وقد قرأنا معاً فى هدوء الصحراء « المدينة الفاضلة » لأفلاطون وبعض الأعمال الأدبية لجان بول سارتر ، وسيمون دى يوفوار ، وأحياناً كنا ـ أنا وهو ـ نتكلم فى السياسة العالمية ، وقد جرفنى الحديث مرة عن « كارل ماركس » فإذا به ينظر إلىّ ضاحكاً وقال :

ـــ أنها نظرية عظيمة .. ولكن أصحابها نسوا أهم شيء وهو الإنسان ، الذى حولوه إلى مجرد « ترس » فى ماكينة ، مع أن الإنسان هو القيمة ، وهو العقل ، وهو صانع هذه النظرية .

ومن الأحداث التى لا أنساها ، تلك الحادثة التى وقعت ، عندما أردت اشعال نار المدفأة ، فقد وجدتها تخبو ، ولم أكن « ست بيت » جيدة ، ولما كانت الليلة باردة ، فقد رأيت أن أأجج النار ، بإلقاء بعض الكيروسين عليها ، .. وما كدت أفعل حتى اشتعلت النار بصورة تهدد بالخطر ، وكادت تصل إلى وأنا أقف وعلبة الكيروسين فى يدى ، وبصورة لا شعورية وجدتنى أقف بين المشير وبين النار خوفاً عليه ، فإذا به يدفعنى بعيدا ، ويأخذ العلبة من يدى وبعد أن تم اطفاء النار ، وجلسنا صامتين ، قال بعد قليل :

« انتى واقفة تحمينى من النار ، ومش خايفة على نفسك ؟ »

نظرت إليه وقد ملأنى احساس بالحنان ، وفى قرارة نفسى كنت مستعدة فعلاً لأن أحميه بحياتى .

وكنا أحياناً نذهب إلى الاسكندرية ، وقد أمضينا فيها أوقاتاً سعيدة ، ولم يكن يزورنا أحد سوى بعض أسر من أقارب المشير ، ومن الشخصيات التى كنا نحب زيارتها لنا أنور السادات وكان إذا دخل البيت نادى بصوته الجهورى « يا .. حا ااا كيم » . وكأنه يغنى أوبرا ، وهو يتميز بخفة الظل ، وحسن الدعابة ، وهو من الناس الذين تطيب عشرتهم لما فيه من بساطة ولباقة عند الحديث .

ولم يكن أنور السادات وحده هو الذى يزورنا فى الاسكندرية ، بل أحياناً ما كان يأتى بعض زملاء عامر فى الثورة .

وحدث فى ليلة ممطرة ، أن جاءنا عباس رضوان حاملاً حذاءه تحت إبطه ، وعندما رأيناه على هذه الصورة ضحكنا وقال له عامر : « كويس » علشان ماتنسوش أيام زمان .

وقد لاحظت أن جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، وعباس رضوان وصلاح نصر وشمس بدران ، كانوا يؤلفون شلة واحدة ، وفى الأجازات يقضون مع بعضهم وقتاً طويلاً، وكان من عادة جمال إطلاق أسماء وصفية أو كوديه على زملائه من أعضاء مجلس الثورة، فيقول جمال مثلاً : مش « النسناس » كلمنى النهارده أو مش « الفريزيان عدى على «امبارح» .

ولم يكن فى بيتنا فى كنج مريوط تليفون ، فإذا أراد الرئيس رؤية المشير فإنه إما أن يرسل أنور السادات أو يطلب متولى أو على شفيق فى استراحة المشير المواجهة لاستراحة جمال عبد الناصر ، فيحمل أي منهم الرسالة الشفهية إلينا ، والغريب أنى لم أطلب تركيب تليفون ، ولم أدرك أن هذا الأمر كان غريباً إلا الآن وأنا أكتب هذه المذكرات !!

ومن الأمور التى فوجئت بها بعد الزواج ، هو اكتشافى أن عبد الحكيم عامر خجول للغاية ... ولم يكن يعرف كيف يتعامل مع النساء ، ولا يعرف تنسيق الحديث ، وكان يقول لى « أنا راجل فلاح .. وماليش أى علاقات ... تزوجت وأنا صغير .. وطلعت امقت مايغضب الله ــ واقبلينى أنت على هذه الصورة ».

كان على عكس ما يشاع عنه تماماً ، فهو جاد ، خجول ، يحافظ على الصلاة ، واشهد أنى لم أراه يدخن الحشيش ، أو يشرب الخمر فى يوم من الأيام .

« القنبلـة » :

فى كنج مريوط ، كان شهر العسل ، وفى الأيام الأولى كنت أعيش فى غلالة من الأحلام والأمانى ، وكأن الأقدار أرادت أن تعيدنى إلى الصواب وعالم الحقيقة ، فوقعت حادثة صغيرة ، ولكنها كانت كافية لتوليد تيار من القلق يلازمنى طوال حياتى مع المشير ، تلك الحياة التى اختتمت بالقلق الأكبر ، أو بالأصح ، الفاجعة الكبرى ، الا وهى موت المشير ، على النحو الذى اشيع بين الناس بصورة تجعل قصة موته لغزاً فى تاريخ السياسة المصرية المعاصرة .

كانت كل الدلائل تشير إلى سهرة ممتعة ، سوف أقضيها مع المشير ، ففيما كان بعض العاملين يعدون وجبة الطعام فى المطبخ بإشراف والدتى ، كنت اتنزه أنا وهو فى الحديقة المحيطة بالفيلا ، ونلتقط بعض الصور التذكارية .

ثم تناولنا العشاء ، ونحن فى حال من الانشراح والسرور ، جلسنا نستمع إلى أم كلثوم ، وحولنا والدتى وشقيقاتى ، وفجأة سمعنا صوت « كلاكسات » وعلى الفور نهض المشير وقد بدا عليه الاهتمام ، وأجاب على نظراتى بقوله :

ــ هذه من عند الرئيس !!

وبالفعل ما كاد ينتهى من كلامه حتى دخل علينا متولى الذى يرابط فى استراحة المشير حيث التليفون ـ وابلغه أن الرئيس جمال عبد الناصر يطلبه .

لبس عبد الحكيم ثيابه على عجل ، وخرج مع متولى ولما سألته : إلى أين هو ذاهب ، أجابنى : « عندما أعود سأحكى لك كل شىء » .

خرج المشير وبعد قرابة الساعة عاد ليقول لى أنه سيقضى الليلة عند الرئيس ، حيث يريده لأمر هام ، وابتسم فى وجهى قائلاً بأنه سيعود غداً بإذن الله .

ضاعت السهرة الجميلة ، التى ظننت أنى سأقتنصها من دوامة المشاكل التى تأخذه منى أكثر الوقت ، وأويت إلى فراشى مبكرة .

وفى اليوم التالى قرب الظهر ، عاد عبد الحكيم ، وعرفت منه أنه رافق جمال عبد الناصر فى القطار إلى القاهرة ، ثم عاد !!

وعندما أبديت له دهشتى إذ إن سفر عبد الحكيم لم يكن مقرراً بالطبع عرفت ذلك من الليلة السابقة ،حيث كان عبد الحكيم لا يبدو عليه ان هناك ما يشغله ، وأنه سيقضى معنا الوقت على راحته .

عندما ابديت لعبد الحكيم هذا فقال :

ـ أنت تعلمين أنى مسئول عن سلامة الرئيس .

ـ وما معنى هذا ؟

ضحك وقال :

ـ الحكاية ان بعض أجهزة الأمن أبلغت الريس أن القطار الذى سيسافر به من الاسكندرية إلى القاهرة قد تكون به « قنبلة » . وقد طلبنى جمال ليقول لى ذلك ، فكلفت بعض رجالى بالتفتيش ولكنهم لم يعثروا على شىء ، ولكن الريس ظل غير مطمئن .. فلم أجد أمامى لاقناعه بخلو القطار من أى خطر سوى أن أرافقه أثناء الرحلة ، وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة لطمأنة جمال .

سألت ببلاهة :



جمال عبد الناصر يستقبل المشير أثناء عودته من الهند في ٢٧/ ١٠/ ١٩٦٦ ... في كل رحلة كان يبرم إتفاقاً أو يوقع عقداً لمصلحة مصر .

ــ وماذا لو كانت هناك قنبلة فعلاً ؟

ضحك بشدة وقال :

ــ كنا متنا بالطبع .

وشعرت لحظتها أن القنبلة ليست فى القطار فقط ، بل هى أصبحت فى حياتى أيضاً ، وأدركت لحظتها أنها لن تكون تلك الحياة الوردية الناعمة التى ظننت أننى سأنعم بها بزواجى من النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وتأكد هذا المعنى بالطريقة التى انتهت بها رحلة شهر العسل ، فبعد هذه الحادثة ـ أى فى اليوم الثالث ـ تقرر عودتنا فجأة إلى القاهرة .ففى الصباح قضينا وقتاً حالماً ، انفقته فى الرعاية بعبد الحكيم ، واحاطته بحبى ، واحسست أنى أمتلكه فى تلك اللحظات ، فاخترت له طعام الإفطار والبدلة ، والكرافت ، وفى غمرة هذا الحلم ايقظنى بقوله :

« سنعود اليوم إلى القاهرة »

وفى هذه اللحظة ، ظننت اننا سنكمل هذا الشهر فى القاهرة ، ولكن كان كل هذا وهماً وسراباً ، فعلى باب الفيلا ونحن نتأهب لركوب العربة قال لى : « اركبى أنت فى هذه العربة » ، أما أنا ، وأشار إلى عربة أخرى تقف أمام عربتى « فسوف اركب هذه » .

وسار بنا الموكب فى الطريق الصحراوى ، هو فى المقدمة ، وأنا فى العربة التى تسير خلفها ، وطوال الطريق لم تلتق العربتان ، ولم نتبادل حديثاً إلى أن أصبحنا داخل القاهرة وذهبت أنا وحيدة إلى بيتى .

دور عبد الحكيم فى الثورة

قبل الدخول فى تفاصيل حياتى المقبلة مع المشير ، والتى وقعت فيها الأحداث التاريخية خلال السنوات الأخيرة من عمره .

أجد من الأهمية أن أضع تحت عينى القارىء ، دور عبد الحكيم البارز فى ثورة ٢٣يوليو ، حتى تكون ماثلة فى خياله ، وهو يرافق ـ معى ـ عبد الحكيم وسط تقلبات الأحداث السياسية ، والعسكرية ، بما تخللها من مؤامرات ، ودسائس ، ومناورات ، ولعل ذكريات بداية الثورة ، ان تلقى بضوئها الكاشف على ذكريات نهاية عبد الحكيم .

نشر كثير من المعلومات عن عبد الحكيم عامر والضباط الأحرار ، وكتب الكثيرون عن قيام الثورة ، وكيف قامت وعن الأدوار التى قام بها كل واحد منهم .

وقد اتيح لى بعد وفاته أن اطلع على الملف الخاص به ، إذ فاجأنى يوماً صلاح نصر ، بأن وضع بين يدى أوراقاً قائلاً اقرأيها فهى ملف عبد الحكيم عامر ..

ولاشك أن الكثيرين يعرفون ، الكثير عن مسقط رأسه ، وتاريخ مولده ، والمناصب التى تولاها ، وتواريخ توليها ، إلى آخر هذه البيانات التى يعرفها الجميع ، لذلك لن نشغل القارىء بها .

● كان للمشير الفضل فى تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار ، وقد ساعد على ذلك موقعه فى الجيش حيث كان « برئاسة المشاه » تحت قيادة محمد نجيب ، بل انه هو الذى جند محمد نجيب نفسه « أول رئيس للجمهورية » وضمه إلى الضباط الأحرار ، وذهب المشير إلى جمال فرحاً قائلاً : « أنا وقعت على كنز » وقد بلغ عدد الضباط الأحرار ـ وفقاً للكشوف ـ ٣٢٩ ثلاثمائة وتسعة وعشرون ضابطاً حراً ، اشترك منهم فعلاً فى احداث ليلة ٢٣ يوليو ما لا يقل عن ثمانين ضابطاً حراً .

فى عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى سنة ١٩٤٩ ، وقع جمال عبد الناصر فى مأزق كاد يتسبب فى فشل الثورة ، بافشاء سر تنظيم الضباط الأحرار . إليك الواقعة :

استدعى عبد الناصر إلى مكتب الفريق عثمان المهدى - رئيس أركان حرب الجيش - وهناك جلس ينتظر بمكتب البكباشى عبد العزيز فتحى ، مدير مكتبه . ثم خرج الثلاثة واستقلوا سيارة إلى مكتب رئيس الوزراء ، ولم يكن عبد الناصر يعرف سبب استدعائه ، وكان يحمل فى جيبه أوراقاً يمكن أن تكشف نشاط التنظيم السرى بها أسماء بعض الضباط الأحرار . وفى مكتب رئيس الوزراء ، استبد القلق بعبد الناصر فما كاد يدخل إلى مكتب سكرتير رئيس الوزراء حتى استأذن فى الدخول إلى دورة المياه .. وهناك اخرج الأوراق ومزقها ثم القى بها فى المرحاض ، وعاد بعد أن تخلص من هذا الموقف .

ويبدو أن عثمان المهدى قد لاحظ قلق عبد الناصر ، فقد بادره بعد عودته من دوره المياه سائلاً : « هل معك أوراق » فأجابه عبد الناصر « تخلصت منها » . وقد تم اللقاء بين عبد الناصر ورئيس الوزراء فى هذا اليوم ، وقد حذره من القيام بأى نشاط سياسى ، وكان هذا التحذير هو سبب الاستدعاء .

وقد حدثت مشادة بين عبد الحكيم وعبد الناصر بعد ذلك بسبب هذه الواقعة ، حيث أبدى عبد الحكيم استياءه من قلة حذره ، وذهابه إلى مكتب رئيس أركان الحرب ، ثم إلى مكتب رئيس الوزراء وهذه الأوراق فى جيبه .

● فى حرب سنة ١٩٤٨ التى خاضها الجيش المصرى ضد اسرائيل ، قام عبد الحكيم عامر ومعه صلاح سالم ، ومحمد أبو نار ، وغيرهم بمهاجمة مستعمرة «دير سنيد » وأدوا مهمتهم بنجاح ، وأثناء العودة ، اكتشف عبد الحكيم - بعد أن عبروا الأسلاك الشائكة - غياب أحد الجنود الذين كانوا معهم . فلم يتردد لحظة ، فعاد عبر الأسلاك الشائكة - غير مبال بتحذير الزملاء ، ووجد الجندى مصابا ، فاختبأ هو والجندى حتى هدأت الدوريات الاسرائيلية ، ثم حمله وعاد رغم اصابة عبد الحكيم فى ذراعه .

وقد نجح عبد الحكيم فى إدارة معركة « نينساتيم » وهى واحدة من اشرس المعارك التى خاضها الجيش المصرى فى حرب فلسطين ، وكانت هذه المستعمرة ، تعطل تقدم قواتنا ، وتقديراً لكفاءته وشجاعته عين أركان حرب اللواء العاشر الذى كان يرأسه محمد نجيب .

كان عبد الحكيم عامر هو الذى أقنع صلاح نصر بالانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار ، ثم دبر أول لقاء بينه وبين جمال عبد الناصر ، الذى أعجب بثقافة صلاح نصر ، ونظر إلى عبد الحكيم قائلاً : « أنا سعيد بانضمام صلاح إلى التنظيم » .

● فى ساعة الصفر ، وقع خطأ كاد يؤدى إلى اشتباك قوتين ، قوات يوسف صديق ، وقوات عمر محمود على ، الذى وصل فى موعده ، وفوجىء بوجود قوات عند بوابة مبنى رئاسة الجيش ، فظن أنها قوات معادية ، فأمر جنوده ، بتعمير بنادقهم والاستعداد لاطلاق النار .. لولا جرأة ويقظة عبد الحكيم عامر الذى كان يعرفه عمر محمود على ، فأظهر نفسه مقتربا من القوة المتحفزة ، وعندما وقعت عليه عين عمر محمود على بالكتيبة الثالثة عشرة ، أدرك أن القوة التى أمامه هى من قوات الثورة ، وقد انضمت القوتان وحاولوا اقتحام المبنى ، إلا ان جندى الحراسة اعترضهم وبدأ يصيح ويصرخ محاولاً تنبيه الحرس ولم يجد عبد الحكيم بداً من تحذيره .. تم اطلاق الرصاص عليه ، وحينئذ اقتحموا المبنى بعد أن رمى عبد الحكيم « السلاحليك » من على البوابة .

وفيما كانوا يقتحمون المبنى وقف عبد الحكيم أمام بوابة مقر القيادة ، ليقبض على القادة وهم يتوافدون الواحد تلو الآخر ، ويأمر بالتحفظ عليهم وارسالهم إلى مبنى الكلية الحربية المواجهة لمبنى القيادة .

كان عبد الحكيم عامر « دينامو الثورة .. والمحرك لنشاطها » يتابع تنفيذ الخطة بعين يقظة .. وقد لاحظ وجود مدفع فوق مبنى القيادة وخشى أن يستعمله أحد ، فأطلق عليه الرصاص حتى لا يستخدمه أحد .

● عبد الحكيم عامر هو الذى كتب « بيان الثورة » . الذى أذاعه أنور السادات ، وقد ذكر هذه الحقيقة « فتحى رضوان » فى مقاله الذى نشر فى جريدة الوطن بتاريخ ١٩ يوليو سنة ١٩٨٤ ، معرباً عن دهشته ، لبعض من نسب هذا البيان إلى أكثر من واحد ومنهم جمال حماد .

والحقيقة أن الدور الذى قام به جمال حماد ليلة الثورة لم يزد عن ملازمة ، القائمقام أحمد شوقى ـ قائد الكتيبة ١٣ ـ لتأمين سلامة الضباط الأحرار ، حيث أن عبد الناصر خشى أن

يقوم أحمد شوقى بالتبليغ عن الضباط الأحرار ، لأنه كان قريباً من اللواء أحمد طلعت حكمدار العاصمة ، فأمر عبد الناصر الصاغ جمال حماد واليوزباشى جمال القاضى بملازمته وعدم تركه إلا بعد أن تتحرك القوات ، أما أحمد شوقى فقد صحبهما إلى منزله ، وكان لبقاً فلم يحاول الاختفاء عن أعينهما ، وما كان يتحرك إلا برفقتهما ...

قال لى المشير يوماً : وهو يستعيد ذكريات بداية الثورة ، قال لى عن ذلك البيان أنه كان قد كتبه وإعطاه لأخيه حسن ليحمله معه خوفاً من أن يقع له ـ أى المشير ـ ما وقع لجمال عبد الناصر حين ذهب إلى القيادة وفى جيبه أسماء أعضاء التنظيم ـ وفى الليلة السابقة على الثورة عاد إلى منزله ليرتدى الزى العسكرى ثم استرد الخطاب من أخيه حسن عامر ووضعه فى جيبه إلى أن أعطاه لأنور السادات . وقد سألته لحظتها « لماذا اخترت أنور بالذات » فأجاب ضاحكاً : « علشان أدبسه » . ويعرف أن مشوار السينما مانفعش ، ومما حكاه لى عامر عن أحداث هذا اليوم ، ان جمال عبد الناصر كان يرقب عملية اقتحام مبنى الرئاسة وهو على رصيف الكلية الحربية ، وهو فى ثياب مدنية ، وكان قد تم الاتفاق على ذلك بينه وبين عبد الحكيم ، حتى إذا فشل الهجوم وقبض عليهم فإن عبد الناصر يستطيع مواصلة الثورة .

لوحة تذكارية عليها اسماء خريجى الفرقة التاسعة عام ١٩٤٨ ، ويرى فيها زملاء الدفعة الواحدة : جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر .

الفصل الثالث

شهر عسل ...
ثم سنوات بلا عسل

بعد عودتنا من كنج مريوط على النحو الذى ذكرته سابقا ، اتضح لى انه من المستحيل ان يكتمل شهر العسل ، فقد انتهى بنهاية الأيام الثلاثة الأولى .

أما ما أعقب ذلك من أيام ، وشهور وسنوات ، فقد حفلت كلها باحداث ومفاجآت، كنت اراها بعين الزوجة ، اقدارا كاسحة ، تحول بينى وبين اللقاء ، والنجوى والتسامر مع عبد الحكيم عامر ، وفى الأوقات القليلة التى تتاح لنا فيها خلوة ، كان كل منا يعبر عن حبه للآخر وتعلقه به ، وكانت هذه اللحظات القليلة ، هى كل ما سمحت لنا به الأقدار ، فلم تكن سعادتنا بضخامة حكايتنا ، ولم تكن بضخامة ما أشيع وروى عنى وعن عبد الحكيم عامر فيما بعد .

والحق لم يكن ثمة مفر من وحدتى ، فالرجل الذى تزوجته كان يعطى كل وقته لمسئوليات منصبه ، وكنت كأى مواطنة أعرف أخباره ، وانباءه من الصحف، والإذاعة، والتليفزيون ، فأعرف انه اليوم فى اليمن ، أو فى السويس ، أو فى موسكو ، أو فى الجزائر..

كانت مسئولياته كثيرة ، فإلى جانب مهامه السياسية كنائب أول رئيس الجمهورية ، ومهامه العسكرية كقائد للجيش ، كان عليه متابعة كثير من المشاريع المدنية .

لم أكن أتصور قبل الزواج ، وأنا فى غمار الآمال والأحلام واضواء الفن لم أكن أتصور وقتها ان الانسان ـ أى انسان ـ يمكن أن يكون مشغولا بدرجة تجعله لا يجد وقتا يرى فيه من يحب !! ..

وكنت أشكو له احساسى بالوحدة ، ورغبتى فى قضاء وقت أطول معه ، فكان يرد علىَّ بقوله : « أنا لا أملك نفسى .. أنا ملك للثورة والناس والمسئولية » .



مع نهرو ... كان بزوغ دول عدم الانحياز مخففا لضغط الدول الكبرى على دول العالم الثالث .

كان مثل هذا القول يؤثر فى تأثيرا عميقا ، ويولد فى نفسى اعجابا به ، يضاهى شوقى إليه .

والحق ان المشير كانت به صفات أحببتها ، منها انهماكه الشديد المخلص فى سبيل المبادىء التى يؤمن بها ، وتلقائيته مع من يعرفهم ويثق بهم ، كما انه كزوج كان عطوفا لين الجانب ، وانى لا عجب كيف كان يمكن لاشاعات الحشيش والمجون ، والغراميات ان تنتشر عن رجل لا يجد وقتا لراحة بدنه .

وقد مر العام الأول من زواجى ـ سنة ١٩٦٣ ـ وأنا لا أجد ما أفعله سوى ممارسة الرياضة فى حديقة المنزل .

والحق انى كنت قد بدأت أخاف على رشاقتى وقوامى ، فأنا أعيش فى راحة ، ولا أبذل جهدا كما تفعل كل زوجة فى بيتها ، فحاجاتى كلها مقضية ، ولم أكن أخرج الا نادرا ـ فلا أزور ولا يزورنى أحد ـ وكان خروجى الوحيد إما لذهابى إلى السينما ، بصحبة « متولى » وكثيرا ما كان يأتى أحد من حرس المشير إلى داخل السينما أثناء العرض يهمس « الدكتور وصل » فاضطر الى مغادرة القاعة والعودة إلى البيت ، وإن لم أذهب إلى السينما فإنى كنت أتجول حول البيت بالعربة مع متولى أيضا أو على شفيق .

ومر عام ١٩٦٣ ، ومع بداية سنة ١٩٦٤ حدث تغيير فى حياتى .. الحمل .

وعندما عرف عامر ، كانت فرحته لا توصف ، فأخذ يتكلم كثيرا عن الولد المنتظر .. وماذا نسميه ؟ .. كما يحدث عادة بين الأزواج .

ويبدو أن القدر أبى لهذه الفرحة أن تتم ، فاجهضها واجهض معها الجنين ... ولذلك قصة .

فى أحدى زيارات صلاح نصر ، قال لى مازحا : « ايوه يا ست حملت .. وبكدة اترستقتى » .

أحسست بالإهانة ، وبجرح فى كبريائى ، وكأننى امرأة تافهة لا تستطيع ان تضمن زوجها إلا بالإنجاب .

قلت له :ـ

ـ عامر عنده سبعة أولاد .. ولم يمنعه هذا من الزواج مرة أخرى .

وكانت هذه العبارة سببا فى زوال البهجة من نفسى ، وحل محلها الكدر والضيق ، وقد لاحظ عامر ما اعترانى من تغيير ، فكان يسألنى « ماذا بك» فأجيب : « متعبة » .

انتهت السهرة ، وقبل انصرافهما ، قال لى عامر : « خللى بالك من صحتك .. ولا تجهدى نفسك » .

ونظرت الى صلاح وأنا أقول : « ان شاء الله » .

ولم أنم ليلتها .. كيف فسّرت علاقتنا على هذا النحو ، بعدما ضحيت بالنجومية والشهرة لأعيش فى منزل متواضع من حجرتين وصالة ، ورضيت ان أقبع هنا فى انتظار زوج لا أعرف متى يجىء ... ومتى يسعدنى حظى ببقائه معى ليلة أو ليلتين فى الأسبوع ، كان يعطينى مائتى جنيه فى الشهر كمصاريف لكل شىء : الأكل والايجار والنور ... وأحيانا عزومات الأصدقاء .

ثم لا أخرج الا بإذن ومعى حارس ... ولا أستطيع دعوة اية صديقة عندى ، لدواعى الأمن ، وكأننى فى سجن انفرادى . إذا لم أكن قد تحملت هذا من أجل حب كبير ، فلأى شىء أعيش تلك الحياة التى لا تتحملها أى زوجة عادية ، وليست نجمة سينمائية .

قد تكون حياة الوحدة سبباً فى تزايد الغضب بداخلى ، واعطائى وقت فراغ أجتر فيه بداخلى حديث صلاح نصر ، مع ما صاحب ذلك من توتر واستثارة . وكان طبيعياً فى تلك الحالة ألا أحظى بنوم مريح ، وأن أصحوا من نومى بجسد مرهق وأعصاب متوترة .

ويبدو أن القدر كان ينسج حكاية لم أنتبه إليها ، فقد واصل نسجها حتى أتمها فى الصباح .. فما كدت أغادر غرفة نومى ، وأتقدم من السلم وأشرع فى الهبوط ، حتى وجدتنى أسقط على السلم وأنـا أصرخ ، وكانت لحظات أعانـى فيها آلاماً قاسية ثم غبت عن الوعى ، وأفقت على وجود طبيبة بجانبى . قالت وهى تربت على خدى : « حمدا لله على السلامة .. يا خسارة .. كان ولد » وقد عرفت إنى أجهضت الجنين ، وراحت الطبيبة تواسينى وتوصينى بعدم الحزن .. أو الانفعال وأن أهتم بصحتى .



أول رئيس جمهورية لمصر ... محمد نجيب يحمل ابنة المشير عبد الحكيم « نوال » فى احدى زياراته لمنزل المشير .

ثم جاء عبد الحكيم ولاحظ أنى فى حالة اعياء ولا استطيع الوقوف ، فأحاطنى بيديه ، وهو يردد : سلامتك .. شدى حيلك .

ومر يومان على هذه الحادثة تمالكت فيهما بعض قواى ، والحق أن آلام البدن بدأت تفارقنى ، ولكن الغضب من تلميحات صلاح نصر لم يفارقنى وصح عزمى على ابلاغ المشير بما قاله صلاح .. فانتهزت لحظة كان فيها جالساً إلى جانبى ـ وكنا وحدنا ـ فقلت له فجأة :

ـ هل جريمتى اننى أحببت مشيرا ؟!!

ـ بلاش فلسفة وخشى فى الموضوع ..

ـ انت تستمع لكل الناس بصدر رحب ، فاتركنى اعبّر عن مشاعرى بطريقتى .

قال بشكل رسمى : ـ اتفضلى ..

ـ بصراحة ، هل أنا كسبت ماديا أو اجتماعيا بزواجى منك ؟ ام خسرت ؟

ـ قال بشدة : منذ متى تحسبين علاقتنا بحساب المكسب والخسارة . ومنذ متى يحسب الأخذ والعطاء بين زوجين ؟

ـ قلت : ارجوك أنا اتساءل فقط ، وليس معنى ذلك أن هذا هو تفكيرى .

ـ قال : أنا لا أحب الألفاظ ولا الديباجات ، تكلمى بصراحة ، فلست بحاجة إلى مقدمات .. فأنا اعرفك جيدا .. اجيبى بسرعة ماذا حدث ؟!

اخبرته بما قاله لى صلاح نصر ، فلم يصدق وقال : « هوه قالك كده »؟!

ـ أنا لا أكذب .

أمسك التليفون على الفور وكلم صلاح الذى قال له ضاحكا : معقول تاخد الموضوع بالشكل الجاد ده ؟

واعطانى عامر السماعة ، وسمعت صوت صلاح نصر يقول : لم أتصور ان هذه الكلمة تفعل فيك كل هذا .. أنا كنت باهزر !!

تركت هذه الحادثة أثرا عميقا وغائرا فى نفسى ، فقد شعرت وكأننى فى بلاط ملكى ، ولا خبرة لى فى التعامل مع رجال السياسة والحكم .. ولكننى تعلمت ان تكون كل تصرفاتى بحساب ، وكل كلماتى بحذر ، ونسيت البساطة التى كنت اتعامل بها طوال حياتى ، وأحسست فجأة اننى كبرت اعواما ، ولكن معاملة عامر الكريمة وحنانه وحبه ، كل ذلك احتوى مشاعرى واقبلت مرة أخرى على الحياة بأحاسيس أكثر قوة ونضجا .

عبد الحكيم يلقى خطابا فى حلب بسوريا ونرى خلفه جمال عبد الناصر وشكرى القوتلى ، واكرم الحورانى .

من عالم الفن إلى عالم السياسة

عادت المياه إلى مجاريها بينى وبين عامر بعد حادثة الإجهاض، ولكن أنا لم أعد ابدا كما كنت .

أصبحت أعيش فى مناخ كله سياسة ، وقلبى معلق برجل يعمل فى السياسة وبدأ عقلى يتنبه إلى ما يجرى من حولى ، وما يدور من أحاديث بين عامر وزواره من رجال الدولة .

وفى تلك الليلة التى قال فيها صلاح نصر ملاحظته التى اغضبتنى ، تذكرت سؤال صلاح للمشير « ألا زلت غاضبا من صاحبك » ودار بينهما كلام عن خصام وخلاف بين المشير و « صاحبك » .

وتذكرت ان مثل هذا الحوار ، كان يتردد كثيرا فى مجالسنا عندما يأتينا زائر مثل صلاح ، أو أنور السادات ، أو عباس رضوان ، أو عصام خليل وغيرهم « الراجل عايز...» « الرجل مش عايز » « صاحبك زعلان من كذا » . «وهو لا يرضى عن كذا».

وكان « الراجل » أو « صاحبك » اشارة إلى جمال عبد الناصر ـ كما فهمت بعد ذلك ـ وترسخ فى ذهنى احساس بأن هناك خلافاً دائماً بين عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر .

وإذا كان هذا الشعور قد تأكد عندى ، فإن شعورا آخر يناقضه كان مؤكدا بدوره ، وهو الصداقة بينهما ..

وكان طبيعيا ان يدفعنى الفضول ـ والخبرة الجديدة ـ إلى محاولة معرفة اسرار الخلاف بينهما بسؤال المشير عن ذلك .

وكان بطبعه كتوما حذرا ، ولذا لم أكن أفلح فى استخلاص سر منه إلا بعد ان يكون قد فقد أهميته بمرور الوقت ، مثال ذلك خلافهما عام ٥٦ ، وخلافهما عام ٦١ ، وكذلك عام ٦٣ ، ثم عام ٦٧ .

انه تاريخ حافل بالخلافات ، وقد استبدت بى الدهشة لاكتشافى هذه الحقيقة ، فالصورة التى كانت راسخة فى ذهنى ان بين الرئيس والمشير ، روابط قوية من الصداقة ، والاخوة ، والتفاهم ، حتى ان كل منهما اطلق اسم صاحبه على ابن من ابنائه .

كان ثمة خلاف بين الرجلين ، وقد صرفت اهتمامى لمعرفة أسباب هذا الخلاف ، الذى يتردد صداه تلميحا آنا ، وصراحة آنا آخر ، بين جدران منزلى .

فمثلا عرفت ان المشير كان يعارض جمال عبد الناصر ، فى تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى ، فى سوريا بعد الوحدة ، والاستيلاء على ملكيات الملاك الذين ينتمون لأحزاب سياسية ، وابناؤهم يتولون مناصب قيادية فى الجيش السورى ، كما انه عارض قرارات التأميم التى أدت إلى تأميم « الشركة الخماسية » بسوريا ، وهى احدى الشركات الكبرى التى تضم أكبر الاقتصاديين الذين يسيطرون على النشاط الاقتصادى هناك ، وقد كانت هذه الشركة صاحبة دور كبير فى الانفصال كما عارض تأميم البنوك التى يعتمد عليها رجال الأعمال والتجارة ، مما أكد بعد نظر عبد الحكيم عامر .

ان عدم فهم طبيعة الحياة الاقتصادية فى سوريا ، كان أحد الأسباب القوية لهذا الانفصال ، الذى بدا غريبا لكثيرين بعد التحالف بين مصر وسوريا ، ذلك لأن عماد الاقتصاد السورى يقوم على التجارة وليس الزراعة فجاءت قرارات التأميم لتشل هذا النشاط التجارى .

بالطبع تبع ذلك قيام حكم بوليسى فى سوريا على غرار الحكم القائم فى مصر ، ولم يكن عبد الحكيم راضيا عن ذلك كله .

وقد أرسل عامر رسالة مع صلاح نصر ـ قبل الانصراف ـ حذر فيها جمال عبد الناصر ، موضحا حرج الموقف فى سوريا ، وطلب منه فيها سحب السراج فورا ، والذى كان هو الحاكم الحقيقى لسوريا آن ذاك ، وتفويض المشير لاتخاذ الإجراءات لمنع الانفصال ، ولم يصل الرد حتى وقع الانفصال .

وكان من الأمور التى حزت فى نفس المشير عبد الحكيم عامر آنذاك ، هو إذاعة خبر تحرك طائرته من سوريا إلى مصر ، وهذا خبر كان من الممكن ان يعرضه للموت من المدفعية الاسرائيلية المضادة للطائرات .

وعندما هبطت به الطائرة فى مطار القاهرة ، لم يجد فى انتظاره صديق عمره وشريك كفاحه جمال عبد الناصر !! .. وانما وجد كمال الدين حسين ، ولم يكتم عبد الحكيم مشاعره فقال لكمال الدين ساخرا : « هوه الريس كان متوقع عدم وصولى ؟!! » .

وفى عام ٦٢ كنت الحظ عندما نلتقى ، انه يعانى من قلق غامض ويبدو دائما صامتا مشغول البال ، ولم أسأله فى تلك الفترة عما يقلقه ، .. ولم أتمكن من معرفة السبب الا بعد الزواج ، ومرور حوالى عامين على حالة القلق والشرود اللذين كنت الحظهما عليه أثناء خطبتنا .

كان ذلك الشرود والقلق اللذين كنت الحظهما عليه أثناء خطوبتنا بسبب ما يسمونه « بأزمة مجلس الرئاسة » وتلك واقعة أخرى تشير إلى الخلاف بين الرجلين « عامر وناصر » إذ يبدو ان جمال أراد ان يقلّص نفوذ المشير فى تلك الفترة ، وان يسحب منه كثيرا من اختصاصاته ، فألف مجلسا للرئاسة !!

وفوجىء عبد الحكيم فى أحد اجتماعات المجلس ، بأن جدول الأعمال يتضمن « النظر فى تخصصات قائد القوات المسلحة ، واقتراح آخر بأن يكون لمجلس الرئاسة الحق فى نظر الترقيات ، وتعيين قادة الكتائب ، وابعاد العناصر التى يرى انها غير صالحة للجيش ، إما بعزلهم ، أو تعيينهم ملحقين بسفاراتنا فى الخارج !!

ولم يكن عبد الناصر يرأس هذا الاجتماع ، فقد اعتذر عن رئاسته بحجة « الوعكة الصحية » وترك رئاسة الجلسة لعبد اللطيف بغدادى .

وقد أراد المشير تأجيل مناقشة هذه المقترحات إلى حين التشاور مع عبد الناصر ، خاصة ان الرئيس السابق محمد نجيب كان قد طلب هذه الصلاحيات لنفسه ، ورفض جمال بحجة ان هذا يحوله إلى ديكتاتور ، ويخلق شللا وتفرقة بين أفراد الجيش ، وها هو ذا يحلل لنفسه ما سبق وحرمه على محمد نجيب .

ولكن عبد اللطيف بغدادى ، أصر على مناقشة جدول الأعمال دون ارجاء ، وايده بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق .

وعندما ارادوا أخذ الأصوات ، اعترض عبد الحكيم ، موضحا ان هذا معناه ان يصبح لكل عضو انصار فى الجيش يكون ولاؤهم لهذا العضو ، فيصبح الجيش فرقا مختلفة ، وليس لهم ولاء واحد لقائد واحد .

ورغم ذلك فقد اصروا على أخذ الأصوات ، وكان المؤيدون للاقتراح هم : بغدادى ، أنور السادات ، زكريا محيى الدين ، حسين الشافعى ، على صبرى ، ونور الدين طراف.

والمعارضون هم : كمال الدين حسين ، كمال رفعت ، حسن إبراهيم ، والشرباصى .

ولما وجد عبد الحكيم ان معه أقلية بعضو واحد ، غضب وترك المجلس بعد أن أعلنهم بالاستقالة من مجلس الرياسة ، والجيش .

وإلى القارىء نص الاستقالة التى قدمها عبد الحكيم عامر سنة ١٩٦٢ :ـ

عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر ،،،

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أرى من الواجب ، وأيضا من الوفاء ، أن أكتب لك معبرا عن رأى مخلص رغم الأحداث الأخيرة ، فبعد عشر سنوات من الثورة ، وبعد أكثر من عشرين عاما من الصلة بينى وبينك ، لا يمكننى ان اعتزل واترك الحياة العامة دون أن أبوح لك بما فى نفسى كعادتى دائما . اننى اعتقد ان الانسجام والتفاهم بين المجموعة التى تشارك فى الحكم أمر ضرورى ، وأوجب من ذلك الثقة المتبادلة بين أفراد هذه المجموعة ، وقد وجدت فى الفترة الأخيرة أن الأسلوب الغالب هو المناورات السياسية ، ونوع من التكتيك ، فضلا عن ما لا أعلمه من أساليب الدس السياسى ، الذى قد أكون مخطئا فى تصوره ، رغم أن الحوادث كلها ، والمنطق يدل على ذلك ، والنتيجة التى وصلنا اليها اليوم خير دليل على هذاالتصور ، فقد استطاع هذا الأسلوب ان يتغلب على ما كنت أظنه مستحيلا ، وهو تحطيم صداقتنا ، وما نجم عن ذلك من أحداث لا داعى لذكرها ، فكلها لا تتفق مع المصلحة العامة فى شىء ، المهم فى هذا الموضوع اننى لا استطيع بأى حال من الأحوال أن أجارى هذا الأسلوب السياسى ، لأننى لو فعلت ذلك لتنازلت عن أخلاقى ، وأنا غير مستعد لذلك ، بعدما انقضى نصف عمرى ، الذى أريد أن أحدثك عنه بخصوص نظام الحكم فى المستقبل ، فإننى اعتقد ان التنظيم السياسى القادم ، كى يكون مثمرا أو ناجحا يجب ان يبنى على الانتخابات من القاعدة إلى القمة ، بما فى ذلك اللجنة العليا للاتحاد ، وبما فى ذلك اللجنة التنفيذية العليا ، وإن أتت اللجنة العليا بدون انتخابات حقيقية فسيكون ذلك نقطة ضعف فى التنظيم الديموقراطى للاتحاد ، وان ما يجب ان نسعى اليه هو تدعيم الروح الديموقراطية بعد عشر سنوات من الثورة ، والتى لا أتصور بعد كل هذه الفترة ،

وبعد ان صفى الاقطاع ، ورأس المال المستغل ، ومنحتك الجماهير ثقتها دون تحفظ ، ان يكون هناك ما تخشاه من ممارسة الديموقراطية ، بالروح التى كتب بها الميثاق .

وخصوصا ان الملكيات الفردية الباقية ، والقطاع الخاص ، لا يشكلان أى خطر على نظام الدولة ، كما انه ليس هناك ما يمنع اطلاقا انسجام هذه القطاعات مع النظام الاشتراكى .

كذلك الأمر بالنسبة إلى الصحافة ، فيجب ان يكون هناك ضمانات تمكن الناس من كتابة تراثهم وكذلك يتمكن رؤساء التحرير ، والمحررون من الكتابة دون خوف أو تحفظ .

وقد تكون هذه الضمانات عن طريق اللجنة التنفيذية العليا ، أو نظام آخر يكفل عدم الخوف من الكتابة ، وتوهم الكاتب أنه سيطارد أو يقطع رزقه ، وخصوصا ان الآراء التى ستعالج لن تخرج عن مشاكل الناس ، والمسائل التنفيذية ، وبعض المناقشات فى التطبيق الاشتراكى ، وفى هذا فائدة كبيرة لأنه سيعبر عن الآراء التى تدور فى خلد بعض المواطنين .

دعنى وأنا أودعك ان احدثك أيضا عن الحكومة ورأيى فيها ، قبل كل شىء ، لا يمكن ان تسير أى حكومة فى طريقها الطبيعى ، نحو الحكم السليم ، إذا كان الحكم فى حد ذاته ممسوخا ومشوها ، فيجب أولا ان نستفيد بتجارب العالم ، وحكوماته التى عاشت مئات السنين مستقرة ، منتظمة ، دون حاجة للتغييرات الشاملة كل فترة قصيرة من الزمن ، وفى رأيى ان النظام الطبيعى للحكم يكون كالآتى :

اما حكومة رئاسية ويرأس الوزارة فيها رئيس الجمهورية ، ويكون مسئولا أمام البرلمان مسئولية جماعية مع وزرائه ، وبدون الدخول فى التفاصيل يمكن ان يكون هناك نائب للرئيس .

أما حكومة برلمانية ، يرأسها رئيس الجمهورية ، ويكون رئيس الاتحاد الاشتراكى هو رئيس الوزراء .

ولا أريد ان أدخل فى التفاصيل ، لكى تكون أيضا مسئولية الوزارة جماعية أمام البرلمان ، كما ورد فى الميثاق .

على كل، أى من هذه الحلول موجود فى النظام ، أو على الأصح على رأسه ضرورةوطنية .

أنا لا أقول ذلك مجاملة ، فهناك كثيرون مستعدون للمجاملة ، أو الموافقة على رأيكم بمجرد إبدائه ، ولكن اعتقد ان أى تصرف غير ذلك ، سيكون بداية لنهاية لا يمكن معرفة مداها .

ودعنى أيضا قبل ان اودعك ، أن أقول لك ان اختلاطك الشخصى بالناس ضرورى، فإنه يعطى الثقة المتبادلة ، ويعطى احساسات متبادلة ، ويعطى أيضا أفكار متبادلة ، وهذا هو الطريق الطبيعى للارتباط بأفراد شعبنا قيادات المستقبل .

اما انعزالك التام فإنه سيجعل صور الناس عندك أسطرا على ورق ، أو أسماء مجردة، لا معنى لها ، وهذا فى رأيى لا يمثل الواقع ، فالعقل والعاطفة من مكونات الإنسان ، ولا تستطيع ان تفصل بينهما كلمة ، لكن يجب الجمع بينهما فى الطريق الصحيح ، وهذا لا يكون الا بالاتصال الشخصى ، وهذا أيضا هو الطريق الوحيد لإظهار شخصيات للقيادة تعتز برأيها دون خوف ، ولكنها فى الوقت نفسه تثق بقيادتها وتحترمها ، وهذا النوع من الناس أنت فى حاجة اليه ، بل وطننا كله محتاج اليه . نوع جديد لم يتمكن منه حب المنصب ليسكت عن الخطأ ، ولم تأخذ الأضواء نور بصره فيضحى بكل القيم ليعيش فى هذهالأضواء .

وأنا أودعك أيضا أرجو من الله ان لا يحدث منى ومنك ما يجعل ضميرينا يندمان على الأقدام عليه ، ويجعلنا صغارا فى أعين أنفسنا ، ويكفى فى رأيى ما حققه أهل السوء إلى الآن ، فقد نجحوا فيما تمنوا وفيما كانوا يعتبرونه مستحيلا .

لا أريد ان أطيل عليك ، ولكنى ابديت آرائى لك فيما اعتقد انه المصلحة العامة ، وليكن فراقنا بالمعروف ، كما كانت عشرتنا بالمعروف ، والله اسأل ان تتم حياتنا بشرف وكرامة ، كما بدأناها بشرف وكرامة .. ورغم كل شىء ... ورغم كل ما أعلم .. فإنى ادعو الله من قلبى بالتوفيق وأتمنى لك الخير ..

وأدعو ربى أن يوفقك فى خدمة هذه الأمة ولخيرها والسلام .

القاهرة ١ / ١٢ / ١٩٦٢ — عبد الحكيم عامر

« الستة الكرام »

من العبارات التى كانت مألوفة لأذنى ، وتقال مصحوبة بالضحكات ، والتعليقات هى عبارة « السّتة الكرام » ، وعندما سألته ذات مرة عن معنى هذه العبارة قال لى :

« انهم الستة الذين قدمت لهم استقالتى ـ أعضاء مجلس الرئاسة ـ الذى شكله جمال عبد الناصر ، ليضحك به عليهم ويتولى هو كل الاختصاصات .

ولكن جمال استدعانى ، وتقابلنا فى « برج العرب » وهناك شرحت له وجهة نظرى فى نظام الحكم وقلت له طلبات تخص الناس .. وانهم لازم يحسوا بالأمان ولازم يكون فيه نظام حكم يحترمه الشرق والغرب ، ويتناسب مع طبيعة شعبنا وأخلاقه ، وفعلا وعدنى بالدراسة ، وشكل لجنة من كبار مثقفى مصر فى معظم العلوم ، وبدأت مناقشات حرة ، وعلى ضوئها صدر الميثاق وقد اشتركت فى تعريف جناحى الحرية .. « مش بس الحرية الاجتماعية هية المهمة ، وانما لازم الحرية السياسية أيضا ، هما جناحا الحرية » .

والستة الكرام هم الستة الذين كانوا ضدى عند التصويت على المقترحات التى وضعها عبد الناصر ، وأصر بغدادى على مناقشتها .

ولكن هل انتهت الخلافات بين عامر وناصر بنهاية هذه الأزمة ؟

ان الذى اتضح لى من خلال معاشرتى لعامر ، ومن خلال الأحاديث التى كان يتبادلها مع زواره فى بيتى ، بل ومن خلال ثرثرة بعض رجال عامر عند تواجدهم عندنا ، أن الخلاف بين المشير والرئيس ، كان خطا رئيسيا فى هيكل العلاقة بينهما .

فقد كان بينهما من خلاف ، بقدر ما كان بينهما من تعاون واتفاق ، وقد يسأل سائل كيف اتفقا ، وعلام اختلفا ؟.

ولأنّ الوفاق كان علانية ، والخلاف كان سرا ، فإن كيفية اتفاقهما كانت واضحة لكل الناس ، فهما اللذان قاما بالثورة معا ، وهما اللذان طردا الملك معا ، وهما اللذان توليا أعلى منصبين فى البلاد : الرئيس ونائبه .

لقد اتفقا فى حب مصر وضرورة القضاء على الفساد ، وضرورة اجلاء المستعمر ، كما واجها الموت معا فى ميادين القتال ، وواجها خطر السجن والإعدام معا وهما يكونان تنظيم الضباط الأحرار .

اما الخلاف بينهما ، فقد اتضح عند التطبيق .. وظهر ان لكل منهما فلسفته ووجهة نظره المختلفة عن الآخر فى التعامل مع الأحداث الكبيرة التى مرت بها مصر منذ قيام الثورة .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، فمنها ما وقع وأنا زوجة المشير ، ومنها ما وقع قبل ذلك ، ولكنى عرفته من خلال الأحاديث اليومية التى تدور فى بيتى .

وكان أول خلاف نشأ بينهما قد وقع ـ قبل الثورة ـ بسبب حسين سرى عامر ـ حين حاول قتله جمال عبد الناصر فاطلق عليه الرصاص امام منزله ونجا من الموت ، فقد كان يتعقب الضباط الأحرار ويجمع المعلومات عنهم ، وكان قد اقترح عبد الناصر قتل حسين سرى وعارضه عبد الحكيم وقال له : ليس حسين سرى عدونا .. انما العدو هو النظام نفسه فلو قتلناه فإن الملك سيأتى بغيره ، كما انه لا ينبغى ان نقتل ونلوث ايدينا بالدماء .

وقد وافقه جمال عبد الناصر على ذلك قائلا : « معك حق » . ثم قام بمحاولة قتله ولكن العيار لم يصبه ، وهرب جمال .

وعندما التقيا ـ ناصر وعامر ـ بعد ذلك عاتبه عبد الحكيم وسأله « ماذا فعلت ـ هل اطلقت عليه النار فعلا » فأجاب عبد الناصر « نعم » .. لكنه لم يمت ، وقال له المشير « الا تدرك ان هذا كان من الممكن ان يعرضنا للخطر ؟ .. فلو انه قبض عليك لاكتشفوا التنظيم كله .. وودينا كل الأولاد فى داهية !!

خلافات بعد الثورة

هذه الصورة السابقة تعطينا فكرة عن نوع الخلاف الذى كان ينمو بينهما ، والذى كان يطل عليهما فى كل حادثة كبرى من الأحداث التى مرت بها مصر ..

فمثلا فيما يتعلق بتأميم قناة السويس ، كان عبد الناصر قد اتخذ القرار دون استشارة أحد ، وفاجأ به عبد الحكيم عامر فى القطار وهما فى الطريق إلى الاسكندرية ، وكان رد المشير : « كيف أكون أنا قائد الجيش ، وتتخذ هذا القرار الخطير دون ان تبلغنى ، لتعرف إذا كان الجيش بامكانياته الحالية قادرا على تنفيذ هذا القرار أم لا » !!

ولما ناقش عامر احتمال نشوب حرب ، وتدخل الدول الكبرى مع اسرائيل ، كان رأى جمال أن فرنسا مشغولة بالجزائر ، وان اسرائيل ما زالت تحبو ، وخففت من غاراتها علينا، ولا يعقل ان تقوى على الوصول إلى قناة السويس .

وحاول عامر فى الاسكندرية إثناء جمال عن اعلان قرار التأميم .. وأذكر انى سمعت من عبد الحكيم كلاما مفاده ان القرار لم يكن له داع ، وان ما يسعى اليه الآن آت فى خلال عام بانتهاء مدة عقد الامتياز ، وان هذا الهدف لا يستحق التضحية الجسيمة بتعريض البلاد لاحتمالات الحرب فى ظروف كان الجيش يعانى فيها نقصا فى الأسلحة والذخائر ، وجهلا بما فى يده من أسلحة جديدة ـ تشيكوسلوفاكية بديلة عن الأسلحة الغربية التى تمرس عليها .

وبعد اعلان القرار بأيام جاءت التقارير لتؤكد نية الدول الثلاث على الحرب .

فقد أرسل ثروت عكاشة ـ وكان يعمل فى سفارتنا بباريس ـ تفاصيل خطة العدوان ، كما استطاع ان يحصل على معلومات عن المؤامرة .

وأيضا ملحقنا العسكرى فى تركيا ارسل فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ يبلغنا ان انجلترا وفرنسا واسرائيل ، سوف يقومون بالعدوان على مصر ، وأنه استطاع ان يحصل على هذه التفاصيل من عميل مزدوج فى تركيا .

ورغم ذلك لم يقتنع عبد الناصر ، وقال إن حساباتى تقول إن هذه الدول الكبرى لا يمكن أن ترتكب هذه الغلطة الكبيرة .

والواقع ان الخبراء السوفييت لم يكونوا قد وصلوا إلى القاهرة ، وكان الجيش قد غيّر من وقت قريب سلاحه من سلاح غربى ، إلى سلاح شرقى ، ولم يصل الخبراء لتدريب الجيش الا فى أواخر سنة ١٩٥٨ .

لذا عندما وقع العدوان الثلاثى ، لم تكن ظروف الجيش مناسبة من حيث التسليح والتدريب ، لمواجهة هذا العدوان .

ويوم العدوان كان ناصر حاضرا ادارة المعركة ومعه أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكل واحد منهم يدلى برأى مختلف .

كان عامر منصرفا بذهنه كله إلى المعركة ، دون ان يلقى بالاً إلى الآراء التى تتخبط من حوله ، وهذا ما جعله يستنتج اشتراك قوات انجليزية وفرنسية مع قوة الطيران الاسرائيلى ، لأن اعداد الطائرات كانت أكثر بكثير من قوة الطيران الإسرائيلى، وعلى هذا اقترح عامر على جمال سحب القوات من سيناء ، لأن ما يحدث هو كماشة لوضع الجيش المصرى فى مصيدة ، واعترض على هذا القرار من الموجودين ، عبد الناصر ، والبغدادى ، وزكريا محيى الدين .

وأصر عامر على الانسحاب خوفا من هلاك الجيش ، وحينما أصروا على رفض الانسحاب ثار عامر فى وجه عبد الناصر وطلب عامر تنحيته عن المعركة ليقودها ناصر بنفسه ، ولكن عبد الناصر تراجع ووافق على الانسحاب ، وكان الانسحاب منظما وتم الحفاظ على معظم قوة الجيش .

وكان هذا أول خلاف بينهما بعد الثورة ، اثر فى علاقتهما ، وجعل بينهما حساسية دائمة ، حتى ان جمال كان لا يفتأ فيما تلى ذلك من سنوات يعاتبه بين الحين والحين بقوله : « لا استطيع ان أنسى انك ثرت فى وجهى وخاطبتنى بصورة غير حسنة أمام بغدادى وزكريا !! » .

كان جمال قد طلب من المشير طرد صدقى محمود من الطيران ، واجراء تحقيق مع القادة لتهدئة الشعب مما اصابه نتيجة الغزو ، والغارات المكثفة داخل القطر المصرى ، ولكن عامر رد عليه بقوله :ـ



جمال عبد الحكيم عامر وبجانبه خالد عبد الناصر ، ومنى عبد الناصر ترافقهم حرم الرئيس جمال عبد الناصر ،يشاهدون أحد المعارض ... فى ١٢/ ٣/ ١٩٥٩.

« مين اللى يتحاكم ؟ .. صدقى محمود علشان ماقدرش يحارب فرنسا وانجلترا واسرائيـل ، بجزء من سلاح لم تصل بقيته بعد ؟!! واللا صدقى هوه اللى أمم القناة ؟ .. اللى يتحاسب هو الذى قدر الموقف تقدير خطأ » ..

رفض عامر ان يكون صدقى هو كبش الفداء وانصرف غاضبا ، ولأن جمال كان يعرف ان عامر لن يتصل به ، لما يعرف من عناده ، فقد اتصل بصلاح نصر وطلب منه التدخل .

ولكن صلاح نصر قال لجمال : ان عامر طيب القلب ، ولو انك اتصلت به فستنتهى الأزمة ، وبالفعل طلب ناصر عبد الحكيم ، وطلب منه ان يظل موضوع الاستقالة سرا بينهما الى ان يلتقيا ويناقشا الأمر ، ثم دعاه إلى مقابلته ، فوافق عامر وذهب إليه ، وهناك رفض ناصر استقالة عامر ، وتم الصلح بينهما ..

قصر البرملى

بعد حادثة « الاجهاض » بأسابيع ، فاجأنى المشير بالحضور إلى المنزل ومعه متولى ، وقال لى : « اعدى حقيبتك لأننا سنسافر إلى الإسكندرية ..

كانت كلمة « الإسكندرية » هى كلمة السر ، التى تفتح أبواب السعادة ، فى نفسى ، فما كدت اسمعها حتى قفز قلبى من الفرح ، واسرعت لاعداد الحقيبة والملابس ، وكل ما يلزم للرحلة .

وفى العربة جلست بجانبه ، وكان هو يتولى القيادة ، وانطلقنا فى الطريق الصحراوى ، ومتولى خلفنا فى عربة أخرى ، لحظات فى حياة الانسان لا ينساها !! كانت هذه اللحظة واحدة من تلك اللحظات ، لقد بدا لى كل شىء جميلا ، الصحراء الممتدة أمام البصر ، والرمال الغارقة فى ضوء الغروب الذهبى ، وغناء أم كلثوم يضيف جمالا إلى جمال الصحراء .

وبين الفيّنة والفيّنة اقدم له قدحا من الشاى ، أو فنجاناً من القهوة ، أو سندوتشا ، وظللنا على هذا المنوال حتى وصلنا إلى كنج مريوط ، وفوجئت بأنه لم يعرج فى الطريق إلى كنج مريوط ، بل واصل السير فسألته : لماذا لم تنحرف إلى الفيلا ؟! أجابنى بهدوء «أصبرى» .

تبين لى أننا فى الطريق إلى « استراحة المشير » التى فى برج العرب ، وكان يطلق عليها قصر « البرملى » وهى بناء مهيب يشبه القلعة ، وكانت ملكا لرئيس المخابرات البريطانية فى شمال افريقيا . وكان يدعى « برملى » .

توقف المشير أمام الاستراحة ، فغادرنا العربة ، ودخلنا ...

كانت القاعات واسعة ، ونظامها المعمارى جميلا ، ومع ذلك فقد كان واضحا انها تفتقر إلى لمسات المرأة ، فهذا الجمال المعمارى ، كانت عليه مسحة من الصرامة ، ومع ذلك فقد كنت سعيدة وفرحة لوجودى معه .

كان فى حجرة السفرة ساعة حائط كبيرة ، وقد بدأت تدق معلنة الثانية عشرة ـ منتصف الليل ـ وفاجأنى عامر بأن اخرج علبة أنيقة ، قدمها لىّ قائلا « ولو أنها جاءت متأخرة ـ كل سنة وانتى طيبة » .

فتحت العلبة فإذا بها سوار جميل رقيق قدمها لى عامر فى ذكرى زواجنا .. وقد اثر فى نفسى ان يتذكر عامر هذه الذكرى وسط مشاغله الكبيرة ، لو انه نسى ، ولم يقدم لى شيئا لما كنت اعاتبه ، لعلمى بمدى ما هو فيه من اهتمامات ومسئوليات كثيرة .

وفى اليوم التالى أراد المشير أن يأخذنى فى رحلة إلى البلاج وكان مخصصاً له شاليه على شاطىء برج العرب ، فى مكان لا يبعد عن الاستراحة أكثر من بضع دقائق .

أخذنى عامر فى عربته ، وذهبنا بمفردنا إلى الشاليه ، الذى لم يكن قد زاره من قبل ، وقد ترك امر الاشراف عليه وتفقده من حين لآخر إلى متولى أو غيره ، بإشراف على شفيق ...

وعندما دخلت العربة إلى بداية الطريق المؤدى إلى الاستراحة ، رأينا شيخا بدويا يمسك بيده عصا غليظة طويلة ـ شومة ـ وقد أقبل علينا رافعا عصاه زاعقا فينا « ارجع يا افندى .. هنا ممنوع » ...

ويبدو ان المشير قد اعجبه الموقف ، ولأننا جئنا هنا طلبا للراحة والمتعة ، فقد وجد فى هذه البداية الظريفة ، ما يدعوه للتفكُّه ، فقال للرجل :ـ

« احنا جايين عايزين نقعد هنا شوية انا و « الست » واخرج من جيبه عشرة جنيهات قدمها للرجل قائلا : « نريد ان نجلس ولو نصف ساعة » .

ولكن البدوى دفع يد المشير بعيدا واخرج مسدسا من تحت ملابسه ثم تراجع إلى الوراء مهددا : امشوا من هنا حالا والا حا افرغ فيكم الرصاص » .

وادركنا فى هذه اللحظة « على شفيق » الذى أقبل علينا ضاحكاً ، ولما رآه البدوى قال مرحبا باهتمام « اهلا يا بيه » فقال له على شفيق : « دول ضيوفنا » حينئذ بدأ الهدوء على البدوى ، وأخذ يرحب بنا ـ أنا والمشير ـ ويدعونا للدخول .

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا الشيخ البدوى من المقربين إلى قلب المشير ، وأصبح أحد رجلين ظل يرعاهما ويرعى أسرتيهما طوال حياته ، وكان الأول هو الجندى الذى تصدى للضباط الأحرار ليلة الثورة ، وصمم على منعهم من الدخول إلى مقر القيادة ، فاضطر إلى اطلاق الرصاص عليه . وكانت هى الطلقة الوحيدة فى الثورة البيضاء .

المهم دَخلنا ، ووضعنا متاعنا ، وتأهبنا للنزول إلى الماء ، فقد كان للشاليه شاطىء خاص ، ولم ير عامر بأسا من ان البس المايوه وأجلس على البلاج .

أذكر هذا اليوم كحلم ، فقد كان ومضة نور فى حياتى المكفهرة ، المليئة بالضباب ، والأسرار ، والصراعات .

يوم سعيد ... لهونا فيه على الشاطىء ، كأننا طفلان لا تقلقهما أمور الدنيا فى شىء .

إن أكثر لحظات المرأة سعادة ، هى اللحظة التى تستأثر فيها بالرجل الذى تحبه ، وقد استأثرت به فى هذا اليوم النادر من حياتى ، سبحنا معا فى الماء ، وجرينا على الشاطىء ، بل تناولته هو شخصيا بالرعاية ، فقصصت له شعره ، وسويت له شاربه ، ومكثنا على هذه الحال حتى غابت الشمس .

وبعد ان ارتدينا ثيابنا ، عاد بى المشير إلى الاستراحة ، وقضينا هناك الليل ، وفى الصباح رأيت على شفيق ومتولى يحملان المدافع الرشاشة ، بل إن المشير نفسه أقبل على وبيده مدفع رشاش وأعطاه لى ، وهو يسألنى :ـ

ـ « تعرفى تضربى نار » . ولما أجبته بالنفى قال :ـ

ـ « تعالى أعلّمك » ...

وبدأ يعلمنى كيف استعمل المدفع الرشاش ، وكيف أصوب على الأهداف .

وبدأنا نتدرب ، وكان يشاركنا فى التدريب كل من على شفيق ، ومتولى ، ثم عقد المشير مباراة فى « التنشين » بينى وبينهما ، والمدهش انى احرزت النصر عليهما « حظ المبتدئين » ، مما دعا عبد الحكيم إلى الضحك طويلا ، ثم قدم لى جائزة الفوز « خمسة جنيهات » اخدها من على شفيق عقابا له على عدم اهتمامه بالتمرين الدائم .



فى الهند ... الرئيس الهندى جواهر لال نهرو يحتفل بصديقه عبد الحكيم عامر فى احدى زياراته للهند .

انتهت المباراة ، وجلسنا نشرب الشاى ، وفى تلك الأثناء قال لى عامر : ـ

ـ « ستذهبين مع متولى إلى كنج مريوط » أما أنا فسأنتظر لأن بعض الزائرين سيأتون ، وبعد ذلك سألحق بك فى « الكنجى » .

عبد الناصر فى ضيافتنا

وصحبنى « متولى » إلى « الكنجى » ومكثت هناك بمفردى اليوم بطوله ، وفى المساء سمعت صوت « الكلاكسات » فأسرعت فرحة إلى الحديقة للقاء المشير ، وفيما أنا أقبل مندفعة صوب العربة ، رأيت الباب يفتح ، وإذا بجمال عبد الناصر أمامى !!

توقفت على الفور فهذه أول مرة اراه فيها ـ وتطلعت اليه وقد شملنى الوجوم ، وامتلأت نفسى هيبة منه ، ونظرت إلى المشير ، فرأيت فى عينيه نظرة عطف وتشجيع ، مما ساعدنى على تمالك اعصابى ، فبدأت الترحيب به « أهلا وسهلا » اننى سعيدة بأن تزورنا ، وأن أراك بيننا » ...

ولم يزد جمال عن كلمة واحدة « إزيّك » ومضى رأسا يتجول فى الحديقة ، ووجدت نفسى أسير خلفه ، وكأننى أنا الضيف ، وهو صاحب البيت .

وفى حديقة الفيلا ، كان جمال وعامر يتمشيان هنا وهناك ، ويثرثران ، اما أنا فقد انهمكت فى اعداد المائدة ، والكراسى ، والأطباق ، وكل شىء ، وأثناء انهماكى فى ذلك ، كان يصل الىّ أحيانا صوت ضحكاتهما .

وبعد ان تم كلّ شىء ، ودعوتهما للجلوس ، فوجئت بعبد الناصر يعترض على الجلوس فى الحديقة قائلا : « نقعد جوه أحسن » .

قال ذلك ثم سار رأسا إلى الداخل ، ونحن وراءه ، وفى بهو الفيلا مشى جمال وهو يفحص محتوياتها .. وينظر حوله متفرجا على هذه اللوحة ، أو ذلك الكرسى ، ثم تخير لنفسه مقعدا ، وجلس : ..

وعدت أنا إلى إعداد المائدة من جديد ، ونقلها من الخارج إلى الداخل بعد ان نقلتها من الداخل إلى الخارج .

وكان جمال عبد الناصر يتفرج علىّ فى ذهابى وإيابى ، وكأنه يستمتع بما أنا فيه من إجهاد وحيرة ...

وقد انضم إلى الرئيس جمال فى تلك الزيارة ، كل من أنور السادات ، وعصام خليل ..

وقد لاحظت ان من طبيعة هؤلاء الرجال ، التحفظ الشديد فى وجود النساء ، وخاصة إذا كانت المرأة زوجة واحد منهم ، ورغم ذلك فقد أحسست طوال الوقت اننى تحت عينى جمال عبد الناصر .

كانت له عينان متخلغلتان ، تسبران غور من يقف أمامه .

وبعد ان اجتمع شمل الأربعة ، جمال وعامر ، والسادات وصلاح ، على المائدة للعب البوكر ، والتى كان قد جهزها على شفيق ، وقف جمال إلى ان انضمّ الآخرون ، ثم جلس وجلسوا معه ، وكأنهم فى احد الاجتماعات الرسمية ..

لم يكن البوكر بقصد المقامرة ، بل يلعبون فقط للتسلية ، وبدل النقود ، كان يعطى للجميع اقدارا متساوية من « الفيشات » ليلعبوا بها .

وبعد ان اتخذوا اماكنهم ، ظللت أنا حائرة ، لا أدرى ماذا أفعل أو أين أجلس ، وشملنى ارتباك ، فجلست على كرسى يبعد قليلا خلف المشير ، وأثناء اللعب أخذت اقترب منه قليلا قليلا حتى أصبحت بجواره مباشرة .

وبين حين وآخر ، كان عبد الناصر يلتفت ناحيتى ويشملنى بعينيه دون أن يتكلم ، كنت أشعر اننى الوحيدة فى هذه المجموعة التى يعتبرونها غريبة عنهم ، وقد رسخ عندى هذا الظن ، بطريقة لا أعرف كيف تسربت إلى نفسى .

وأثناء اللعب كانوا يثرثرون ، ويعلقون ككل الناس فى تلك اللحظة . والغريب ان جمال عبد الناصر كان ثرثارا كثير الكلام فى مثل هذه الجلسات .

ولكن ما لفت نظرى اثناء لعب « البوكر » هو الطريقة التى يلعب بها كل من جمال وعبد الحكيم ، وقد كانت من الوضوح بحيث انها أصبحت مثار تعليقات ، وتلميحات ذكية تصدر منهم .

مثال ذلك ، انى لاحظت ان المشير ـ وقد كنت أنظر فى ورقه ـ « يهرب » من عصام قائلا : « باس » ويتركه يفوز ، رغم ان الورق الذى بيده كان قويا ويستطيع به أن يكسب عصام خليل !!

ولكن هروب عامر ، لم يرحم عصام من هجوم جمال عبد الناصر ، وأنور السادات ، فظل يخسر ويخسر حتى أصبح عدد الفيشات التى أمامه قليلا جدا ، فإذا بالمشير يزيح ناحيته « كبشة » من الفيشات التى أمامه . وعندما بدرت منى دهشة لما فعل ، قال عصام ضاحكا : « أصل المشير شايف ان الفيش قرب يخلص وهوه ما يضربش ضعيف » .

وقد حدث أثناء اللعب ، ان توالت جولتان كان التصعيد فيهما بين ناصر وعامر فقط ، وكنت أرى عامر « يهرب » رغم ان بيده ورق معقول ، إلى ان جاء دور بدا فيه التصعيد بين جمال وعامر ، ورأيت الورق الذى بيد عامر ضعيفا للغاية ، ولكن لدهشتى الشديدة وجدته يصمد أمام جمال فكلما صعد جمال المبلغ زاد عليه عامر حتى جاءت لحظة كشف الورق لتحديد الرابح ، فإذا بعامر يربح !!

كان ورق عامر ضعيفاً ، ولدهشتى رأيت أن ورق جمال أضعف وانه كان « بيبلف » ، حتى ان الأخير توقف عن اللعب وراح يسأل عامر « لماذا دخلت معى هذه المرة .. بينما هربت منى فى المرتين السابقتين ... أريد أن أعرف » .

ولكن عامر لم يعطه اجابة شافية أبدا ، رغم الحاح ناصر لمعرفة السر الذى دعا عامر لقبول الرهان هذه المرة ، ومات عامر وبعده ناصر دون أن يعرف السر .

وقد أفضى لى عامر بهذا السر بعد ذلك ، قال وقد جاءت ذكرى هذه اللحظة فى الحديث « أصل جزء من خد الريس الشمال بيصْفر لما يكون « بيكذب » ، أو « بيبلف » . «فأعرف ذلك وادخل له » .

قلت له : « انتما متفاهمان » ومع ذلك فإن ما يحيرنى أنكما مختلفان تماما .. فكيف اتفق النقيضان بهذه الصورة ؟!

قال عامر : ـ ما حدش فاهم الريس .. الريس ده ثروة لمصر ولينا .. لكن ما يحبش حد يعارضه ، ولا تكون له ارادة ... إنه يريدنى قويا وطرطورا .. وهذا مستحيل ، وهو يعرف انى لن أكون طرطورا ، وكلما وقع خلاف ، اتركه يندم ، فهو يعرف انى لا أعمل ضده ، بل الحقيقة انى مسئول عن سلامته ، وأنا الذى كونت حرسه الخاص .. وما زلت مسئولا عن أمن الرئيس وأمن البلد ..

قلت : ـ ألاحظ رغم كثرة خلافاتك معه .. انك تحبه .

قال : اننى احبه وأخاف عليه .. ولا اطيق ان اراه متألما ، لقد كان مريضا ودخل المستشفى ـ فى بداية الثورة ـ فلم استطع مفارقته ، وظللت قريبا منه ، ولم تطاوعنى نفسى على تركه عندما بلغنى خبر وفاة أمى فى حادثة سيارة ، الا بعد أن رتبت نظام الحراسة بصورة تجعلنى مطمئنا ، عندها فقط عدت إلى المعسكر لأرى السائق .

ـ إلى المعسكر ؟!

ـ كان أحد المجندين ـ وتعرفين ان بيتى يقع داخل معسكر الحلمية ـ وكانت أمى فى عربة ومعها اثنتان من بناتى ...

وعندما رأت العربة قادمة عليهن ، احتضنت بناتى ، وعرضت نفسها للصدمة فانقذت حياتهما ... كانت امرأة عظيمة « يرحمها الله » .

ـ سألته : وماذا فعلت مع العسكرى المجند ؟!

قال : كان المسكين مذهولا تماما عندما وصلت إلى هناك فقد كان كل من حوله يتوعدونه بالويل والأهوال ، لأنه قتل أم القائد العام ـ وكنت قد عينت فى هذه السنة قائدا عاما كما تمنت لى دائما ـ ولذا عندما رأيته على هذه الحال ، طمأنته واعطيته اجازة لتستريح أعصابه من الصدمة ، وقلت له : هذا قضاء الله ، وحمدت الله على نجاة بناتى .

المعارضة

كان عبد الحكيم بمثابة الصديق المعارض لجمال عبد الناصر ، وكان مجلس قيادة الثورة يضم معارضين فى البداية ، فكان عبد الحكيم يجد فيهم سندا وعونا عند اتخاذ القرارات .

ولكن عدد المعارضين ظل يتناقص على الدوام ، مما سبب ضيقا شديدا لعبد الحكيم عـامر ، وحـدث ذات يوم ـ وكنا فى أواخر عام ١٩٦٥ ، أن جاء المشير والحزن بادٍ على وجهه ، وجلس متجهما صامتا لا يقول شيئا . سألته.. إن كان يريد أن يأكل .. فرفض ، وكان يرفض الطعام « كعادته » عندما يغضب أو يحزن ، ولا يتناول فى تلك الساعات سوى الشاى والقهوة مع اشعال السجائر الواحدة تلو الأخرى .

لم أجد بدا من سؤاله عما به . فقال : « لا شيء » . قلت : « ولكننى أرى وجهك حزينا » .

قال بلا مواربة : « بالضبط هذا هو ما أشعر به » .

سألته : « لماذا ؟ » .

قال والضيق ظاهر فى صوته : تصورى .. واحد من اشرف الرجال يريد أن يتركنا .. فماذا أفعل ؟ .. بهذه الصورة سأجد نفسى وحيدا بين مجموعة كلها من طراز « موافقون » فإذا بقيت أنا وحدى الذى يجادل ويعارض فسوف يكون شكلى مش ظريف .

سألته : من هذا الرجل ؟ ..

قال : كمال الدين حسين .. كلنا نعرف انه راجل دوغرى ، راجل تقى ، وطنى ليس له اطماع أو مكاسب ، صريح وجرىء ، وكنت أشعر انه سند لى فى المجلس .

وكان سبب غضب كمال الدين حسين ، الاعتراض على نظام الحكم ، وان مجلس الرئاسة الذى شكله عبد الناصر ليكون أعلى سلطة ، وعليه دراسة المشاكل واعطاء القرارات ، لم يعد يؤدى دوره ، بعد ان انفرد جمال عبد الناصر بالسلطة وباتخاذ القرارات ، واصراره على تجاهل الأعضاء ، وعدم تمرير أى مشكلة خاصة بالبلد عليهم ، وقد أرسل كمال الدين حسين خطابا إلى عبد الناصر ، أثناء اعتقالات الأخوان المسلمين ، والمحاكمات الخاصة بهم ، هذا نصه :

نص خطاب كمال الدين حسين
إلى جمال عبد الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السيد الرئيس / جمال عبد الناصر .. رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين .. (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

لا خير فيّ إذا لم أقل لك .. اتق الله .. ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾

لا خير فيّ إذا لم أقلها لك ... اتق الله ..

﴿ ومن يتق الله يجعل له من امره رشدا ﴾ .

اتق الله : قالها سبحانه وتعالى لنبيه الكريم .

« يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكاذبين والمنافقين »

اتق الله : ولا تكن ممن قال فيهم سبحانه وتعالى :ـ

﴿ وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ﴾ .

اتق الله : أمر بها الله الرسول والمؤمنين .. وأمر بها الرسول أصحابه والمؤمنين .. وقالها الخلفاء والأئمة لولاتهم وللمسلمين .. وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة والولاه ولبعضهم بعضا .

قالتها تلك الأمة التى أعزها الله بقوله :ـ

﴿ كنت خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ..

صدق الله العظيم .. وسلام على من اتبع الهدى ..

كمال الدين حسين (توقيع ١٢/ ١٠/ ١٩٦٥)

واعطى كمال الدين حسين هذا الخطاب إلى المشير ليعطيه إلى جمال عبد الناصر وقد ثار عبد الناصر عندما قرأ خطاب كمال الدين حسين ، وحاول المشير تهدئته قائلا : « من حقه علينا ان يتكلم ، وأن نسمعه » ـ فهو عنصر نقى ومن الخطأ ان نخسره . ولكن عبد الناصر كان ثائرا فاقدا لأعصابه يصرخ قائلا : « اتق الله يعنى ايه .. اضرب نفسى بالطبنجة ؟ .. دين ايه اللى عايزه ، وشريعة ايه ؟ ...

وأصدر جمال أمرا باعتقال كمال الدين حسين ، وتحديد إقامته ، ووضع حراسة مسلحة عليه .

ولم يجد كمال الدين حسين بدّا من ارسال خطاب إلى عبد الحكيم عامر ، بعد تحديد إقامته . ارسل اليه يقول :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة صريحة « وأخيرة لن تنزعج بعدها » .. يا عبد الحكيم لم أجد بدّا من أن أقولها لك بعد كل ما حدث وان كنت قد ترددت كثيرا فى الكتابة لك ... فإنى حين نويت لم اتردد فى ان أكون صريحا ...

اليوم أصبحت يا عبد الحكيم اعتقد انه لا حياة لى فى بلدى الذى أصبحت ارى فيه جزاء كلمة « اتق الله » هو ما أنا فيه وما أهلى فيه .

عندما قلت لكم : اتقوا الله ، قصدت أن تتقوا الله فى هذا الشعب الذى قمنا لخلاصه واسترداد حريته .

قلت لكم اتقوا الله بعد ان الجمتم جميع الأفواه ، .. إلا افواه المنافقين والمتزلفين والطبالين والزمارين .

قلت لكم اتقوا الله لأنكم استنعجتم هذا الشعب ، وأنا لم أكن أرضى ذلك .. ولذلك اصبحت الآن لا أطيق الحياة فى هذا الجو الخانق ... وأرجو ان تتيسر لك معرفة درجة الاختناق فى هذا الجو ... وإذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم ، فإذا كانت قد

بقيت لديكم بقية من أخوة كانت بيننا يوما من الأيام فإنى لا أطلب سوى ان أخرج أنا ومن يريد من اسرتى التى نالها أيضا نصيب وافر من اجراءاتكم إلى السعودية ، لأبقى بجوار رسول الله حيث اقضى ما بقى من حياتى مستخلصا روحى لنفسى ودينى لله ...

فاليوم يمكننى ان أرى صورة المستقبل لهذا الوطن بعد ان كان جزائى ، على كلمة الحق « اتق الله » ما أنا فيه .

... وأنت تعلم يا عبد الحكيم انه لن يمكنكم أن تعتقلوا روحى وان اعتقلتم جسمى .. وأنت تعلم يا عبد الحكيم انكم لا تملكون أى حق شرعى فيما قمتم به نحوى الاّ حق الدكتاتورية والطغيان .. وإذا جاز ان يكون لها حق ..

وأنت تعلم يا عبد الحكيم انكم لم تتقيدوا بشرع تجاههم .. وهم إذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فإنهم سيعرفون معناه جيدا الآن .

أنا آسف ان تتحول ثورة الحرية إلى ثورة ارهاب لا يعلم فيها كل انسان مصيره ... لو قال كلمة حرة يرضى بها ضميره ووطنه ... فإذا قيل لىّ أو للناس أن هناك مفهوماً آخر للحرية ، فهذا هو التضليل وحكم الهوى الذى يضل به الشيطان اولياءه لينسوا قانون الله وشرع الله ، وشرع الإسلام ... الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ... حرية يتساوى فيها ابناء آدم وحواء امام الله ... امام الشرع امام الحكم الإلهى الذى لا يقبل التأويل واللف والدوران .

يا عبد الحكيم ... مهما كانت التفاسير والشعارات فالحرية هى الحرية التى عبر عنها عمر بن الخطاب حين قال (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) وحين قيل له « اتق الله » قال (لا خير فيهم إذا لم يقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها) .

وأنت يا عبد الحكيم اننى لن استعطف أحدا ولن أخاف إلا الله وأنا حين أكتب اليك الآن فإنى لا أطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الأرض التى يئست ان تقال فيها كلمة حق فضلا عن ان يقام فيها ميزان عدل ... وإن أبيتم على ذلك فإن وليى هو الله اتكل عليه وأنيب «وإنا لله وإنا اليه راجعون » ...

يا عبد الحكيم ، ان اجراءاتكم هذه التى أصابتنى ان كنت قد تحملتها فى صبر فإن الصدع الذى أصاب مشاعرى تجاه من أمر بها صدع يصعب رتقه ..وبقائى هنا مشقة لى ولكم وأنت تعلم يا عبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس سنة ١٩٦٥ وقلت لك اننى مستعد للاعتقال أو القتل أو أى شىء آخر ... قلت من نفسك (اعتقال ايه يا شيخ ... والله انا اللى ييجى يعتقلنى أضربه بالرصاص ، أنا فكرت فى هذا ولكنى لم استسغه لأن هذا يتنافى مع ايمانى ، وجاء يحدثنى هلال كرجل وعلى لسان رجل ، ومع ذلك كانت النتيجة ان فتش منزلى وحجرة نومى وعائلتى وحتى ملابس ومتعلقات السيدات ، واعتقل اهلى وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ ، وأنا لا أعرف مصيرهم حتى الآن ، كما لا يعلم أحد من أفراد الشعب سبب أو مكان أو مصير أى شخص يعتقل منهم ، وإذا مات احدهم ... لأى سبب يكتفى بأن يخطر أهله بأنه قد هرب أو انه اندفن فى مكان كذا ، وتحت رقم كذا .. حجرة رقم كذا .. كان انسانا حيا فأصبح رقما مدفونا ..

يا عبد الحكيم ان ما قمتم به نحوى جريمة تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه المواطنين .. طبعا مع تغيير فى الشكل ..

وكانت الرجولة يا عبد الحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم لأعلم منه ماذا جرى ... لماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق « أن اتقوا الله » ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم هذه المواجهة ، واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ولا يكبل ضميرا حيا ، ولا يئد إيمانا وتقوى ، ولكن يورث النفس مرارة وأسفا ، إذا لم يواجهنى أحد منكم ، فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة شرعية ، على الأقل لأعرف ما هى التهمة الموجهة لىّ ما دام قد أصبح أمرا طبيعيا .. فى زمن الحرية .. ان يعتقل الناس وتصادر حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة .

أنا اتحدى أى اتهام ، وأتحدى أن يواجهنى أحد بأى تهم تبرر ما حدث ، طبعا انى اخرج من حسابى عمليات التلفيق لأنى ما زلت أنكر عليكم اللجوء مع مثلى ، لمثل ذلك .

يا عبد الحكيم ، ألم أقل لك فى مارس الماضى : ما هى ضمانات الحرية ؟ .. فقلت : « نحن ضمانات الحرية » وقلت لك انى لا أثق فى ذلك .. وهذه الأيام تأتينى بالبرهان بأن للحرية ضمانات وأنتم الضمانات ؟! .. كل شىء جايز ..

ألم أقل لك يومئذ انه إذا لم يتنازل عن تألهه وفرديته فلا فائدة للعمل معه .. فهل يا ترى هذا الذى جرى لمواجهة كلمة « اتق الله » هو دليل هذا التنازل ؟

كلمة صريحة اقولها يا عبد الحكيم : انى ارثى لهذه الحال ، ومع ذلك اتمنى ان يهديكم الله .. لا تغضب انت الآخر يا عبد الحكيم .. راجع نفسك ولا يغلبك الهوى والغرض ، راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو وعلى مدى سنين من هذه الثورة ، ثم انظر أين ينتهى بكم الطريق .. طريق الحرية .. اقدس ما منح الله للإنسان .

يجب ان تعلم يا عبد الحكيم رأى الناس فيكم ، وما يحسونه نحوكم .. لقد أصبحتم للأسف جلادين .. نتيجة تدعو للرثاء وحصاد مر لثورة ٢٣ التحريرية الكبرى تتجرعه الملايين المستذلّه .. بعد ما وضعت فى الثورة وقيادتها آمالها واعطتها الكثير ، واستأمنتها على الكثير .. على الحرية .. ولكن أين الأمانة الآن ؟! .. والله يأمركم أن تأدوا الامانات إلى أهلها .. وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل .. لقد بدّدت الأمانة .. ووئدت الحريـة .. ونعيش هذه الأيام وكأنه ليل لا يبدو له فجر .

يا عبد الحكيم لا تتصور أنى مبتهج لما جرى ، ولكنى حقيقة اشعرُ بالأسى وأقول : « يا حسرة على الرجال .. يا خسارة على الثورة » . وأشعر بذنب ، وأحس بتأنيب الضمير لأنى مكنت الطغيان من ان يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وانسانيته ... ومهما كانت الشعارات الزائفة التى تتردد والإدعاءات التى تقال فالناس جميعا يعرفون حقيقتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

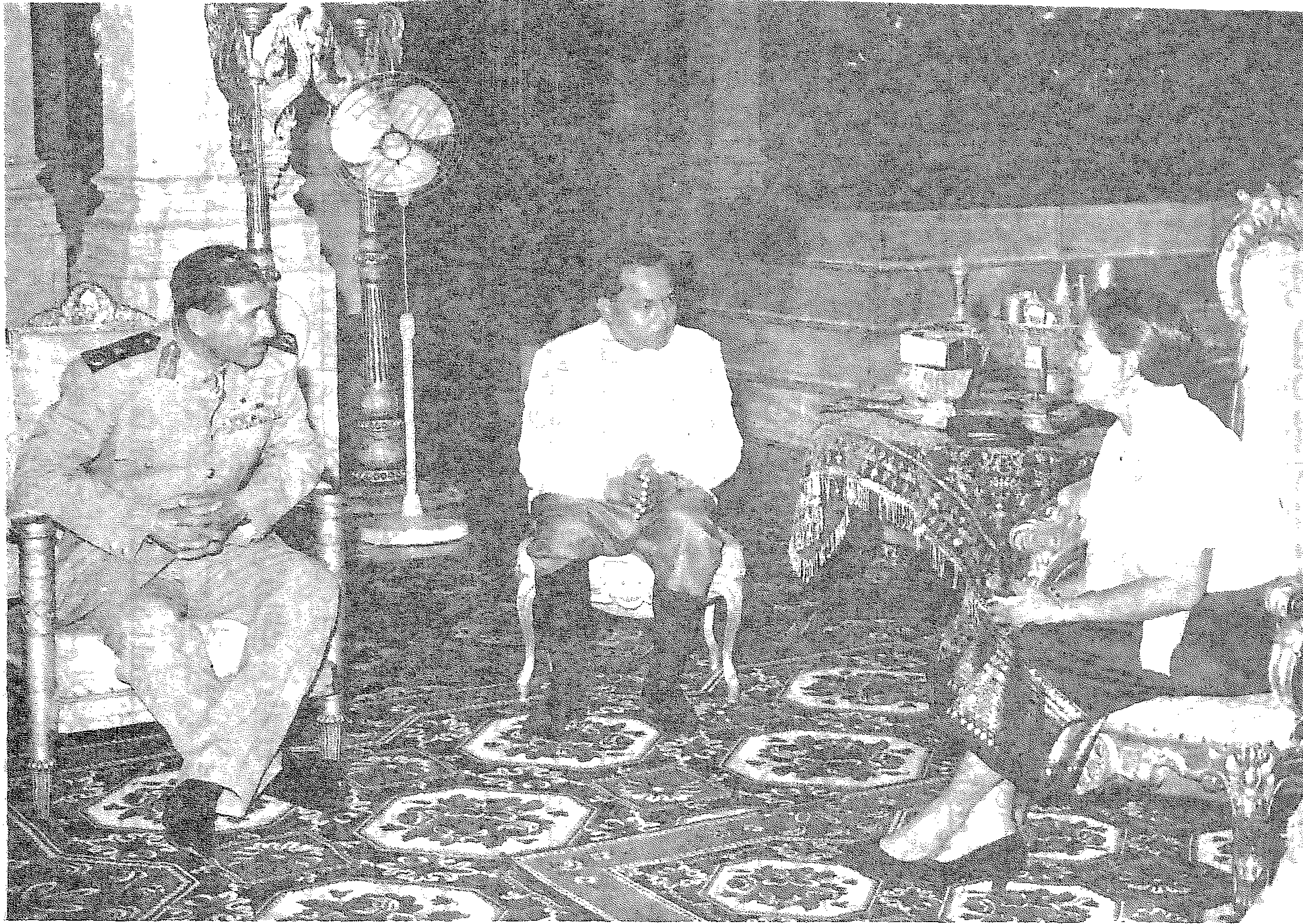
كمال الدين حسين

٢٥/ ١٠/ ١٩٦٥

وجاءنى المشير عامر جائرا يقول لىّ اقرئى هذا الخطاب ... وبعد ان قرأته قال لىّ :ـ ماذا أفعل ؟ ... لقد زرته مرارا وجلست معه ساعات طوال لأثنيه عن رأيه ، ولكنى وجدته متعصبا لوجهة نظره ، لا يريد ان يسمعنى .. وكنت مع جمال أمس ، واعطيته

الخطاب ليقرأه ، وقال لىّ عامر انه وجد جمال يثور بشدة ... قائلا لعامر : ـ مـاذا يريد كمال ؟ .. ثم صاح ناصر بشدة اكثر قائلا : هل يريد منا ان نترك الاخوان المسلمين يقتلون ويعملوها مذبحة فى الشوارع .. وقال له عامر : ـ كمال انسان نقى ونحن فى حاجة اليه ...

وأصر عامر على بذل محاولات جديدة مع كمال الدين حسين فارسل له هذا الخـطاب وكان منفعلا وكأنه يخاطب كمال أمامه .



ملكة كمبوديا تستقبل المشير عامر أثناء زيارته لكمبوديا عام ١٩٦٢.

« نص خطاب عبد الحكيم عامر إلى كمال الدين حسين »

عزيزى كمال ..

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد تعودت الا تزعجنى الصراحة .. لأن الصراحة هى الطريق إلى الفهم الصحيح .. ودعنى أيضا اصارحك القول ، وقد تعودت ان أقول ما اعتقد ولا أخشى فى ذلك الا الله وضميرى ..

ان طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة ، فقد نسفت فى نظرى جميع القيم والروابط التى تجمعنا ، وفى رأيى لم يكن هناك ما يبررها على الاطلاق فهى مرسلة ، وسأعبر عن ذلك مخلصا ، وصادقا .. « من كمال رسول الله إلى عبد الحكيم كسرى أنو شروان » .. فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر ، وكنت انتظر ان تكون رسالتك فى مثل هذا الوقت . وهذه المؤامرات الأجرامية التى تدبر والتى كان الغرض منها التحطيم والقضاء على نفوس بريئة والرجوع بها إلى الخلف سنين طويلة .. كنت انتظر على الأقل ان تستنكر ذلك ، وما عهدت فيك عدم الوفاء ، وما عهدت منك ان ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة التى لا أعلم ، ولا يعلم الا الله كيف وصل بك الأمر إلى ذلك ، .. ارجع إلى نفسك يا كمال ، وتأمل كل شىء بهدوء ، وبنفس خالية من الغضب والنزعات .. فكر فى الأمور بعيدا عن المؤثرات ، وبعيدا عن كلام المغرضين ، وهمساتهم ، وافتراءاتهم ... الذين لهم هوى ، والذين لا يبغون الا مصلحة ذاتية من ورائك .. وقد وجدوا فى شخصك الأمل الذى يحقق لهم أهدافهم ، فهم يدعون الكلام باسم الحق ، وهم لا يريدون سوى الباطل .

ان المؤامرة الأخيرة التى دبرها الاخوان المسلمون المتعصبون ، مؤامرة لا يمكن وصفها بأنها جريمة ضد شعب باكمله .. بل جرائم قتل باسم الإسلام .. ودماء تسيل ، وخراب يعم باسم الإسلام .. هل هذه الحرية التى يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض انفسهم على الناس بالقتل والخراب .

والله هذا لا يقره دين ، ولا يقره أى شخص عنده إنسانية ، .. اننى تابعت التحقيق خطوةخطوة، والمؤامرة فيها اكثر مما نشر حتى الآن أيريد سيد قطب الذى كنت توزع كتبه .. أن يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحى .. يأمره بقتل الناس ويدمرّ البشر ؟؟.. أهو ظل الله على الأرض ينهى حياة من يشاء من العباد .. لا أعلم كيف لم يحدث هذا العمل فى نفسك الألم كل الألم .. وكيف اكتفيت بإرسال خطابك لىّ بالمعنى الذى سبق ان ذكرته لك .. هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ .. توقف المستشفيات ، وفاة المرضى رجالا ونساء وأطفالا ، القاهرة بلا ضوء .. بلا مصانع يعمل فيها آلاف العمال .. أصبحوا عاطلين .. الناس لا تجد قوت يومهم .. بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه ، مجارى تطفح فى الشوارع والمنازل .. أوبئة تفتك بأرواح لن تعوض طبعا!! .. باسم ماذا يحدث هذا ؟ .. بأمر من يحدث هذا ؟ .. حكم من هذا ؟ .. حكم من جعلوا انفسهم خلفاء الله فى الأرض . انه اغتيال لشعب ولحريته ولحياته ، ولتقدمه بل أيضا لمعاشه اليومى ..

وماذا يكون شعورك وأولادك فى منطقة تتفجر منها مواد النسف ؟ .. ماذا يكون شعور كل أب .. كل أم .. كل أخ ؟ .. فكر قليلا ياكمال دون تحيز ودون غضب لأن هذا هو حكم الطغيان بكل معانيه ... حكم الغابة بكل صوره .. هذا هو الأرهاب بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى مروّع .

هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذالعمل ؟ .. ام تعنى انه كان يجب عليك استنكاره ؟!

هل المبادىء الإسلامية والإنسانية ، تقرك على ألاّ تحارب هذا بكل قوتك ، وان تؤيده فى خطابك الأول الذى يدل معناه على ذلك .

أمعنى ذلك انك توافق على قتلنا وهذا فى رأيى أبسط الأمور فلكل أجل كتاب ، ولكن كيف يطاوعك ضميرك ، وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب ؟

تعرضت فى كلامك عن الثقة فينا .. وأنا بدورى أقول إنك لم تخطىء بثقتك فينا ، وكل ما أريده منك وأرجوه ان تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ، ولا تجعل أى تصرف شخصى ، أو تصرف بسيط يؤثر على جدية هذه الموضوعات .



جلالة الملك سعود يرحب بالقائد العام عبد الحكيم عامر فى القصر الملكى ، عند وصوله إلى المملكة السعودية فى ديسمبر ١٩٥٥ ، وبرفقته الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية . والصورة أثناء زيارتهما للكلية الحربية .

إننا ، وأنا من جانبى سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا ، وسنحافظ عليه ضد أية محاولات من هذا الطابع ، بكل وسيلة ممكنة ، وكما ذكرت حقا فى خطابك الأخير ان الناس يعرفون الحقيقة ، ولكن ليست الحقيقة التى تتصورها أنت .. والتى طبعا يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة ، وان كلامهم لا يقبل المناقشة .

وتقول انك تريد ان تخرج إلى السعودية ؟ .. هل هى بلد الحريات ؟ .. هل هى بلد الإسلام ؟ .. ما هذا يا كمال .. عجيب والله هذا التفكير . ان النبى ﷺ كان بشرا .. ومات كما يموت البشر .. وان جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا ، لا تخدع نفسك يا كمال .. جرد نفسك يا كمال من كل الاعتبارات مليا وسترى الأمور بغير هذه العين ، خصوصا بالنسبة للحقائق التى سردتها لك ولا تقبل جدلا ....

ثم بعد ذلك تكلمنى عن القانون .. ويزعجك ان يصدر مثله !! .. وهذا ليس موضوعا جوهريا ، ومهما اخطأت الثورة يا كمال فإنها تصحح اخطاءها .. ولكنها ما كانت قاسية ، وما كانت منتقمة ، وأنت تعلم ذلك ، وشاركتنا أفكارنا وفى جميع الأحداث التى مرت بشعبنا منذ ٢٣ يوليو ٥٢ .. وتعلم جيدا كيف نفكر وكيف نتصرف .

ان الذى يقضى على الحرية ويقتلها ، هو التعصب مهما كان شكله ، ومهما كانت الشعارات التى يختفى فيها ، ان كان تحت الإسلام ، أو تحت اصلاح أو غيره ... ان بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية .. الا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمته ، وتجعلنا فى قبضته مرة أخرى ربما إلى سنين طويلة لا يعلم إلا الله عددها .

هل هذا مفهوم الحرية ؟ .. وهل هذه هى الحرية ؟ .. التى اعلنها الإسلام أنا أقول كلا وألف كلا هذا هو الكفر بعينه ، بل هدم للقيم البشرية والإنسانية بأكملها ..

هل توافق يا كمال ان يحكم هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة ، التى نزعت من قلوبها الرحمة ، تعصب أعمى لا يرى الا فى القتل والتهديد وسيلة لكل شىء .. وبأمر من ظل الله على الأرض سيد قطب .. وهل هذا هو حكم الله ؟ .. ان الله برىء من القتلة والسفاكين ..

لماذا أنت عاتب إذن ؟ .. ان عتابى عليك أكثر وأعظم !! .. أليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا ادعى انى أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها !! أليس من حقى ان أصاب بصدمة حين أجد ان هذا هو اسلوب تفكيرك الجديد ، وهذا ما يقره ضميرك ، وهذا ما تراه حقا ، .. اننى يا كمال كما تعرف لا أخاف أحدا ولا أخشى شيئا الا الله وضميرى.. ولولا سفرى لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق مع ضعف أملى انك ستستمع لما أقوله .. وتقتنع بالحقائق الملموسه .. اننا لم نمنع الناس عنك الا خوفا عليك ...

قد نختلف فى الرأى لكن ارجو ان تصغى الى نفسك .. وتفكر فى الأراء .. وتطرح المسائل الصغيرة جانبا ، وطبعاً أنت حر فى ان تأخذ بها أو تلقيها فى عرض البحر ، ولكن لى الحق فى ان أكتب اليك ناصحا ، بأمانه وصدق ، كما كتبت الى لائما وناصحا ، هل تذكر حين كنت فى الحكم وجميع السلطات فى يدك ، سياسية وتنفيذية ، وهذه حقيقة ، وكنت حر التصرف ، وهذه حقيقه ايضا ، ولم يحدث طوال هذه الفتره ان اختلفت على المبادىء التى تثور عليها بل كنت متحمسا لها وكنت أشد تطرفا ، ربما تذكر قوانين الاشتراكيه سنة ١٩٦١ والآراء التى ايدتها أنت شخصيا فى الاجتماع بالاسكندرية ، وكنت يا كمال متطرفا إلى حد كبير ومتحمسا للقوانين أشد التحمس ، هذه حقيقة أيضا !!

ماذا تغير إذن بعد كل ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجىء المتطرف أيضا ، وفجأة كل شىء خطأ ، وتصبح الحريات مغتالة .. على حد تعبيرك الذى لم اهضمه مطلقا .. فجأة حدث كل ذلك .. ما الذى غير أفكارك بهذه السرعة الكبيرة ؟ .. ما الذى أفقدك توازنك بهذه الدرجة ، حتى تنقلب أفكارك فجأة ؟ ..

لقد تناقشت أكثر من مرة فى أفكارك ، وتطارحت الحجج والبراهين وصدقنى والله ما وجدت فى ارائك ـ التى أصر انها ظهرت فجأة ـ شيئا منطقيا ... بل وجدت لديك اصرارا غريباً ، وعقلك يرفض أن يناقش ، بل تصمم على ما أنت فيه .. ان تطبيق أى نظام حكم يحتاج منا جميعا إلى اعادة النظر فى خطواتنا من حين لآخر فجلّ من لا يخطىء .. وأظن الا تعتبر نفسك معصوما من الخطأ .. ولا أظن ان يصل بك الأمر إلى هذا الحد .. ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك . فأنت تريد فرض رأيك ، ورأيك أنت فقط فى نظرك هو



المشير عبد الحكيم يزور رئيس الجمهورية محمد نجيب بمنزله للاستفسار عن صحته ، ومعه حسين الشافعي، في ٣/ ٤/ ١٩٥٤.

الصحيح .. وهذه هى الدكتاتورية فى أعنف مظاهرها يا كمال .. وهذا هو قتل الحريات وضربها ضربة قاسمة .. كل منا يرى عيوب غيره وحبذا لو فكر فى عيوب نفسه ، لماذا لا تحاول ان تجابه نفسك ، وتعرف عيوبك ؟ .. كما تبحث عن عيوب الآخرين ؟ .. وتبالغ فيها إلى أقصى الحدود !!

ان حاولت أو فعلت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب إلى الصواب ، ولا تختلط الأمور فى ذهنك هذا الاختلاط الفظيع ، لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك ، ولا تجعل الكلام من حولك له قدسية .. وهم فى قرارة أنفسهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسطوة والشهرة ، وعندى على ذلك أمثلة كثيرة واقعية ، أمثلة حية غير مبنية على استنتاج أو كلام الغير .. إذا فكرت جيدا .. وحللت كل شىء مع نفسك بصراحة ووضوح ، ستجد انى كنت خير ناصح حتى ممن تظن انهم أقرب وأخلص الناس اليك .

وأعود مرة أخرى وأقول كيف تتصور ان تولد الحرية فى ظل الدمار والخراب ؟ وان يكون لفئة ان يتكلموا ويأمروا باسم الله ، مفوضين منه يفعلون ما شاءوا هل هذه هى الحرية ؟ . هل هذا هو طريق الديموقراطية ؟

أقول بدورى يا كمال « اتق الله فى نفسك » .. « اتق الله فى شعب مصر » .. « اتق الله فى حياة الناس وأرزاقهم .. ولا تظلم نفسك .. ولا تظلم الناس معك » . فقد حاولت جهدى ان اشرح لك الحقيقة ، وان كانت مُرة .. ولكنك دفعتنى إلى ذلك دفعا ... وأقول وأنا مرتاح الضمير اننى أديت الأمانة ولعلك ترى الأمور على حقيقتها بعيدا عن المؤثرات التى وقعت تحت تأثيرها فترة من الزمن ، وان حدث ذلك كان نقدا عظيما مع نفسك ، وكان نعمة وبركة من الله على الجميع .

وقد ترددت ان اكتب خوفا من ان تكون قد سددت أذنيك ـ لا تريد ان تسمع أحدا إلا إذا حدثك على هواك ، وعلى ما تحب ، .. ولكنى قررت ان أرد عليك قدر جهدى ، ومناقشة الموضوعات التى اثرتها ليست صعبة وقد ناقشناها معك مرارا ، وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بما تقول يا كمال . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الحكيم عامر

٤ / ١١ / ١٩٦٥

ملاحظـــة :

اننى أخشى حكم التاريخ عليك ان يقول كمال حسين انقلب على الحكم متبنيا افكارا جديدة ، لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التى كان يمارسها .

كتبت اليك لتعرف الجانب الآخر من الصور ، التى قد تكون التهمت عقلك وسط خضم المتكلمين والمتحدثين ، وانى اكتب لك ما اعتقد وعن صدق .. والحديث طويل ولا تتسع له هذه الصفحات القليلة .. ولكن لعل الله يجمع ما تفرق ويهدى ، ويرتق الصدع ، إنه على كل شىء قدير .

عبد الحكيم عامر

٤ / ١١ / ١٩٦٥

وقال لى عامر انه من شدة تمسكه بوجود كمال الدين حسين معهم فى الحكم ان ظل معه الخطاب يومين حتى يضيف اليه ما يعن له اضافته لاقناع كمال والاستفادة منه كعنصر نقى وجرىء ، وكان المشير يعقب بمرارة :ـ « ماهو مش معقول افضل أقول رأى مناهض لجمال طوال الوقت وحدى ، أنا محتاج لرجل نظيف وشجاع حتى يحدث توازن فى المناقشات التى تهم البلاد فالآخرون موافقون على طول الخط .. لانهم يعرفون مصير من يعارضه . ولهذا .. كان خطاب عامر لكمال طويلا حتى يضمن إيصال وجهة نظره إليه كاملة ، وكان أيضا حريصا على إزالة الخلاف مع ناصر ، ويقول عامر لأن ذلك سيجعل مهمتى صعبة ولا استطيع ان اعارض وحدى » !! ...

والنجم إذا هوى !!

لم يكن قلب المشير ينطوى على كراهية لجمال عبد الناصر ، فالخلاف الدائم بينهما ، لم يبذر فى قلبه بغضا أو حقدا تجاه الرئيس .

كان ذلك ما استشعره من حديث عامر ، حتى وهو فى أشد حالات الضيق ، والغضب ، كان يؤكد خوفه عليه وحرصه على حياته ، وكانت عبارة « أنا مسئول عن حياته » من العبارات التى يرددها المشير كثيرا ، حتى أصبحت « لازمة » فى طريقة حديثه عن جمال .

والغريب ـ مما بدا لى ـ أن المشير قد وسع نطاق حراسته ، فلم تعد للحماية من الاغتيال، أو الخيانة فحسب ، بل أراد ان يحميه من « طالعه » أيضا .

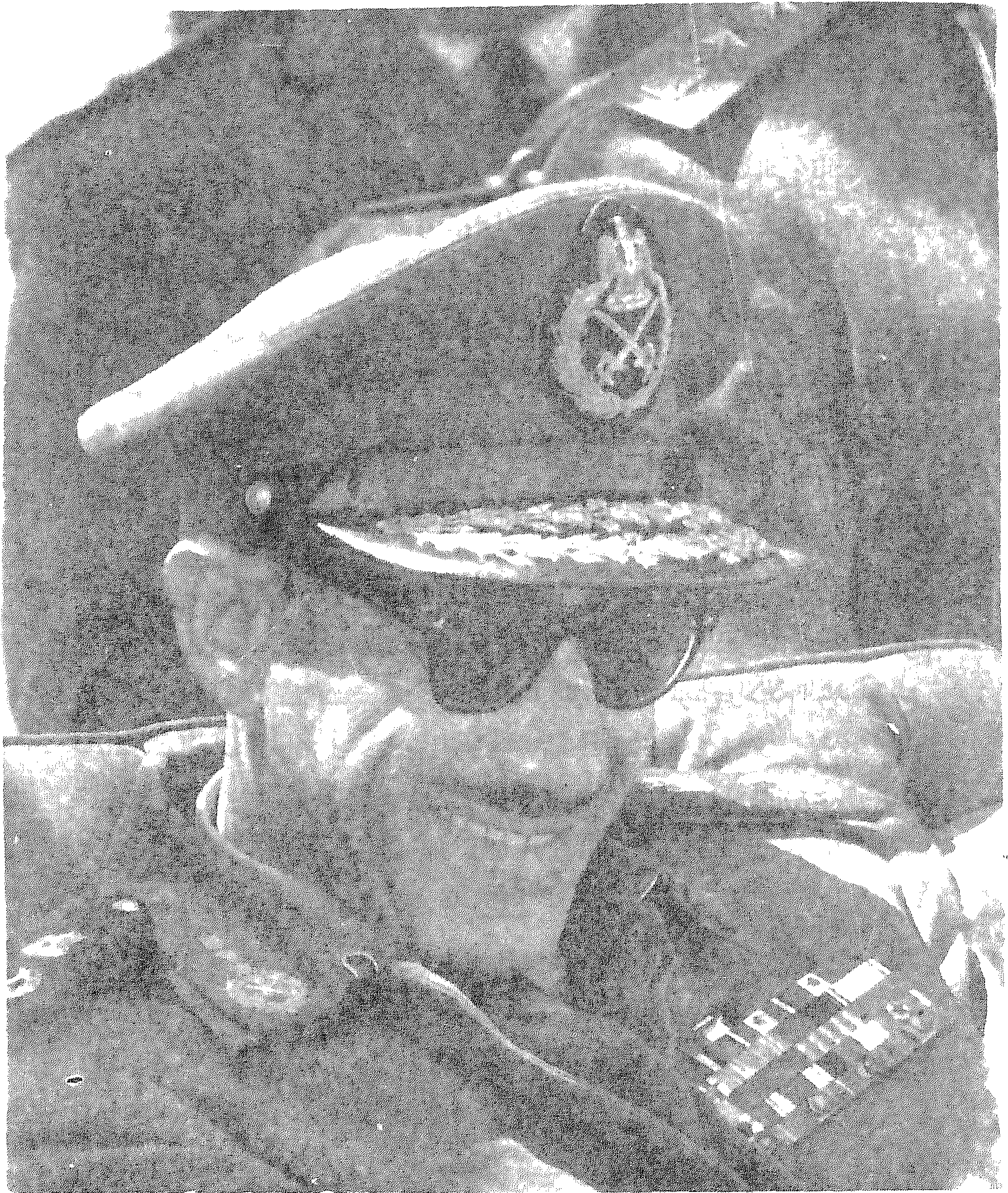
ذلك لأن جمال كان يؤمن بالتنجيم ، وله عرافون يستدعيهم من مختلف بقاع الجمهورية، فمن قنا كانوا يحضرون له « سيدى أحمد القنائى » وينزلوه فى لوكاندة بسيدنا الحسين .

ومن القاهرة « الشيخ عبد المقصود محمد سالم » رئيس جمعية القرآن بالسيدة زينب ، وكان عبد الناصر يتردد عليه فى مقرّه هناك .

بل ان الاساقفة بدير المحرق بأسيوط ، لم يتركهم جمال ، واستعان بهم فى رؤية الطالع، والتنبؤ با لمستقبل .

وكان الشيخ عبد المقصود محمد سالم يعالج الرئيس « علاجا روحانيا » فقد كان جمال أحيانا يصاب بحالة من الهياج العصبى .

ومن المشايخ الذين كان جمال يتردد عليهم ، الشيخ محمد منصور الأورن ، وقد بطش به جمال فى اواخر أيامه لصداقته بمحمد نجيب .



صورة للمشير عبد الحكيم عامر أثناء احدى زيارات الجيش فى الصحراء الشرقية فى ٢٥/ ٤/ ١٩٦٢ .

وانى أذكر هذه الأشياء الآن ، لما كان لها تأثير على علاقة جمال بالمشير ، ولما كانت تسببه من هموم وقلق للمشير ، كان عامر يفضى بها إلى أحيانا .

وقد يكون من الضرورى ، ان أورد هنا نبوءة احدى العرافات ، التى قالتها لجمال وعبد الحكيم ، ذات يوم قبل الثورة ، وهما بعد لم يزالا شابين طموحين يمتلىء قلباهما بالآمال والأحلام ..

قالت العرافة لهما : « ان نجميكما مرتبطان ببعضهما ، فإذا علا أحدكما يعلو معه الآخر ... وإذا هوى أحدكما هوى معه الآخر .. وسيكون لكما صيت ينتشر فى كل مكان ..

وقد روى لى المشير هذه النبوءة ،و ذكر ان العرافة رفضت رفضا باتا أن تأخذ منهما أجرا على ذلك !!! ...

كان من رأى عامر ان العرافين دجالون ، ورغم ذلك فإنى أرى الآن ان هذه النبوءة سواء كانت نبوءة أم هذيانا ـ أراها قد صدقت تماما على حياة هذين الرجلين ، فقد كافحا معا ، وارتفعا معا ، وهويا معا ، فإن عبد الناصر لم يعش بعد المشير سوى ثلاثة أعوام قضاهما فى العذاب ، لا بسبب الهزيمة وحدها ، وانما بسبب المرض والآلام الشديدة التى عانى منها جمال فى أواخر أيامه ، ومن الطريف انهما ماتا فى شهر واحد هو « سبتمبر » .

قلت ان المشير كان يريد حماية عبد الناصر من طالعه أيضا . فكان يحاول اقناعه بالحجة ان ما يقوله المنجمون ليس إلا كذبا ، وان أفعالهم من قبيل الدجل والشعوذة ، ولكن جمال لم يكن يلقى بالا إلى كلام عامر .

وقد اراد عامر ذات مرة ، ان يقدم لجمال دليلا على دجل العرافين ، وكان مقررا ان يلتقى جمال بواحد منهم فى قصر السلطان حسين بالدقى ، فاشترط عامر ان يترك لرجاله تفتيش الدجال قبل دخول القصر ، كما أمر بتفتيش القصر وتنظيفه ، خصوصا الحمّام ، الذى من عادة الدجال الدخول فيه ليقرأ تعاويذه .

ولما جاء الدجال أمر المشير بإدخاله إلى الصالون ، وما كاد يدخل حتى جلس على الأرض ، وشرع فى اظهار براعته ، فطلب من المشير ان يكتب اسئلة فى ورقة ، فكان الدجال « يعزّم » عليها ، ثم يعطيها للمشير فإذا بها الاجابة عما سأل .

قال عامر : ـ هذا لا يكفى ... هذا من العاب الحواه .. وهناك كثيرون يفعلون ذلك فقال الدّجال : « سوف ترى الآن .. فأنت « معمول لك عمل » من أقرب الناس إليك » ابتسم المشير قائلا : « طيب ورينى شطارتك » .

وانتظر المشير ساعتين ، ولكن الدجال لم يستطع ان يفعل شيئا ، فتركه ناصر و عامر إلى حجرة أخرى ليشربا القهوة .

وسرعان ما صاح الدجال : « لقد ظهر العمل » .

فقال له المشير : « يعنى ظهر لما سيبتك ؟ » .. بلاش كلام فارغ ..

رد الدجال : « ولكنهم فتشونى قبل ان أقابل سيادتك » .

نظر المشير إلى صبى جاء مع الدجال وقال : « ولكنهم نسيوا يفتشوا اللى جنبك » .

هذه الخزعبلات ، كان لها جانبها الواقعى فى حياة عبد الناصر ، فقد خلقت حوله بطانة من المغرضين ، الذين وجدوا فى إيمان جمال بالتنجيم ،وسيلة للهيمنة ، والتسلل إلى حياته ، واقامة عازل يحول بينه وبين زملائه ، وخاصة عبد الحكيم عامر الذى عانى كثيرا من خبثهم ، ودسهم ، ومكرهم ، وتشهيرهم ... وكان اكثر اثنين تأثيراً على جمال هما سامى شرف و محمد فوزى ... وكان المشير يشكو ، خاصة من سامى شرف مرّ الشكوى ، فقد كان يمد العرّافين بالمعلومات عن طباع عبد الناصر وعاداته ، وتعريفهم بما يحب جمال ويكره ، وآماله بالنسبة لمحاولاته الزعامة العربية ، فيمكنهم ذلك من اجادة الشعوذة فى حضرة جمال عبد الناصر !! ..

كان العرافون يقولون لجمال مثلا : « انك سوف تدخل معركة كبيرة ، وانه سوف يأتى النصر الكبير الذى لم يحققه قائد من قبل » أو « سوف تقوم فى البلاد العربية وسوف تكون من أسباب ازدياد زعامتك » أو « ستكون زعيما يحكم أكثر البلاد العربية » .

وكان جمال يحب سماع هذه النبوءات ، ويفرح لذلك .

وحدث ان سامى شرف جاء بأحد العرافين من لبنان ، وكلفه ذلك آلاف الجنيهات وقد

سمع جمال من هذا العراف كلاما يشبه هذا الكلام الذى ذكرته ، وكما هى العادة ، كان لا بد من شعوذات وأفعال غريبة تقنع جمال بصحة ما يقول .

مثال ذلك ، انه طلب احضار بعض المصاحف فلما جاءوا له بها ، ظل يعزم عليها ثم قال : « افتحوها .. فستجدون فى كل مصحف شعرة » .

وقد وجدوا بالفعل فى كل مصحف شعرة ، بهذه الأساليب الماكرة ، أفلح سامى شرف وأجهزته ومعاونوه من السيطرة على جمال عبد الناصر ، وبذر بذور الشك والحذر من عبد الحكيم عامر ، أكثر الناس اخلاصا وأكثرها حرصا على مصالح الوطن ، ولذا كان عالم التنجيم من المنغصات فى علاقة عبد الحكيم بعبد الناصر .

التنجيم والتجسس والتآمر

أيكون حب التنجيم نابعا من الميل إلى التجسس ؟ وهل الميل إلى التجسس دافع للتآمر والغدر ؟ .. ربما ..

فإن سامى شرف الذى كون فرقة المنجمين ، هو نفسه الذى كون « التنظيم السرى داخل الكلية الحربية ، والجيش » ووضع على رأسه « نسيبه » محمد فوزى وصحيح انه تم بأمر جمال عبد الناصر ـ فلم يكن يجرؤ أى أحد ان يفعل شيئا الا بموافقة جمال الشخصية ـ الا أن هذا الأمر جاء بعد دس ووقيعة بين عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر . بل ان هذا التنظيم اساسا ، كان موجها ضد عبد الحكيم عامر ، لأضعاف قوته وضربه من داخل الجيش . ويؤكد هذه النية ، تسميته باسم « جيش عبد الحكيم » . وصاحب التسمية هو سامى شرف ونشرها من تبعه من الأجهزة التى تغطى القطر المصرى ، وساعده أيضا محمد فوزى ، و شعراوى جمعة، وعبد المجيد فريد ، هذه المجموعة كونت فى تاريخ الثورة ، ما سمى بمراكز القوى .

وقد تضافرت اطماعهم مع أطماع الروس فى الهيمنة على مصر ، ومن الواضح ان أهدافهم لا بد ان تكون هدّامة بحكم تكوينهم على هذا النحو .

ولأن عبد الحكيم عامر كان معارضا للنفوذ السوفيتى من منطلق إيمانى ، وكان مختلفا مع عبد الناصر لما فى طبعه من ميل إلى الديموقراطية و تاريخ الثوره حافل بالمواقف التى تبين الخلاف بين روح الديموقراطيه عند عبد الحكيم و « روح الديكتاتورية عند «عبد الناصر » ولأن هذا هو موقف عبد الحكيم، فقد كان طبيعيا ان يصبح هو « وجيشه » هدفا للتآمر ، لذا عندما جاءت حرب سنة ١٩٦٧ كان الجيش الذى يحارب فى نظرهم هو جيش عبد الحكيم ، وليس « جيش مصر » ! والواقع انهم كانوا قد وصلوا فى تآمرهم إلى مدى بعيد ، فعبد الحكيم يكره الروس ولا يسمح بتدخلهم داخل الجيش ولا اعطاء امتيازات وتسهيلات وقواعد لهم إذن فهو لا ينبغى أن يقود ، وقد وضعوا العراقيل فى طريق عبد الحكيم عامر مما أدى إلى النهاية المؤسفة للجيش وقائده فى حرب ٦٧ مما سيأتى ذكره فيما بعد عند الحديث عن مصرع عامر !!! ...

وكان مما قامت به جماعة سامى شرف من أعمال ضد المشير هو تسريبها أخبار زواجه بى ، بل وطبعت منشورات بهذا المعنى ، بقصد احراج المشير ، إذ ذاك فكر المشير فى اعلان زواجنا ، وفاتح عبد الناصر فى الأمر ، فطلب منه التأجيل وان يتفقا على اعلان الزواج فى ظروف أفضل ، وكانت حجة عبد الناصر « ان السرية فى الزواج عملية أكثر » لأن الناس تنظر الينا - يقصد الضباط الأحرار - على اننا مجرد آلات تحكم وتعمل لمصلحة البلد - ، وخصوصا اننا جئنا بعد الملك فاروق .. فالناس تنظر الينا كقديسين .

وقد ابلغنى المشير بما كان يفكر فيه ، وبما قاله له جمال عبد الناصر ، ولما لاحظت عليه الضيق بسبب ذلك ، قلت له لأسرى عنه :

- ماذا ينقصنا .. ألسنا سعيدين ؟ ..

قال : « أنا لا أحب هذه الأوضاع » أحب ان أكون مرفوع الرأس ولا أحب ان يكون فى حياتى نقطة ضعف تؤخذ علىّ ، انت لا تعرفين قذارة لعبة السياسة ثم انى لا أحب ان أعيش بشخصيتين .. ولا أحب ان أظلم أحدا ... وهذا من حقك فلماذا احرمك من حقوقك ؟ .. هوّ عبد الحكيم عامر فقط الذى تزوج مرة ثانية ؟ خلاص !! أهذه هى المشكلة التى تؤرق البلد ؟ !! ...

قلت اننى اقدر ما تقول .. ولكن انا أكره الرسميات ، ولا أطيق الحرس ، و حركاتى مرصوده، ورجال حول البيت وداخل البيت « دواعى الأمن .. تانى » ولا أخرج الاّ بحرص، .. فما الذى سأستفيده من اعلان زواجنا ؟

قال المشير ضاحكا : « انتى عيّلة » ولا أظن أحداً يكره أن يكون زواجه معلنا .. الا إذا كنت قد أصبحت فيلسوفة وأنا لا أدرى ...

وبعد صمت قصير قال :- « لا أحب ان أشعر انى ظلمتك » .

فقلت له : « ما دمت سعيدة معك فلا أكون مظلومة » .

كانت رغبة عامر صادقة فى اعلان زواجنا ، ولكن معارضة جمال عبد الناصر منعته من ذلك ، وقد برهن على صدق رغبته بأن تغيّر اسلوب التحفظ الشديد الذى كان يتبعه حين يأتى لزيارتى .

على كل احسست انه يبذل جهدا، ويتحايل ـ كلما امكن ـ لأكون معه أطول فترة ممكنة ، رغم مسئولياته الجسيمة ، وظروفه الصعبة ، ناهيك بكونه رب أسرة أخرى وقد فوجئت به ذات يوم ـ يرسل لى « متولى » وكان ذلك فى شهر رمضان المبارك ، وطلب منى متولى اعداد حقيبة بها بعض الملابس لىّ ولأختى الصغيرة التى كانت تقيم معنا ، ولم ادر إلى أين نحن ذاهبتان ، فقد تعودت ألاّ أسأل وكنت أظن اننا سنذهب إلى الإسكندرية .

واخذنى متولى فى عربة « نصر » ، ورأيته يجتاز ميدان الجيزة فى الطريق إلى العباسية ... فسألته برغمى : « إلى أين ؟ » فأجاب : « عند بيت سيادته » .

ملأتنى الحيرة فسألته : « كيف تذهب إلى منزل المشير ؟ » ..

قال : « أوامر سيادته كده .. لانه سيمكث بعض الوقت بمنزله بالحلمية !! ورأى ان المشوار سيكون طويلا من الحلمية للهرم ، فقرر ان تقطنى بجانبه فى منزل « بقشلاقات » الجيش فى الحلمية .. لذلك أرجو وضع الإيشارب والنظارة وقت دخولنا القشلاق .

كان المنزل الذى أقمت فيه ، يخص أحد رجال المشير ، وقد سرتنى هذه الرحلة ، لأنى وجدت فيها تجديدا فى نظام حياتى ، ووجدت المنزل مكونا من دور أرضى ودور أول ، ومساحاته كبيرة ، ولكنها غير مفروشة بالكامل ، كأنها استراحة بأحد المصايف ، ولما وجدت نفسى وحيدة ، اخذنا أنا وأختى نتمشى بين حجرات البيت ، ونظرت من شباك حجرة النوم ، فوجدته يطل على ممر ضيق ينتهى باستراحة عامر ، ووقع بصرى على ابنه جمال ومعه أخوه الأصغر نصر ، كنت اعرفهم واحدا واحدا ، وكثيرا ما كان عبد الحكيم يحدثنى عنهم .

ومن الطريف انه كان أحيانا يحدثنى بالتليفون من حجرة نومه فى منزله .. وكان عادة ما يقطع الحديث وهو يضحك قائلا : « الجاسوس وصل » وكان يعنى بذلك اصغر أولاده « صلاح » الذى لا ينام الا بعد ان يمر على والده مهما كان الوقت متأخرا .

وامضيت بعض الوقت فى مشاهدتهم وهم يدخلون ويخرجون حتى اقترب موعد الإفطار ، فجاءنى متولى بصينية يحمل عليها الطعام .

افطرت ـ أنا وأختى ـ بمفردنا . وبعد لحظة بحثت عن كتاب لأقرأه فلم أجد حتى جريدة أو مجلة . فانتابنى الضيق والملل ، وفيما أنا كذلك رأيت عامر يقف أمامى فى وسط الصالة .

علل عبد الحكيم تأخره بأنه كان مع الرئيس .

وتسامرنا برهة قال لى خلالها انه سيبقى معى حتى السحور .. ثم قال متأففا « أرأيت التمزق الذى أنا فيه ؟ » ان امنيتى ان أبيت هنا الليلة ، ولكنى لا أستطيع !! ...

قلت له : « كل شىء له ثمن ..والعبرة بجوهر العلاقة ، وليست بالشكل والمظاهر » .

أخذ يضحك وهو يقول : « ايوه قوليلى شوية من الفلسفة العيالى بتاعتك دى » .

وما زال يحدثنى حتى اخرجنى من حالة الضيق ، ثم سألنى :

« هل كنت صائمة ؟ » .

كان المشير يحضنى على الصوم والصلاة ، وشدد على ذلك ، فالتزمت بالصلاة والصوم ..

ومكث المشير معى إلى السحور ـ كما وعد ـ ثم انصرف .

وفى اليوم التالى حضر وفاجأنى بقوله : « تعالى معى .. » سألته فى دهشة « معاك فين ؟ » .

كنت أعرف انه من المستحيل ان نخرج معاً وسط هذا القشلاق الملىء بالضباط والجنود . ولم يمهلنى فأخذنى من يدى وهبطنا السلالم . وسار بى فى الممر الضيق حتى وجدت نفسى على أعقاب بيته فى الحلمية ، وما كدنا ندخل حتى أجفلت فزعة ، فقد رأيت اسدا يقف فى مواجهة الداخل من الباب .

ضحك المشير وهو يقول لى : « لا تخافى .. هو من الخارج أسد ... لكنه من الداخل قش » وتحسس بيده رأس الأسد قائلا : « ده صلاح ابنى بيركبه » .. وأنت تخافين منه ؟ وعشت فى هذا المنزل اياما لا أذكر عددها ، ولكنها كانت كافية لتعيد انسجامنا ، وكان جمال عبد الناصر يطلبه أحيانا على التليفون ، وفى مرة من المرات ، سمعت عامر يقول له ؟

ـ ولا شجاعة ولا حاجة .. مش مراتى ؟ .. كتر خيرها انها راضية بكدة !! ..

وربت المشير على ظهرى وهو يكمل حديثه :

ـ انا تعبت على ما روضتها على حياتى دى .

وبهذه المناسبة أقول ان عبد الناصر كان يسمينى « المتوحشة » .

ولم يكن عبد الناصر هو الوحيد الذى اطلق علىّ اسما ، فقد كانت لى عدة اسماء ينادينى بها أحيانا اصدقاء ناصر فمثلا عباس رضوان كان يسمينى « اللمضة » وصلاح نصر كان يسمينى « الخواجاية » وأنور السادات كان يسمينى « الليدى بى بى » أما عبد الحكيم فقد اطلق علىّ « مسز سباجتى » .

الحذر من الروس

كان المشير لا يخفى شكوكه فى النوايا الروسية ، ويصرح بها إلى المقربين منه ، وربما كان السبب هو ايمانه بالله ، وهذا وحده يجعله على النقيض تماما مع القادة الروس الذين يتخذون من انكار وجود الله ركيزة أساسية فى العقيدة الماركسية !!

هذا عن الجانب الدينى .. اما عن الجانب السياسى ، فقد كان المشير يؤمن بالانسان ، والديموقراطية وكثيرا ما حث جمال عبدالناصر على الأخذ بالأساليب الديموقراطية فى إدارة شئون البلاد ، وكان هذا أيضا على النقيض من السوفييت ، الذين يطبقون « ديكتاتورية البروليتاريا » والحقيقة هى ديكتاتورية اثنى عشر شخصا هم المجلس الأعلى للسوفييت .

ولما كان الروس قد أصبحوا أصدقاء رغما عنا ، ولحاجتنا اليهم ، ولما كان مؤشر البوصلة السياسية متجها ناحية الاتحاد السوفيتى ، ولما كانت القرارات الاشتراكية قد صدرت ، فإن عبد الحكيم عامر قد أصبح جسما غريبا فى هذا التكوين المؤلف من الروس ، وجمال عبد الناصر ، ومراكز القوى .

ولأن المشير كان قويا ومحبوبا من الجيش ، وله ركائز قوية بين الضباط الأحرار ، فإن نبذ هذا الجسم الغريب لم يكن ممكنا ، لمجرد الرغبة فيه ..

وعلى ذلك امتلأ المناخ السياسى ـ المصرى السوفييتى ـ بالدسائس والمؤامرات ، والتشهير ، والكراهية ، وقامت مراكز القوى بأجهزتها ـ التى لا تحصى ولا تعد ـ بدورها الماكر الشرس فى الحياة المصرية ، وسارت البلاد فى طريق وعر منذ ذلك الحين ، وناء كاهلها بوقائع ضخمة ، تمت فى حيز ضيق من الزمان : بناء السد ، حرب اليمن ، حرب ١٩٧٦ .

فإذا كانت مصر المناضلة ـ فى تلك الحقبة ـ تفتك بها الصراعات من الداخل ، ومؤامرات الامبريالية من الخارج ، فإن عام ١٩٦٧ وبما حفل به من مآس ، يصبح نتيجة طبيعية للأوضاع التى كانت سائدة فى مصر آن ذاك .

وإذا كان المشير قد كره الروس ، فإن الطبيعى ان يكرهه الروس .



مباحثات ناجحة عقدها المشير فى عدة اجتماعات متوالية مع زعماء الاتحاد السوفيتى ، وبحث معهم وسائل التخطيط و التصنيع والتسليح على ضوء تقارير لجان الخبراء بروسيا فى ١٤/ ١٢/ ١٩٦٠

إن اسوأ أنواع الكراهية ، هى تلك التى لا ينبغى أن تظهر علانية للناس ، فتتحول فى الخفاء إلى مواد عطنة لزجة ، مليئة بالجراثيم والطفيليات والسموم ، وعلى هذه « القبيحة » ان تظهر بوجه مستعار يسر الناظرين .

وكنت بحكم زواجى من عبد الحكيم عامر ، قد ادركت وجود هذه الكراهية ، التى اقدمها هنا من خلال عدة مواقف وحوارات ، بعضها در بينى وبين المشير ، وبعضها بين المشير والقادة السوفييت ...

فى ذات يوم دار حوار بينى وبينه ، وكان من عادته عندما يسمعنى أجادله ، واملأ فمى بكلمات ضخمة مثل « التقدمية » و « السلام العالمى » .. « كفاح الشعوب » الى آخر هذه الألفاظ التى يعرفها المثقفون ، كان يرد علىّ ساخرا « انت شيوعية » .

وفى هذا الحوار الذى نحن بصدده الآن ، قلت له :

ـ لماذا تكره السوفييت ؟ .. إن الماركسية نظرية جديدة .

قال : ـ نعم هى نظرية جيدة ... ، ولكنها غير واقعية ...

و بدا لى هذا التعبير غريبا ، فلأول مرة اسمع من يصف الماركسية بأنها غير واقعية ، بينما اصحابها يباهون الدنيا « بواقعيتها » . ويبدو ان المشير قرأ تعجبى فقال :

ـ ان جمال النظرية ليس دليلا على واقعيتها ... ويكفى انها عاملت البشر على انهم نوع من الآلات المتشابهة ، وتجاهلت الطبائع البشرية ، التى هى من صميم الواقع ... ويكفى ان الروس أنفسهم لم يطبقوها فى بلادهم بشكل كامل .

قلت : هم على الأقل نافعون لنا .

ويبدو ان هذا لم يعجبه منى ، فرد باقتضاب :

« هم ينفعون انفسهم أولا » .

ولم اتراجع فواصلت مناقشتى :

ـ أكنت تفضل ان نكون اصدقاء للإمبريالية ، وهل تفضلها على الماركسية ؟ .

قال : « ليس هناك شيء اسمه الامبريالية .. أو الماركسية .. هناك شيء واحد اسمه « المصلحة الخاصة » انهم جميعا .. وان اختلفوا .. على عقيدة واحدة اسمها « المصلحة الخاصة » ... والعاقل من يتجاوز هذه الأسماء ويدخل فى لب الموضوع .

كان لب الموضوع بالنسبة له هو « مصلحة مصر » ولم يقبل ان يقايضه بأى مصلحة أخرى ، لذا أصبح عدوا للشرق وعدوا للغرب ، وعدوا لمراكز القوى .

كان إذن يرى مصلحة مصر فوق كل مصلحة ، وكان هذا سر معاناته الحقيقية .. وكان يتألم للوضع الذى وجدت مصر نفسها فيه ، وعبر عن ذلك بقوله : « احنا عاملين زى الشحات اللى لابس بدلة مرقّعة .. حتة من روسيا .. وحتة من يوغوسلافيا.. وحتة من الهند ».

وكان يؤمن بقدرات الشعب المصرى ايمانا لا حد له ، وقد روى لى أخى الأصغر هشام قائلا :

كنا جالسين نشاهد التليفزيون .. الذى كان يعرض فيلما عن إحدى الدول الافريقية الفقيرة جدا ـ ولا يذكر أخى اسمها ـ وأظهر الفيلم حالة الفاقة والتخلف فى هذه الدولة ، فقلت معلقا :

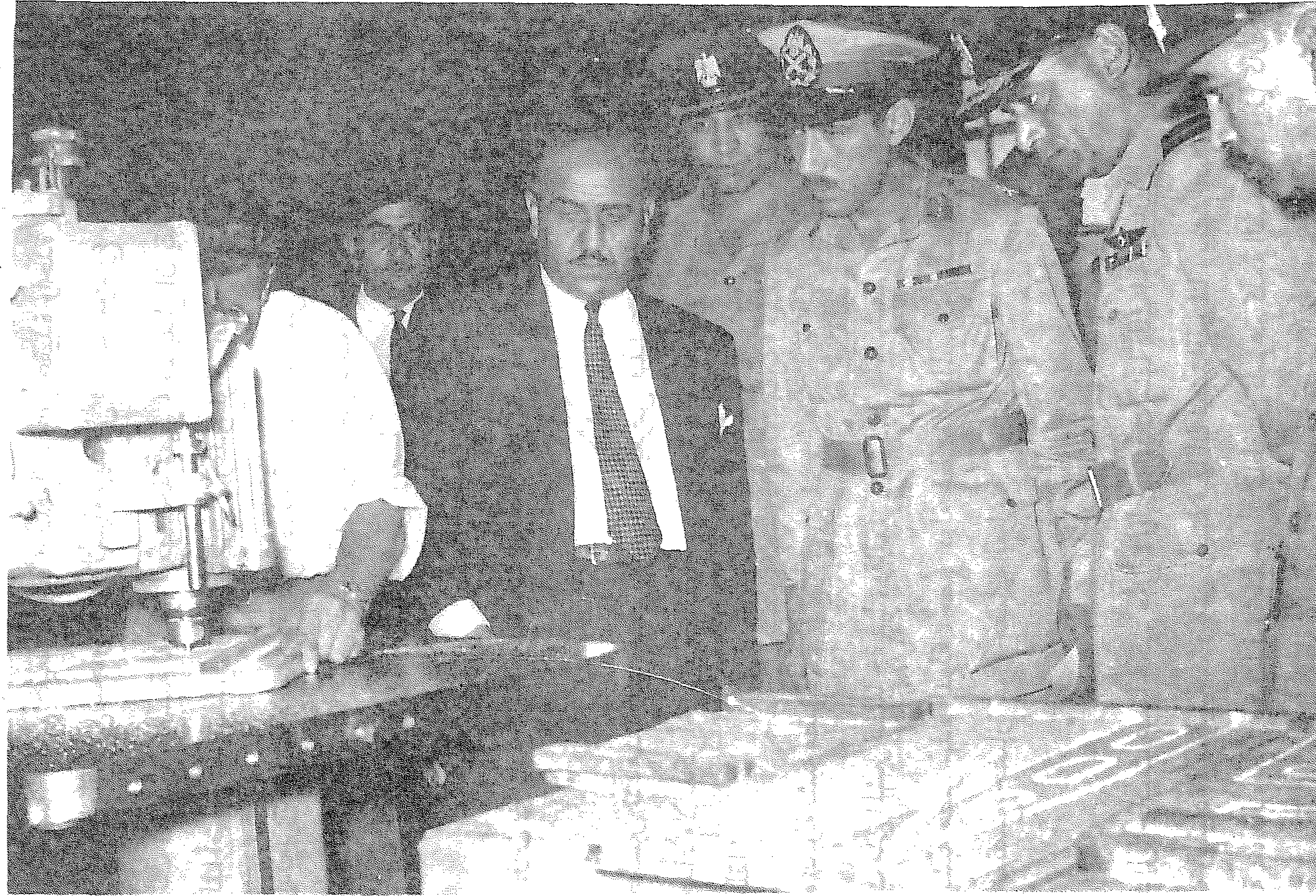
ـ هذه الدولة تشبه مصر !!

غضب منى المشير غضبا حقيقيا ، وقال :

ـ لا تشبّه مصر بهذه الدولة ، مصر دولة عظيمة ، والمصريون شعب عظيم .. نحن نستطيع ان نصنع حضارة تفوق حضارة الفراعنة .

* * *

وأعود إلى أحاديث عبد الحكيم معى ، والتى عرفت منها ذلك الجدل الدائر بين القيادة المصرية ، والقيادة السوفيتية .. والذى رأيت فيها ان الصداقة بيننا وبينهم صداقة مشبعة بالخصومة ، ، فالروس لم يكونوا قوما سذجا أو عاطفيين تأسرهم كلمة الصداقة ، وانما كان همهم الحقيقي هو الهيمنة الكاملة على مصر ، أى ان نزعتهم كانت « استعمارية » وليست



القائد العام فى زيارة مصانع الطائرات ومطار الماظة الحربى فى أكتوبر ١٩٥٣ ، ومعه السيد حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة ، والفريق محمد صدقى محمود .. كان من أهم أهدافه تصنيع السلاح محلياً .

نزعة تعاونية من أجل رخاء البشرية ، لذا ما كانوا يعطوننا شيئا الا وأخذوا منا مقابلا يفوق هذا الشيء ، فإذا كان المقابل المطلوب ضخما ويصعب على القيادة المصرية تقديمه ، فإن الروس من ناحيتهم كانوا يمسكون ايديهم عنا ، ولا يعطوننا ما نريد ، حتى ولو كان ذلك لإنقاذ حياتنا « قمحاً » .. وقصة قطع الغيار والمعدات الحربية التى طلبتها مصر بإلحاح من روسيا ، والتى تلكأت روسيا فى تقديمها حتى وقعت حرب سنة ١٩٦٧ ، فدخلها الجيش المصرى وهو يعانى نقصا شديدا فى المعدات والذخائر ، هذه الواقعة خير دليل على صدق ما أقول ، فقد كان الروس يريدون من مصر ان توافق على قواعد وتسهيلات لهم وكان يقود المعارضة لرفض مثل هذه الطلبات المشير عبد الحكيم عامر .

وعندما زار المشير روسيا على رأس وفد عام ١٩٦٦ ، عومل الوفد معاملة سيئة .

فى البداية قالوا إن وزير الدفاع بالوفيسكى مريض ولن يستطيع مقابلتهم ، ولذلك رأى المشير ـ حسب البروتوكول المعروف ـ ان يقابلهم شمس بدران وزير الحربية المصرى حينذاك ، وبقية أعضاء الوفد .

وعقد الإجتماع على هذه الصورة ، ـ بدون عبد الحكيم وبالوفيسنكى ـ وحين شرع واحد من الوفد المصرى فى الحديث ، رفض الجانب الروسى الاستماع وقال : « هناك موضوع هام قبل عرض طلباتكم ... وهو الموافقة على تسهيلات للاسطول السوفييتى ، وإقامة قاعدة للاستطلاع داخل الأراضى المصرية .

وقد رد الفريق صدقى محمود قائلا :

ـ كيف تنسون أننا منذ بداية الثورة ، ونحن نرفض مبدأ القواعد الأجنبية .. وليس من المعقول ونحن نقود حركة تحرير فى المنطقة ، ان يطلب منا قبول هذا ... وعلى كل حال هذا موضوع كبير ، ولا نستطيع نحن ابداء الرأى فيه .

وعندما عادوا إلى عبد الحكيم ، وابلغوه بما دار قال لهم :

ـ تصرفكم مضبوط ، وفعلتم الصواب .

طلب عامر التعجيل بالسفر بعد ذلك اللقاء بين الوفدين ـ المصرى والروسى ـ ورفض تنفيذ البرنامج الذى أعد للزيارة ، ولكن كوسيجين رجاه أن يؤجل سفره يومين حتى لا يظهر الخلاف امام العالم .



صورة لعبد الحكيم مع خروشوف أثناء احدى زياراته لروسيا ومعهما القادة السوفييت وسفير مصر فى موسكو فى احدى زياراته للاتحاد السوفيتى .

ولما كان البرنامج قد الغى ، والمحادثات أيضا الغيت ، فإن الروس اخذوا المشير ومن معه فى زيارة منطقة تربى فيها الخنازير البرية للتفرج عليها ، وقضوا هناك وقتا ، وتم تصوير الرحلة سينمائيا .

والحوار الذى دار بين عبد الحكيم وخروشوف ، إبان زيارة هذا الأخير لمصر ، ليشارك فى احتفالات تحويل مجرى النيل ، كبداية لبناء السد العالى ، يلخص أيضا حقيقة الموقف .

جرى هذا الحوار فيما كان خروشوف وعبد الحكيم فى السفينة النيلية ، وقد سمعت القصة فى حوار دار بين عامر ، وصلاح نصر فى بيتنا بالهرم ، سمعت صلاح نصر يقول :

ـ سيادتك كنت موفقا مع خروشوف ، واستطعت ان تأخذ موافقة على مطالب كثيرة ، .. كنت تأخذ وكلما طلب هو رفضت وراوغت .

ابتسم عامر :

ـ اتدرى ماذا قال ؟ ... قال يا عزيزى ان أفعالك تذكرنى بالمرأة الجميلة العفيفة ، التى تريد ان تأخذ كل شىء دون ان تعطى شيئا ، وهذا غير معقول !

وكان خروشوف يحب عامر ، ولذلك كان جمال « يزق عامر على خروشوف لأنه يلبى طلبات عامر أغلب الأوقات .. وكان خروشوف أكثر الزعماء الروس التزاما بتعهداتهم لمصر ، وفى الزيارة التى نحن بصددها ، كان قد تعهد بامدادنا بوسائل « ميكنة زراعية » . ومساعدة مصر فى ارسال المعدات للأراضى الزراعية التى ستقوم مصر باستصلاحها بعد السد العالى ، وقد عاد خروشوف إلى بلاده بعد هذه الرحلة الناجحة ، وقد صدم عبد الناصر و عامر عند عزل خروشوف بعد هذه الزيارة بعدة أشهر ..

سحر بريونى

أخذ جمال عبد الناصر بسحر بريونى منذ أول زيارة قام بها إلى يوجوسلافيا ، واستضافة تيتو له فى قصره بجزيرة بريونى ، ولم يكن جمال الطبيعة المزهرة بالورد والزهور هو سر اعجاب جمال عبد الناصر بالجزيرة ، وانما القصر المقام هناك ، المنشآت التى اقامها تيتو ، ووسائل الرفاهية والمتعة ، فعاد جمال وحلم جزيرة بريونى لا يفارق خياله ..

وقال لعبد الحكيم عامر بعد عودته : إنه لم يستطع النوم لشدة اعجابه بجمال حجرة النوم التى بات فيها ، فقد اخذته بفخامتها ، وزخارفها . وعقب على ذلك بقوله لعبد الحكيم عامر « ان تيتو قد نجح فى ترسيخ اركان حكمه .. ومن حقه ان يحيا حياة مرفهة ، تعوضه عمّا لقيه من متاعب فى أول حياته » ..

وكانت جزيرة بريونى فى خيال جمال عبد الناصر ، عندما كان يتجول فى حدائق المعمورة عام ١٩٥٧ ، ووقعت عيناه على الأرض الفسيحة حول القصر ، ورأى فيها مكانا مناسبا للتريض ، ومقابلة زعماء العالم ، فكان ان أمر المهندس على السيد ، أحد مهندسى القوات المسلحة ـ بإقامة استراحة واختار لنفسه بقعة مساحتها سبعون فدانا لاقامة فيلا اطلق عليها الأستراحة رقم « ١ » وعلى بعد حوالى كيلو متر أقيمت فيلا أخرى ، وأطلق عليها الأستراحة رقم « ٢ » وخص بها عبد الحكيم عامر .

ثم طلب من نفس المهندس اقامة كبائن على جزيرة الشاى بقصر المنتزه ، وكان على نفس الجزيرة استراحة الملك فاروق ، فأخذها جمال لنفسه ، وتم انشاء بيوت وفيللات صغيرة لأقامة حرصه وموظفيه .

واستولى جمال على جزيرة تقع امام قصره هناك فى المعمورة ، وحشد فيها كل وسائل الحياة الناعمة ، من طائرات هليوكوبتر ، ولنشات على أحدث طراز ، كما جهزت الشواطىء بمعدات الصيد .

واقتداءً بتيتو ـ أيضا ـ بنى فى قصر الحكمة قصرا فاخرا ، وكان للملك فاروق هناك استراحة خشبية صغيرة ، لكن جمال حولها إلى استراحة لخدمه .

وفى منشية البكرى كان له بيت صغير ، داخل قشلاق الجيش ، اقام فيه منذ بداية الثورة ، ثم هدمه واستولى على المكان كله ، وحوله إلى حدائق واسعة ، وأقام فيها دورا للسينما ، وحماما للسباحة ، وملاعب للتنس ومختلف الألعاب . وأقام لنفسه بيتا من طابقين ، وبه اسانسير ، وفى غرفة الطعام بالبيت ، توجد مائدة تسير بالكهرباء ، وتفتح جوانبها آليا وهى تطوف على الجالسين ليختاروا منها ما يشاءون من أطايب الطعام .

وقد حدث يوما أن قال عبد الحكيم لجمال مازحا « بيقولوا عليك بقيت ديكتاتور زى تيتو ...» . فرد عليه عبد الناصر : « يا ريتنى سعيد زى تيتو » .

كان الرئيس والمشير ومعظم زملائهما ، يقضون أغلب أوقاتهم فى الجزيرة التى بالمعمورة . كما كانت لهم رحلات صيد يقومون بها فى البحر الأحمر على متن السفينة « فخر البحار » أمّا المرافقون فإنهم يكونون على سفينة أخرى وراءهم اسمها « انتصار » .

وفى هذه الرحلات كانوا يحيون بحرية كاملة ، لابسين المايوهات والبرانيط التى تحميهم من لفحة الشمس .

وفى ذات يوم جلست أراقب متولى وهو يعد لوازم هذه الرحلة البحرية ، فسألته : « ما هى الأشياء التى تتطلبها الرحلة ؟ » فأجاب ضاحكا : « من الإبرة للصاروخ يا افندم » .

كان ناصر لا يأمن لأحد ، فكان يطلب من رجال المشير اعداد مستلزمات الرحلة حرصا منه على عدم تدخل أحد من سكرتاريته فى شئونه الخاصة .. أو حتى السماح لهم بمرافقته فى هذه الرحلات ، واضعا بذلك حاجزا بينه وبين موظفى مكتبه ... كما أن جمال كان يعلم مدى حسن اختيار عبد الحكيم لرجاله ، وفوق ذلك كان يتحمل مسئولية المحافظة على حياة الرئيس ، وقد ترك ناصر هذه المهمة لعامر منذ أمد طويل ، لأنه لم يأمن على حياته أحدا غيره ..

كان المشرفون على رحلات الصيد هذه ، يزودون الرحلة باللحوم على مختلف انواعها ، وكذلك البقالة المستورد منها والمحلى ، وبالذات الجبن الأبيض المستورد من هولندا وسويسرا ، وليس الجبن القريش كما يقول أحد الصحفيين المعروفين ، كما يزودونهابالكافيار ، والأسماك المدخنة ، والفواجرا ، والتونا ، والانشوجة . اما الحلويات فيؤتى بانواعها المختلفة

من المحلات فوق ما يصنعه الطباخون فى الباخرة ، ويحضرون أيضا جميع أنواع الفاكهة المحلى منها والمستورد ، التفاح والكريز اللذين كان يحبهما جمال عبد الناصر ، واحد منهم صمم أن يضع الكريز فى الشمبانيا ، اما الاناناس فكان يؤتى به من الخارج بالطائرات ، ويتوج كل هذا بأنواع المشروبات العادية ، وغير العادية ، من الكازوزة والمياه المقطرة ،إلى الويسكى والكونياك والشمبانيا العادية والروزيه « البمبى » .

كل ما أذكره هنا عن المعمورة ، عرفته بالسماع من المشير أو متولى ، أو على شفيق ، أو أبو المعاطى .. وغيرهم ، فلم يحدث قط ان ذهبت إلى هذا المكان المشهور .. الباذخ الغامض .

ولا أنكر ان نفسى تاقت لزيارة المعمورة ، وان الفضول استبد بىّ مرارا لمعرفة كل ما يدور هناك خاصة وانها ـ فى نظرى ـ مكان يأخذ منى المشير أياما كثيرة ، فهل كان عبد الحكيم غارقا فى الملذات أيضا ؟ .

كان من الضرورى ان أعرف الجواب ، فأنا امرأة ، والغيرة تأكل قلوب النساء إذا بدا لهن ان شيئا ما يأخذ منهن ازواجهن .

قلت له يوما : « لم لا تأخذنى معك إلى المعمورة ؟! » .

فأجاب بفتور « لا مكان لنا هناك .. فماذا عساك تفعلين هناك .. انها مكان ملىء بالجنود والحراس ، وكل ما لا يخطر على بالك .. مملكة .. » .

قلت بصوت متباك : « ولكنك تذهب إلى هناك .. وتتركنى هنا وحدى » .

ضحك المشير : « أذهب إلى هناك لأن الرئيس هناك .. ولأنى نائب الرئيس .. وتأكدى ان ذهابى إلى المعمورة بالنسبة لىّ عمل وليس لهواً .

وفى مرة أخرى قال لىّ وكنا مقبلين على أحد الأعياد : « سأذهب لمقابلة الرئيس فى المعمورة ... لأنى أفضل ان أطلب منه شيئا للناس وهو فى المعمورة ... لأنه يكون عادة فى حالة مزاجية طيبة » .

وبالفعل ذهب اليه .. واستطاع ان يقنع جمال بتقديم منحة للعمال والموظفين بمناسبة العيد .

قلت متخابثة : « ولكنه عمل ظريف .. أليس كذلك » ؟!!

ضحك عبد الحكيم مرة أخرى ، وكأنها أراد أن يضع حدا لإلحاحى ومحاوراتى فقال : « لا تتعبى نفسك ، فلا يمكن ان آخذك إلى المعمورة .. وثقى ان الأمر لو بيدى لما ذهبت إلى هناك قط ... » .

ولم أكن أشك فى كلامه عن نفسه ، فإن الأيام التى عشتها معه كزوجة ، لم يكن فيها ترف ولا بذخ ، ومكنتنى معاشرته من معرفة شخصيته الميالة إلى البساطة ، والبعد عن التكلف ، واغتراف الملذات ..

والقصة التى اسوقها هنا ، قد تعطى القارىء صورة واضحة عن شخصية عبد الحكيم عامر ، ففى المرة الوحيدة التى زار فيها عبد الناصر بيتنا بالهرم ، حدث أثناء جلوسه ان تعطل جهاز التكييف ، وكان قديما ماركة « كولدير » وبذلت محاولات لا.صلاحه دون جدوى ، فبدا الضيق على جمال ، وأصبح عصبيا ، وابدى اهتماما زائداً باصلاح الجهاز ، ورغم ذلك لم يعمل .. !!

وقال له عبد الحكيم معلقا : « أرأيت يا جمال .. لقد تعودنا الترف ، ولم نعد نطيق الجلوس بلا جهاز تكييف .. ليتنا نستمع إلى حديث رسول الله الذى يقول فيه : « اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم » ولم يرد جمال !!

المشير والأجهزة

فى عام ١٩٦٦ شكلت « اللجنة العليا لتصفية الإقطاع » بناء على قرار جمهورى وتولى رئاستها المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية .

وقد كتب علىّ ان أتعرض لآلام نفسية بعد موت المشير ، وأنا أرى انيابا تنهش لحمه ميتا دون ان اقدر على دفعها عنه ، وكانت رئاسته لهذه اللجنة ، من المواضيع التى أوغلت فيها السنة كثيرة ، تتحدث بالسوء والتشهير به ، لما ادعته من ممارسات ظالمة ، ومع ان أمور الدولة لم تكن من اختصاصاتى كربة بيت ، إلا أن الرجل الثانى فيها كان من اختصاصى بحكم انه زوجى .

ومن حقى أن ادافع عن زوجى ، عن الرجل الذى كان كل دنياى فى تلك الفترة ، وقد سكت لسانه ، وتكلمت السنة السوء .

وأبدأ دفاعى بأن اقدم للقارىء ما قاله شاهد كان مطلعا على الكثير بحكم عمله ، فوق أنه كان واحدا من أعضاء لجنة تصفية الاقطاع ، و أعنى به صلاح نصر . الذى كتب فى مذكراته يقول :

بالرغم من الجهود التى بذلتها اللجنة ، وبالرغم مما حققته من رفع الظلم عن كثير من الناس ـ كما هو مثبت فى محاضرها ـ فأن السلطة بعد مصرع المشير ، نقضت كل قرارات اللجنة الثورية التى كان يباركها جمال عبد الناصر بعد النكسة ، وأوكل إلى لجنة جديدة كان اعضاؤها فى اللجنة القديمة !!! مهمة اعادة النظر فى قرارات اللجنة القديمة ... لقد وجدت السلطة بعد فتنة سنة ١٩٦٧ إنها فى مأزق ، وارادت ان ترضى الإقطاع فنصح أهل المشورة ان يمسحوا أخطاء اللجنة القديمة فى المرحوم المشير عبد الحكيم عامر .

والواقع أنها كانت تمثيلية من تمثيليات الحكم لإيهام الرأى العام الداخلى ، بأن لجنة تصفية الإقطاع ـ التى كان يرأسها المشير عامر ـ هى أم البلاء فى اصدار القرارات الظالمة .. على حد قولهم .

لا أريد أن أتوسع فى هذا الموضوع ، فحسبى اننى أعطيت صورة لما كان يحدث داخل اللجنة (*).

على أن ثمة نقطة هامة لا بد أن اذكرها .. لقد كان عبد الناصر يهدف إلى شىء ماكر من اسناد رئاسة هذه اللجنة إلى المشير عامر ... لقد أراد ان ينال المشير عامر نصيبا من كراهية الناس ، مثلما كرهوا من قبل جمال سالم فى محكمة الثورة ، وكما كرهوا كل من صور لهم على انه عدوّ الشعب .

هذا كلام صلاح نصر ، وانى لأرى صدق ما يقول على ضوء أحوال المشير ، وبعض العبارات التى سمعتها منه ، وبعض الحوار الذى دار أمامى فى جلسات اصدقائه بمنزلنا عندما يكون فى زيارتى .

فى مرة من هذه المرات سمعته يقول : اعمل إيه ؟ .. كل ده من تحت الأجهزة .. أصله بيحب السرية ... نظامه بقى كده ..

وتفصيل هذا الكلام ، ان الأجهزة التى كونها عبد الناصر ـ وهى كثيرة ـ كانت تقوم بأعمال غاشمة ضد ملاك الأراضى ، متذرعة بقرارات « لجنة تصفية الإقطاع » .

وهذه الأجهزة المشار اليها ، كانت من أجهزة الأمن العديدة مثل المخابرات العامة ، المخابرات العسكرية ، المباحث العامة ، المباحث الجنائية العسكرية ، مخابرات رئاسة الجمهورية ، وأجهزة كثيرة تتبع عبد الناصر مباشرة ، يقوم عملها على التجسس ، والتصنت ومن وسائلها التعذيب ، والقهر ، والتلفيق ، والتشهير ، والقتل .

اما عبارة « اصله بيحب السرية » فقد كانت اشارة إلى جمال عبد الناصر ، فمن الغريب انه ظل يمارس اسلوب التنظيم السرى الذى اتبعه قبل الثورة ، ظل يمارسه بعد الثورة أيضا ، وعلى سبيل المثال اذكر « التنظيم » داخل الجيش الذى كُلّف سامى شرف بتكوينه ، وقد كان هذا التنظيم سببا فى غضب عبد الحكيم عامر الذى خاف أن يؤدى ذلك إلى تشتت

(*) نشرت هذه المذكرات فى جريدة الرأى العام فى العدد رقم ٨٠١٩ الصادر بتاريخ ١٤ / ٣ / ١٩٨٦ .

ولاء الضباط ، ثم ما ضرورة التنظيم والسلطة كلها فى يديه ، وأصر وقتها عبد الحكيم على حل هذا التنظيم ، وقد حل فعلا بعد مشادة بينه وبين جمال ، وان اتضح بعد ذلك ان الحل كان ظاهريا !!!...

والواقع ان مكتب الشئون العامة فى القيادة العامة للقوات المسلحة كان مسئولا عن تأمين الجيش، إلا إن جمال عبد الناصر لم يكتف بذلك ، فقام بتشكيل خلايا اخرى عن طريق سكرتيره ، سامى شرف ، وعلمت ان عبد الناصر كان يلتقى سرّا مع أعضاء هذه الخلايا - وهو رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة !!!

وقد أدى هذا إلى خلق توتر فى العلاقة بين ناصر وعامر ، وظل التوتر يزداد حتى تحول إلى مجابهة صريحة .

ذلك لأن جمال عبد الناصر ، كان يريد ان يضمن ولاء جيل من طلبة الكلية الحربية ، فيضمن بذلك ولاءه له بعد التخرج ، واختار لهذه المهمة أحد الضباط الأحرار وهو « إبراهيم الطحاوى » وعهد إلى شخص يدعى الشيخ دنيا ، وتكون مهمته توجيه هذه الجماعة ايديولوجيا . وكان الشيخ دنيا يزعم انه أيضا يتنبأ بالغيب وقد تنبأ لجمال بحرب ١٩٥٦ فنال بذلك ثقته .

وقد ظل هذا التنظيم فى الخفاء ، إلى ان اكتشفه عبد الحكيم عامر سنة ١٩٥٦ فوقعت مواجهة بين عامر وناصر وانتهت بموافقة ناصر على حل هذا التنظيم.

ونعود إلى لجنة تصفية الاقطاع ، ومراعاة عبد الحكيم مبادىء أساسية للعمل بها فى هذه اللجنة ، وهى مراعاة الظروف الاجتماعية لمن تفرض عليهم الحراسة ، ومراعاة الجوانب الانسانية عند التعامل معهم ، ومراعاة المواقف الوطنية لمن كانت لهم لمواقف وطنية ، أو لأحد أجداده مثل هذه المواقف .

وكان أشد ما يضايق المشير ، هو خروج الأجهزة عن هذه المبادىء الانسانية وهى تتعامل مع الاقطاعيين ..

وأستشهد هنا بأقوال صلاح نصر (*).

حقا لقد وقعت بعض الأخطاء فى التنفيذ ، شأن ما يحدث فى أى موقع من مواقع العمل ، ولكن حين اكتشفت اللجنة هذه الأخطاء ، قام المشير بتصحيحها .

أذكر اننى علمت ان الشرطة العسكرية ، والمباحث الجنائية العسكرية قد قامتا بأعمال عنف أثناء قيامهما بمهمتهما ، فأبلغت المشير عامر ، الذى أسرع فطالب بوقف مثل هذه الأعمال ، ولأنقل من محاضر جلسات اللجنة ما قاله المشير عامر فى جلسة السادس من يوليو سنة ١٩٦٦ .

« قبل ان أبدأ العمل لدى ملاحظة أود ان ابديها ، بشأن الأجهزة التى تعمل فى موضوع الاقطاع فى الريف ، فقد بلغنا من أكثر من مصدر للمعلومات ، ان هذه الأجهزة تتصرف تصرفات عنيفة مع الناس ، وهذا غير مقبول مطلقا ، ورؤساء الأجهزة مسئولون شخصيا عن هذا ، وعليهم المرور على أجهزتهم للنظر وتحرى الحقيقة ، فإذا كانت هناك تصرفات بهذا الشكل ، فعليهم أن يحدوا منها ، لأننا لا نريد تصرفات عنيفة مطلقا ، كالضغط على الناس ، وضربهم ، وما إلى ذلك .. ان الأمور كلها ستتضح ونحن لا نريد العنف ، ولسنا فى حاجة اليه ، ولا ينبغى ان تظهر الأجهزة الحكومية بمظهر العنف ... وأريد خلال الأسبوع القادم أن يمر رؤساء الأجهزة بأنفسهم عليها ، وان يقوموا بالتنبيه بعدم القيام بمثل هذا العمل مرة أخرى ، أو تكرار حدوثه ، وإذا لم تكن هذه الأمور قد حدثت ، وكانت هناك مبالغة ، فيجرى التأكيد بعدم حدوثها ، وأخص بالذكر فى هذا الموضوع ، الشرطة العسكرية ، والمباحث الجنائية العسكرية ..

وقد يكون مناسبا ـ ونحن بصدد الحديث عن لجنة تصفية الاقطاع ـ ان أذكر حقيقة عرفتها من المشير وأصدقائه ، وهى ان جمال عبد الناصر ، عندما قرر تحديد الملكية ، كان قد رأى ان يكون الحد الأقصى خمسة أفدنة ، ولكن عامر قال له : « إذن أنت لا تعرف كيف يعيش الفلاحون ؟! .. ان المائة فدان التى يملكها واحد ، انما يعيش منها فى الحقيقة

(*) جريدة الرأى العام ـ العدد ١٩٠ ٨ الصادر بتاريخ ١٤ / ٣ / ٨٦.

هذا الواحد وأبنائه العشرة ، وأبناء أبنائه وزوجاتهم ، وان يكون الحد الأقصى خمسة أفدنة ، معناه خراب بيوت هؤلاء الناس ، الذين جئنا من أجلهم ، ونحن نسعى إلى العدل ، لا إلى خراب البيوت !! ..

ويذكر لى عامر ، انه فى إحدى الرحلات ، التى أغرى عامر الرئيس على القيام بها ليشعره بالفلاح فى الصعيد ، استقبلهما الناس بالحفاوة البالغة ، والهتاف ، يذكر لى انه قال لجمال : « أنظر كيف يحبك أهل القرى ... فلماذا تستجلب كراهيتهم بتحديد الملكية .. وهم جمهورك الحقيقى » ...

كانت هذه الرحلة والمشروع قيد البحث ، وعندما تأكد لعبد الحكيم ان جمال مُصر تماما على ذلك ، جاهد حتى يجعله يغير رأيه ، ويجعل الحد الأقصى للملكية الزراعية خمسين فدانا ، بدلا من خمسة أفدنة ....

لقد حورب عبد الحكيم عامر حيا ، وافترى عليه ميتا . حورب من التنظيمات السرية التى كونها جمال ، وحورب من مراكز القوى ، وحورب من عملاء الروس ، وحورب من الأقلام المرتزقة التى تعمل بإيعاذ من سامى شرف وأجهزته ، والتى لفقت له تاريخا مزيفا لقاء دراهم معدودة ، وسرقت ادواره فى الثورة ووزعتها على آخرين فصنعوا بها لأنفسهم بطولات زائفة .

ولا أجد أفضل مما قاله صلاح نصر فى مذكراته ، ردا على هؤلاء : « اين كانوا هؤلاء الذين يهاجمون اليوم ما كان بالأمس ؟ ... إما انهم كانوا منافقين يسيرون فى الزفة ، وإما كانوا إمعات فى الحكم لا حول لهم ولا قوة ، وإما كانوا موتورين نتيجة ما أصابهم على يد الثورة ، حينما قامت بتصفية أعداء الثورة » ...

ومن العبارات التى سمعتها بأذنى من المشير فى كثير من المكالمات التليفونية عبارة : « هو المعفّن مش ناوى يبّطل تقارير ؟ ... ما يسيب الجيش فى حاله ،وكفاية عليه المدنيين .

وذات مرة بعد محادثة تردد فيها عبارات من هذا القبيل ، التفت إلىّ المشير بعد ان وضع السماعة قائلا : « تصورى ان المعفن قدم تقريراً للريس ، بيقول انى قلت راح أنفى الريس

وأوديه يوغوسلافيا ، .. والغريبة لما زعلت من الكلام الفارغ ده قال لى : « يا حكيم .. ده حتة موظف من ضمن موظفين عندى » طب ما هو شوية الموظفين دول همة اللى ح يودوه ويودوا البلد فى داهية » .

كان عامر يشكو مر الشكوى من تآمر هذا المعفن ضده وضد قادة الجيش الوطنيين ويقدم تقارير ملفقة عن ضباط الجيش الذى اسموه فيما بينهم « جيش عبد الحكيم عامر لأيغار صدر جمال عبد الناصر ضد المشير .

وبالطبع فإن « المعفّن » هو الاسم الذى كان يطلقه عامر على أحد الرجال العاملين مع جمال فى أجهزته البوليسية المتعددة ، وكان من عادة جمال التهوين من شأن هؤلاء الأشخاص وتعمد اهانتهم أمام عامر وآخرين .. ثم ينظر لعامر قائلا : ـ احنا ثوار يا حكيم ..وده مجرد موظف عندى » .

وما كان يدرى ان « حتة الموظف سيكون سببا رئيسيا فى الخلاف بين ناصر وعامر » .



عبد الحكيم عامر فى لقاء مع قادة الطيران البريطانى أثناء زيارتهم للقاهرة .

مصايد لعبد الحكيم فى الجو والبر !!

فى أواخر عام ١٩٦٦ ، وربما فى أوائل عام ١٩٦٧ ـ لا أذكر التاريخ بالضبط ـ كان عامر فى طريقه إلى منزلنا بكنج مريوط ، وبصحبته صلاح نصر ، عباس رضوان ، وعصام خليل ، وفى الطريق الضيق الموصل لمنزلنا ، وقع حادث تصادم بين عربة المشير ، وعربة كانت تعبر هذا الطريق .

وعندما دخلوا علىَّ ، وحكوا تفاصيل ذلك الحادث على مسامعى ، بدا علىَّ الانزعاج ، فقال لى المشير ضاحكا : « ما تخافيش ... عمر الشقى بقى » .

ضحكوا جميعا ، وذكرهم هذا القول بحادثة طيران كادت تودى بحياة المشير عام ١٩٦٦ . وقد روى عصام خليل وكان مرافقا للمشير في ذات الطائرة ، ومعهما معظم القادة العسكريين .. روى قصة هذا الحادث الذى وقع في روسيا أواخر عام ١٩٦٦ ، عندما ذهب وفد بقيادة المشير للتفاوض مع الروس حول الأسلحة التى يحتاجها الجيش المصرى ، وأشياء أخرى « كالقمح » ، وكانت العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى فاترة فى تلك المرحلة بسبب رغبة السوفييت فى إقامة قواعد بحرية ، ومراكز استطلاع بعيدة المدى فى مصر ، ولكن عامر والقادة رفضوا ، ولذا فقد كان الروس يبذلون غاية جهدهم لإبعاد المشير والقادة عن السلطة !!

كانت الطائرة التى تحمله ومعه صلاح نصر ، والفريق أول صدقى محمود ، وعصام خليل ، والفريق عزت قائد البحرية ، تقترب من موسكو حين تلقى قائد الطائرة إشارة من مطار موسكو تفيد بأنهم لا يستطيعون استقباله فى المطار بحجة سوء الأحوال الجوية ، ونصحوه بالهبوط فى مطار لينتجراد .. والغريب أن مطار لينتجراد طلب من الطيار المصرى ، وكان يدعى « دغيم » الهبوط قبل الممر المعد للنزول !! أطاع الطيار التعليمات ففوجئ بأنه أمام مصنع ضخم !!

ولولا مهارة الطيار غير العادية ، وقدراته على السيطرة ، لما استطاع أن يرتفع فى الوقت المناسب ، وحوّل مسار الطائرة بسرعة أفقدتهم التوازن داخل الطائرة !!

وقد علّق صلاح نصر على رواية عصام خليل بقوله :

ـ أنا قدمت لجمال عبد الناصر وللروس الأدلة العلمية على ان هناك سوء نية من حجرة المراقبة .. ولم يستطيعوا تبرير هذا الحادث !!

وقال عامر :

ـ يعنى هية أول مرة ؟ .. أنا عارف ان الروس عايزين يخلصوا منى بأى شكل ، عشان يقدروا يسيطروا على الجيش ، لأنى طول ما أنا عايش لن أقبل احتلالهم لبلدى ..

واستطرد المشير :

ـ ناصحين قوى ، نطلب منهم قمح ، يطلبوا قصاده قاعدة بحرية داخل البلاد ، ويطلبوا تسهيلات للأسطول بتاعهم !!

إن ما لفت نظرى هو مآزق الطائرات ، التى كان من قدر عبد الحكيم أن يتعرض لها ...

ففى عام ١٩٥٦ ، وبالتحديد فى أواخر أكتوبر ، كان المشير فى زيارة لسوريا حين وقع العدوان الثلاثى على مصر ، فقطع المشير زيارته ـ وكان ذلك فى الحادى والثلاثين من الشهر ذاته ـ وقرر العودة إلى مصر ، بعد أن تم الاتفاق على تشكيل قيادة القوات المسلحة ، على أن يكون مقرها القاهرة ..

وترصدت قوى الأعداء تحركات عبد الحكيم ، يحدوها الأمل فى التخلص منه باسقاط طائرته ، ولكن القدر تدخل ، فحدث أن تأخرت طائرة المشير ، وكانت هناك طائرة أخرى تحمل مرافقيه ، فأقلعت قبل طائرة المشير ، فظن الأعداء انها طائرة المشير فأسقطوها ، ولا يعرف حتى الآن مصير هذه الطائرة المنكوبة ولا مصير من فيها !

أما الحادث الثالث المتعلق بالطائرات ، فقد وقع عام ١٩٦٧ حينما بدأ هجوم الطيران الاسرائيلى بينما طائرة المشير معلقة فى الجو ـ وكان ذلك الطيران بأمر عبد الناصر ـ ومرة ثالثة نجت طائرته من السقوط .. وإنه لمن الغريب ، ان كانت الفخاخ كلها منصوبة فى الجو لعبد الحكيم .. ولكنها سوء نية مبيتة ، ظلت تتعقبه ، بسبب ولائه الكامل لمصر ، دون

أن يفضل عليه ولاء للشرق ، أو ولاء للغرب ، ظلت تتعقبه إلى أن تمكنت منه فى نهاية المطاف ، فحرمت مصر ابنا بارا من أبنائها .

والدليل على ما أقول ، هو ذلك الحديث الذى دار بينهم فى تلك الليلة ، كعادتهم حين يجتمعون ، فإن السياسة تكون هى الموضوع الرئيسى الذى يشغلهم .. وكان مما قاله المشير فى تلك الليلة :

ـ يا جماعة .. اللى حأقوله ده مش معناه إنى ضد مساعدة أى حركة تحررية تريد الاستقلال عن أى نوع من أنواع الاستعمار ... لكن فاقد الشىء لا يعطيه ـ ابتدينا أنا والريس نحس انها أوامر فى صيغة طلبات .. قفوا إلى جانب البلد الفلانية ـ ابعتوا فرق للبلد العلانية لأنها قريبة من حكمكم ولازم تساعدوها !! الله ومصر ما يحبوش لها انها تقوى ، وتستطيع الدفاع عن نفسها .. لما نطلب أسلحة نحارب بيها فى اليمن يدونا .. نساعد بيها أى بلد .. يدونا .. واحنا عمالين نبعت أسلحة وذخيرة ، وولادنا بيحاربوا فى كل حتة ، بينما بلدى محتاجة للأجهزة اللى تحميها !! والادهى من ذلك .. إن احنا مع أمريكا ومش معاها .. ومع روسيا ومش معاها !!

لازم كلنا نفهم إن احنا مش أذكى منهم لنستمر فى اللعب على الحبلين .. طيب دول الغرب بيعتبرونا عنصر قلق لهم ، ونظامنا يؤثر على مصالحهم فى المنطقة ، وبيكلموا جمال بعجرفة لأنه بيشتمهم ، فلما نيجي نطلب منهم حاجة ـ حتى ولو كانت مواد تموينية ـ بيرفضوا ... وروسيا ما هياش الصاحب ولا حاجة ، وانتوا عارفين ان ده رأى الريس كمان .. لما أسأله : ايه اللى زانقنا على البهدلة دى ، يقول لى « هو فيه حد قدامنا غيرهم .. ما احنامحتاجينهم » .

الخلاصة ان كلهم دول استعمارية .. دى حقيقة وما نضحكش على بعض . لا أحد يعطى دون أن يأخذ الثمن ، ونحن لن نقبل أن نعطى أحدا شبراً من أرض مصر .. وهم لن يعطونا الأجهزة التى تحمينا من أى غارة فى العمق .. المسألة محسوبة .

وكان من رأى عامر اننا ـ والدول العربية ـ لعبة فى أيدى روسيا .. ووراءها المعسكر الشرقى ، ولعبة فى يد أمريكا ووراءها المعسكر الغربى ، وكان يقول :



عبد الحكيم عامر يتحدث إلى وفد من اساتذة جامعات امريكا أثناء زيارتهم للقاهرة فى ٨ / ٨ / ١٩٥٤ .. كان يسعى للانفتاح على الغرب .

ـ عندما يجدون أن الدول تسلحت بالإصرار ، وبالمطالبة المستمرة والضغط ، فماذا يفعلون ؟ انهم يدفعونهم للحرب ، لكى يستهلكوا السلاح الذى لديهم ، ويحتاجوا لشراء سلاح آخر ، واللعبة معروفة ... روسيا فى البداية كانت تسلح اليهود وتغيرت الأدوار .. الغرب يسلح اسرائيل وبعض الدول العربية بشكل محسوب .. وروسيا تسلحنا بالقطّارة ومعنا بعض الدول العربية .. وبهذا الشكل يظلون مسيطرين على المنطقة .

الآن روسيا تنصحنا بعمل اتفاقية مع سوريا .. وأمريكا تسلح اسرائيل وتحرضها على القيام بأعمال استفزازية ، والدول العربية التابعة للغرب تدفع للقيام بحملات ضد النظام المصرى ، ونتهم بأننا لا نحمى بعضنا ولا أنفسنا ، واننا نتمسح فى قوات الطوارىء الدولية لتوفر لنا الحماية ونحن نتسول السلاح من روسيا .

وكلام المشير هنا يدل على أنه لم يكن يرتاح للقوى الكبرى وبالذات روسيا التى كان يشك فى صدق مواقفها بالنسبة للقضايا العربية المصيرية ، وكذلك كان جمال عبد الناصر لا يثق ولا يستريح للشيوعيين ، لذلك قبل دعوة رجال الأعمال الأمريكيين ، والذين أقاموا فى فندق سميراميس . وكلف ناصر عامر بمقابلتهم ، وفتح الحوار معهم ، وكان ذلك للضغط على الروس للحصول على السلاح .

وقد قابلهم عامر وألقى كلمة بينهم كان مضمونها : اننا لم نغلق باب التفاهم مع أمريكا ، وانه ـ وفقاً للميثاق ـ لن تكون هناك قرارات اشتراكية أخرى ـ كما أبدى المشير بناء على اتفاق مع ناصر استعداد مصر للتفاهم على نوع من التعاون الاقتصادى .

وخرج رجال الأعمال بانطباع جيد بعد مقابلتهم لعبد الحكيم عامر الذى وصفوه بالاعتدال .

وقد انتهز شمس بدران فرصة نجاح هذه المقابلة ، فاقترح على جمال عبد الناصر مقابلتهم ، وقد تمت المقابلة فعلاً !! ووجهت خلالها الدعوة للمشير لزيارة أمريكا ، ومقابلة الرئيس جونسون ـ ولكن جمال أرسل بدلاً منه أنور السادات .

لهذا كله كانت القيادة عاجزة عن تحديد تعاون النظام المصرى مع أى من روسيا أو أمريكا ، ولقد حاولت بكل الجهد ولكنها لم تصل إلى حل لتلك المشكلة !!



فى حفل عشاء اقامه أيوب خان تكريما لعبد الحكيم عامر أثناء زيارته لباكستان ، ويرى فى الصورة شمس بدران ، وصلاح نصر .

كل من أعطى كان يريد أن يأخذ ، ولكن الوطنية منعت القيادة المصرية من التفريط فيما تعهدت به ، وقامت من أجله ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

ومن الطريف انه فى نفس السنة التى نحن بصددها ـ ١٩٦٦ ـ كان المشير يرأس وفداً لزيارة باكستان ليحسن العلاقة بيننا وبينهم .

وطلب عبد الناصر من عبد الحكيم أن يقترح سحب قوات الطوارىء الدولية التى كان وجودها يسبب إذلالاً لناصر ، إذ اتهُم بأنه « يحتمى فيها » ويجعجع بالتصريحات .

وكان تصور ناصر انه عندما يرسل عامر هذه الإشارة من باكستان عن طريق اللاسلكي ، فإن أجهزة الغرب ستلتقطها .

كان هذا التصرف من ناصر للضغط على الغرب .

وفعلاً أرسل عامر هذه الإشارة ، ولكن هذه المناورة لم تخدع دول الغرب .

وإذا كان المشير قد تعرض لمحاولات قتله ، بنصب هذه المصايد الجوية ، فإنه أيضاً تعرض لنوع آخر من المصايد الأرضية .

وإنى إذ أستعيد ذكرياتى فى وحدتى الآن ، أرى الفخاخ التى كانت منصوبة وموضوعة أمام أعيننا بصورة تسر الناظرين !!! ـ بل كنا نراها مصدر فخر ورضى ، ولا أدعى هنا الإحاطة الكاملة بكل ما حيك من مؤامرات ضد المشير ، ولكنى أذكر فقط كل ما أعرفه ، ولا شك أن ما خفى كان أعظم .

ذكرت لكم إن خروشوف كان يردد ، فى معرض المديح لعبد الحكيم عامر قوله :

ـ إن ناصر إذا أراد من الروس شيئاً ، فإنه يرسل لنا عبد الحكيم عامر ، لأنه يعرف اننا نستجيب لمطالبه .

كما أن الروس ، كانوا إذا تحدثوا عن المشير ، فإنهم لا يقولون أبداً « الرجل الثانى » بل يحرصون على قول « الأول مكرر » .



المشير بين أحمد بن بيللا ونائبه بومدين أثناء زيارته للجزائر .

كان الروس بلا شك يهدفون من وراء ذلك إلى ايغار صدر جمال عبْد الناصر ضد « المشير » فهم يعلمون غرام ناصر بالسلطة ، كما يعلمون شكوكه القوية ، وعدم ثقته بأى إنسان ، وهم يعلمون فوق ذلك ان السياسة بلا قلب .. فانظر إلى هذه العبارات « يلبون المطالب إذا جاءت عن طريق عبد الحكيم » فماذا يكون شعور جمال وهو الزعيم العربى . ورئيس الجمهورية حين يرسخ عنده هذا الظن ؟

وانظر إلى عبارة « الأول مكرر » انها تعمد منهم ، لإفهام عبد الناصر بأنه ندٌّ له .. وهو رجل لا يقبل ندًا إلى جانبه .

ألم يكن كل هذا تحريضا لعبد الناصر على التخلص من « الأول مكرر » والمفضل لدى الروس ..

هذه الأفعال هى إحد معالم الطريق التى أدت إلى نهاية المشير عبد الحكيم عامر نهاية مأساوية .

ولم يكن فقط هم الذين ينصبون له الفخاخ فى الجو والبر ، بل ان ناصر نفسه كان ينصب له فخاخاً على الأرض ، وإن كنت عاجزة حتى الآن عن فهم مراميه من وراء ذلك .

وعلى سبيل المثال أذكر هذه الواقعة : « بعد الانقلاب الذى أطاح بأحمد بن بيلا ـ في الجزائر ـ واستيلاء هوارى بومدين على السلطة ، بعد هذا الانقلاب شاب العلاقات المصرية الجزائرية بعض التوتر والشكوك . وبعد تبادل الخطابات بين جمال عبد الناصر وهوّارى بومدين ، تقرر سفر المشير إلى الجزائر لمحاولة تصفية الأجواء ، وقبل اتخاذ هذا القرار دار الحوار التالى بين عامر و ناصر ، وقد سأل ناصر المشير :

ـ ما رأيك ؟ ...

فأجاب المشير :

ـ الانقلاب وقع وقضى الأمر .... وأرى أن نكون واقعيين ، فإنها بلادهم وهم أحرار فيها ....

ووافقه عبد الناصر على هذا الرأى ، واتفقا على خطة المباحثات التى سيجريها المشير فى الجزائر ، على إعلام الجزائريين عدم اعتراض مصر على هوّارى بومدين ، مع ابداء رغبة مصر للاطمئنان على سلامة بن بيلا .

وفى الجزائر ، استقبل هوارى بومدين « عبد الحكيم عامر » وبدأ اجراء المباحثات ، وفى أثنائها جاء من يهمس فى أذن هوارى بومدين بكلمات نهض على أثرها ،واستأذن عبد الحكيم في الغياب لحظات ، وغاب بومدين قليلاً ، ثم عاد وبيده « راديو ترانزستور » ووضعه أمام المشير ليسمع !! ..

كانت إذاعة « صوت العرب » المصرية تذيع مقالات هيكل ، وهو يهاجم فيها الانقلاب الذى قام به « بومدين » ويعدد محاسن بن بيلا ، وما يتمتع به من شعبية كبيرة ... ويتنبأ بفشل الانقلاب .

ثم بدأ البرنامج يذيع الأناشيد العسكرية قبل أن يعود مرة أخرى إلى كلام هيكل .. وأخذ البرنامج يذيع فقرات تتخللها أناشيد عسكرية كل فقرة وأخرى .

وقد وضع هذا التصرف عامر فى موقف لا يحسد عليه ، وأظهره بصورة من جاء ليخدعهم !! وهذا قد يعرض عامر لأذى حكومة بومدين الثورية ، بما فى ذلك سوء المعاملة ، أو على الأقل الفتور والنفور تجاه عبد الحكيم عامر ، الذى جاءهم بنية صادقة ، ورغبة حارة فى إعادة حبال الود بين الدولتين العربيتين .

ولم يجد عامر تبريراً يسوقه لبومدين سوى القول بأن هذا مجرد تصرف شخصى من هيكل ، وانه ترك عبد الناصر مريضاً فى القاهرة .

ولما عاد عامر قال لجمال : ألم نكن متفقين على كل شىء قبل سفرى ؟ ... فكيف حدث هذا ؟

قال عبد الناصر : « وماذا أفعل .. الإذاعة معتادة على إذاعة مقالات هيكل والصحافة حرة ، والإذاعة حرة » !!

صرخ المشير : ...



عندما زار المشير الملك حسين فى قصره ، قدم له الملك طفليه وحمل المشير الأبن الأكبر ، وحمل الملك نجله الأصغر ، ووقف الأثنان يضحكان فى سعادة واخوة .

ـ يا خبر اسود .. أتقول لى هذا الكلام ؟

قال عبد الناصر :

ـ يعنى .. أعطيك تبريراً كالذى أعطيته أنت لبومدين .

وقد تجنب بومدين مصر بعد ذلك ، وشك فى حسن نيتها .

وقد عاتب عامر هيكل أيضاً بعد حديثه مع عبد الناصر ، فما كان من هيكل إلاَّ أن قال : « سيادتك عارف .. أنا مغلوب على أمرى .. وسيادتك عارف كل حاجة » !

وقد تعرض عامر لنفس التصرف ـ أو لنفس الفخاخ ـ عندما سافر إلى الأردن لمقابلة الملك حسين ، ففيما هو هناك يعمل على تحسين العلاقات ، فوجىء بمقال لهيكل يشتم فيه الملك حسين !!

ولا أستطيع بالطبع أن أحيط بكل التصرفات المتشابهة ، وإنما ذكرت ما ظهر لى منها ، وما عرفته من المشير نفسه رحمه الله رحمة واسعة ، وتلقاه كما يتلقى كل شهيد مظلوم .

* * *

كانت السياسة الخارجية لمصر فى تلك الفترة ، تعانى ذبذبة قاتلة ، لذا كانت رغبة عبد الناصر قوية فى أن تلقى سفينة السياسة الخارجية مراسيها فى أى مياه .. لقد أبحر فى المياه السوفيتية ، فلم يصل إلى مرفأ ، وحاول الإبحار فى المياه الأمريكية ، ولكن جونسون قال لأنور السادات فى الزيارة التى قام بها إلى أمريكا ، بدلاً من عبد الحكيم عامر ، قال له « نحن لا نثق فى جمال عبد الناصر .. فهو مندفع ، ويشتمنا بألفاظ بذيئة » . وكان هذا الرد كافياً لإغلاق باب المحاولات لإعادة الثقة بين مصر وأمريكا .

وفى نفس العام ـ أيضاً ـ حاولت مصر إزالة أسباب الخلاف بينها وبين فرنسا ، فأرسلت وفداً إلى فرنسا برئاسة المشير عامر لمقابلة ديجول .

وأذكر هنا حواراً دار بينى وبين المشير قبل سفره فى هذه الرحلة ، وكان عبد الناصر يعلق آمالاً كبيرة على هذه الرحلة ، وقال للمشير « هذه مهمة صعبة » . وبالمناسبة كان جمال يطلق على عامر « رجل المهمات الصعبة » .

قال لى المشير : أعَدوّا لى أوراقاً بها بيانات عن فرنسا ولكنى غير مقتنع بها .. فأنا لا أحب الخطب الإنشائية .. أحب أن أقول ما أحسّه ، وما أنا مقتنع به ، أمّا هذا الورق فلن آخذه معى .

سألته :

ـ لماذا أنت ذاهب إلى فرنسا ..

قال : « لمحاولة كسر الجمود بيننا .. وإيجاد صلات ثقافية وعلمية ، فإن فرنسا هى بلد العلم والثقافة ..

قلت له : « بالضبط .. هذه هى الحقيقة .. إن الثقافة والأدب والعلم هم الذين يبقون .. انظر إلى غزو نابليون لمصر ، لقد استطاع أن يحتلها بجيشه ، ثم أُرغم على مغادرتها .. فما الذى بقى من هذا الغزو ؟ .. لقد جاء ومعه مع الرصاص بعثة علمية .. ولم يبق من هذا الغزو سوى الثقافة .. حجر رشيد .. المطبعة .. كتاب وصف مصر .. هذا هو ما بقى بعد نابليون وجيشه .

وأعددت للمشير بعد ذلك ملخصاً عن تاريخ حياة ديجول ، وكفاحه ، وحكومته التى كونها فى المنفى .

سافر الوفد المصرى ، وكان لقاء عامر وديجول لقاءً طيباً ، حتى أن ديجول وصفه بقوله : « لقاء بين فرنسا الجديدة ، ومصر الجديدة » . وكان اللقاء حديث وكالات الأنباء الشرقية والغربية ، ووصفوه بأنه لقاء تمت فيه المحادثات الهامة ، والصريحة ، والدقيقة ، التى أذابت تلال الجليد التى تراكمت فى طريق العلاقات العربية الفرنسية منذ عام ١٩٥٦ .

نبات خبيث فى بستان وحدتى

بعد أشهر من الزواج ، اكتشفت إنى أعيش فى فراغ ، فلا أنيس ولا جليس ، سوى « متولى » وآخرين عند البوابة وهما اللذان عهد إليهما أحياناً بالحراسة وأحياناً أخرى لتلبية طلبات المنزل .

كانت تسليتى الوحيدة ، أن أخرج بالعربة لأتجول بها قليلاً فى الشوارع المحيطة بالفيلا ، وفى إحدى الجولات وجدت نفسى فى الشارع الذى يسكن فيه « محمد كامل حسن المحامى » وبهذا الاسم الطويل اعتادت أن تقدمه الإذاعة عند إذاعة تمثيلية من تأليفه .

ولما كانت لى به معرفة سابقة ، وإن كانت غير عميقة إذ سبق لى التردد على منزله ، بنية الحصول على قصة سينمائية من تأليفه ، فلم أجد بدا وأنا فى حالتى تلك من الرغبة فى العثور على شخص أتحدث إليه ، لأسرى عن نفسى ، لم أجد بدا من أن أقوم بزيارته ، وفاجأت متولى الذى كان معى بزيارته .

قابلنى محمد كامل حسن بحفاوة فى فيلته المزدحمة بزوجتيه وبناته ، وعلا « زياطهم» وهم يرحبون بى ، ويتساءلون عن سر انقطاعى الطويل عن زيارتهم .

كان محمد حسن يعيش فى بيت واحد مع زوجتيه ، الأولى أم أولاده ، وهى سيدة فى مثل سنه .

والثانية زوجته الجديدة وكانت صغيرة السن شديدة الجمال .

فى هذا اليوم انتحى بى كامل حسن المحامى جانباً ، وأخذ يشكو سوء الحال ، مدللاً على ذلك بسؤالى : « هل تسمعين لى شيئاً فى الإذاعة فى هذه الأيام » .

وبالفعل لم أكن أسمع له شيئاً عنه فى الإذاعة بعد أن كان اسمه من الأسماء التى تسمع يومياً كمؤلف لمسلسلات بوليسية إذاعية . وبكى الرجل أمامى وهو يسألنى :

ـ كيف يمكن أن يطعم زوجتيه وبناته ، ومع أن رائحة غريبة كانت تفوح من فمه وهو يحدثنى ، وأثرها يبدو واضحاً على حركاته ، إلا أن قلبى امتلأ شفقة عليه ، وحزناً من أجله فما كاد يسألنى إن كان معى شيء من المال « سلفة » ـ كما قال ـ حتى وجدتنى أعطيه كل ما معى .

كانت هذه الشفقة ، بداية لعلاقة أسرية ، سببت لى آلاماً نفسية لا تطاق ، لكثرة ما رأيت من مواقف محزنة ، بينه وبين احدى زوجتيه ، أو بينه وبين نفسه ، فكثيراً ما كانتتنتابه نوبات بكاء ينهار على أثرها .. وتساعد الحالة التى هو فيها على زيادة البكاءوالانهيار .

أصبح مألوفاً أن أراه غارقاً فى مشاكله وعلته ، فأخذتنى النخوة ، وظننت انى قادرة على شفائه من هذه العلة التى تدمره ، وتدمر أسرته ، وتسىء إلى العلاقة التى بينه وبين زوجتيه .

وكان هذا القرار ، من أحمق القرارات التى اتخذتها فى حياتى ، فقد أدت إلى زيادة الروابط بينى وبين هذه الأسرة الحزينة .

والحق لم يكن محمدكامل حسن الذى وجدته ، هو نفسه الرجل الذى كنت أعرفه من قبل ، كان مثقفاً فناناً ، وشخصية لامعة ، بدأت تشق طريقها بنجاح فى عالم التأليف الإذاعى ، وكان لبقاً ذكياً ، محباً لقصص المغامرات ذات الطابع البوليسى ، وكانت جعبته لا تنفد من الحكايات والطرائف المسلية ، أما هذا الذى أراه أمامى الآن فقد كان شيئاً مختلفاً ، وبالطبع رددت كل هذا إلى العلة التى وجدته واقعاً فى براثنها ، هذه العلة التى قررت محاربتها فتحولت ـ دون أن أدرى ـ إلى دون كيشوت ـ أحارب طواحين الهواء .

ففى كل مرة يزورنى ، كنت أحضه على ترك عادته والالتفات إلى أعماله ، ولا أتركه إلا عندما أصبح على يقين من انه تأثر بقولى ، واستجاب لنصائحى ، وكان اليقين يأتينى من اظهاره للاقتناع والندم ، وبذل الوعد بالاقلاع عن ما يغضبنى ، فأتركه وأنصرف وأنا فى سعادة غامرة ، بعد أن أزوده بقدر من المال يعينه على مواجهة ظروفه الصعبة .

وفى الزيارة التالية ، كنت أجد دائماً أن ريمة عادت إلى عادتها القديمة ... ولم يكن هو وحده « ريمة » ، فأنا أيضاً كنت « ريمة » التى تعود إلى نصيحته ، ومحاولة إقناعه بأنه يدمر نفسه وبيته ، بإصراره على التمادى فى ذلك ، والتوقف عن الكتابة .

ثم وقعت فى الخطأ الثانى عندما أخبرتهم بأننى قد تزوجت ، وبالطبع جاء ذلك التصريح بعد ما رأيت من رغبتهم الدائمة فى أن أزورهم ، ويتساءلون عن سبب الغياب أحياناً ، وكنت بدورى أشعر بحرج من غموض موقفى حيالهم ، فلم أعد قادرة على قطع صلتى بهم ، تلك الصلة التى ربطتنى بروابط الشفقة والمسئولية ، والحب لأسرته ، والتسرية عن نفسى بزيارتهم .

لم أجد بدا من ارضاء فضولهم ، بإبلاغهم انى تزوجت من « دكتور » وأصبح الاسم الذى يتردد بينى وبينهم عن زوجى المجهول هو « الدكتور » .

وأدى هذا الخطأ إلى الخطأ الأكبر .. دعوتهم لزيارتى فى الفيلا التى أقيم بها أنا والمشير .

وبالطبع . لم أكن أجرؤ على ذلك ، لولا أن المشير كان قد أصبح على علم بهذه العلاقة ، وقد ناقشنى فى الأمر ، قائلاً : « إن هذا خطأ » . فأنت تقولين انهم من الوسط الفنى ، وتعلمين أن الوسط الفنى كثير الفضول والثرثرة ، ولكن ذريعة الوحدة التى أعيش فيها ، والتى كنت أبرر بها زيارتى لأسرة كامل حسن ، جعلته يقبل الأمر على مضض ، فقد كان يشفق علىّ فى قرارة نفسه من هذه العزلة التى وضعنى فيها ، ولكن لم يكن باليد حيلة .

ثم أقنعت المشير برغبتى فى دعوتهم إلى بيتى ، وكعادته راح يناقشنى بهدوء .. وقال : أنت تعرفين إنى آتى إلى هنا بلا حراس ، ودخول غرباء إلى البيت قد يكون فيه خطر علىّ ، وأنت تعلمين أنى مسئول عن أمن الرئيس وأمن البلد كله .. ثم انه متزوج من امرأتين .. هذا فى منتهى الخطورة .

قلت ، لا خطر ـ هم قوم بسطاء ـ فى ظروف صعبة ، وأنا أجد تسلية فى صحبتهم فسكت ولم يعقب بشىء .

سمح لى عبد الحكيم عامر باستقبال الرجل وزوجته فى منزلى ، واتفقنا على أن تكون هذه الزيارات فى أوقات لا يكون هو موجودًا فيها .

وكان من الطبيعى أن أتحدث مع عبد الحكيم ـ بين وقت وآخر ـ عن هذا الصديق الذى يزورنى ، وأطلب منه مساعدته خاصه انه فى ظروف سيئة ، ومتوقف عن الكتابة ، وليس له إيراد من أملاك أو أى شىء آخر . ورغم ذلك بدأ القلق يساورنى من تصرفات كامل

حسن ، فإصراره على التمادى فى عادته ، كان يجعله دائماً فى حالة غير سوية ، فهو إما يشتبك فى مشاجرة مع زوجتيه ، وإما يبكى وينهار شاكياً غدر الزمان ، وانهما السبب فى لجوئه إلى الهروب ، وإما يتجول فى الحديقة .

وفى زيارة له لاحظت كثرة تردده على المطبخ كل بضع دقائق ، وبعد حوالى نصف ساعة ، رأيته مقبلاً وهو يسير بصعوبة ، فقلت له : « ألم نتفق على ألا تفعل بنفسك ما يضرها » . قال بلسان متلعثم : « أنا تعبان .. » فقلت له : « بل أنت أهملت فى حق نفسك ـ ولا تستطيع أن تقف كما أنت الآن .. وإذا كنت ستبقى على هذه الحال فلن أستطيع الاستمرار فى مقابلتكم » .

وأخذته من يديه ، وشرعت أطوف به فى أرجاء المطبخ بحثاً عن زجاجة الدواء .. وبالفعل وجدت زجاجة وراء بضعة أكياس الخزين ، أمسكت الزجاجة ورفعتها إلى أعلى فوقعت من يدى وتهشمت فى الحوض ، ونظرت إليه ، فرأيت الكراهية فى عينيه .. كأنى قتلت ولداً من أبنائه .

وقد صرخ فى وجهى قائلاً : « حرام عليكى » !!

وحاولت أن أناقشه ، قلت له إنه يخسر صحته ، وماله .. يخسر كل شىء حتى عمره ودينه . ولم يكن يبدو عليه انه يصغى إلىّ ، وانخرط فى بكاء شديد وهو ينظر إلى « الحوض » !!

واحترت ماذا أفعل ، انه مرهق ، ولا يرى شيئاً فى الدنيا إلا رغباته .

وفى تلك الليلة ، بات هو وزوجته عندى ، على كنبة فى الصالون ، فلم يكن يستطيع الوقوف من شدة الإرهاق .

أما أنا فقد أمضيت ليلة قلقة ، لم يغمض لى فيها جفن ، وأنا أفكر بأنى وضعت حياة عامر وحياتى فى يد رجل يضر بنفسه فما بالك بغيره .. ولم أجد له عذراً يبرر ما هو فيه على هذه الصورة ، فأنا أقوم بتلبية كل طلبات أسرته .

ولأول مرة أخفى شيئاً عن عامر ، فلم أشكُ له معاناتى مع كامل حسن ، ولا شرحت له شيئاً عما يكون عليه حين تعاوده النوبة .

وفى الصباح وجدته مشغولاً بوضع باقة من الزهور ـ جمعها من الحديقة ـ على المائدة ، ثم أعد لى ولزوجته طعام الإفطار ، واعتذر عما حدث بالأمس ، ووعدنى بعدم العودة إلى المضايقة ، وانه سيحاول الاقلاع عن هذه العادة .

وبعد أيام اتصلت بى زوجته ، وأخبرتنى انه خفف كثيراً من عاداته ، وانه مقتنع بنصيحتى .. فدعوتهما على الغداء .

جاءوا .. وبينما نحن جالسون فوجئت بعامر متنكراً أمامى .. كان عامر يرتدى كوفية وبيريه ، ويضع على عينيه نظارة كبيرة .

قدم عامر نفسه على أنه« الدكتور » وبعد أن جلس قال لى : « إيه رأيك فى المفاجأة دى » ؟ ثم بدأ يتجاذب أطراف الحديث مع ضيوفى ، وأثناء الحديث تكلم عنى كامل حسن حديثاً كله مدح واطراء بشكل مبالغ فيه .

وقال له عامر : « بيلاّ ـ يقصدنى ـ حدثتنى عنكم كثيراً ، حتى انى أردت رؤيتكما بنفسى ، وأرجو أن تكونا على مستوى تقديرها .

ثم انصرف عامر متعللاً ببعض المشاغل ، والطريف انه بعد انصرافه قال كامل حسن : « هوه دكتور فى ايه ؟ .. شكله مش غريب علىَّ » .

وفى يوم من الأيام أثناء زيارة كامل وزوجته لى فوجئت بزوجته تقف فى الحديقة تثرثر مع عبد المنعم أبو زيد ـ حارس البوابة ـ كانت تضحك معه بصورة أثارت غضبى ، فناديتها ، وأفهمتها أن الكل يعرفون انك معرفتى ، فينبغى أن تكون كل تصرفاتك على مستوى مكانتك معى ، وقلت لها : « ان هذا يحط من قدرك وقدرى أيضاً » . وقد بررت لى الموقف بقولها انها كانت تطلب « أكلة كباب » لأن نفسها فيها ، فحذرتها من معاودة الحديث معه ، وإذا كانت تريد شيئاً تطلبه منى أو من متولى ، ومتولى يأمر عبد المنعم أبو زيد أو أبو المعاطى ، لأنه المسموح له فقط بالتواجد داخل الفيلا .



القائد بين جنوده ... عبد الحكيم عامر فى زيارة له لتفقد الجيش المصرى باليمن .

وعندما دخلت المنزل وجدت كامل حسن منتهزاً فرصة غيابى وغياب زوجته ، ليفعل ما هو ممنوع ، أحسست بالغضب ، وحزنت عليه وعلى نفسى ، التى وضعتها فى موقف حرج ، فأخذت من يده الزجاجة وهشمتها على الأرض .

لم يبك هذه المرة ، وإنما نظر إلى الدواء المراق على الأرض ، وشظايا الزجاج المتناثرة ، وأحسست انه صار يكرهنى ، ورغم ذلك ، فقد كنت حريصة على مصلحته ، ومصلحة زوجته ، فأردت مصالحته قائلة : « سأصنع لك كوباً من الليمون .. يروّق دمك » . فقال على الفور : « لا .. أنا الذى سأصنع لك الليمون .. لأكفر عن تصرفى » .

قلت له : « اننى لا أريد منك شيئاً سوى أن تكون يقظاً ، وكنت فى قرارة نفسى أشعر بالقلق لرؤيتى زوجته منصرفة عنه .. وواصلت برغبة صادقة فى نصحه : « حرام عليك ما تفعله بنفسك .. ستخسر كل شىء .. انتبه إلى أسرتك » .

ثم ذهب لصنع الليمون ، وانشغلت أنا بالقراءة ، وبعد فترة طويلة رأيته قادماً بخطى ثقيلة حاملاً كوبا من الليمون ، ومد يده المرتعشة بالكوب نحوى ، فسقط منه ، فصرخت فى وجهه « تانى .. يانهارك اسود » وقمت مهرولة أفتش عن الزجاجة .. وبالفعل وجدت ما أبحث عنه ، مخبأة فى الحديقة وسط الزرع . وأحسست اننى فى كارثة حقيقية ، ولا أدرى كيف أتخلص منها .

كنا فى النصف الأول من عام ١٩٦٦ ، وفى هذا العام كان عامر مشغولاً للغاية ، وكان غيابه عن بيتى يطول عدة أيام ، وأحياناً عدة أسابيع مثلما حدث فى رحلته إلى اليمن ، فقد استغرقت خمسة وأربعين يوماً ، وكان من المعتاد عند زيارته لى ، أن يُعلم جمال بهذه الزيارة ، حتى لا يقع خطأ فيطلبه بمنزله فى الجيزة « بيت الأولاد » .

وفى يوم جاءنى المشير مبتسماً وقال لى : « سأحقق لك رغبتك .. استعدى للسفر إلى لندن » .

لم يسافر معى المشير فى تلك الرحلة ، ولم يتركنى « بالطبع » أسافر وحدى ، بل صحبنى أخوه مصطفى عامر ، وفى المطار بلندن استقبلنا رجل مصرى ومعه زوجته الألمانية ، وكان المشير قد أخبرنى بأنهما سينتظرانى ، ويصحبانى لمشاهدة معالم البلد .

وفى لندن ، تصورت أننى سأخرج لمشاهدة لندن ، والسير فى شوارعها . ولكن مصطفى عامر اعترض قائلاً : « الأوامر انك تنامى فى الساعة العاشرة مساء .. لأن سيادة المشير قد يتصل بك ليلاً » .

ثم تركنى مصطفى قائلاً : « أنا خارج أشوف أصحابى .. والعيال تنام بدرى » ثم ضحك وانصرف .

ووجدت نفسى وحيدة فى حجرة ضيقة ، فى أحد الفنادق العادية ، ولم أجد ما أفعله سوى مشاهدة التليفزيون ، أو تصفح بعض الجرائد التى وجدتها بالحجرة ، وبعد فترة دق جرس التليفون ، ووجدت على الطرف الآخر عبد الحكيم عامر ، كان يريد الاطمئنان على سلامة وصولى ، وأثناء الحديث سألنى عن الجو فى لندن ، فأجبته بأننى لم أر شيئاً .

وفى اليوم التالى ، جاء الرجل وزوجته الألمانية ، وصحبانى إلى المتاحف ، ثم عادا بى إلى الفندق ثانية ، أما مصطفى عامر فقد اختفى عن ناظرى ، وانغمر فى زحام المدينة .

ثم جاءت مكالمة أخرى من عامر ، وفاجأنى فيها بطلب العودة فوراً من لندن ، لأحضر احتفالات عيد الثورة .. ولم أدر لماذا قال لى ذلك ، فأنا لا أحضر معه أى احتفالات رسمية .. ولكنه أصر على طلبه ، فرجوته ارجاء سفرى إلى ما بعد باكر ليعطينى الفرصة ـ ولو ليوم واحد ـ لأشترى بعض ما يلزمنى فوافق على ذلك بصعوبة .

عدت لمصر ، وجاء عامر إلى المنزل ، أزالت ابتسامته غضبى لضياع رحلتى إلى لندن سدى ، ثم برر إصراره على رجوعى بأنه يرغب فى وجودى قريبة منه أثناء احتفالات الثورة ، وانه يمكنه البقاء معى عدة أيام ، فلم يشأ أن تضيع هذه الفرصة .

رن جرس التليفون ، فرفع عامر السماعة ، وبعد أن سمع صوت المتكلم أعطانى السماعة ، وجدت المتكلم كامل حسن وزوجته ، وأبديا الرغبة فى زيارتى الآن ، ولكنى اعتذرت لهما بأن الدكتور موجود ، فقررا الحضور فى الصباح ، وقبل أن أضع السماعة طلب منى كامل حسن إرسال السيارة لإحضاره ، لأنه لا يملك ثمن بنزين سيارته .

وبعد أن وضعت السماعة ، قال لى عبد الحكيم : « أمازلت تثقين فى هؤلاء الناس .. إن أوضاعى وظروفى ، ليست عادية » .

ولم أجد ما أرد به ، فقد سبق السيف العزل .

وفى الصباح كنت أجهز نفسى للسفر إلى كنج مريوط عندما حضرا لزيارتى ، وعندما علما بسفرى ، استعدا هما أيضاً للسفر معى ، ولم تفلح محاولاتى فى ارجاعهما عن عزمهما ، فقد غلبنى كامل حسن ببكائه ، فقد كان سريع التأثر ، مضطرب الأعصاب ، وقال لى من بين دموعه : « ليس لنا غيرك .. أنا فى حاجة إلى التغيير » . وقد أصابنى الضعف . فلم أجد بدا من اصطحابهما معى ، وسافرنا فى عربتين ، فى الأولى أنا وأختى الصغيرة زهرة ويقودها متولى . وفى الثانية محمد كامل حسن وزوجته سهير فخرى ، ويقودها عبد المنعم أبو زيد .

وفى نهاية الطريق الصحراوى ، لم ينحرف متولى فى الطريق الجانبى المؤدى إلى كنج مريوط ، بل واصل سيره إلى الاسكندرية مباشرة ، فسألته : « إلى أين ؟ » فأجاب ان المشير استأجر فيلا « بسان لوران » لتكونى سيادتك فى مكان قريب من المعمورة ، لأنه لا يتحمل مشقة الذهاب من المعمورة إلى الكنج . وعندما وصلنا إلى الفيلا ، أخذنى جمالها ، وفخامة طرازها .

كان القصر واسعاً ، دهاليز وأبهاء ، حتى لقد أحسست أننا نتوه فيه ، وعثرنا على سرداب يقود إلى البحر ، ولأول مرة أرى حديقة فوق السطوح !! كان مزروعا بالنجيل ـ تراس كبير على البحر ـ وبه موائد للعب البنج بونج ، ولا أنكر انى وجدت فى غرابة تفاصيلها الداخلية ملهاة . فوق ان القصر كان يبدو مهملا ، وبدأت زوجته فى إعداد الأماكن التى سنبيت فيها وتنظيفها ، بينما انصرف كامل حسن إلى إعداد العشاء ، واضطررت إلى إرسال متولى لشراء عدد من المصابيح الكهربائية ، إذ كانت الفيلا خالية منها .

وقضينا يومنا فى ثرثرة وضحك ومشاهدة التليفزيون ، وكان متولى هو المسئول عن راحتنا وتلبية مطالبنا ، أما أبو المعاطى وعبد المنعم أبو زيد فقد أقاما عند البوابة للحراسة .

وفى اليوم التالى كانت تنتظرنى مفاجأة ظريفة ، هى زيارة المشير ومعه شقيقه حسن عامر ، وولداه أمين وطارق ، ولقد سعدت معهما ، وسعدا معى ونشأت الألفة بينى وبينهما حتى انهما رفضا العودة مع والدهما ، لولا أنه وعدهما بالرجوع بعد احضار البيجامات من المنزل ، ثم انصرفوا جميعاً .

وفى اليوم التالى جاء عامر ومعه صلاح نصر وعباس رضوان ، وأثناء السهرة ، همس صلاح نصر فى أذنى ، بأنه غير مطمئن لوجود هذا الرجل ـ يقصد محمد كامل حسن المحامى وزوجته ـ وكرر إعلانه هذا الرأى مرة أخرى أمام عامر .

وقد تحقق ظن وفراسة صلاح نصر ، أو بالأصح سوء ظنه ، فإن ما طرأ على كامل حسن من تغير ، فيما تلى ذلك من أيام ، وضعنا جميعاً أمام تجربة مزعجة للغاية ، حين تنتابه العلة يفقد وعيه تماماً وبدأت حالته النفسية تنهار ، فأعلن انه يرى أشباحاً ، وأن هناك من يتجسس عليه من وراء النوافذ .

وذات يوم ، فيما نحن نيام ، صحوت مذعورة أنا وأختى التى كانت تشاركنى حجرتى ، على صراخ صادر من حجرة كامل حسن ، فأسرعنا إليها ، وهناك وجدنا كامل حسن جاثماً على زوجته ، ويداه مطبقتان على عنقها ، بينما هو يصرخ قائلاً « سوف أقتلك .. سوف أقتلك » .

صرخت فيه « هل جننت .. ماذا تفعل ؟ » فاستدار نحوى ، فرأيت عينيه..زائغتين ، لا تركزان على شىء . أما زوجته فكانت راقدة مذعورة ، وآثار أظافره على عنقها وكتفيها .

ظل كامل حسن ينظر إلينا نظرات مذهولة ، وهو لا يقوى على الوقوف . جذبته من ذراعه فسار معى كالطفل ، حتى أجلسته على الأريكة . فجلس يحكى متلعثما عن أناس يطاردونه ، وأناس ينظرون إليه من خلف الشبابيك ، فأخذت بيده إلى التراس وقلت له : « انظر بنفسك .. لا يوجد أحد غيرنا .. ليس أمامك أحد ، وليس هناك غير البحر ، ثم اننا فى الدور الثانى » . قال مؤكداً : « هم ينظرون من وراء النوافذ » قلت : « وأين يقفون .. هل يقفون على الماء ؟ أم فى الهواء ؟ » .

كنت فى الواقع أشعر بالخوف منه فى تلك اللحظة ، على انه فجأة انفجر فى بكاء عنيــف ، فاضطررت إلى نهره : « إيه الفضيحة اللى انت عاملها لنا دى .. » قال مشيراً إلى زوجته : « هى التى تضايقنى .. هى التى تغضبنى .. اعطنى الزجاجة لكى أرتاح وأنام » .

وفى الصباح جاء متولى ومعه طعام الافطار ، وعندما سألنى أين يضع ما معه ، قلت له على الفور : « دع كل هذا من يدك .. واتصل فوراً بالمشير .. فالأمر بلغ حداً لا يمكن

السكوت عليه . فسألنى عما حدث ؟ فأخبرته بما وقع ، وتدخلت زوجته فى الحديث .. قائلة انها لن تعيش معه بعد اليوم خوفاً على حياتها .. واستشهدت بنا على اننا رأيناه يخنقهـا . وهددت بالهرب والاختفاء فى مكان لا يعرفه أحد .

وبالفعل جاء عامر ، ومعه صلاح نصر ، وفور وصوله طلب من متولى استدعاء طبيب ذكر له اسمه .

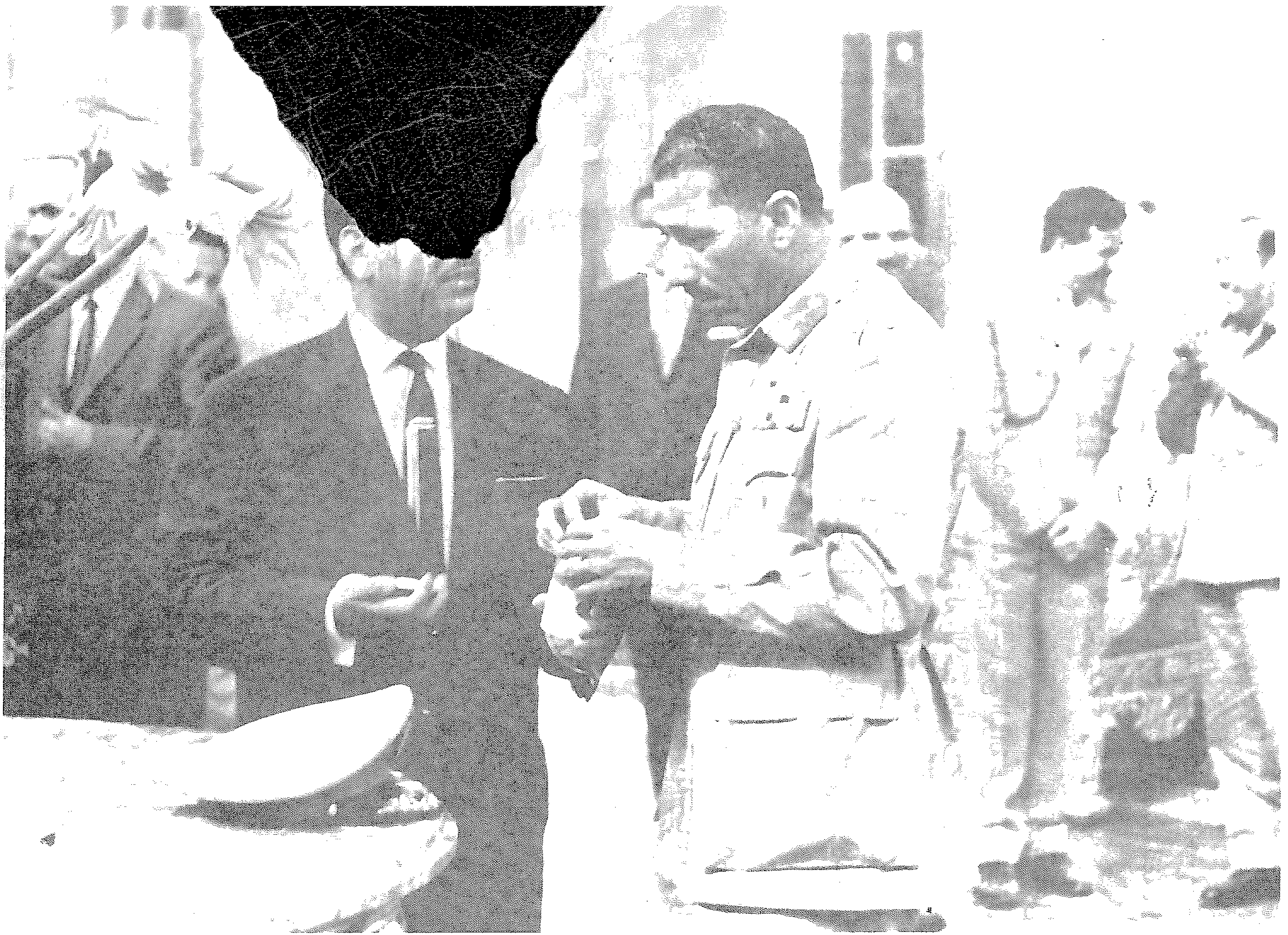
وانتظاراً للطبيب ، لم يوجه لى عامر أى تأنيب ، فقط نظراته كانت تحمل عتاباً مما جعلنى لا أقوى على مواجهتها .

وعندما جاء الطبيب ، وقام بفحص كامل حسن المحامى ، أكد انه ليس مصابا بهذه العلة فقط ، بل أيضاً بمرض « البارانويا » ، وشرح لنا أن من أعراض هذا المرض ، ان المريض يتوهم رؤية أشخاص لا وجود لهم ، وسماع أصوات ، وان المريض لا يدرك ذلك ، ولابد من علاجه بالمستشفى ، وكان عامر كريماً كعادته ، فطلب من الدكتور أن يقوم بكل الاجراءات المناسبة ، مهما كانت تكلفتها ، وحاول الطبيب اعطاءه بعض الحبوب ، ولكن كامل رفضها ، وقال لنا الطبيب ان المريض بمثل هذا المرض لا يقتنع بالعلاج ، وتكون بداية الشفاء عندما يبدأ فى إدراك حالته المرضية .

أمر عبد الحكيم عامر متولى بأن يرسلها مع عبد المنعم أبو زيدإلى منزله بالقاهرة ، حتى تعلم أسرته بحالته ، ولابد من موافقتها قبل ادخاله المستشفى وقد وافقت الأسرة على علاجه .

ثم ذهب به عبد المنعم أبو زيد إلى مستشفى بهمان ومعه تقرير الطبيب وتولى علاجه الدكتور « فتحى لوزه » .

ولم أر كامل وزوجته بعد ذلك ، وإن كان متولى يأتينى بأخباره ، وذات يوم أبلغنى ان كامل حسن احتال عليهم فى المستشفى للخروج ، بحجة انه يريد أن يرى أولاده ، وفى الطريق ادعى انه يريد شراء علبة سجائر ، فأذن له الممرض الذى يرافقه ، ثم فوجىء به عـائـداً بعـد فتـرة وهو يسير ببطء وتثاقل ويتلعثم فى الكلام ، فقال لـه الممـرض غاضباً : « يا أستاذ .. خربت بيتى !! » .



المشير عبد الحكيم عامر مع الرئيس العراقى عبد السلام عارف فى احدى زياراته للعراق عام ١٩٦٤ .

هذه القصة باعها محمد كامل حسن المحامى لبعض الصحف العربية ، بعد موت المشير .. ولم يكن صادقاً مع « الشارى » ، فقد أعطاه بضاعة مغشوشة ، قصة ملفقة ، لم يراع فيها حرمة ميت ، ولا حرمة بيت رحب به وآواه ، وقبض ثمن بضاعته .

وإنى لأشعر بالحزن ، لأن بعض الصحف قبلت نشر هذه الأكاذيب ، التى وردت على لسان محمد كامل حسن ، والصول عبد المنعم أبو زيد ، حارس البوابة على باب الفيلا ، وعلى باب القصر ، حيث كانت هناك حجرتان حجرة له والأخرى للبواب .

وقد حكم عليه بالسجن على عبد المنعم أبو زيد لاستغلال اسم المشير فى تحقيق مآرب له ، فكيف رضيت الصحف أن تنشر كلاماً مأخوذاً عن مصدرين لا يوثق بهما .. فأحدهما « مريض » والآخر « مدان » .

لقد كان هذان الرجلان ، امتداداً للأهداف المعادية لوطنية عبد الحكيم عامر ، والمتمثلة فى سامى شرف ، وشعراوى جمعة وغيرهما ، فكأنهم لم يكتفوا بتشويه صورته حياً ، فأرادوا تشويهها ميتاً .

قضية الصيرفى

جاءت والدتى يوماً لزيارتى فى بيتنا بالهرم ، وعلى غير عادتها كانت متجهمة ، ولم تفلح محاولات المشير ، الذى كان يحبها ويحترمها ، من إخراجها من حالة العبوس التى هى فيها . وأدهشنى أنا أيضاً ما لاحظته عليها من خجل وتردد .

وفى النهاية نظرت إلى عامر قائلة :

ـ تعرف إنى أحبك كواحد من أبنائى .. من أجل هذا أريد أن أحدثك فى موضوع محرج...

رد عامر :

ـ ليس بيننا إحراج يا ماما .. قولى ما تشائين .

ـ لشدة غيرتى على سمعتك سأقول لك .. بشرط ألاّ تغضب .. فكل ما أريده هو مصلحتك .

قال المشير :

ـ أعرف هذا يا ماما .. أعرفه .. ولكن أخبرينى بما يقلقك ، وسأعمل على راحتك .

قالت والدتى بحزن :

ـ لم أكن أعرف يا ولدى انك تشارك الصيرفى فى تجارته ، إلا عندما أخبرتنى جارتى ..

وهنا أطلق المشير العنان لضحكاته .. لطرافة القصة بالنسبة له ، ثم طلب منها أن تحكى له الحكاية من أولها ، دون أن تتحرج من أى شىء .

قالت والدتى : « ذهبت لزيارة إحدى جاراتى القدامى بحى السيدة زينب .. وهى الآن تعيش فى الدرب الأحمر ، فى بيت له مشربية ، فجلسنا خلفها ننظر إلى الطريق ، فرأينا عربة « كاميون » كبيرة ، ملأى بالبضائع والصناديق ، وحولها عدد كبير من الناس ، ينقلون

ما عليها إلى داخل مخزن يقع أمام بيت « أم نعناعة » جارتى .. وقالت لى ـ وهى لا تعرف انك زوج ابنتى ـ هذا مخزن المشير عبد الحكيم عامر .. يهربون البضاعة ويحضرونها هنا لتخزينها ، ثم يبيعوها .. فسألتها :

ـ هل جاءوا قبل ذلك أيضاً ؟

قالت جارتى : « منذ عدة شهور وهم على هذه الحال .. المشير بيتاجر ويستغل مركزه .. من يستطيع أن يقول له « تلت التلاتة كام » !!

اعتدل عامر فى جلسته وسألها باهتمام :

ـ هل معك العنوان ؟

ـ طبعاً

وفى الحال أمسك عامر بسماعة التليفون ، وطلب رقماً ثم روى حكاية والدتى فى التليفون .. وسمعته يقول : « أريد مراقبة دقيقة .. وأن يضبط الجميع فى حالة تلبس .. كما أريد أن أعرف من يشارك الصيرفى ، عليك بالتحرى وأريد النتيجة غداً » .

أنهى عامر المكالمة ثم التفت إلىّ قائلاً وهو يبتسم : « ماما .. تأتى بأخبار لما تأت بها المباحث العامة .. وغداً سوف نعرف النتيجة ، وفى هذه الحالة سوف تكون لك مكافأة قانونية » .

قالت والدتى :

ـ مكافأتى أن أكون سعيدة .. عندما يعلم أهل الدرب الأحمر ، انك برىء من هذا الموضوع ..

ضحك عامر قائلاً :

ـ لا تصدقى أى سوء عنى يا ماما .. فأنا أخاف الله ..

هذه القصة بدأت أمام عينى فى بيتى بالهرم . وبالفعل علمت بعمل كمين ، وضبط المتهمين . وكانا الصيرفى ، وعبد المنعم أبو زيد ، ودهشت لهذا الذى ظننته معدماً .. وكنت أمده بالعون بين حين وآخر ، يمكن أن يكون شريكاً للصيرفى !!

بعد القبض عليهما بأسابيع ، جاءتنى سهير فخرى ـ زوجة كامل حسين ـ مذعورة وأخبرتنى أن عبد المنعم أبو زيد قبض عليه .

لم أكن أعرف ما بينهما من معرفة ، لذا حكيت لها ما حدث ، بداية من كلام والدتى حتى القبض عليهم متلبسين ، وقلت لها ان عبد المنعم أبو زيد كان يسرق الأوراق من مكتب المشير ، ويدوّن فيها طلبات على انها من مكتب المشير ، باعتبارها من مستلزمات الاستراحات ، ثم يضعها بين الأوراق المقدمة لعلى شفيق فيوقع عليها وهو لا يدرى . وأنهيت كلامى لها بقولى :

ـ نحن نعيش هنا كمصريين شرفاء .. بينما هو يسىء إلى طهارة المشير وإلى سمعته .

وانصرفت سهير ولم أرها بعد ذلك قط .

وفاء رغم السياسة

رأى الناس عبد الحكيم عامر ، فى اطار السياسة والعسكرية ، ولا أدرى القدر الذى أتيح لهم رؤيته فى اطار انسانى ، وهو من وجهة نظرى كان الاطار الحقيقى ، المتوافق مع طبيعته ، ففى هذا الاطار يصبح الظاهر معبراً عن الباطن فى شخصية عبد الحكيم ، إن الإنسانية ، والوفاء للأصدقاء ، والوقوف إلى جانب الحق ، كلها صفات كان عامر يقدمها على العمل السياسى إذا صادف فيه قسوة ، أو غدراً ، أو ظلماً .

ولم يكن القهر مقصورًا على عامة الناس ، بل انـه أصاب حتى أعضاء مجلس قيادة الثورة .. وقد وقف عبد الحكيم إلى جانب الحق والصداقة بالنسبة لزملائه ، الذين وقع بينهم وبين جمال عبد الناصر خلاف ، وإليكم عدد من المواقف الإنسانية .

صلاح سالم :

عندما توفى المرحوم صلاح سالم رفض عبد الناصر أن يذهب ليعزى أسرته .. ورفض أيضاً السير فى جنازته ، لأنه على حد قوله لا يمثل السلطة الآن .. فهو رجل مدنى عادى .

ثـار المشير على عبد الناصر وقال : إن هذا الرأى فى منتهى القسوة على زميل لنا فى الثورة .. وشريك لنا فى الكفاح وقال له :

ـ اوعى ماتروحش الجنازة .. دى تبقى مصيبة ، والناس تلعنا .. الراجل مات .. عايز منه إيه تانى ؟

ورد ناصر على عامر : أنا عاوزك انت كمان ماتروحش تمشى فى الجنازة !!

ولكن المشير رد : سأذهب .. وليس هذا فقط .. بل سأقف مع أسرته .. أتلقى العزاء طول الليل حتى لو على رقبتى .

وتركه وذهب إلى منزله بالحلمية ليغير ملابسه .. وهو غاضب على ما وصل إليه الرئيس من قسوة .

دق جرس التليفون ، وكان المتحدث عبد الناصر وقال :

ـ استنانى يا حكيم .. أنا جاى معاك ..

وفعلاً ذهبا معاً للعزاء .. وفى المأتم همس المشير فى أذن الرئيس :

ـ إيه رأيك بقى ؟ .. شوف فرحة أولاد صلاح بينا ، خففت من مصيبة موته ، وشوف وجودنا أسعد الأسرة قد إيه ؟!

وقال ناصر : عندك حق .. كنت سأندم لو ماجيتش .

ورفض الرئيس الذهاب للجنازة ، يعتبر تصرفاً بسيطاً بالنسبة لما كان يفعله مع أولاد صلاح سالم ، فقد أراد ناصر أن ينكل بأولاده فسحب منهم العربات ليرغمهم على ركوب الأتوبيس .. وأوقف مخصصاتهم ، حتى يلهثوا وراء لقمة العيش .. ولكن المشير وقف أمام جميع هذه الأوامر وأعاد إليهم جميع حقوقهم .. وكان يطمئن عليهم بنفسه ويشرف على تنفيذ مطالبهم .

وليس هذا أمراً عارضاً من المشير عامر ،ولكنها أخلاقياته مع الجميع ، فحين يغضب عبد الناصر على أحد كان معنى ذلك .. ان الدنيا قد غضبت على هذا الشخص ..

وكما قال لى عامر : ان هذه التصرفات قد سببت كثيراً من الخلاف بينهما وكان مما حكاه عامر لى :

فى أوائل الثورة عندما أحس ناصر أن جمال سالم يعارضه كثيراً .. تخلص منه ولم يكفه ذلك بل أراد أن ينكل به ليكون عبرة لغيره من أعضاء مجلس الثورة ، ولمن يريد أن يقف أمامه ، فبعد أن جرده من كل مناصبه ، سحب كل مخصصاته ليكون بلا أجنحة فى الحياة ، حتى العربة التى كان يركبها سحبها منه .

وشكا جمال سالم للمشير الذى تدخل وأعاد له البعض منها ، بعد محاولات مع الرئيس ناصر وصلت إلى حد المشاحنة .

وكان المشير يزوره دائماً ، خاصة انه لازم الفراش مدة طويلة .. وكان يرسل له الأطباء ويعالجه فىالمستشفيات العسكرية ، نظراً لظروفه المادية السيئة التى وضعه فيها عبد الناصر .. وظل المشير يزوره حتى بعد الهزيمة وبعد التنحى عام ١٩٦٧ .

على نجيب :

ولم تله ظروف الهزيمة المشير عن القيام بواجبه نحو صديقه وزميله عضو مجلس قيادة الثورة أيضاً اللواء على نجيب .. وهو شقيق الرئيس السابق محمد نجيب .. فقد وقف المشير إلى جانبه حينما مرض ودخل المستشفى ، فى الوقت الذى كان محمد نجيب محددة اقامته والعداوة بينه وبين عبد الناصر ضارية .

والأمثلة كثيرة على أصالة المصرى عامر وإنسانيته ، وإحساسه بالغير .. فالناس لم تكن عنده أسماء على ورق ـ كما قالها عامر فى استقالته ـ كما كان يفعل عبد الناصر .

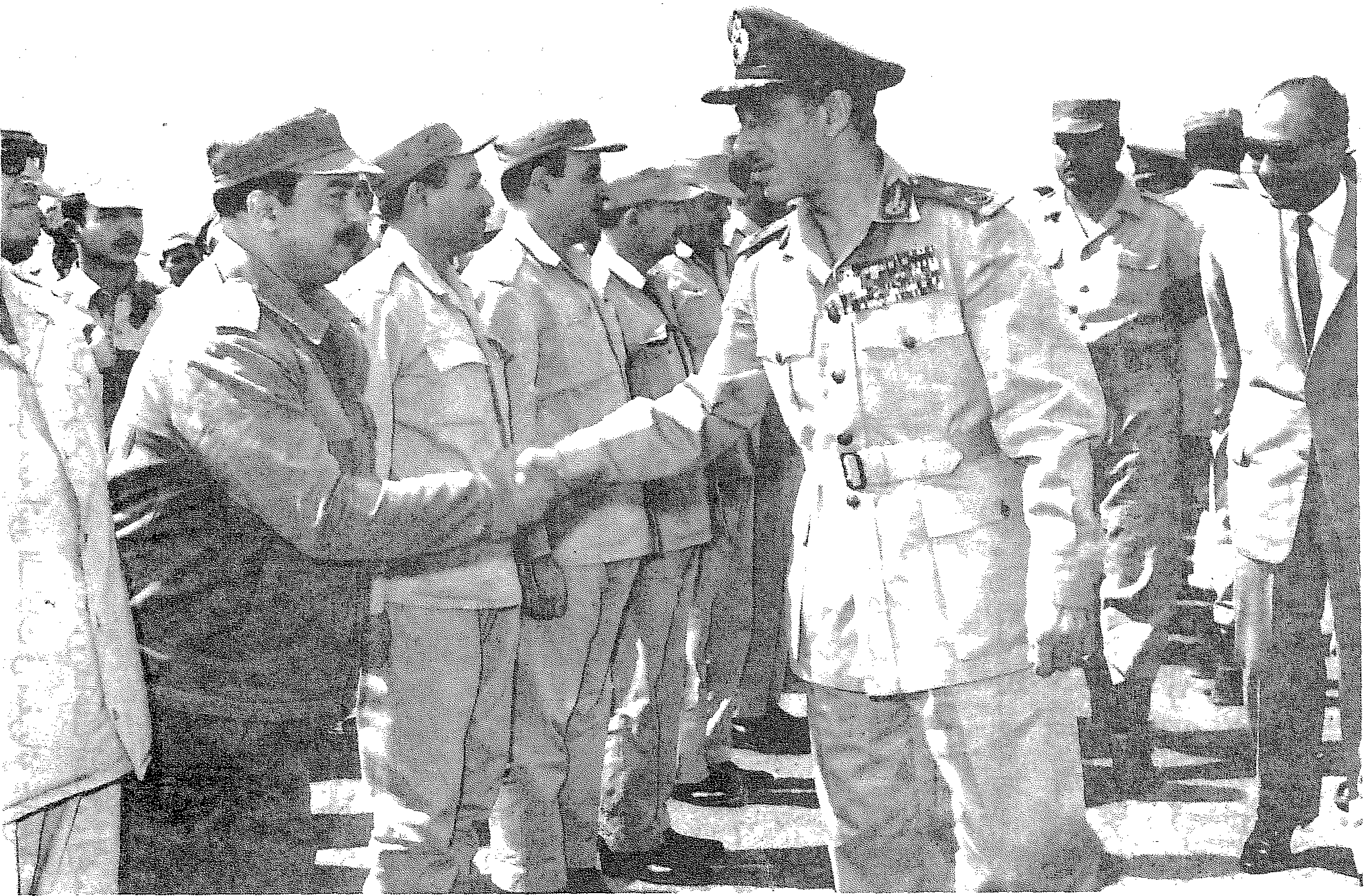
فى بداية الثورة أقدم عبد الناصر على التخلص من عبد المنعم أمين لأنه أقدم منه .. ورغم دوره البارز فى الثورة فلم يشفع له ذلك .. وسلط أجهزته للتشهير بزوجته الفاضلة وبه .. ووجد عبد المنعم أمين نفسه قد جرد من كل مناصبه وسحبت منه العربة التى يركبها هو وعائلته .. وعلم المشير بذلك فأرسل له عربته المخصصة له من رئاسة الجمهورية .. ولم يكن لديـه غيرها .. واعتبر عبد الناصر هذا التصرف تحدياً له من المشير ولكن الأخير قال له : « أرجوك اقبلنى كما أنا فلن أتغيّر » .

وظل الاتصال قائماً بين اللواء عبد المنعم أمين والمشير ولم تتغير علاقتهما .. بل ان المشير أقنع عبدالناصر بزيارة عبد المنعم وكان هذا داعياً لباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة لزيارته ، اقتداء بالرئيس وكان المشير يخبرنى أحياناً بأنه سيتأخر فى العودة ، لأنه سيزور صديقه عبد المنعم .. فإذا عاد بدأ يحكى لى عن الزيارة ، وكيف ان صديقه إنسان مثقف ، ذكى ، وزوجته سيدة فاضلة ، وهما على مستوى عال من الخلق ، وانه استمتع بالسهر عنده .

يوسف صديق :

وعندما نكل جمال عبد الناصر بالمرحوم يوسف صديق ، وكان عضواً بارزاً من أعضاء مجلس الثورة .. الأمر الذى أثر عليه ـ رحمه الله ـ فمرض وطلب أن يدخل مستشفى لعلاجه على نفقة الدولة .. ولكن عبد الناصر رفض .. رغم ان هذا حق لأى ضابط صغير .

واتصل المرحوم يوسف صديق بعبد الحكيم عامر ، وشكا له فأمر المشير على الفور بإدخاله المستشفى ، وعمل كل الترتيبات اللازمة بما يليق بعضو مجلس قيادة الثورة .. ووقف المشير إلى جواره رغم ضغط ناصر واتهامه لعامر بأنه يتحداه بهذه الأعمال .



كان دائم التفقد لرجال وضباط الجيش ... وفى الصورة نرى المشير عبد الحكيم أثناء زيارته للجيش المصرى فى اليمن ، ومعه أنور السادات وفى الصورة القادة فؤاد عزيز غالى ، وسعد مأمون ، ومحمد أحمد صادق .

أنور السادات :

كانت بين عبد الحكيم عامر ، وأنور السادات مودة حميمة ، لم تفلح أعاصير السياسة فى اقتلاع جذورها .. ولم يفتر اهتمام المشير بصديقه أنور قط طوال فترة الجفاء بينه وبين عبد الناصر ـ وكانت كثيرة ـ وهناك مواقف لم يجد أنور من يجرؤ على مناصرته سوى عبد الحكيم عامر . نذكر منها الآتى :

فى عام ١٩٦٣ أراد أنور السادات أن يقدم استقالته ، فذهب إلى المشير ليطلب منه أن يقنع جمال عبد الناصر بقبول الاستقالة ، لأنه ـ أى السادات ـ يريد أن يعيش فى « ميت أبو الكوم » .

وطبعاً لم تكن المشكلة فى تقديم الاستقالة ، وإنما كانت من خوف أنور السادات ، من أن يبطش به جمال عبد الناصر !!

وقد قام المشير بهذه الوساطة فعلاً ، بل ورشح أنور السادات لرئاسة مجلس الشعب فى العام التالى « على ما أذكر » .

ومن الطريف أن أنور السادات ، كان يملك فى أوائل الثورة ، عربة كاديلاك مستهلكة ، تقف به أحياناً فى الطريق وهو ذاهب لمجلس الشعب !! .. ولا تسير إلا « بالزق » ، ولم يرض عبد الحكيم عامر ، للصديق ، ورفيق الكفاح أنور السادات ذلك ، فأرسل له عربة « فيات ١٨٠٠ ـ فرحمته من التعطيل و « الزق » .

وإنى لأتذكر مرات عديدة ، كان عبد الحكيم يتأخر خلالها ساعة أو ساعتين عن موعد مجيئه ، وفى ذات يوم سألته عن سبب التأخير فقال لى :

ـ إن هذه الساعة قد أسعدت أسرة كاملة .. لقد كنت فى زيارة أنور السادات ، وأنا أحرص على ذلك بين الحين والحين ، فأنت تعرفين انه فى ظروف صعبة .

وكان المشير فى هذه الظروف يكثر من زيارة صديقه ، ويداعب أطفاله ، ويحملهم على كتفيه ، بل انه كثيراً ما كان يصطحب معه أنور السادات فى سفرياته خارج البلاد ، رغم

اعتراض عبد الناصر على ذلك .. وكان هدف عامر هو رفع الروح المعنويةلأنور السادات ، وإشعاره بأنه يشارك فى الحكم ، كما شارك فى الثورة .

وهناك واقعة تجمع بين الطرافة والأسى ، وقد حدثت هذه الواقعة فى برج العرب ، تعهد فيها المشير عامر وأنور السادات ـ كل منهما للآخر ـ بأنه إذا مات أحدهما أو أغتيل فإن على الآخر أن يرعى أولاده ، وقرآ الفاتحة على ذلك .

الفصل الرابع

قبل العاصفة

نحن الآن في الزمن الواقع بين أغسطس ١٩٦٦ ، ومنتصف سبتمبر ١٩٦٧ .. وأنا لا أحكى ذكرياتى عن تلك الحقبة ، لأقول للناس ، إنى كنت زوجة فلان ، أو إنى فعلت كذا وكذا ، ليس هذا هو مقصدى البتة ، لأن تلك المرحلة لم نكن فيها ـ المشير وأنا ـ سوى مصريين ، انصهرا مع ملايين المصريين فى بوتقة الزمن الواقع بين أغسطس ويونيو من العام الذى يليه ، فى نار تلك البوتقة انصهر المصريون وتحولوا إلى سبيكة واحدة ، دامعة العينين ، ذاهلة ، مدهوشة ، ولسانها يهذى بأسئلة ، ماذا .. ولماذا .. وكيف ؟

ولعلى أخص نفسى بأنى كنت أول المذهولين ، قبل أن يشمل الناس الذهول الأكبر .

ففى النصف الثانى من عام ١٩٦٦ شعرت بالحمل ، وربما كان هذا الشعور ، هو النسمة الندية فى هجير تلك الأيام . وقد شاركنى عبد الحكيم سعادتى بهذا النبأ حين زففته إليه ، وتحت وطأة ذكريات الحمل السابقة ، راح يحذرنى من بذل أى مجهود ، ويدعونى إلى العناية بصحتى ، وربما كان هذا النبأ هو الشىء الوحيد الطيب ، فى أيامه الأخيرة ، الحافلة بالمؤمرات ، والمكر ، والخيانة ، والقتل .

ولم يمض سوى أسابيع ، ونحن على هذه الحال ، إلى أن كان يوماً رن فيه جرس التليـفون ، فرفعت السماعة لأجيب ، فإذا بى أجد جمال عبد الناصر على الطرف الآخر .. وبتلقائية قلت له بعد الترحيب .. تريد حكيم ؟ .. ها هو معك ولكنه قال بسرعة : « لا ، أريد أن أكلمك أنت أولاً » .

لزمت الصمت المطبق ، وأنا أستمع لما قاله لى ، وأذكره هنا للقراء ، قال جمال عبد الناصر :

ـ أنا وافقت على الحمل .. فإذا كان المولود بنت ح نأخدها منك ونربيها .. أما إذا جاء ولد ، راح نسيبه لك ، ادينى حكيم .

أسلمت سماعة التليفون لعبد الحكيم ، وأنا أرتعد غضباً .. وبعد انتهاء المكالمة ، نظر عامر إلى وجهى متسائلاً :

ـ « ماذا بك ؟ .. » فسردت له ما قاله عبد الناصر ، فصمت ولم يعقب ، وبدا عليه الشرود لحظة ، ولكنى لم أسكت ، فقد ضايقنى أن يناقش معى هذا الأمر رجل غريب غير زوجى ، فقلت : لا أقبل هذه المعاملة .. فأنا أعرف كيف أربى أولادى أكثر من أى أم جاهلة !! كنت أتحدث بصوت مرتفع ، مما أغضب عامر ، فقال لى بحدة :

ـ أنا لا أحب أن يعلو صوتك .. أنت فى عصمة رجل .

قلت والغضب يعمينى :

ـ الرجل يقرر .. ولا يقرر له الآخرون .. خاصة إذا كان القرار ماساً بأموره الشخصية .

ثار عامر ، وصاح بى :

ـ تزوجتك .. وكان هذا قرارى ، وطلبت منك ابناً .. وكان هذا قرارى .. ولكنك تقبعين هنا ولا تعرفين شيئاً عن قذارة لعبة السياسة .

اعترفت له بأننى لست سياسية ، وكل ما أريده هو أن أحيا حياة طبيعية ، واختتمت ثورتى بالبكاء .. أخذ عامر يهدئنى ، ويواسينى ، ثم قال : « اتركى هذا الأمر لى ، فأنا كفيل به » .

وإلى هنا .. لا أدرى على وجه التحديد كم مرت بحياتى أحداث غريبة ، لا أعرف لها تفسيراً حتى هذه اللحظة .. أحداث كأنها حلم امتد شهوراً ، وكأنما هذه المكالمة ، كانت إيذاناً بهبوب رياح من الدخان تحمل أشباحاً .. وفى هذا الدخان ، لا أذكر سوى ومضات من الرؤى .

أصبحت أتنقل من مكان إلى مكان ، وفى صحبة أناس لا أعرفهم ، ويخيل إلىّ اننى أقمت خلال هذه الأشهر ، فى عشرة امكنه متفرقة فى جميع أنحاء القاهرة .

أذكر منها الآن مكاناً غريباً .. كان بناء قديماً ضخماً ، واقتادونى إلى البدروم .. وأدخلونى حجرة واسعة ، ملحق بها دورة مياه .. ثم أغلق علىّ الباب .

كان هناك من يأتينى بالطعام والشراب ، والدواء .. يقدمه لى ، ويطمئن على أحوالى ثم ينصرف مغلقاً الباب خلفه .

وفى ذات يوم سمعت صوت امرأة يصيح من الخارج بصوت عال :

ـ انتى يا ست ياللى جوه ..

فأجبت صاحبة الصوت الذى لا أدرى من أين يجىء ، ولعلها ساكنة من ساكنات هذا البناء الحجرى القديم الكبير .. أجبتها :

ـ عايزة إيه ؟!

ـ بتعملى أيه عندك ؟

ـ قاعدة ..

ـ طب قاعدة لوحدك ليه كده ؟

ـ همه جابونى هنا ..

ـ همه مين ؟

ـ ما أعرفش .

ـ طب ما تفتحى !!

ـ ما أقدرش ..

ـ انتى متجوزه ؟

ـ أيـــــوه ..

ـ طب والراجل اللى بيبجى لك ده جوزك .. واللا يبقى مين ؟

ـ لأ مش جوزى .

ولم أر تلك المرأة ، ولا أعرف من هى ، كما إنى لا أعرف أين يقع هذا المكان ؟ وبعد بضعة أيام أخذونى من هذه الحجرة ،وأسكنونى بيتاً فى الزمالك .. فيلا تقع فى شارع « أحمد حشمت » فقد رأيت اسم الشارع وأنا فى العربة .

فى هذا البيت الذى مكثت فيه حوالى الشهر ، زارنى المشير كما زارنى عباس رضوان ، وصلاح نصر .

ومن مكان إلى مكان ، ظلوا ينتقلون بى ، إلى أن استقر بى المقام قبل الوضع بشهرين ، فى فيلا بشارع الميرغنى بمصر الجديدة ، وهى ملك لطبيب من أقرباء اللواء عصام خليل ، وكانوا يأتون بوالدتى أحياناً لزيارتى .

كانت الطبيبة التى تباشرنى أثناء الحمل ، هى الدكتورة ايزيس خليل شقيقة اللواء عصام خليل .

وفى هذه الفيلا اعتاد المشير أن يزورنى بين وقت وآخر ، وكان أحياناً يلتقط لى صوراً فوتوغرافية وأنا حامل ، ولما كنت لا أخرج ، فإن الدكتورة ايزيس كانت تصر على أن أتمشى داخل البيت .

إلى أن جاءت ساعة الوضع ، وتصادف أن اتصل المشير تليفونياً ، فأخبرته الدكتورة ايزيس بأن وقت الوضع قد حان ، فأخذ يتابع عملية الوضع بالتليفون كل ربع ساعة .

وقد حدث الوضع فى أثناء إحدى مكالماته ، وقالت له الدكتورة ايزيس : « مبروك .. جالك ولد » .

ولم يمضِ وقت طويل حتى كان المشير بيننا ، وحمل ولده عمرو وهو سعيد غاية السعادة ، ثم أرقده على السرير ، وأخرج بطارية رفيعة ، أضاءها ونظر بها فى عينى الطفل ، وفى أذنيه ، بل وراح يفحص كل بقعة فى جسده ، وصاح عندما رأى « الوحمة » فى فخذ عمرو الشمال : « الله دى الوحمة بتاعتى » ثم يقول لى : « اهه شوفى » ! وكان يعلق أثناء فحصه لعمرو « العينين دول عينيا » ـ الودان دى ماركة مسجلة فى العيلة .. دا فيه ملامح من أبى » وهكذا ...

وفى تلك الأثناء ، دخلت والدتى ، ولما رأته يسلط ضوء البطارية إلى عينى عمرو قالت له مستنكرة : « لماذا تفعل ذلك .. إنه حرام .. لا يصح أن تضع الضوء فى عينيه هكذا ، فقد يضر بصره » .

واستمع عبد الحكيم إلى كلامها ، فأطفأ البطارية ، ثم حمله قليلاً ، وهو ظاهر السعادة والسرور .. وقد أقمنا « السبوع » احتفالاً بالمولود الجديد .

وقد أقام السبوع عدد من النساء يتألف منى ومن زوجة اللواء عصام خليل وبناتها السبع ، والدكتورة ايزيس خليل ، ووالدتى واخوتى .

ثم انتقلنا إلى منزلى بالهرم ـ لأول مرة منذ شهور ـ وواصلنا هناك احتفالنا ، وانضم إلينا المشير وصلاح نصر وعباس رضوان وعصام خليل ، واثنان من حرس المشير هما متولى ، وأبو المعاطى .

وبهذه المناسبة قدم جمال عبد الناصر هدية لعمرو ، وكانت « ماشاء الله » بيضاوية الشكل ، لها إطار من ذهب يحيط بلوح صغير أخضر كتبت عليه « ما شاء الله » وكنت أعلقها فى عربة عمرو .

أما صلاح نصر ، فقد قدم لى ميدالية ذهبية على هيئة مصحف ، وأرسل أنور السادات قطعة موبيليا بها راديو ، وجهاز تسجيل ، وبيك أب . وهى ماركة « سابا » . وجدتها فى الصالون عند عودتى إلى البيت ، وكانت تنبعث منها الموسيقى .

وعدت إلى الحياة الطبيعية فى منزلى بالهرم ، وخرجت من هذه الدوامة التى لم أفهم أسبابها .

ولكن بعد الخروج ببضعة أسابيع ، انتاب الحياة العامة نوع من الحمى ، .. ففى أوائل شهر مايو من عام ١٩٦٧ بدأ الحديث فى الصحف ، ووكالات الأنباء عن حشود اسرائيلية على الحدود السورية .

بيتي والحرب

عندما يعلو نذير الحرب ، فإن أوضاعاً اجتماعية ، وأسرية تتغير ، ويشمل الارتباك أنماط الحياة المعتادة ، وأكثر الناس عرضة لهذا التغيير هم العسكريون وأسرهم .

وأسرتى الصغيرة ، التى كانت مؤلفة منى ، ومن عامر ، ومن عمرو ولدنا ، قد بدأت تتأثر بحديث الحرب ، فأذا بى ـ أنا الزوجة الآمنة ـ أتعرض وزوجى وولدى لهزات عنيفة ، أعقبتها عاصفة ، اقتلعت أسرتنا اقتلاعاً .

والعاصفة التى دمرت بنيان حياتنا كانت ـ ككل العواصف ـ تتجمع قواها فى الفضاء الخارجى .. وكان الفضاء الخارجى بالنسبة لنا ، هو اجواء السياسة العالمية والمحلية ، التى اختلطت فيها قوى الغرب والشرق ، وقوى مصر واسرائيل ، ومراكز القوى فى مصر .

ولأن هذه العناصر ، التى ضربتنا ، قد تصاعدت ، وتفاعلت بعيداً عن مجال رؤيتى وتجربتى ، ولأنها كانت المقدمة ـ والمؤشر ـ لما أصاب عبد الحكيم عامر ، كان من الضرورى وضعها أمام أعين القراء .

وتدفعنى العاطفة إلى تقديم صورة لا تبرح خيالى كلما استعدت ذكرياتى مع عبد الحكيم ، هى صورة أب يحتضن ابنه الرضيع ، ويبدى قوة فى الاحتضان ، وينفق وقتاً أطول ، ذلك الأب كان عبد الحكيم ، والابن عمرو عبد الحكيم .

ثم يرفع ابنه أمام عينيه وينظر إليه ملياً ويقول : « يا ترى راح أعيش لغاية ما إشوفك راجل » .

وكنت أدهش لكلامه فأسأله : « لماذا تقول هذا الكلام » ؟ فيكون جوابه ـ الذى اعتدت سماعه منه ـ « أنا دورى ينتهى بعد الحرب مع اسرائيل » . ولا أعرف لماذا كانت تسيطر عليه هذه الفكرة .

ومن المواقف التى قال فيها هذه العبارة ، موقفه يوم حكاية القنبلة التى أشيع انها فى قطار عبد الناصر ، والتى سبق ذكرها فى هذا الكتاب ، فقد قال لى بعد عودته من السفر عندما قلت له : « ألا تخاف من ركوب قطار من المحتمل أن تكون فيه قنبلة » ؟ فكان جوابه : « لا تخافى .. فدورى لن ينتهى إلا بعد نهاية الحرب مع اسرائيل » !!

أروى هذه القصة ، لدهشتى الشديدة ، حينما كان يقولها قبل حرب ١٩٦٧ ، ولدهشتى الأشد بعد هذه الحرب ، وللقارىء أن يكذب القصة أو يصدقها ، وكان لى أيضاً أن ارويها أو لا أرويها ، فهى ليست مؤثرة فى سير الأحداث ، ولا تقوم ـ ولا تصلح ـ دليلاً على موته منتحراً أو مقتولاً .

إنما هى ذكريات قلب جريح ، ألحت على الخيال ، وأنا أكتب ، فلم أجد مناصاً من وضعها على الورق .

ونعود للعاصفة ، فنتحدث عن عناصرها التى تجمعت خارج بيتى ، ثم هدَمته .

ان تلك العاصفة تكونت من ثلاثة عناصر رئيسية هى : الهزيمة ، التنحى ، الموت .



جلس المشير مع قيادات المحور الشمالى فى اليمن ، يشهد بنفسه تفاصيل المعركة الناجحة التى طوقت الجبل وطردت الإمام البدر من اليمن فى ٥/ ٩/ ١٩٦٤ .

الهزيمة

من منا لم تعصف به هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، وأثارت فى عقله التساؤلات والشكوك ، والمخاوف .

ولا شك ان الهزيمة كانت نتيجة ... ولما كان المنطق ، يقتضى أن تأتى النتائج وفق المقدمات ، فإن من الهام جداً ، أن نلقى نظرة على هذه المقدمات .

إن القدر قد اختار أن تكتب هذه المقدمات على ظهر صفحة حرب اليمن ، أما وجه الصفحة فإنه يقول : ان الجيش المصرى كان يعانى إرهاقاً ونقصاً فى الأسلحة والعتاد بل ونقصاً فى الجنود أيضاً ، إذ كانت ثلاث فرق كاملة من أحسن فرق الجيش المصرى تقاتل في اليمن - وهى كما قيل تمثل خمسين فى المائة من الجيش - فإذا أضفنا إلى ذلك تخفيض ميزانية الدفاع عام (٦٦ - ١٩٦٧) لأدركنا حالة الجيش السيئة ، الذى فرضت عليه ، هذه الحرب .

ومما زاد حالة الجيش سوءا ، هو تلكؤ السوفييت فى إرسال ما طلبته مصر من قطع غيار للأسلحة بالإضافة لأسلحة جديدة ، وأجهزة رادار خاصة بالطيران المنخفض ، وخبراء لتدريب الجيش على الأسلحة التى وصل بعضها ...

وكلما ألحّت مصر فى طلب هذه المعدات .. والتى كان متفقاً عليها - ألحّ السوفييت فى طلب الامتيازات ، والممثلة فى رغبتهم فى إقامة قاعدة بحرية ، وتسهيلات لخدمة الأسطول الروسى ، وإقامة محطة للإنذار المبكر ، يديرها الروس على الأراضى المصرية .

وكان عبد الحكيم عامر والقادة الوطنيون يعارضون هذه المحاولات الروسية ، وقد سمعت المشير يقول ذات مرة : « لقد كافحنا طويلاً للتخلص من الاستعمار البريطانى ، فهل نقبل الآن استعماراً روسياً يأتى على أيدينا ! » .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن مصر كانت قد وضعت مشروعاً فى أوائل الستينيات يهدف إلى تصنيع السلاح محلياً ، وقد شرعت فيه فعلاً ، وأسندت إلى اللواء عصام خليل مهمة

الإشراف عليه ، وقد نجح باتصالاته فى استقطاب العلماء الألمان وكاد المشروع ينجح ، لولا أن الروس غضبوا وهددوا بأن الاستمرار فى هذا المشروع يعنى الإمتناع نهائياً عن تزويد مصر بأى سلاح ، وخيرت مصر بين خيارين : « إما تسليح الجيش تسليحاً كاملاً روسياً ، وإما الاستمرار فى مشروع صناعة الأسلحة محلياً » .. وقد وجدت مصر نفسها مضطرة للتخلى عن هذا المشروع بل وإغلاق ما تم انشاؤه منها .

ولما كان الشىء بالشىء يذكر ، فإن مشروع الصواريخ المصرى ـ القاهر والظافر ـ قد لقى نفس المصير ، ولكن بصورة أخرى ... فقد تعقب رجال المخابرات الاسرائيلية ، العلماء الألمان الذين يعملون فى هذا البرنامج ، وقتلت منهم من قتلت ، وهددت الآخرين بالقتل .. واستمروا .. لكن الروس أصروا على قفل هذا المشروع أيضاً .

ونعود إلى الجدل الدائر بين مصر والروس حول طلبات الأسلحة ، ففى قلب المناورات والمماطلات ، فاجأنا الروس بنبأ « الحشود الاسرائيلية » على حدود سوريا ، وقد اقترح المشير على جمال إرسال وفد للتأكد مما قاله له الروس ، وبالفعل ابلغ المشير الفريق صدقى محمود بأن الرئيس يريد منه الذهاب إلى سوريا ، للتأكد من وجود حشود اسرائيلية على حدودها .

وذهب الفريق صدقى ، وتأكد بنفسه على الطبيعة من عدم وجود حشود كما ادعى الروس !! وفور عودته قدم تقريراً عما رآه من نسختين واحدة للرئيس جمال ، والنسخة الأخرى للمشير عامر ، كما جرى العرف .. وطلب من الرئيس جمال عبد الناصر ألاّ يستجيب إلى استفزاز الدعاية السعودية والأردنية ، التى تشنع أن عبد الناصر « يتحامى » فى قوات الطوارىء الدولية ، لأن قواتنا ليست على استعداد للدخول فى حرب شاملة مع اسرائيل فى هذا الوقت ، وذكر فى التقرير انه فى حالة استجابة الروس لاحتياجات الجيش وخصوصاً القوات الجوية ، فإن هذه القوات ستكون عام ١٩٧٠ فى موقف يمكنها من مواجهة اسرائيل .

والغريب ان الروس أصروا ـ رغم تقرير صدقى محمود قائد القوات الجوية ـ على ان هناك حشودا اسرائيلية على الحدود السورية ، وقالوا ان البحرية السوفيتية التقطت اشارات تفيد بذلك .

فى هذه الأثناء بدأ « ليفى اشكول » ـ رئيس وزراء اسرائيل ـ يهدد وينذر ، وبدأ العرب يهددون وينذرون .. وأسفر هذا التهديد المتبادل عن قرار جمال عبد الناصر ، بسحب قوات الطوارىء الدولية ، من شرم الشيخ ، وإغلاق مضيق العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

ونشير هنا إلى ما كان معروفاً من نقاط اعتبرتها اسرائيل من دواعى الحرب .. وهى خمس نقاط ، احداها : إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

إذن كان القرار الذى اتخذه عبد الناصر ، بإغلاق المضيق ، كان يعنى الحرب بالضرورة ، ولذا فإن قوله بعد الهزيمة انه لم يكن يتوقع حرباً ، قول فيه نظر !!!

سحبت قوات الطوارىء الدولية ، وحبس العالم أنفاسه ، ووضع المشير وقادة الجيوش خطتهم العسكرية ، لمواجهة الموقف .

فعاد الروس إلينا مرة أخرى ، يدعوننا « بضبط النفس » ، وأصبح لزاماً على مصر ، التى غضبت ، وتحمست ، وتأهبت ، وخططت ، أصبح لزاماً عليها أن « تضبط النفس » وبسبب ذلك وقع خلاف بين ناصر وعامر .

وقد صارت مراحل الخلاف منذ بداية الحديث عن الحرب حتى وقوع الهزيمة على النحو التالى :

كان قرار سحب قوات الطوارىء ، قراراً سياسياً ، يستلزم تنفيذه قراراً عسكرياً ، فكان أن أصدر عبد الحكيم عامر أمر القتال رقم ١ ، وفيه تحدد الهجوم يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ .

وفى نفس اليوم الذى صدر فيه القرار ، تسلمت القاهرة رسالة من الرئيس جونسون يناشدنا فيها بضبط النفس ، وتوضح رغبة الولايات المتحدة ، فى ألا تعرقل مصر مساعيها لتحقيق السلام فى المنطقة ، وأكد الروس نفس الرغبة لجمال عبد الناصر كما أن فرنسا أعلنت انها لن تكون مع البادىء بالحرب ، ولذلك قرر جمال عبد الناصر الاتصال بعبد الحكيم عامر تليفونياً ، وأصرّ على إلغاء قرار القتال رقم (١) .

ولما اعترض عبد الحكيم عامر قائلاً : « ان الانتظار ، هزيمة للجيش المصرى قبل أن تبدأ الحرب » . قال جمال : هذا قرار سياسي وعليك تنفيذه ، وبهذا ألغى القرار رقم (واحد)

والذى كان يهدف إلى تنفيذ الخطة « فهد » وهى تقضى بتوجيه ضربة « إجهاض » إلى مطارات اسرائيل العسكرية ، ومواقع هامة .

وكان المشير عاكفاً على دراسة ما يجب عمله فى مكتبه ، وحوله قادة الجيش الفريق صدقى محمود ، الفريق أنور القاضى ، الوزير شمس بدران ، وأحمد أبو نار وآخرون .

ويروى الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية قصة هذا الاجتماع قائلاً : « طلبنى المشير من مكتبه بالقيادة ، فذهبت إلى هناك ، ووجدت قادة الجيش مع المشير وكانوا جلوساً حول مائدة الاجتماعات حيث دخل علينا جمال عبد الناصر فجأة وكان واضحاً ان المشير فوجىء بزيارته فقال : « الله .. مش تقول انك جاى ياريس .. علشان نستعد » !

ورد عليه جمال بقوله : « أصلى بقالى يومين ما شفتكش وقلت أعدى أشوفك » .

وجلس الرئيس ثم سأل بشكل عفوى عن موعد وصول القوات العراقية إلى الجبهة الأردنية ، فقال له اللواء صادق : « على ما أذكر خلال يومين أو ثلاثة ... » .

فقال جمال عبد الناصر معلقاً : « لو اليومين دول عدّو يبقى نفدنا بجلدنا » .

وفى هذا الاجتماع ، طلب المشير أن تبدأ مصر بالضربة الأولى وحدد لها يوم ٢٨ مايو ، لكن جمال عبد الناصر رفض هذا الرأى ، واقترح أن ننتظر ونتلقى الضربة الأولى ، ثم نبدأ نحن بالضربة الثانية !! فرد عليه الفريق صدقى محمود ثائراً : « ايه اللى انت بتقوله ده .. دى تكسحنا .. ولن يستطيع الطيران النهوض لتكملة الحرب .. وسيحارب الجيش مكشوفاً بلا غطاء جوى » .

وقد برر ذلك عبد الناصر بقوله فى هذا الاجتماع : « لنترك اسرائيل تقع فى خطأ العدوان ، وتبدأ هى المعركة ، ثم نرد عليها .. وواصل جمال قوله : « أنا تقرير الروس عندى بيقول .. لو انتظرنا الضربة الأولى من اسرائيل ستكون الخسارة ٢٠٪ فقط ودى محتملة » .

وسأله عبد الحكيم عامر : « وما يضمن ان اسرائيل ستكون وحدها ؟ » .

وعلق صدقى بقوله : « حتى إذا أخذنا بتقرير الروس .. أى ٢٠٪ خسائر - إذا كانت اسرائيل وحدها .. ولو تدخلت الدول الكبرى فالخسائر حاتوصل ٩٠٪ » .

رد جمال عبد الناصر : « اما التقرير اللى عندى بيقول ان الخسائر حاتكون ٢٠٪ فقط ».

رد صدقى : « مش أنا اللى مقدمه .. الروس هم اللى مقدمينه » .

وهمس جمال للمشير : « ماتشوف حكاية صدقى .. وتفهمه الموضوع » .

فقال المشير لصدقى : « قصد الريس نتنظر الضربة الأولى من اليهود . واللا حنحارب الأمريكان ؟ » .

ثم وقف جمال على الخريطة ، وبدأ فى تغيير مواقع الفرق بنفسه ، واعترض المشير بقوله : « ده تغيير جذرى فى الخطة اللى بيشتغل فيها أجيال من سنة ١٩٥٦ » .

وأبدى عبد الناصر اهتماماً بالدفاع عن غزة وأصر على تغيير مواقف الفرق ونقلها إلى أماكن أخرى ، واعترض المشير قائلاً : « ده تغيير خطير وسيضعف خطوط دفاعنا » .

ورد ناصر : « ان الدفاع عن غزة مسألة حيوية سياسياً ودعائياً ، فماذا سيقول عنى العرب وأنا الذى أعدهم أن أرد لهم فلسطين ، فتسقط غزة والعريش ؟

فرد المشير : « وماذا سيقول العرب فيما لو خسرنا الحرب كلها ؟ » .

وغضب عبد الناصر من رفض عامر للتغييرات الجذرية فى الخطة التى أمر بها ناصر وانصرف ثائراً ، حتى انه نسى « الكاب » فجرى خلفه شمس بدران ومعه الكاب ، ورافقه فى الطريق إلى منزله محاولاً تهدئته .

وعندما رجع إلى عامر ، حاول تهدئته ، وإصلاح ذات البين ، وبعد حوالى الساعة ، اتصل ناصر بعامر ، وبعد مناقشة ، قال عامر : « حاضر حا انفذ التغيير !! » .

وكانت المخابرات العامة برئاسة صلاح نصر قد قدمت آخر تقرير لها إلى جمال عبد الناصر وفى هذا التقرير أشارت إلى أنه ليس من المستبعد أن تكون كل من الولايات المتحدة واسرائيل ، قد توصلتا إلى اتفاق على قيام اسرائيل منفردة أو مشتركة بعمليات عسكرية ، موجهة إلى الجمهورية العربية المتحدة .

وفى ٢ يونيو قدمت المخابرات العامة تقريراً حددت فيه ـ عن طريق مصادرها ـ ان اسرائيل ستقوم بضربتها الأولى فى مدى ٤٨ ساعة ، وان هذا الموعد مناسب لاسرائيل ، لأنه يسبق وصول القوات العراقية إلى الأردن ، وتمركزها هناك .

وكانت المخابرات العامة قد قدمت من قبل ذلك ـ فى النصف الثانى من مايو ـ ان الأحزاب الاسرائيلية وكذلك الحكومة ، تربط بين الملاحة وسيادة اسرائيل ومكانتها ، ويعتبر هذا بمثابة اعتداء على حقوق اسرائيل والشعوب الأخرى ، وان اسرائيل تعتزم بإصرار تأمين حرية الملاحة فى الخليج ، ولذلك كانت الصورة أمام القيادة السياسية فى وقت مبكر ، وجدية اسرائيل وعزمها على تأمين حرية الملاحة فى خليج العقبة باستخدام القوة .

وعندما زار جمال عبد الناصر ، ومعه المشير عبد الحكيم عامر قاعدة أنشاص الجوية ، سـأل بعض الطيارين جمال عبد الناصر : « امتى حنحارب يـاريس ؟ » . ابتسم جمال قائلاً : « مش حنحارب » !!

أصاب الطيارين الإحباط ، وسرت بينهم همهمة ، واعتراضات ، وأحس المشير بغضب الطيارين ، الذين بدوا لعينيه كمن قيدوا بالحبال ليقتلوا ، ولذلك تلكأ عامر إلى أن انصرف ناصر ، فقال عامر للطيارين : « ماتخافوش ياأولاد ، احنا راح نحارب ، استعدوا لغاية ما يجيلكم أمر القتال » .

وسأل هيكل صدقى محمود : « هل حقيقى حانخسر ٨٠٪ لو انتظرنا الضربة الأولى » قال له صدقى : « على أقل تقدير » فصاح هيكل « يا نهار اسود .. والراجل (يقصد الرئيس جمال) عامل حسابه على انكم مش حاتخسروا أكثر من ٢٠٪ » .

والتفت إلى المشير عامر قائلاً : « ما تكلم صاحبك ـ يقصد ناصر ـ يرجع عن الكلام اللى فى دماغه ده » .

وفى هذه الأيام ، سادت البلبلة ، والقلق نفوس القادة والجيش ، وأحس بعض الطيارين باحتمالات عدم القيام بالضربة الأولى ، وانتظار المبادأة من قبل اسرائيل ، التى كانت فى

تلك الأثناء تتوعد وتهدد ، وكان عبد الحكيم عامر ، عارفاً بما يسود الجيش من مشاعر الترقب والتحفز للقتال ، وفى محاولة منه لتهدئة المقاتلين، أشار على جمال بزيارة مطار « أبو صوير » .

وقام الرئيس ومعه المشير بهذه الزيارة ، وهناك تحدث عن احتمالات الحرب والسلام ، وانه من الممكن أن تحل الأزمة سلمياً .

وكانت هذهِ القاعدة تضم عدداً من أكفأ الطيارين المقاتلين ، وكان بينهم ـ بخلاف القادة ـ تحسين زكى ، والدوينى ، والمليجى ، وأحمد فؤاد ، وكثيرون غيرهم .

وفى نهاية حديث ناصر أبدى بعض الطيارين رغبتهم فى الحوار مع الرئيس ، فأمر ناصر بإخراج الصحفيين ماعدا هيكل .

وسأل أحد الطيارين : « لماذا لا نمسك بزمام المبادأة بأيدينا ، ونبدأ بالضربة الأولى ؟ » ورد ناصر بسؤال : « وليه ما تردش بالضربة الثانية » .

وثار آخر وقال : « من وجهة نظرى كطيار .. ان من يمتلك السماء يمتلك الأرض » .

وقال آخر : « ياريس انتظارنا معناه الموت لنا .. » .

وأصر الطيارون على أن يكون البدء بالضربة الأولى من مصر ، خاصة ان الطائرات كلها على الأرض مكشوفة .

وازاء إصرارهم وافق جمال عبد الناصر على البدء بالضربة الأولى ، وتنفيذ خطة « فهد » التى وضعها المشير مع قواده بعد عدوان ٥٦ ، واشترك فيها جيلان من القادة فى تدريبات الجنود ، وإعداد الأرض ، وقد طلب المشير من الرئيس ان تكون الموافقة كتابية لطمأنه الطيارين .

وقد وافق جمال عبد الناصر على كتابة الورقة وهى تفيد موافقته بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ، بأن على القوات المسلحة المصرية أن تبدأ بالضربة الأولى ، وقد استلم هذا الأمر اللواء طيار اسماعيل لبيب رئيس عمليات الدفاع الجوى ، وفى اليوم التالى ، نشر هيكل فى الأهرام بأننا لن نبدأ بالحرب ، فثار الطيارون ومزقوا صحف الأهرام التى كانت بأيديهم .

وفى مساء ٣ يونيو كان هناك اتفاق بين المشير والفريق صدقى محمود ، على الذهاب إلى الجبهة فى اليوم التالى الموافق ٤ يونيو ، ولكنه فوجىء بمكالمة من الرئيس عبد الناصر يبلغه فيها ان السفير السوفييتى جاء منزعجاً من أمر القتال الذى أصدره عبد الحكيم عامر ، ولكن جمال قال للسفير ان أمر القتال قد صدر ووزع على القيادات ، وانه ـ أى السفير ـ إذا كان يريد إلغاءه فعليه بالذهاب إلى عبد الحكيم عامر بمنزله بالجيزة .

وبالفعل حضر السفير إلى منزل المشير ورابط فيه ، حتى جاءت مكالمة تليفونية ، من جمال إلى عامر ، يطلب منه إلغاء أمر القتال ، وأنبأه بأنه تلقى تأكيداً من واشنطن ، وموسكو ، بأن اسرائيل لن تبدأ العدوان ضد مصر والعرب .

ولذلك وجب علينا ضبط النفس ، وبعد هذه المكالمة غادر السفير منزل المشير ، وتلقى المشير مكالمة من الرئيس فى ساعة متأخرة من الليل ، وطلب منه تأجيل سفره إلى اليوم التالى لأن وفداً عراقياً سيسافر معه .

وقد اتصل المشير بالمطار يوم ٤ يونيو ليعتذر للفريق صدقى محمود والذى كان ينتظر المشير فى المطار .

كان مقرراً أن تقلع طائرة المشير فى الساعة الخامسة من فجر ٥ يونيو ـ مع أول خيط من خيوط الضوء ـ ولكن فى اللحظة الأخيرة ، جاءت مكالمة من ناصر يطلب من المشير تأجيل الإقلاع إلى الساعة الثامنة .

ساعة الصفر

فى تمام الثامنة والنصف من صباح ٥ يونيو ٦٧ ، كان جميع قواد الجيش المصرى فى غير مواقعهم !!!

فى طائرة معلقة فوق سماء سيناء لا تجد لنفسها مطاراً تستطيع النزول فيه ، كان المشير ، ومعه عدد من القادة ، والباقون كانوا فى مطار « تمادا » ينتظرون النصف المعلق فى السماء .

فى هذه الساعة ، كانت طائرات اسرائيل تدمّر جميع المطارات المصرية فى سيناء .

فى هذه الساعة كان يجرى تدمير الجيش المصرى فى الصحراء وتشريد أفراده .

فى هذه الساعة كتب التاريخ أغرب هزيمة عرفها الإنسان .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا :

ـ « كيف آمن عبد الحكيم عامر ـ ومن معه ـ على أنفسهم فركبوا طائرة ، وحلقوا بها فى سماء الميدان ، وحديث الحرب يتردد ويتصاعد منذ أسابيع ؟

إذا كان عبد الحكيم عامر فى نفسه ذرة من شك فى احتمال قيام اسرائيل بضربة ضد الجيش المصرى ، فما نظنه كان يركب طائرته ، ومعه قواده ، والحرب وشيكة الوقوع ، وهو الرجل الذى تعرض للقتل مرات سابقة ـ كما ذكرنا فى هذا الكتاب فى باب « مصايد جوية وبرية » .

إذن هو كان مطمئناً .. وهو الرجل الذى كان يصر على أن تبادر مصر بتوجيه الضربة الأولى على مطارات اسرائيل ، وهو الذى أصدر أمر القتال رقم (١) محدداً موعداً للهجوم يوم (٢٨) مايو ، ثم أمر القتال رقم (٢) والذى حدد فيه الهجوم يوم (٣) يونيو ، وقد ألغى عبد الناصر هذين الأمرين ، من أين أتى الاطمئنان إلى قلب عبد الحكيم ـ بعد الشك ـ وبعد محاولة البدء بالهجوم مرتين ؟!!..

يتداعى إلى الذهن ـ بدون دعوة ـ تأكيد موسكـــو ـ المشفوع بالتهديد ـ على حتميـــة « ضبط النفس » . يؤازره تحذير واشنطن لمصر ، بعدم عرقلة مساعيها « للسلام » فى المنطقة وتدعو إلى « ضبط النفس » . ولقد أصرت الدولتان الكبيرتان على ذلك ـ وقصة السفير الروسى معروفة ـ مع بذل الوعود ، والتأكيدات على ان اسرائيل لن تبدأ بالضربة الأولى .

إذن اطمأن رئيس الجمهورية ، وطمأن نائبه الأول وقائد جيوشه عبد الحكيم عامر ، فكان أن سعى ومعه القواد إلى حبسهم فى قفص معلق فى الفضاء ، حين بدأت المعركة !!

وإلى هنا .. فإن المنطق ، والواقع ، يبرئان ساحة عبد الحكيم عامر من مسئولية إدارة المعركة ، التى وقعت وهو « غائب » عنها غياباً قهرياً !!

إن هذا يدحض الزعم بأن جمال عبد الناصر أبلغ القادة بأن الهجوم سيقع ٥ يونية ، فقد كان من باب أولى أن يبلغه لقائده المسافر إلى الميدان .

● وإذا كان القائد العام غائباً ، فمن كان حاضراً ؟ ..

كان حاضراً القائد الأعلى للقوات المسلحة جمال عبد الناصر .

وكان حاضراً محمد فوزى الذى يلى المشير بوصفه رئيس أركان القوات المسلحة ، والمسئول عن الإبلاغ والإنذار عن أى اختراق لمجالنا الجوى . والإبلاغ والإنذار عن أى اختراق بـرى لمسرح العمليات . والـذى عليه الإبلاغ ـ من وإلى ـ مسرح العمليات فى الجبهة ، والقيادة العامة التى يرأسها جمال ونائبه عامـر . وصلاح محسن ، قائـد جيش الميدان .

هؤلاء كانوا مطلقى السراح ،والمعركة أمام أعينهم ، وكان عليهم قيادة المعركة وتوجيهها .

ولكن مركز قيادة الجبهة كان مغلقاً فى ذلك اليوم !!

وهذا مسئولية محمد فوزى ـ الثانى بعد المشير ـ ورئيس هيئة أركان القوات المسلحة .

وبإغلاق مركز القيادة ، أصبحت حلقة الوصل بين القيادة العامة ومسرح العمليات مقطوعة . وكما يقول اللواء الدغيدى :

« اغلاق القيادة هو قطع رأس القيادات المسلحة وموت عقلها ، والإغلاق هو موت مركز عمليات الجبهة ، بل هو القبر بعد الحياة » .

فهل حوكم الفريق فوزى على أكبر جريمة فى كارثة ٦٧ .

وبوجود المشير فى الجو ، بأمر من عبد الناصر ، أصبح طبيعياً أن تكون المدفعية المضادة مقيدة ، لوجود طائرات صديقة فى الجو - حسب التعبير العسكرى - وفق القوانين الدولية .

وقد تلقت قيادة الجبهة صرختين للإنذار مبكراً ، الأولى جاءت من الهجوم على « أم بسيس » فى الخامسة والربع - حيث شوهد هجوم اسرائيلى بالدبابات - ولم يتعرض لأى مقاومة جوية ، ومن هنا قررت اسرائيل شن ضربة جوية خاطفة .

ولو وصلت إشارة « أم بسيس » إلى عبد الحكيم عامر - الذى أقلعت طائرته فى الثامنة والنصف ، لكان لدى عبد الحكيم عامر عذر فى شن هجوم على اسرائيل ، باعتبارها بادئة بالعدوان .

ويقول اللواء عبد الحميد الدغيدى : « حتى الساعة السابعة والنصف ، كان من الممكن صد القوات الاسرائيلية ، لولا القادة الغائبون عن مسرح العمليات محمد فوزى ، وصلاح محسن !!

وصرخة الإنذار الثانية « عنب » أطلقها عبد المنعم رياض من « عجلون » فور إقلاع الطائرات الاسرائيلية .. هذه الصرخة لم تصل !!!

إذن :

المشير مقيد فى الطائرة ..

ومركز القيادة بالجبهة مغلق ، ومفتاحه فى جيب محمد فوزى . وقائد جيوش الجبهة - صلاح محسن - غير موجود .

والتعليمات والأوامر لا تصل إلى القوات ولا إلى القيادة العامة .

وطائرات اسرائيل تهجم بكثافة ، وتعربد فوق مطارات سيناء ومصر .

والقوات البرية التى غير جمال عبد الناصر موقعها « التغيير الجذرى باعتراف القادة » ، فى الخطة قبل يومين ، تعانى تشتتاً ، وأصبحت صيداً سهلاً للطائرات المغيرة ، والدبابات المهاجمة .

وفى مركز القيادة كان جمال عبد الناصر يدير المعركة وقد شاهد على الخريطة تدمير المطارات المصرية ، وضرب القوات البرية فى سيناء ، وظل حتى انتهت الحرب ثم غادر المبنى إلى بيته .

هذه الصورة علق عليها اللواء الدغيدى بقوله : « لو كان أحسن الجيوش يقف فى نفس موقفنا لما تغيرت النتيجة » .

وعلى هذه الصورة وقعت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

بعدها خرج على الناس من يريد وضع المسئولية فى عنق المشير عبد الحكيم عامر ..

وواضع المسئولية وناشر الشائعات : محمد فوزى ، وسامى شرف ، المسئولان ـ الطلقاء ـ عن القيادة والتوجيه فى ذلك اليوم .

ويجدر بى أن أذكر القارىء هنا ، بأن سامى شرف هو منشىء التنظيم السرى بالجيش الذى كان يرأسه داخل الجيش محمد فوزى ، والذى خلق فى حياتنا ما يسمى بمراكز القوى .

وبعد أن هبط المشير وأخذ طريقه إلى القيادة ، كان أول ما فعله هو مطالبة الروس بسرعة إرسال طائرات لتعويض السلاح الجوى المصرى عما فقده بالضربة الأولى ، وأبدى الروس موافقتهم ووعدوا بإرسالها بأسرع وقت ، ولكن الطائرات لم تصل ، وعندما سألت مصر أجاب الروس بأن الطائرات كانت فى الطريق لولا أن يوغوسلافيا رفضت عبورها للمجال الجوى ليوغوسلافيا ، وقد اتضح كذب هذا الإدعاء .

وفى السابع من يونيو ، استدعى عبد الحكيم السفير الروسى إلى مكتبه بالقيادة ، فلما جاء سأله عبد الحكيم : « لماذا لم تصل الطائرات التى قلتم انها فى الطريق ؟ » أجاب السفير : « لقد شرحنا ذلك وقلنا ان تيتو منع الطائرات من التحليق .. » .

وقاطعه المشير غاضباً : « أنت كاذب » ثم استطرد وقد استبد به الغضب تماماً : « قلتم ان هناك حشودا .. ثم اتضح انه لا توجد حشود .. وقلتم ان اسرائيل لن تبدأ بالحرب .. ثم بدأت اسرائيل بالحرب .. وقلتم ان تيتو منع الطائرات من عبور أجواء يوغوسلافيا ، ثم اتضح انه لم يمنعها .. » .

قال السفير : « أنتم ترفضون أجابة طلباتنا .. لابد من موافقتكم على مطالب روسيا ، حتى نستطيع أن نقنع اللجنة المركزية بالموافقة على منحكم ما يحتاجه جيشكم » !!

صرخ فيه المشير : « ماذا تعنى .. أتأتى الآن لتعرض علينا قبول طلباتكم ، هل تظن أننا قد غرقنا .. اننا لن نفرط فى شبر من أرض مصر .. » .

ولم يتمالك عبد الحكيم أعصابه ، فطرد السفير ، وطارده حتى باب مكتبه أمام أعين الجميع ، وشوهد السفير وهو يجرى مهرولاً إلى آخر القاعة ، وقد شهد هذه الواقعة على سبيل المثال لا الحصر : اللواء بحرى محمود عبد الرحمن ، مدير مكتب المشير للشئون البحرية ، وقائد القوات البحرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

واتصل المشير بعد ذلك بجمال عبد الناصر وقال له : « جالك كلامى ، مش قلت لك ان الروس حايغرقونا .. اتفضل ياريس ، السفير الروسى كان عندى بيقول مش حانبعت طيارات إلا لما نوافق له على طلباته .. هوه احنا طلعنا الإنجليز علشان ندخل الروس ؟! »

التنحى

يخطىء من يظن ان المؤامرة على مصر انتهت « بهزيمة الجيش » . فمازالت منها فقرات لم تتم ، وقد تمت فى غمرة الذهول الذى أصاب الناس جميعاً ، وأضاف إليه جمال مزيداً من القلق عندما أعلن على الناس عزمه على التنحى .

وفى خضم الهياج ، والاضطراب ، تم حياكة باقى خيوط المؤامرة .

كانت المؤامرة لا تهدف فقط إلى تدمير الجيش ، بل تهدف إلى احتواء مصر كلها ، ووضعها تحت الهيمنة السوفيتية .

لذا اتجهت المساعى ـ تؤازرها مراكز القوى ـ لامتلاك الحاكم نفسه .. ويؤكد هذا الاتجاه تصرفات السوفييت فى هذه الفترة ، على النحو الذى سوف أذكره فى حينه .

ولعل هذه الواقعة التى وقعت فى ٧ يونية تشير إلى استمرار المؤامرة التى لم تنته بنهاية ٥ يونية .

فى هذا اليوم ، أفلح اللواء صدقى الغول ، فى العبور سالماً بالفرقة الرابعة مدرعات ، والتى كان يطلق عليها « جوهرة الجيش المصرى » ووقف اللواء صدقى الغول أمام قائد جيش الميدان ـ صلاح محسن ـ ليعطى التمام ، برجوع الفرقة المدرعة سالمة تماماً .

وفيما هو واقف ، رن جرس التليفون على مكتب صلاح محسن ، وفهم اللواء صدقى الغول ان المتكلم هو المشير عبد الحكيم عامر ، وسمع صلاح محسن يقول : ان الفرقة الرابعة مدرعات ـ لم تصل !!

وبعد وضع السماعة قال له اللواء صدقى الغول : « كيف تقول إنى لم أصل .. وأنا واقف أمامك وبدّيك التمام ؟ » .

فرد عليه صلاح محسن بقوله : « صدرت أوامر جديدة بعودة الفرقة إلى سيناء مرة أخرى » ، وعادت الفرقة فأبيدت عن آخرها ! .

وبهذه المناسبة تحضرنى كلمات قالها لى عبد الحكيم بعد الهزيمة ،وتركه مناصبه ، قال : « أنا كنت بادى أوامر ، وحد تانى يلغيها .. ويدى أوامر أخرى عكسية » .

والتجربة التى سبق ذكرها عن الفرقة الرابعة ، والتى أذيع أمرها فيما بعد ، أكدت لى صدق ومعنى ما قاله المشير فى ذلك ، وهو قول من أقوال كثيرة ، سمعتها منه وهو فى محنته وأحزانه ، وسأذكرها فى حينها .

ومن المفيد أن نستعيد تفاصيل ما وقع بين جمال عبدالناصر ، والمشير عبد الحكيم عامر ، فى ليلة الثامن من يونية ١٩٦٧ ، فبعد صدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، حدث اجتماع ضم الرئيس جمال عبد الناصر ، والمشير عبد الحكيم عامر ، والوزير شمس بـــــدران ،وفى هذا الاجتماع اتفق الثلاثة على : « ضرورة ترك مناصبهم ، والإتيان بوجه جديد يتولى رئاسة البلاد ، ويستطيع التفاهم مع الغرب » .

وقال عبد الحكيم عامر : « اننى أقترح أن يرأس البلاد الزميل زكريا محيى الدين » .

ظهر على وجه عبد الناصر الامتعاض وعدم الرضا ، فقال له المشير : « انت عارف ياريس ان مافيش بينى وبين زكريا أى ود أو صداقة .. واننا كنا دائماً نصطدم ونختلف ، فى الرأى ، ولكننا الآن أمام مصلحة مصر ، واسم مصر ، ومستقبل مصر » .

ورد عبد الناصر : « زكريا وجه غير مقبول .. وأنا لا أوافق عليه ، وأرشح بدلاً منه شمس بدران » .

قال عامر : « إذا كان اعتراضك على زكريا ، انه وجه غير مقبول ، فإن شمس بدران وجه غير معروف ، وغير مقبول . ثم كيف ترشح من كان وزير حرب ، وخسرها ؟! » .

قال عبد الناصر : « نبحث عن أسماء أخرى » .

فقال المشير : « احنا أخذنا بمبدأ ان اللى ييجى هايكون واحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة المشتركين حالياً فى الحكم ، وليس أمامنا سوى زكريا ، وأنور ، وحسين .. » .

وواصل المشير دفاعه عن زكريا ـ الذى أعلم انه يقدره فعلاً ـ قائلاً : « زكريا عمل فى وزارة الداخلية منذ جاء للحكم .. ويستطيع إدارة السلطة التنفيذية » .

قال عبد الناصر : « طب يا سيدى خلاص .. نزلت على رأيكم » .

وكان المشير يعلق بمرارة على ما حدث : « نزل على رأيى .. قال يعنى خلاص راجل ديمقراطى ، هوه طبعاً كان عايز شمس لأنه وجه مكروه وغير معروف .. » .

وفى الاجتماع أيضاً أمر آخر ، لم يحظ بالاهتمام كسابقه ، فقد طلب عبد الحكيم ، الإفراج عن الرجال المسجونين بالسجن الحربى ، وضمنهم ضباط وعساكر مدرسة المشاة وعبد المنعم أبو زيد « صاحب القضية المعروفة » . كما اتفقوا على أن يذاع مع خطاب التنحى استقالة عبد الحكيم وشمس .

خرجوا من الاجتماع ، ولم يخامر المشير الشك فى أن هذا الاتفاق سيوضع موضع التنفيذ ، أو أن ما حدث ممكن أن يكون خدعة ، فى هذا الوقت التى ترتنح فيه مصر تحت وطأة الضربة المباغتة التى أطاحت بآلاف من شباب ورجال مصر ، لازالت جثثهم ملقاة على رمال سيناء .

تم هذا الاجتماع يوم ٨ يونيو ، وحتى ذلك التاريخ ومنذ حوالى الثانى من يونيو ، لم أكن قد شاهدت عبد الحكيم إلا لماماً ، فى فترات لا تتجاوز الواحدة فيها الدقائق العشر ، كان فيها يطمئن على أحوالى ، ويشاهد ولده عمرو ، وكإنه يودعه ، ثم ينصرف بصحبة من جاءوا معه ، فقد كان يأتى دائماً ، ومعه رفقاء من زملائه كصلاح نصر ، أو عصام خليل ، أو عباس رضوان ، وغيرهم .

ثم انقطعت عنى أخباره ، إلا من الصحف والتليفزيون ـ منذ الخامس من يونيو ـ حتى هذا اليوم : الثامن من يونيو .

فقد جاءنى الحارس الأمين ـ محمد متولى ـ وقال « عايزين سيادتك ضرورى عشان نروح للمشير » .

واصطحبنى إلى منزل اللواء عصام خليل ، وأدخلونى حجرة نوم معتمة ، تبينت فيها المشير ، جالساً على طرف السرير ، مسنوداً إلى ظهره ، وقد أسند رأسه إلى الوراء ، وكان يدخن بشراهة .

كنا وحدنا بالحجرة ، وبابها مفتوح وبالخارج كان عصام خليل صاحب البيت ، وعباس رضوان ، وشقيقا عبد الحكيم حسن ومصطفى .

وقفت أمام عبد الحكيم ، وهممت أن أقول : « إزيّك » .. « إزيّك ايه ؟ » . وهو زى ماانا شايفاه » .

كان وجهه حزيناً مكتئباً ، وبدنه مهدلاً على السرير ، وبجواره فنجان من القهوة فارغ ، وقد حدثت نفسى بأنه لابد أن يكون الفنجان المائة .. لما أعرفه من عادات المشير حين يغضب أو يحزن ، فإنه يعكف على القهوة والشاى ، ويعاف الطعام .

لم أجسر أمام هذه الصورة على قول أى شىء ، وبينما القلق يلعب بى ، سمعت صوته يقول : « أنا عايز أقعد لوحدى » .

لم أدر ماذا أقول ، أو ماذا أفعل ، وإن لاح لخاطرى انهم جاءوا بى دون علمه ، راجين أن أفلح فى إخراجه من هذا الصمت الكظيم .

وشعرت ان علىّ واجباً نحو الرجل الذىأحببته قائداً شامخاً ، وأراه الآن مهزوماً منكسراً ، واجبى أن أفعل شيئاً ، أو أقول شيئاً رغم علمى بأنه لا يكاد يشعر بوجودى .

حزمت أمرى وقلت له : « الحزن ده ما فيش منه فايدة دلوقت ، ما هو التاريخ ملىء بالحروب وقواد انهزموا ورجعوا انتصروا .. » .

قال بصوت خفيض : « وهل حاربت حتى أهزم ؟ » .

فاجأنى الرد ، وإن كان قد شجعنى على الاسترسال فى الحديث ، فقلت : « مهما كان اللى حصل .. فإنت أقوى منه » .

ثار عبد الحكيم عامر وهاج ، ونظر نحوى بعينين ملتهبتين : « انتى ما تعرفيش حاجة .. اللى حصل مش نتيجة حرب .. دا نتيجة خيانة .. » وأشاح عنى بوجهه ، وقد أمسك عن الكلام .

وبعد فترة صمت ، سمعته يتكلم : « ولادى ماتوا متكتفين ، ماقدروش حتى يدافعوا عن نفسهم .. » .

ولا أدرى أكان يحدثنى أم يحدث نفسه فى تلك اللحظة ، فلزمت الصمت وقد غمرنى حزن وذهول .

تلفت المشير حوله فجأة ثم صرخ : « فين الشنطة ؟ .. فين الشنطة ؟ » .

فدخل على صياحه متولى ، وقال له متلجلجاً : « الشنطة .. كنا عايزنها .. و .. » .

وصاح به عبد الحكيم : « بلاش كلام فارغ .. هاتوا الشنطة .. انتوا صدقتوا كلام المعفن وشوية العيال بتوعه ؟ .. بتصدقوا الإشاعات ؟ .. هاتوا الشنطة » .

وأسرع متولى فأحضر حقيبة « سامسونايت » وقدمها لعامر .

كنت أراقب ما يجرى وأنا صامتة . أخذ المشير الحقيبة وفتحها ، فإذا فيها مسدس ، وبعض الأوراق والأدوية ، وأخرج عامر زجاجة دواء ـ لعله مهدىء ـ وتناول منها حبة .. كان يشكو صداعاً ، ولذا طلب الحقيبة لأن بها الدواء .

لم أكن أعرف شيئاً عن الإشاعة التى تحدث عنها ، ولا مَن « المعفن » الذى ذكره .. وقد عرفت ان الإشاعة قالت ان المشير ينوى الانتحار .. لذا رأى رجاله المخلصون ، أن يبعدوا المسدس عن يده ، فأخفوا حقيبته .

* * *

وتنفيذاً لما اتفقوا عليه فى اجتماعهم الثلاثى ، ألقى عبد الناصر خطاب التنحى فى مساء يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ .

وقد لاحظت كما لاحظ الكثيرون ، ان خطاب التنحى يتضمن وعوداً ومشاريع .. أى ان فى مضمونه ما يكذب فكرة التنحى .

والخطوات التى صاحبت وأعقبت التنحى ، توضح مكر عبد الناصر بعبد الحكيم وشمس بدران ، وانه استغل الاستقالة لصالحه ، فدفع بهما إلى الظلام ، وصعد وحده إلى القمة بناء على .... طلب الجماهير !!!

وأولى الملاحظات ، هى وقف جميع المواصلات داخل القاهرة ، قبل إلقاء خطاب التنحى فتكاثر الناس فى الشوارع ، واقفين أو سائرين ، أما السكك الحديدية فقد عملت على تزويد المدن بمزيد من الجماهير التابعين للدولة .. وهكذا أصبح الناس جميعاً وقوفاً يستمعون إلى الخطاب .

الملاحظة الثانية : ان أعضاء الاتحاد الاشتراكى والمنظمات التابعة لسامى شرف ، وعبد المجيد فريد ، وغيرهما صدرت إليهم الأوامر بالبقاء فى مكاتبهم ، منذ صباح اليوم وقبل إلقاء الخطاب بساعات .

الملاحظة الثالثة : الشائعات التى أطلقها جهاز سامى شرف ، ومراكز القوى ضد الجيش وعبد الحكيم عامر ، وإليكم بعض ما شاع : « الجيش جرى وخاف يحارب » ، « كان عبد الحكيم عامر بيحشش ساعة اليهود مادخلوا » ، « عبد الحكيم خد سبايك ذهب من اليهود علشان يسيبهم يدخلوا » ، « الطيارين كانوا عاملين حفلة بيرقصوا مع واحدة رقاصة » ... إلى آخر هذه الشائعات التى حمل بعضها بذاءات ، وصوراً فاضحة ، لا يليق بى ذكرها .

هكذا كان المسرح معداً تماماً للخطاب التاريخي بالتنحى .. وفور انتهائه قام الجميع بأدوارهم .. تحركت المواصلات كلها با لمجان .

وتحرك أعضاء الاتحاد الاشتراكى المرابطون فى مكاتبهم ، وحرضوا الجماهير ، ورددوا الهتافات .

وذهبت جماعة من البوليس الحربى فى ثياب مدنية ، جاذبين معهم حشداً من الناس ، لمهاجمة منزل زكريا محيى الدين ـ الذى شارك فى وضع خطة الثورة والذى لم يعلم بتوليه الرئاسة إلا من الخطاب ـ ورددوا هتافات ضده ورجموا بيته بالحجارة .

وركب الناس المواصلات ـ وقد تحركت بعد توقف ـ فأخذتهم جميعاً إلى مكان واحد هو بيت جمال عبد الناصر .

وسخرت المواصلات كلها ، الحديدية ، وغيرها من أتوبيسات الإصلاح الزراعى ، وهيئة المواصلات ، وعربات القطاع العام بكل شركاته وهيئاته لحمل الناس من الأقاليم مجاناً إلى القاهرة ، ومنها إلى بيت جمال عبد الناصر .

ويؤكد ذلك ما قاله صلاح نصر فى مذكراته ، إذ روى القصة التالية :

وليس أدل على أن الأمر كان مخططاً له ، من تلك المظاهرات المنظمة التى تحركت إلى بيت زكريا محيى الدين ، فور إلقاء بيان عبد الناصر ، تهتف بسقوط زكريا محيى الدين ، والإمبريالية الأمريكية .

والواقع ان هناك جموعاً غفيرة من الناس خرجت من تلقاء نفسها ، بعد سماع بيان تنحى عبد الناصر ، ولإن الأمر الذى لا جدال فيه ، ان التنظيم السياسى كان لديه فى اليوم التالى تعليمات من رئاسته بالخروج والمناداة بعودة عبد الناصر .

ومن الأمور المضحكة المبكية . ان بعض وحدات الاتحاد الاشتراكى التابعة للأقاليم أخطأت التقدير ، فوصلت إلى مشارف القاهرة ، قبل أعلان التنحى مساء التاسع من يونيو بساعة أو أقل ، فتجمعت بعرباتها ولافتاتها فى مداخل القاهرة .

وكان أول من وصل إلى القاهرة ، فوج الاتحاد الاشتراكى التابع لبنى سويف ، الذى وصل قبل اعلان بيان التنحى ، بما يقرب من الساعة ، فانتظر فى الجيزة حتى سمع البيان فى الإذاعة ، وتحرك إلى منشية البكرى .

أما أمانة القاهرة فكانت لديها التعليمات بالتحرك قبل إذاعة البيان ، وسرعان ما كانت وحداتها متراصة حول منزل عبد الناصر ، مع الجموع التى خرجت من تلقاء نفسها .

وأخذت الوفود تأتى من خارج القاهرة تطالب بعودة الزعيم .. ونجحت اللعبة وحققت التمثيلية هدفها .

ولم ينس المتظاهرون أن يمزقوا أى « يافطة » عليها اسم عبد الحكيم عامر أو صورته ، وأن يضربوا كل من يخرج على النص ، ويهتف باسم عامر .

ونشير إلى أن الهتاف المعتاد والذى ألفته ألسنة الجماهير المصرية والتنظيمات هو « ناصر . عامر » .

وفوجىء أصحاب المحال والأكشاك بمن ينتزع من محالهم صور عبد الحكيم عامر ويتركون صور جمال عبد الناصر التى بجانبه .

وقامت فرق « الشحن » بإثارة مشاعر الجماهير الوطنية ، وإلهاب النعرة القومية . وظهرت فوق رءوس الجماهير آلاف « اليفط » الخشبية والقطنية ـ القماش ـ وعليها مكتوب شعارات متشابهة ، تعلن عن تمسك الجماهير بالرئيس ومطالبته بعدم التنحى !!

* * *

وعلى الجانب الآخر ، كان هناك شعب يغلى فى الخفاء ، لكن غليانه ، انحسر فى منزل عبد الحكيم عامر .

لقد أحس الضباط بالغضب ، وشعروا بالمهانة ، إن جمال عبد الناصر ـ وهو قائدهم الأعلى ـ لم يقل عنهم كلمة فى خطابه ، رغم انهم الفئة التى تلقت الضربة .

كانوا يعرفون انهم أبرياء ، وانهم لم يحاربوا ، بل ارغموا على الوقوف مستسلمين لموتهم .

ذهب الضباط إلى منزل المشير بالجيزة ، بعد أن سمعوا بعودة ناصر إلى الحكم منفرداً ، وطالبوا بعودة المشير عامر إلى مناصبه .

كان المشير لحظتها فى منزل اللواء عصام خليل ، إشفاقاً وخوفاً على من يدفعهم حبهم له إلى التجمهر حول منزله ، فيبطش بهم جمال عبد الناصر .

وقد حاول صلاح نصر ، وشمس بدران ، وحسن عامر شقيق المشير ، إقناعه بالذهاب إلى الجيزة لمقابلتهم ، ولكنه أرسل إليهم يعتذر. ورفض الضباط قائلين : « لن ننصرف إلا إذا أعطانا وعداً بعودته إلى القيادة .

لم يجد عبد الحكيم بدا من الذهاب بنفسه لتهدئتهم ، وصرفهم ، ولكنه ما كان يصل ، حتى تجمع حوله الضباط ، وقد غلبهم الحماس ، فحاول بعضهم رفعه هاتفين باسمه .

وطلب منهم المشير أن يختاروا عشرة من الضباط ليعرضوا عليه مطالبهم ، ودخل إلى حجرة مكتبه ، فجاءه ممثلون عن الضباط قائلين : « هؤلاء يمثلون جميع أسلحة الجيش .. وقد جاءوا يطالبونك بالعودة إلى القيادة فهم يرفضون أى قائد سواك » .

وقد رد عليهم المشير بقوله : « أنا استقلت خلاص ولا أريد العودة » فأجابه الضباط : « لازم تخرج يا افندم تكلمهم بنفسك لأنهم لن يقتنعوا بما نقول » .

فخرج إلى الشرفة ، وطلب منهم الرجوع إلى قياداتهم ، لأن الظروف لا تسمح بغيابهم عن وحداتهم ، والعدو على حافة القناة ، فرفضوا مغادرة المكان .

اضطر المشير إلى النزول لهم بنفسه ، ولكن ما كاد يصل إلى أرض الحديقة ، حتى أحاط به الضباط ، وأرادوا حمله على الأكتاف ، فدفعهم بعيداً عنه خوفا عليهم وعاد إلى الشرفة .

كان الضباط الغاضبون يملأون الحديقة ، ويجلسون فى طرقاتها ، ودخل عامر حجرته ، وأجرى اتصالاً تليفونياً بجمال عبد الناصر ، فقال له جمال سأرسل لك هيكل .

وجاء هيكل ، فلما رأى هذه المظاهرة العسكرية فى منزل المشير ، اتصل بعبد الناصر ، وشرح له الموقف ، وتكلم عبد الحكيم مع عبد الناصر ، وقال له جمال : « اوعدهم بلقائهم فى القيادة الساعة ١٢ باكر .. لأن باكر ستتقابل ونخلص المواضيع .

وبعد هذه المكالمة نظر هيكل إلى المشير ، ثم إلى هذه الجموع وقال للمشير : « عبد الناصر كان عنده يوم ٩ و ١٠ ... وآدى ٩ و ١٠ بتاعتك ، الجيش كله مجمع على التمسك بك » .

وتحدث المشير إلى الضباط الموجودين قائلاً بما معناه : « ان الموقف خطير .. ولا يحتاج مظاهرات .. احنا بنحاول نصلح اللى نقدر عليه .. فأرجوكم ـ من أجل مصر ـ ان كل واحد يذهب إلى موقعه ، وبكره ان شاء الله حاكون معاكم فى القيادة » . صفق الضباط وهتفوا باسمه .. وقد عرفوا بمكالمة عبد الناصر . وظنوا ان الاتفاق قد تم على عودته .

شهد هذه الواقعة عشرات الضباط والقادة ومنهم محمد فوزى ورواها لى كل من :متولى ، وأمين عامر ، وصلاح نصر .

وفى وقت متأخر من ليلة هذا اليوم ، تكلم عبد الناصر ، مع المشير تليفونياً ، وأعرب للمشير عن مخاوفه ، وقلقه بسبب اضطراب الأوضاع ، وتواجد العدو على حافة القناة ، ورد المشير بكلمات التطمين والتشجيع ، وفى نهاية المكالمة تمنى كل منهما للآخر ليلة سعيدة .

وفى الصباح ـ يوم ١١ يونيو ـ سمع المشير فى الإذاعة قرار تعيين محمد فوزى قائداً عاماً للقوات المسلحة .

ولما سمع الضباط بالقرار ، ثاروا فى القيادة رافضين محمد فوزى ، ودخلوا مكتبه ، وقالوا له ان جميع الضباط مستعدون للتوقيع على عدم الاعتراف إلاّ بالمشير عبد الحكيم عامر ، قائداً للقوات المسلحة ، وإبلاغ عبد الناصر بذلك ، بل ان بعضهم فكّر فى طرد فوزى من القيادة .

وذهب الضباط إلى المشير ولما لم يجدوه فى منزله بالجيزة ، ذهبوا إلى منزل جمال عبد الناصر ، لإبلاغه بذلك ، فقابلهم الليثي ناصف ـ رئيس الحرس الجمهورى ـ قائلاً : « ممنوع حد يقترب الآن من هذا المكان » ، فانصرفوا .

وفى تمام الخامسة من نفس اليوم ، خرج منشور بإحالتهم إلى الاستيداع .

وقد أراد الضباط أن يعيدوا عبد الحكيم إلى القيادة بالقوة ، لأنهم رأوا فى رجوع عبد الناصر بدون المشير عامر خدعة لا يقبلونها . وقالوا : « نحن معنا دبابات ، ونستطيع أن نحاصر الرئيس ونجبره على قبول عودة المشير ، والضباط المحالين إلى الاستيداع ».

* * *

فى قلب هذه العواصف والغليان ، كان الناس جميعاً حيارى غاضبين ، تكتنف عقولهم سحابات من الايهام والغموض ، إلاّ نفرا قليلا ظل فى كامل وعيه وثباته ، ذاك هم المتآمرون أنفسهم !!

الذين خططوا .. ونفذوا .. ومازالوا يتابعون بقية خططهم حتى تتحقق ويتحقق لهم مايريدون .

ولقد عرضت صورتين ، الأولى للناس فى الشوارع والميادين .. تلك الأحداث الظاهرة أمام أعين الجميع .



عبد الحكيم فى زيارة أحد مصانع الأسلحة بروسيا .. ومعه القادة عبد المحسن مرتجى ، وعبد المنعم رياض ، وفتحي رضوان وبيده أحد الأجهزة الدقيقة .. إن تسليح الجيش كان شغله الشاغل .

والصورة الثانية ، للضباط الثائرين ، الرافضين لعودة جمال بغير المشير .. والمتمسكين بقائدهم الذى يحبونه ويقدرونه ، وقد جرت هذه الأحداث أمام بعض الأعين بعد أن جرت الأحداث الأولى أمام أعين الجميع .

أما الصورة الثالثة ، فهى التى جرت بعيداً عن الأعين .. وتمثلت فى أوامر ، وترتيبات ، واحتيالات .

ولنبدأ من البداية مرة أخرى .

بعد أن غادر المشير مبنى القيادة ، وبعد لقائه العاصف بالسفير الروسى ، ذهب إلى منزله بالحلمية ، فوجد حشداً من القادة منهم شمس بدران ، ومحمد فوزى ، وعصام خليل ، وكانت دماء المشير تغلى فى عروقه ، والثورة تحتدم فى صدره ، فأخذ يردد أمام القادة : « خدعونا .. غرقونا» .. وأعلن عن عزمه على إلقاء بيان يشرح فيه الخيانة للشعب .

وحاولوا تهدئته وقد اكتظ بهم البيت وأراد شمس بدران أن يأخذه إلى منزله ليفكرا معـــاً .. وفى منزل شمس بدران ذى الحجرتين ، لم يجدوا فيه اتساعاً لهذا الزحام ، فذهبوا جميعاً إلى ذلك المنزل الذى دعيت إليه عن طريق متولى ، وتم لقائى بعبد الحكيم على الصورة التى شرحتها من قبل .

وفى هذا المنزل ، تلقى المشير مكالمة من جمال ، الذى طلب منه عدم التوجه إلى الإذاعة ، وعدم أذاعة إى بيان ، ووعده بأنه ـ أى جمال ـ سيقوم بنفسه بإصدار البيان .

وجاء التاسع من يونيو ، موعد إذاعة البيان ، والذى أسمّوه بيان التنحى ، وقد تبين بعد إلقائه ، بأن عبد الناصر لم يف بتعهداته للمشير وشمس بدران ، بأن يكون البيان متضمناً تنحى جمال وعامر ـ فقد خلا من ذكر استقالة عبد الحكيم .

وبعد إذاعة البيان ـ التنحى ـ تكلم ناصر تليفونياً مع سامى شرف ، وطلب منه ـ وجميع موظفى رئاسة الجمهورية ـ بإلا يغادروا مكاتبهم ، حتى تعليمات أخرى .

ويروى الجيار ـ الشاهد على هذه المكالمة ، أن عدداً من الأوامر تلقاها سامى شرف ، بعدد مرات « حاضر يافندم » التى رددها سامى شرف كثيراً وقد كانت هذه الأوامر هى :

ـ عدم إذاعة بيان التنحى مرة أخرى !!!

ـ يذاع بيان زكريا محيى الدين ـ بعد مراجعته مع هيكل ـ .

ـ لا تذاع أية بيانات أخرى لشخص سواه .

ـ مجموعة من الضباط المسلحين ، تذهب لمحاصرة الإذاعة والتليفزيون .

ويعلق محمود الجيار بقوله : لحظتها عرفت ـ وكنت أنا أول من يعرف ان جمال عبد الناصر ، باق فى الرئاسة .

ويواصل الجيار حديثه قائلاً : بعد هذه المكالمة ، تغير حال سامى شرف ، فقد استعاد ثقته بنفسه ، بعد ان أمسك جمال بكل الخيوط ، وشرع سامى شرف يلقى الأوامر .. وهو الذى كان منذ قليل يبكى ويولول ، حتى سمع صراخه وتشنجه من كانوا خارج حجرته ، لأن الرئيس سوف يتنحى .

انتهت رواية الجيار ، ونواصل حديثنا .

بعد أن تبين للمشير ، أن عبد الناصر أخل بالتعهد ، وأغفل إذاعة استقالته ، وان رجال جمال من المنظمات السرية ، وكوادر الاتحادالاشتراكى ، قد بدأوا فى تحريض وإثارة الجماهير ، لتطالب بعودة جمال ، بعد أن تبين للمشير كل ذلك ، صمم على أن يذاع بيانه ، فكتب بياناً ، وأعطاه لبعض الضباط ، وطلب منهم التوجه لمبنى الإذاعة والتليفزيون وإذاعته .

ولكن الرجال فوجئوا بفرقة مسلحة ـ من الحرس الجمهورى ـ تحرس مبنى الإذاعة ولديها أوامر من سامى شرف ، بألاّ يسمحوا لأحد بالدخول أو إذاعة أى بيان .

* * *

سبقت الإشارة إلى مفاجأة تعيين محمد فوزى قائداً عاماً ، وقد ترتب على ذلك ان قرر عبد الحكيم السفر إلى بلدته « أسطال » احدى قرى صعيد مصر .

قبل سفره ذهب لوداع جمال عبد الناصر ، وفى هذا اللقاء ، دار حوار بين جمال وعامر على النحو التالى :

عامر : جيت أودعك قبل ما أروح أسطال .. وإن شاء الله ناوى أعيش فيها على طول .

ناصر : اوعى تكون زعلت من قرار محمد فوزى .. ده قرار من أجل الأمن ، ولظروف سياسية خارجة عن إرادتى ..

عامر : الله .. همة الروس كمان بيتدخلوا فى سياستنا الداخلية ؟

ناصر : ده قرار مؤقت .. وقرارك انت حا يطلع بعد أيام .

عامر : ومين قالك انى حا أقبل الرجوع .. المسألة انتهت يوم ما خطبت من غير ما تجيب سيرة لية ولا لشمس .. كان معناها إيه ؟

ولم يرد ناصر وواصل عامر :

عامر : فيه نقطة تانية أهم من كل ده ، وهى ان عودتك تعنى اننا ارتمينا فى أحضان الروس ! أو بمعنى آخر بقينا محتلين من الروس واليهود .

ناصر : واحنا يا حكيم قدامنا غيرهم ؟

عامر : انت قوام نسيت الاجتماع الثلاثى .. ما احنا قلنا الكلام ده كله .. وقلنا ان زكريا وجه يريح الأمريكان .. وانت وافقت على كده .

ناصر : بصراحة الروس أبلغونى رسمياً ، انهم لن يتعاملوا معنا ، وانت ترأس الجيش . انت أصلك عاملت السفير الروسى معاملة وحشة جدا ، ده انت وجعت بطنهم لما بعت لهم الرسالة اللى بتتهمهم فيها بالخيانة .. وانك حاتفضحهم أمام العالم .

لم يأت عامر ليودعنى قبل سفره إلى أسطال ، ولم أكن قد رأيته منذ تلك الليلة التى ذهبت فيها إليه فى بيت عصام خليل . ما أبشع الأوقات التى ترغم الإنسان على الرحيل دون أن يقول وداعاً لابنه وزوجته .

وبقيت فى بيتنا بالهرم ، تعصف بعقلى الهواجس ، أتمنى أن يكلمنى أحد .. أن يشرح لى أحد .. أن يفهمنى أحد .. لا أحد .

بقيت وحيدة ، لا يؤنس وحدتى سوى خالتى « الحاجة فتحية » وولدى الرضيع ، وأصبح عمرو هو لمسة الدفء الوحيدة فى هذا الصقيع ، الذى جمد حياتى ، كان عمرو يرضع بنهم وقد أثار هذا خوف خالتى ، فالحكمة البلدى تمنع ارضاع الأطفال من لبن الأم الحزينة المضطربة ، حتى لا يصيبه الأذى .

وشرعت خالتى « فتحية » فى تقديم وجبات من اللبن الصناعى لعمرو ، لتصرفه عن الرضاع منى . وأحمد الله كثيراً لأن هذا قد أفاد عمرو ، عندما اعتقلونى فى مبنى المخابرات العامة بعد ذلك .

* * *

سافر عامر إلى أسطال ، يرافقه أخوه حسن عامر ، وفى حوار جرى بينهما سأل حسن عامر : « ليه ، تسرعت وسافرت البلد ؟» أجاب عامر فى اقتضاب : « أنا خايف على حياتي » .

وأثناء الرحلة أبدى عامر قلقه : « أنا خايف على الأولاد » وفهم حسن ان « الأولاد » هم ضباط الجيش وأفراده ... كان المشير قلقاً لما سوف يحدث لهم من بعده .

لم يقدر لعبد الحكيم أن يصل إلى أسطال فى ذلك اليوم ، فقد تلقى مكالمة من عبد الناصر ، يدعوه فيها للعودة إلى القاهرة ، حتى لا يسبب سفره بلبلة بين رجال الجيش ، خاصة انهم الآن فى حالة هياج ، وذكر له ان وجوده فى القاهرة سيدعو إلى تهدئتهم واطمئنانهم .

وعاد عامر إلى القاهرة .. وفوجىء بأن عبد الناصر قد شكل لجنة من زكريا محيى الدين ، سامى شرف ، ومحمد فوزى ، وكلفت هذه اللجنة بعزل كل أنصار المشير عبد الحكيم عامر من الضباط ، فأدرك ان عبد الناصر طلب عودته ، ليكون حاضراً عملية التنكيل برجاله من الضباط ، دون أن يستطيع انقاذهم .. فيسقط فى أعين رجال الجيش .

رفض البقاء فى القاهرة ، وعاد مرة أخرى إلى قريته « أسطال » ، وفى هذه المرة أقام هناك ضيفاً على أخيه المزارع « مصطفى عامر » فلم يكن المشير يمتلك بيتاً هناك ، أما بيت والده « العمدة » فقد أهمل منذ بداية الثورة .. وقد أقام معه هذه المرة شمس بدران .

وفيما كانت عملية التصفية والتنكيل بالضباط تجرى ، قامت الأجهزة السرية بإطلاق شائعات حول عامر ، وسر إقامته فى « أسطال » . وقالت : « إن ما يجرى للضباط ، قد تم الاتفاق عليه بين عامر وناصر ، وان المشير سيبقى فى أسطال بعيداً عما يجرى ، حتى تتم التصفية ، ويعود فيتسلم القيادة » .

كانت الضربات تتوالى ، وهذه الأخيرة وضعته فى أسوأ الأوضاع ، كمن حوصر بين نارين ، ولما كان من المستحيل عليه التوصل إلى قرار ـ هل سيبقى أم يعود إلى القاهرة ـ وزاد من بلبلته ان عبد الناصر كان دائم الاتصال به عبر التليفون . ويدور بينهما حديث عادى فى الغالب . تتخلله شكاوى عبد الناصر من شعوره بالوحدة ومن خوفه على الجيش وعلى البلاد .

وقد حاول عبد الناصر إرجاعه إلى القاهرة ، ولكن عامر كان يرفض بإصرار ـ رغم كثرة مكالماته اليومية ـ وتعدد من بعثهم إليه ليقنعوه بسلامة الفكرة ، ولكنه كان يرفض ويقول لكل من يحدثه : « كيف أعود إلى القاهرة وأولادى فى الجيش يعذبون ؟ » .

رحلة صيد

هذه الرحلة لم يرتحل فيها الصياد ، فقد أقام خطته على استدراج صيده ... والصيد ـ عبد الحكيم عامر ـ لزم قريته ، ويحيط به أهله وأقاربه ، رفض الخروج من مكمنه ، رغم كل الاجراءات والمحاولات .

كان عبد الحكيم عامر قد زهد فى السياسة زهدا حقيقيا ، وصارت كل أمنيته ان يبقى فى قريته ، مواطنا لا يشغله سوى حقله أو تجارته ، أو أى عمل من المحتمل أن يمارسه .

وفى قرارة نفسه ، كان يعلم ان حكما بالموت قد صدر ضده ، فهو رجل السياسة الذى يجيد قراءة العلامات الدالة على نوايا الأجهزة السرية . واذكر القارىء بأن هذه الاجهزه كانت قد اشاعت ــ كذبا ان المشير حاول الانتحار ولكن تم انقاذه ، ومعنى ذلك ــ لدى الناس ــ ان من اراد الانتحار مرة ، قد يعود الى محاولته فينتحر ، واذن فنيتهم مبيتة أن يقتلوه .

بهذا الزهد ، وهذا اليقين ، مكث في اسطال ، متخذا كل الترتيبات لتحقيق أمله المتواضع ، فاستدعى زوجته الأولى ، وأبناءها ، واقاموا فى منزل خاله ..

أما أنا فقد اراد اسكانى وعمرو فى اسطال ، ولكن لم يجد سكنا ، فبحث عن شقه فى سمالوط (وجه قبلى) . فلم يوفق .

وفى ساحة الصيد ، كان بدل الكلاب ذئاباً وثعالب ، وقد نشطت أجهزه محمد فوزى ، وسامى شرف ، بتنظيماتها السرية ، والذى بدأ احدهم فى الكلية الحربية ، ثم انتقل الى الجيش ، بدأوا فى توسيع رقعة الشقاق بين جمال وعامر ، وترسيخ نية جمال على التخلص من المشير بأن نقلوا إلى جمال عبد الناصر ، صورة للضباط القاصدين إلى أسطال ، لمقابلة قائدهم المستقيل . بل ونقلوا أقوالاً على لسانه يتحدى فيها جمال ، ويهدد بنفيه.

إن المؤامرة ما كانت لتتم فصولها ، إلا بالخلاص من أحد الرجلين جمال عبد الناصر ، أو المشير عبد الحكيم عامر ... توطئة للخلاص من الآخر ... لصالح من ؟ لصالح مراكز القوى واسيادهم .

كان على عبد الناصر أن يستعيد صيده الشارد عبد الحكيم عامر ، ان يرده إلى القاهرة ، بعيداً عن قريته وأهله ، فكان يخاطبه يومياً بالتليفون ، يثرثر معه ، ويأخذ رأيه فى ماهو مزمع عليه من تغييرات ، ويشكو له وحدته وقلقه :

ــ أنا وحيد يا حكيم ... ولازم تكون جنبى ، احنا اتعودنا نناقش المشاكل مع بعض ونفكر فى مصلحة البلد مع بعض .

وهكذا يسير الحوار التليفونى اليومى بينهما . ثم انتقل جمال إلى مرحلة أخرى هى ارسال من يحاول اقناعه بالعدول عن نية البقاء فى اسطال ، والحضور إلى القاهرة ، ارسل أولاً عباس رضوان ، وهو واحد من الشلة التى وصفت بأنها « شلة المشير وعبد الناصر» . وهم صلاح نصر ، وشمس بدران ، .

ذهب عباس رضوان إلى اسطال ، واجتمع بالمشير لمدة ثلاث ساعات فى محاولة اقناعه ، والعودة إلى القاهرة ، وكان العرض الذى جاء به من عبد الناصر ، هو أن يقبل المشير منصب نائب الرئيس ونائب القائد الأعلى ولكن بدون أختصاصات ، وكان مما قاله المشير فى هذا اللقاء : « أنت ناسى يا عباس أسلوب عبد الناصر .. يدى نياشين ما تكلفهوش حاجة .. وبعدين يركنا زى بغدادى فى الثلاجة .. وإذا كان بغدادى رفض أن يكون « يافطة » فهل يقبل عبد الحكيم فى آخر أيامه أن يكون « يافطة » .. وعلشان إيه ؟! علشان المرتب .. طب أنا معاشى يكفينى » .. ومن الوسائل التى حاول عباس ان يقنعه بها ، هى حديثه عن أولاد المشير ــ يقصد ضباط الجيش ــ الذى يجرى اعتقالهم ويفصلون كل يوم ويحالون إلى المعاش وهم فى أوج شبابهم .

ورد المشير بقوله : « سأتحدث مع جمال بخصوص الضباط ... ولكن المبدأ ان الجيش والسياسة تضحية ... فكل من يدخل الجيش يعرف انه من المحتمل ان يموت ... كذلك من يدخل ميدان السياسة ، معرض للخروج منها ... » ولم ير عباس فائدة ، فعاد إلى القاهرة ولما فشل عباس رضوان ، ارسل جمال صلاح نصر فى طائرة خاصة إلى اسطال ، وقال للمشير فور وصوله : « ان الرئيس اوفده فى طائرة خاصة ، وطلب منه ان يعود هو والمشير فى نفس الطائرة » .

وقد عرض صلاح نصر نفس العروض التى عرضها عباس رضوان ، فلما رفض المشير ، قال له صلاح نصر : « هناك عرض آخر ، وهو ان تتولى انت - أى المشير - رئاسة الجمهورية ، بينما يتولى جمال عبد الناصر رئاسة الاتحاد الاشتراكى ... »

قال المشير : « طبعاً هو يريد أن يحرقنى بطريقة قانونية - مثلما فعل مع محمد نجيب - أنا أُصدر قراراً كرئيس للجمهورية ، وهو يجمع الإتحاد الاشتراكى ويزايد على القرار .. مثلا : إذا فرضنا ضريبة ما ، طالب الاتحاد الاشتراكى بإلغائها ... وإذا حددت الحكومة سعر أحد المحاصيل ، طالب الاتحاد الاشتراكى برفع السعر ، وعن طريق هذه المزايدات لا يبقى امام الشعب ، الا ان يخرج فى مظاهرات - زى بتاعه ٩ , ١٠ - ويطالب باقالة رئيس الجمهورية ، وبهذا يرتاح منى سياسياً وعسكرياً » .

وعند وداع المشير لصلاح نصر قال له عامر : « استحلفك بالله يا صلاح ، بلغ الرئيس الآ يعطى اذنه « للعيال » الشيوعيين الذين حوله - الذين عودوه على ان يستمع إلى الأشرطة قبل النوم ... هؤلاء مستمرون فى الوشاية ، والكذب ، وتلفيق التسجيلات .. وانت تعلم ان جمال « وِدَنى » وهؤلاء العيال « راح يودوه فى داهيه » وأنا أخاف عليه منهم . لأن جمال جعل لهم قيمة ، وترك ايديهم تمتد فى كل مكان مثل الاخطبوط حتى التفت عليه هو نفسه . الله يكون فى عونه .

* * *

وبالنسبة لى ، كنت قد علمت بإقامة المشير فى اسطال ، من متولى ، ولقد اشعرنى هذا النبأ ببعض الطمأنينة ، فإنه قد بعد عن مسرح الأحداث ، واستقال ، وانتوى ان يعيش - كبقية خلق الله - يرعى بيته وأولاده وعمله .

وكانت الاقامة فى اسطال ، موضوعاً للحديث بينى وبينه أحياناً فيما خلا من الأيام ، وله أرهاصات تأتى من قبيل المداعبة أحياناً . لذا فقد هفت نفسى إلى اسطال .

منيت نفسى بالآمال ، وقلت أخيراً سأجد بيتاً مستقراً ، وزوجاً مقيماً ، وابنا ينشأ بيننا فى حياة هادئة ، فكان ان سافرت إلى اسطال . وذهبت حاملة له أخباراً عما يجرى فى القاهرة .

كان الشعب فى تلك الأيام التى أعقبت الهزيمة ، قد وجه سخطه للجيش ، ولم يراع العملاء ربهم فى جيش مصر وشعبه ، فراحوا يغذون هذا السخط بالأكاذيب ، .. والشائعات المضللة ، واشتركت أكثر من جهه فى ذلك ، كأجهزة الدعاية ، والتنظيمات السياسية ، وأجهزة الأمن ، وكلها كانت فى قبضة الرئاسات العميلة ، التى صنعتها مراكز القوى .

هذه الأجهزة كانت تقدم لعبد الناصر الكبريت ، ويشعل هو النار ... تقدم له التقارير الملفقة ، عن مؤامرة يدبرها عبد الحكيم لقلب نظام الحكم ، واعتقاله ، وعن ضباط يتوافدون على اسطال لوضع الخطط وتلقى التعليمات .

وكان عبد الناصر يشعل النار بمواصلة القبض على ضباط الجيش وارسالهم إلى السجون ، حتى انهم قبضوا ذات مرة على دفعة كاملة من الضباط هى دفعة شمس بدران !!

كانت مصر كمن اصيبت بالحمى ، واستغلت الأجهزة هذه الحال ، لإيقاع مزيد من الهزيمة بالجيش المصرى ... فبعد الهزيمة فى ميدان القتال ، وجد الجنود أنفسهم يواجهون هزيمة فى ميدان المجتمع ... وأفلح المغرضون فى ان يجعلوا العسكريين يخجلون من زيهم العسكرى ، ولكم تحمل الضباط والجنود ـ من أشرف ابنائنا ـ السخريات ، والتلميحات الخبيثة ، تحملوها صامتين ـ فاضافوا إلى شجاعتهم ، صبراً تنوء بحمله الجبال ، فإذا الخبثاء ـ من حيث لا يعلمون ـ يبرزون الصفات الحقيقية للجندى المصرى عبر التاريخ وهما صفتا الشجاعة والصبر .

بل ان الأمر بلغ بهذه الأجهزة ، إلى حد بث رجالهم بين الجماهير ، لمشاكسة من يصادفونه من جنود أو ضباط ، وأحياناً كانوا يمزقون ملابسهم .

كانت هذه الشائعات وهذه الصور ، هى التى تملأ مشاعر الجمهور المصرى .. ولم احتمل سماع الأكاذيب ، التى تقول عامر خان بلاده ، وانه يدبر عملية انقلاب ضد جمال عبد الناصر .

اخذنى أحد أفراد مكتب المشير لأنى لا أعرف الطريق ـ . وهناك دخلت أول بيت صادفنى ، من بيوت أقاربه ، وكان يقع وحيداً بين الحقول بعيداً عن القرية فى هذا البيت ـ وهو بيت أحد أشقاء المشير ـ أرسلت من ينبئه بوجودى .

جاء المشير وابتدرنى بقوله : « ايه اللى جابك ؟ »

قلت : « جئت لأراك .. واطمئنك على عمرو .. »

ثم سردت عليه كل ما يتردد فى القاهرة من شائعات يطلقونها ضده ، وضد الجيش ، واعربت له عن قلقى وخوفى بسبب ذلك ، لما قد يكون مدبراً له فى الخفاء ، فقال لى : « عبد الناصر يريد اعادتى إلى الحكم بدون حكم ... وان يضعنى موضع المسئولية دون أن يكون لى يدفيها يجرى ... واذا كنت لم استطع ـ وأنا فى قوتى ـ ان اصلح من شأنه ... فماذا أفعل وأنا مجرد لافتة تدل على مناصب وهمية ؟ .. أنا لا أقبل ، ولن أقبل أن أكون هذا الرجل الذى يريده ... أما الآن وأنا بعيد عن الحكم ، فأنا قنبلة موقوتة تزعجه ... ولابد ان يستجيب لطلباتى ... ليس من أجلى ، ولكن لتبرئة الجيش قبل كل شىء »

قلت له : لم لا تسافر وتجلس معه ... فربما تصلان إلى نتيجة ، وربما تجدان حلولاً تفيد البلد .

قال : عبد الناصر لا يجرى جراحة لشفاء المريض ، بل يقدم له مهدئات ... وهذه هى عادته ... ولو كنت اعرف انه سيتغير ، لما انتظرت حتى يقول لى أحد سافر ... ولكن هو يريد أن يغير من الشكل دون ان يتغير هو ... وأنا أحبه شخصياً ، ولكن أحب مصر أكثر ... ومصر ليست لى وحدى ، وليست له وحده ...

صمت طويلاً ثم قال : « بطريقته دى ... يبقى الروس همه اللى حايحكموا مش هو » . احسست بِهَمْ شديد ، كان وجه عبد الحكيم يبدو مرهقاً ، يعصف به القلق والحزن . ولم أجد قدره على قبول دعوة العشاء التى اعدها لى اصحاب البيت ... رغم إصرارهم وكرمهم ، المأثورين عن أهل الصعيد .

طلبت من عبد الحكيم ان امكث هذه الليلة ، وأعود فى الصباح ، ولكنه قال لى : « ما يصحش اسيب الناس اللى معايا واقعد معاكى ... وما يصحش أسيبك لوحدك » وعدت إلى القاهرة بقلب مثقل بالأحزان .

* * *

طوال هذه الأيام ، كان المشير يقاوم الإغراءات ، ويقفز فوق الفخاخ المنصوبة له ببراعة ، وفشلت كل محاولات اقناعه بالعودة إلى القاهرة ... وفى النهاية ارسل له جمال محمد حسنين هيكل . فعاد به إلى القاهرة ... فكيف حدث هذا ؟

لقد اصابوا عبد الحكيم فى نقطة ضعفه ... حاصره عبد الناصر أولاً بالمودّة العائلية ، فارسل لزيارته ، زوجته وابناءه ، وكلمة فى التليفون ، معاتباً وقائلاً انه ارسل ابناءه ، « ولو كنت تريد أن آتى بنفسى لترجع معى فإنى آت إليك » .

من سجايا عبد الحكيم ، التأثر بالكلام الرقيق ، وقد يصل به التأثر إلى حد الخجل ... وكان عبد الناصر يعلم عنه هذه الصفات ، فواصل حديثه التليفونى قائلاً : «حا ابعت لك هيكل يمثلنى ... وارجو انك ماتكسفنيش المرة دى » .

وجاء هيكل فشكا له المشير من أن جمال يريد أن يحوّل كل من حوله إلى « طراطير » . وسرد على مسامعه كلاماً يشابه ما قاله من قبل لعباس رضوان وصلاح نصر .

ولكن هيكل جاء هذه المرة ومعه عرض جديد ، مشفوع بدفء الصداقة ، والعلاقات الأسرية ، كان عرض هيكل هو ان الرئيس على استعداد لقبول شروط عبد الحكيم ، بالإفراج عن الضباط المسجونين ، واعادة من احيل إلى المعاش . بدت هذه الفكرة طيبة فى نظر عبد الحكيم ، فعاد إلى القاهرة ، يراوده أمل فى وقف مذبحة الضباط . وابراء الجيش من كل ما نسب إليه ، بسبب الهزيمة .. أدى هيكل دوره بنجاح ، فقد افلح فى الظهور بصورة الصديق للاثنين ، والولاء للإثنين وبعد عودته مباشرة اتصل بجمال عبد الناصر ليخبره بوصول المشير ، أو بالأحرى وصول الصيد إلى الصياد .

ولم يمض وقت طويل حتى كان عبد الناصر فى منزل عبد الحكيم ، جاء مرتدياً قميصاً وبنطلوناً ، وخلفه سيارة حرس .

استقبله عامر بحفاوة دافئة ، فيها عبق الصداقة القديم ، ودخلا إلى الصالون فى منزل عامر واغلقا الباب خلفهما ، ومكثا هناك ساعات .

وفى هذا اللقاء قال له عبد الحكيم : « اؤكد لك انى ممكن ارجع مجرد جندى فى الجيش .. وأحارب زى أى جندى ... بس لازم أقولك احنا ما عملناش ثورة علشان تنتهى

بنهاية حياتنا ، لابد من وضع نظام حكم يا جمال ... نظام حكم يا جمال يقوم على الديموقراطية ، والحرية ... والمبدأ السادس للثورة .

إما أن نعمل نظاماً رئاسياً ، تكون انت فيه رئيس دولة ورئيس الوزارة ، فى وجود برلمان منتخب انتخاباً حراً ، وبدستور حديث يعطى البرلمان حق محاسبة رئيس الدولة ، وكذلك الوزراء وسحب الثقة منهم .

وإما نظام برلمانى ، تكون انت فيه رئيس الدولة ، ويكون رئيس الوزراء مسئولاً أمام البرلمان ، الذى يملك حق سحب الثقة منه ومن الوزراء ، وتكون هناك معارضة نتفق فيها على التفاصيل ، على الأقل يكون هناك حزبان فى البداية ، وإن كنت افضل ثلاثة احزاب ، وإن زادوا فلا يزيدون عن خمسة أو ستة على الأكثر .

أرى أن يكون لكل حزب معارض صحيفة ، على ان تكون الصحافة حرة ، بهذا يستقر الحكم فى مصر ، ولا يكون حكم جمال عبد الناصر ، ولا عبد الحكيم عامر ... وإنما حكم الشعب للشعب . وبهذا نكون قد قمنا بثورة فعلاً .. ثورة أدت دورها وسلمت الشعب مقاليد أموره .

وقال جمال عبد الناصر : « حا افكر يا حكيم .. واديلك خبر » .

وخرج الاثنان من الصالون ، ورآهما الجميع وعبد الناصر يحيط كتف عامر بيده والسرور ظاهر عليهما بما يوحى ان المياه عادت إلى مجاريها ... وسار معه عامر مودعاً حتى السيارة .

الرّضا ... والغضب

طار نبأ اللقاء الذى انتهى بالأحضان بين الرئيس والمشير - إلى كل رجال الجيش . فسارت موجه من التفاؤل والسرور بين ضباط الجيش وجنوده ، وبدأ عشرات من الضباط يتوافدون على منزل المشير مهنئين بالعودة ، ومؤكدين لقائدهم الحب والولاء .

هذا الرضا بين الجيش ، بعث الغضب فى نفوس تعمل فى الخفاء ، أصحابها من رجال الأجهزة السرية ، والعملاء ، من هذه الطغمة التى احاطت بجمال عبد الناصر ، وأرادت للبلاد ان تسير فى ركب المعسكر الشرقى .

أما جمال عبد الناصر ، فقد بدأ فعلاً الافراج عن بعض الضباط ، وإعادة بعضهم إلى عملهم ، والبعض الآخر وعد المشير بتعيينهم فى وظائف مدنية ، أو فى السفارات المصرية بالخارج .

وقد أدى هذا المسلك إلى طمأنة عبد الحكيم عامر ، وازدهار موجة التفاؤل فى نفوس رجال الجيش .

وكان على الأجهزة ان تباشر نشاطها ، فوجود المشير اثار المخاوف لدى السوفييت وأنصارهم ، فعداوته لهم معروفة ، وميوله للغرب أيضاً معروفة .

وبدأت التقارير تأخذ طريقها إلى جمال عبد الناصر ، تحوى اسماء الضباط المترددين على منزله ، بوصفهم اعضاء فى مؤامرة تهدف إلى اعادة المشير للسلطة بالقوة .

بدأت تصل المشير انباء أخرى عن ضباط لا يترددون عليه وليس لهم صلة به . وكان المشير عندما يبلغه نبأ اعتقال بعضهم يتصل بجمال عبد الناصر ويسأله عن سبب الاعتقالات لهذا ولذاك ، وكان عبد الناصر يجيبه « لا أعرف » . فيتصل بفوزى فيقول له : انها اعتبارات أمنية .

ولم تكتف الأجهزة باعتقالات رجال الجيش ، بل انها تحولت فجأة إلى اعتقال عدد من رجال السياسة القدامى ، ومن رؤساء الاحزاب السابقة ، ممن ليس لهم علاقة بالهزيمة !!

وأدرك عبد الحكيم عامر ان هذه الأعمال ، هى استمرار للجنة الثلاثية التى شكلها جمال عبد الناصر لتصفية انصار عبد الحكيم من الجيش ، هذه اللجنة التى كانت مكونة من : زكريا محيى الدين ، محمد فوزى ، وسامى شرف .

ولم يشك لحظة ، فى ان هذه التصرفات ، انها جاءت لصرف نظره عن مطالبه الوطنية ، التى تتلخص فى اقامة حياة ديموقراطية فى مصر ، والا فما معنى القبض على رجال الأحزاب القديمة ، اولئك الذين يملكون الخبرة والممارسة الحزبية ، والقادرون على إقامتها إذا اتجهت النية لذلك .

إلى ان جاء يوم فوجىء فيه المشير بسحب حرسه الخاص ، مخالفين بذلك تقاليد الدولة ، التى تضع حرساً خاصاً على أعضاء مجلس قيادة الثورة ، بل وبعض الوزراء حتى وهم خارج الخدمة ، فمثله يتربص به الاعداء لقتله ، ولم يجد المشير بداً من أن يكوّن لنفسه حرسا من أهالى قريته ، وكان فى البيت بعض الأسلحة الصغيرة فوزعها عليهم .

وزاد الأمر سوءاً ، ان بعض الضباط المفصولين ذهبوا ، واقاموا فى بيت المشير . مما مكّن رجال الأجهزة السرية ، من ايغار صدر جمال عبد الناصر ، أكثر من ذى قبل ، حتى انه اراد ان يتأكد بنفسه ، ففى ذات يوم فوجىء الحرس الخاص بعبد الحكيم عامر بزيارة عبد الناصر دون سابق إخطار .

فى هذه الزيارة اجتمع الاثنان فى حجرة مكتب المشير . وقد عاتب المشير جمال على سحب الحرس ، ولكن جمال رد عليه كالمعتاد ، بأنه لم يكن يعرف ، وبأنه سيحقق فى الأمر .

واظهر له عبد الحكيم عدم الاقتناع بهذا الكلام ، لانه يستحيل على محمد فوزى ان ينصرف بدون علم جمال ، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بعامر .

ولما كان عامر رجلاً من رجال الحكم فى مصر ، فهو بحكم موقعه كان مُلماً ، بالأساليب التى تتبعها أجهزة الدولة . بل هو يعلم جيداً ان ما هو فيه الآن نتيجة مقاومته لعمليات الاختراق السوفيتى للكيان المصرى . لذا لم تنطل عليه أساليب عبد الناصر عند ادعائه الجهل أو وعده « بإجراء تحقيق » .

ويؤكد هذا القول ما قاله صلاح نصر فى مذكراته ، إذ قال بالحرف الواحد !

« الواقع ان الهجوم على القوات المسلحة ، والمخابرات العامة ، بدأ منذ أواخر عام ١٩٦٦ . بخطة محكمة من الشيوعية الدولية ، التى كانت تصف هاتين المؤسستين ، بالرجعية ، وحاولت ان تبث كثيراً من الشائعات الهدامة على القوات المسلحة والمخابرات العامة ، ويرجع السبب فى هذا الهجوم إلى عدة عوامل :

أولاً : هجوم المشير عبد الحكيم عامر على الشيوعيين المحليين فى خطابين القاهما فى القوات البحرية ، والقوات المسلحة عام ١٩٧٦ .

ثانياً : القضاء على الأجهزة الوطنية التى كانت تحمى الثورة ، حتى تستطيع الشيوعية ان تزحف وان تتحرك بحرية .

ثالثا : كانت المسئوليات الضخمة ، التى أسندها عبد الناصر إلى المشير عامر ـ فى السنتين الأخيرتين ـ محل حقد زملائه من أعضاء مجلس الثورة .

رابعاً : محاربة المخابرات العامة للشيوعية بحكم مسئولياتها ، فى مراقبة أى نشاط أجنبى مضاد ... وقد استطاعت المخابرات العامة ان تضع يدها على ثلاث قضايا شيوعية ، احداهما القضية المعروفة باسم « الحزب الشيوعى العربى » وأخرى كان مجالها مدينة الاسكندرية ، وثالثة كان رئيس شبكتها أحد ضباط المخابرات الروسية فى السفارة السوفيتية بالقاهرة ، وقد أصدر عبد الناصر تعليماته بوقف أى اجراء فى هذه القضية ، للمحافظة على العلاقات مع السوفيت .

خامساً : كان لا بد من القضاء على القوات المسلحة ، والمخابرات العامة ، تمهيداً للاعتماد على الحزب ، ومنظمات الشباب ، كما هو متبع فى الأنظمة الشيوعية .

سادساً : ظهور تكتلات فى الحكم هدفها تقويض دور القوات المسلحة والمخابرات .

هذه التكتلات كانت تكمن فى الآتى : تكتل برئاسة على صبرى فى الاتحاد الاشتراكى ، تكتل برئاسة سامى شرف فى الخارجية والأجهزة الإدارية ، تكتل برئاسة زكريا محيى الدين ، ويضم بعض الأجهزة التنفيذية .

أنقل إلى القارىء كلمات صلاح نصر ، لتساعده على تصور الإطار الذى كان يحيط بمأساة عبد الحكيم عامر ... وانها مأساة ذات أبعاد سياسية ، ولكنها لا تحمل الجنسية

المصرية . فإن البعد الإنسانى فيها ليبدو ـ لعينى أنا على الأقل ـ شديد الأهمية بعيد الغور ، فقد اختارت لى الأقدار القاسية ، موقعاً يتيح لى كل العذابات الممكنة من هذا الجانب الإنسانى .

والآن فلنواصل معاً ذكريات الأيام الأخيرة من حياة عبد الحكيم عامر ، والتى كان مسرحها منزل عبد الحكيم فى الجيزة .

قلت إن عبد الناصر فاجأ عبد الحكيم بالزيارة ، بعد ان سحب الحرس ، وأقام عامر حرساً من أهالى قريته ، ولم يدر المحيطون بعامر هل جاء ناصر ليتأكد من صحة التقارير والوشايات .. أم جاء ترضية لعبد الحكيم عن سحب الحرس ؟ .

على كل حال ـ وكما هى العادة ـ فقد دار بينهما حديث طويل ، بدأ أولا بعتاب عن سحب الحرس ، واعتذار بالجهل من قبل عبد الناصر .

وكان موضوع الحوار هو أفكار عبد الحكيم ، التى بسببها كان هذا الخلاف الطويل ، المرير ، افكاره عن المطالب الوطنية ، وكان رد جمال : ان الوقت لا يسمح بغير التركيز على اعادة بناء الجيش ، واستكمال الاسلحة الناقصة ... والشيء الذى يجب ان يحدث الآن هو عودتك لمنصب النائب الأول ، ونائب القائد الأعلى .

فسأله عبد الحكيم : « والاختصاصات » .

فأجاب جمال : هذه المسألة تحتاج وقتاً ... وتحتاج إلى تكوين لجنة لوضع الاختصاصات الخاصة بالقائد العام للقوات المسلحة : محمد فوزى .

وجد المشير نفسه يواجه التسويف والمماطلة مرة أخرى ، وأدرك أنه يواجه أسلوب فتح الباب ثم غلقه فى وجهه كلما هَمَّ بالدخول .. سياسة احياء الأمل ثم قتله أمام عينيه ... والخطر يحيط به .

قال المشير « ما رأيك يا جمال .. اعرض عليك فكرة ستريحك جداً ... ما دمت لا ترتاح لى وأنا داخل الحكم ، ولا ترتاح وأنا خارج الحكم ... اذن دعنى اسافر إلى الخارج لأقيم هناك ، بشرط أن تصدر عفواً عاماً عن جميع الضباط الموجودين بمنزلى ، واعاده الضباط المفصولين .

قال جمال : « اوافق على اقتراحك وعلى شروط ، إلى أين تريد السفر ؟ »

قال عامر : « إلى إيطاليا » .

فرد جمال : « لا ... أوافق على يوغوسلافيا » .

قال عامر بغضب : « هل أسافر لكى تعتقلنى عند تيتو بتاعك ؟ » ؟ .... اتظن يا جمال أنى لم اعد افهم وجهة نظرك .. هل تريد أن تعتقلنى وتحدد اقامتى .. إذن فأنا لن أسافر .. لقد سحبت اقتراحى .

وانتهت الزيارة إلى لا شىء . وكانت قد تمت فى الدور الثانى من بيت المشير ، حيث تقيم زوجته وابناؤه ، وقد صعد به المشير إلى حيث يقيمون ، كعادته فى معاملة جمال أيام الصفاء ، وفى اثنائها قطع عليهما الحوار نقر الباب ، فخرج المشير ليرى من الطارق ، فرأى جلال هريدى قائد الصاعقة الذى فصله جمال ـ وهو من الضباط المعتصمين ببيت المشير ... انتحى به عامر بعيداً عن الحجرة وسأله : « ماذا تريد » ؟ . قال جلال هريدى : « يا افندم .. الحمد لله .. لقد جاء بقدميه .. وهذه آخر فرصة .. استطيع ان آخذه فى حقيبة العربة .. والنيل بجوارنا .. وأتاويه » .

غضب المشير غضباً شديداً من جلال وقال بصوت خفيض : الا تعرف انه فى بيتى .. ما تقوله عيب وعار ... ولولا ان الظروف لا تسمح لكنت حاكمتك يا جلال .

كان من اثر هذه الظروف على عامر ، ان زادت يقظته وتحفزه ، وقد نقل إليه المحيطون به ، أنهم رأوا احدى سيارات المخابرات العامة تقف أمام المنزل .

وقام احد الضباط المقيمين بمنزل المشير ، بإمساك طاقم المراقبة ، وأخذهم إلى داخل المنزل ليراهما المشير ، وقد استشاط عامر غضباً ، وطلب صلاح نصر ـ مدير المخابرات العامة ـ وقال له بصوت زاعق « انت بتراقبنى يا صلاح ؟ وانكر صلا ح نصر ان هناك مراقبة ، ثم اسرع إلى بيت المشير ، لاقناعه بأن هذا الطاقم لم يكن يراقبه ، وان المتبع الا تقف السيارة المراقبة بجوار البيت المراقب ، وانما تقف بعيداً عنه ، وان هذا الطاقم ربما كان مكلفاً بمهمة لا تتعلق با لمشير ، ولكن المشير لم يقتنع .

ولا شك ان ما جرى كان فى سياق الاستفزازات المتعمدة التى دأب سامى شرف ، على تعريض عبد الحكيم عامر لسلسلة من الاعمال المثيرة للأعصاب الداعية إلى الغضب والسباب ، ثم نقل كل هذا مع الإضافات فى تقارير إلى جمال عبد الناصر .

فقد استمرت اعمال المراقبة ، وظهرت عربات المخابرات العامة ، والمباحث الجنائية حول منزل المشير ، وعلى أول الطريق المؤدى إلى بيته ، بل وامتد انتشارها فى المنطقة كلها ، حتى ان عربات المراقبة والعربات المصفحة كانت ترى فى ميدان الجيزة ، وميدان الجامعة ، وقوات اخرى من البوليس الحربى ، والمباحث العامة ، كل هذه القوات لمحاصرة رجل واحد شبه اعزل ، يحيط به بضعة ضباط معزولين ، هذا الرجل الوحيد ، ظلوا يضيقون عليه الخناق ، بينما يحدثونه عن المناصب العليا ، والعودة إلى السلطة .

وحدث ان وقع حادث ، زاد النار اشتعالاً ، واسقط الاقنعة ، وكان بطله « جلال هريدى » .

كان المشير قد اصدر امراً بالا يغادر جلال هريدى المنزل بأى حال من الأحوال فقد دأب جلال على معاكسة رجال المراقبة المرابطين خارج المنزل ، بأساليب ، تثيرهم . وفوق ذلك كان عامر على علم بأن جلال مطلوب القبض عليه خارج منزل المشير ، وليس بداخله كما نصّت أوامر الأعتقال .

وقد اطاع جلال ولزم البيت لا يغادره بتاتاً . وذات يوم ، جاءت مكالمة تليفونية من زوجة جلال تطلب فيها رؤيته ، فحدد لها جلال مكان المقابلة ، عند أول سور حديقة المشير ، من جهة النيل .

وقبل أن أكمل القصة ، اقف بالقارىء عند جلال هريدى نفسه ، ضابط الصاعقة المصرى الشجاع ، وقبل المضى فى الحديث ، اعتذر مقدماً عما قد اسببه للقراء من ألم ، لمحنة هذا البطل المصرى .

فى حرب سنة ١٩٦٧ استطاعت فرقة من رجال الصاعقة ، يقودهم جلال هريدى ، من اقتحام الحدود الاسرائيلية ، والتوغل داخل ارض العدو ، والقتال ببسالة ، للدفاع عن كرامة الوطن ، وقاموا بعدة أعمال تخريب فى منشآت الجيش الاسرائيلى ، وكان هذا الفعل مثالاً لشجاعة الجندى المصرى ، إذا اتيح له ان يقاتل ، وهى الصفات التى اراد لها

المتآمرون فى حرب سنة ١٩٦٧ ، ان تمحى من سجل الجندية المصرية ولعل المواطنين جميعاً ـ الذين عاشوا هذه الحقبة ـ يذكرون نداءات الإذاعة المصرية المتكررة ، والتى اثارت دهشة المواطنين وتساؤلهم ، تلك النداءات كانت : « عد يا جلال .. انت واحمد حلمى ... عد يا جلال ... انت واحمد حلمى .. » .

كان « جلال » المقصود هو جلال هريدى الذى يقود فرقته للقتال داخل أرض العدو .

هو نفسه « جلال هريدى » الضابط المفصول ، الملتجىء إلى بيت قائده عبد الحكيم عامر هو نفسه العائد من مهمته القتالية ، والتى ادها بنجاح ، فوجد ، أبواب السجن ترحب به . ونشير هنا إلى أن أحمد حلمى لقى نفس المصير !!!

ونعود إلى القصة .. ذهب جلال لمقابلة زوجته ، وفيما هو يتحدث معها ، جاءت سيارة بها ضابطان وسائق ، هبط الضابطان من العربة واقتربا من جلال يريدان القبض عليه ، فما كان من ضابط الصاعقة إلا أن شهر مسدسه وتراجع بخفة إلى الوراء ثم اطلق النار فأصاب أحد الضابطين ، كما أصاب عجلة امامية من عجلات السيارة ، وتمكن من القفز فوق سور حديقة المشير ، وجرى إلى الداخل .

كان المشير نائماً ، فصحا على صوت طلقات الرصاص ، وظن انها معركة لاقتحام الفيلا ، فخرج إلى الشرفة ومعه مسدسه ، وبعض القنابل اليدوية ، وكان حراس البيت من أهالى قرية المشير ، قد حملوا هم ايضاً اسلحتهم ، وتأهبوا لإطلاق النار . ولكن عودة جلال هريدى سالماً هدأت الجميع .

وكان بيت هيكل يقع على مقربة من بيت عامر ، فلما سمع صوت طلقات الرصاص جاء ليستطلع الخبر ، فقابل المشير ، وهدأ من غضبه ، ثم استأذن منه لأداء مهمة عاجلة ، ويعود بعدها .

وكانت المهمة ان يذهب إلى بيت جمال عبد الناصر .، يروى له ما رأى ، وبالطبع وجد جمال على علم بما حدث ، وقال لهيكل : « خلاص بقى فيه حكومة ثانية فى بيت عبد الحكيم ، وبتضرب فى حكومتنا ، انا اللى اديت اوامر باعتقال جلال هريدى ... وقال

هيكل للرئيس ، ان هذا الموضوع ثانوى ، قد يفسد المفاوضات الدائرة مع المشير ... ثم عاد هيكل إلى بيت عبد الحكيم ، ليبلغه ان الرئيس جمال يشعر بالاسف لما جرى ، وانه أمر بإعادة الحرس .

وانبه هنا انه كان من عادة جمال ان يتصل بعامر ويخبره بما دار بينه وبين الوسيط . وفعلاً عاد الحرس ... ولكن بأشخاص غير الذين كان قد عينهم المشير ... اى باشخاص يتلقون تعليماتهم من محمد فوزى .

وكانت المراقبة التليفونية ، من الأمور الاعتيادية اليومية فى منزل جمال عبد الناصر ، بمنشية البكرى ، حيث انشأ جهاز مراقبة تليفونية ، على احدث طراز ، ويستطيع بواسطته ان يتجسس على الحياة الخاصة لمعظم زملائه ، بطريقة بالغة البساطة ، فهذا الجهاز يستطيع التجسس على أى تليفون فى أنحاء الجمهورية ، بمجرد إدارة قرص ، التليفون بالارقام الثلاثة اليمنى من الرقم ، فيقوم الجهاز بتسجيل مكالمات هذا التليفون .

وانتهز هذه الفرصة ، لأروى واقعة تسجيل حديث تليفونى جرى بينى وبين المشير ، بعد زواجى فى اواخر عام ١٩٦٤ ، سجلت الأجهزة السرية هذا الحديث ، وعلم المشير بذلك عن طريق بعض مصادره ، ولكن لم يكن يعلم الجهة التى قامت بالتسجيل ، فذهب إلى عبد الناصر غاضباً ، شاكياً له ما حدث ، ولكن عبد الناصر راح يهون الأمر فى نظر المشير وانبأه بان المسجل حديث عادى لا يعنى شيئاً ، ولكن عبد الحكيم قال غاضباً : «ليس هذا هو المهم ... اريد ان أعرف من سجله ، وأين هذا الشريط الآن ... فى يد من ؟» قال عبد الناصر بهدوء : « انه عندى هنا » واشار بيده إلى خزنة حديدية فى مكتبه ، ثم قام وفتحها أمام المشير ، واشار باصبعه قائلا : « ها هو .. انه فى أمان » . ثم أغلق باب الخزنة ، ولما رأى عبد الحكيم ان جمال لم يعطه الشريط - كما كان يتوقع - انصرف ، وقد سألت المشير : « لماذا لم تطلبه منه ؟ » اجابنى : « لأنه يحب ان يجد فى كل انسان نقطة ضعف ، ولم اشأ ان تكون هذه نقطة ضعفى عنده .. فلم أبدِ اهتماماً .

واذكر هنا بمزيد من الألم ، بقية هذه القصة التى لم يشهدها المشير ، فقد وقعت بعد موته . لم يكن الشريط « فى أمان » كما زعم عبد الناصر لعبد الحكيم ، لا هو ، ولا شريط آخر ،

سجلوا عليه ما جرى فى غرفة النوم ذات مساء . بين زوج وزوجته .

وقع هذان الشريطان فى يد محمد فوزى ، فماذا تظنون أن يفعل بهما ؟

انها قصة مخجلة ، ويغلبنى الحياء كلما تذكرتها ... ولكن الواجب ، يفرض على تجاهل خجلى وألمى واحكيها للناس . علها تكون صرخة امرأة مظلومة ، استبيحت حرمة حياتها المشروعة لتصبح أداة للتسلية ، والتشفى ، لدى صغار النفوس ، كبار السلطة ، ولعلها تحرك الضمير الإنسانى ، فيمنع أى جهاز من أجهزة الدولة قادرٍ على ملاحقة الناس ، من أن يمارس هذه الصغائر ، التى لا علاقة لها « بالأمن » فى الواقع ، وانما لها علاقة بشهوات النفس وضغائنها ، وبكل قلب مريض .

يقول تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾

ولكنهم تجسسوا واغتابوا ، فقد حكى بعض الضباط جانباً مما شاهدوه فى معسكرات الجيش ... وتقع هذه المشاهد ، عندما يزورهم أحد القادة ويدير الشريط .

ويذيع على مسامعهم ، نص الحديث العاطفى ، الذى جرى بينى وبين زوجى ، عبد الحكيم عامر فى يوم من الأيام . وتتردد على ألسنة بعض الكبار من أنصار مراكز القوى التعليقات البذيئة ، التى يأباها احساس أى مواطن ، وترفضها رجولة اى رجل ، كما يرفضها الدين ، والعرف ، والأخلاق .

تلميحات خبيثة ، تفوح برائحة الجنس ، وتكشف عن حال من التدنى يثير الغثيان ـ كان الغثيان ينتاب بعض الضباط ـ فعلاً ـ ممن تصادف وسمعوا ... فإذا خرجوا من الخيمة بصقوا على الأرض معربين عن عميق اشمئزازهم .

وإذا كانت اذاعة هذه الأشرطة ، بين الجنود مثيرة للاشمئزاز ، فما عساها تثير إذا اذيعت على مسامع فتاة بريئة ، لم تتخط الخامسة عشرة من عمرها ، وارغموها على الإنصات ... هذه الفتاة هى اختى زهرة ، ولها قصة سأذكرها فى حينها .

ونعود إلى منزل عبد الحكيم عامر ، المحاصر بالعيون والآذان ، وقد ذكرنا أن تليفونات المنزل وضعت تحت المراقبة .. والواقع أن المشير وكل المقيمين بالبيت كانوا يعلمون هذه

الحقيقة ، فكانوا يسلون أنفسهم باعطاء معلومات مضللة من خلال التليفون .

وإذا كان البعض راح يلهو بالرقابة التليفونية على هذا النحو ، فإن جلال هريدى ، رأى ان يسخر منهم على نحو آخر ... فخرج بملابسه المدنية ، ومشى إلى آخر سور الحديقة ، حيث كانت سيارة مرابطة وبها ضابطان ، وقف جلال يتحدث إلى احدهما ، ثم انقض عليه فجأة واخذ منه مسدسه ، وصوبه اليهما . فاستسلما . واخذهما إلى المنزل وصعد بهما إلى عبد الحكيم عامر .

كان المشير يعلم ان الضابطين لا ذنب لهما ، فهما يطيعان الأوامر ، فلم يوجه لهما لوماً ، وإنما اتصل بشعراوى جمعة ، واسمعه كلاماً فيه تعنيف وسخط ، وطلب منه ابلاغ ذلك لجمال عبد الناصر . ثم افرج عن الضابطين .

وظل الضباط الذين كفّت ايديهم عن القتال ، يقاتلون فى سبيل النجاة بأنفسهم ، وهم يرون الحصار يضيق عليهم ، وان الصياد قد اصبح قريباً جداً من فريسته .

وقد لاحظ هؤلاء الضباط يوماً ، ان الرقابة الملتفة حول منزل المشير هى من رجال الجيش هذه المرة ، وكانوا يعرفون هؤلاء الأفراد ، فاستأذنوا المشير فى وضع كمين لهم .

وقد استطاع جلال هريدى ، وحسين مختار ، وآخرون ، ان يقبضوا على ضابطين وجنديين ، وقد افرجوا عن الجنديين بعد ان قدموا لهما الشاى والسجائر . وعندما اخذوهما لمقابلة المشير عرف منهما انهما من المخابرات العامة ، فقام المشير بمحادثة تليفونية ، مع كل من صلاح نصر ، وحسن عليش وكيل المخابرات ، وسأل كلا منهما إن كانت الأوامر قد صدرت له بمراقبته ، أم أنه أرسل هذه المجموعة من تلقاء نفسه .. وكانت مفاجأة للمشير حين ابلغاه انهما لم يكلفا أحداً بمراقبته ... والحق انها أيضاً كانت مفاجأة لصلاح نصر ، وحسن عليش ، ان أدركا أن تنظيمات سامى شرف لم تكن قد تغلغلت فقط فى الجيش ، إنما فى المخابرات أيضاً !!!

وتكلم عامر مع هيكل عبر التليفون ، وطلب منه ابلاغ جمال عبد الناصر ، بالكف عن اعمال الصغار ، فعنده ـ أى ناصر ـ مهام اخرى كثيرة ، وكان مما قاله لهيكل « هو مفيش فى

نحه غير عبد الحكيم وجلال هريدى ؟ » .

وظلت المحاورة ، والمداورة ، على أشدها ، بين الفئة الصغيرة المعتصمة ، والمخابرات الحربية ، والجيش ، والأجهزة السرية ، والشرطة العسكرية .

إلى أن جاء يوم ٢٣ يوليو ، وبدا الاحتفال بأعياد الثورة ، وتقرر ان يلقى جمال عبد الناصر خطابه فى القاعة الكبرى بجامعة القاهرة . وخطر ببال جلال هريدى ان يذهب إلى القاعة الكبرى بجامعة القاهرة . ويترقبت خطبه جمال ، وكلما قال كلاماً قاطعه مصححا ومنتقداً .

كانت عملية فدائية غير معقولة وغير مقبولة ، ولكنها من وحى ظروف غير معقولة ، وغير مقبولة ايضاً ، من وحى القهر الذى يمنعهم من الخروج ، ومن ايصال صوتهم للناس ، عن طريق الإذاعة ، أو التليفزيون ، أو الصحف وكلها تابعة لعبد الناصر .. فبلغ بهم الضيق منتهاه ، حتى فكروا فى عمل كهذا .

ولكن عبد الحكيم رفض الفكرة ، بل وأنّب جلال هريدى على التفكير فى اعمال فدائية لا تقدم ولا تؤخر .

وفى ذلك اليوم ـ ٢٣ يوليو ـ وضعت قوات كبيرة ـ وحشرت اسلحة ثقيلة ، على كل الطرق المؤدية إلى منزل المشير ، كما أن جمال عبد الناصر غير طريقه ، فلم يمر ـ كالعادة ـ بشارع مروان بالجيزة ، انما مر عن طريق كوبرى الجلاء إلى الجامعة .

وقد فوجىء الجميع ، بحضور هيكل فى ذلك اليوم ، ليبقى مع المشير اثناء القاء الخطاب ، ولم يذهب مع عبد الناصر للمرة الأولى والأخيرة .. فهل جاء لمراقبة ما يحدث ، ومنع القيام بأعمال كالتى فكر فيها جلال هريدى ؟

وكان مثيراً للدهشة ، ان يسمعوا هيكل يعلق منتقداً بعض ما جاء فى الخطاب ... الذى كتبه هو ...

وأعرب هيكل للمشير عن عدم رضائه ، عن بعض تصرفات جمال ، ولم يتجاوب معه المشير ، فقد كان يشك فى ان جمال يستغل هيكل .

وتوالت الضغوط على عبد الحكيم عامر ، وتعددت اشكالها ووسائلها ، فإلى جانب

الحشود المسلحة حول بيت المشير ، كانت الإشعاعات بمحاولة انتحار المشير تتردد من جديد ، بل انهم نظموا مسيرات من بعض الشباب التابعين للأجهزة ، سارت أمام بيت المشير وهم يرددون الهتافات ضده ... وقد وقع هذا فى فترة من فترات سحب الحرس ، فأوشك أن يؤدى إلى مأساة ، لأن الضباط المحاصرين داخل الفيلا ، تأهبوا لإطلاق الرصاص على المتظاهرين . ولكن المشير منعهم ، مذكراً اياهم ان هؤلاء اطفال ابرياء ، وان اللوم يقع على عاتق من حركوهم ، وحشدوهم .

* * *

ومرت الأيام ... إلى ان جاء هيكل ذات يوم ، حاملاً البشرى بموافقة جمال عبد الناصر ، على سفر المشير إلى إيطاليا ... أو أى بلد يختاره !!

وافق عبد الحكيم ، وطلب تنفيذ شروطه ، بأنهاء مسألة الضباط الموجودين فى منزله ، اما باعادتهم إلى الجيش ، واما باحالتهم إلى المعاش ، وتم اتصال تليفونى بجمال ، فوافق على شروط عامر .

وفى اليوم التالى ، بدأ المشير استعدادات السفر ، والتفكير فيمن يأخذه معه إلى ايطاليا ، وبعد يومين جاءه من يخبره برفض جمال عبد الناصر لفكرة السفر إلى إيطاليا ، وأنه يقبل اذا كان السفر إلى يوغوسلافيا .

ولأول مرة يتحدث عامر إلى جمال فى لهجة عنيفة ، إذ طلبه فى التليفون ، وقال له : « دى مش بلد أبوك ... أنا لا رايح ايطاليا ... ولا رايح يوغوسلافيا ، ولا منقول من هنا ... واللى عايز تعمله اعمله » .

أزمة أخرى !!

لم تكن الأزمة السياسية هى الأزمة الوحيدة التى يعانى منها عبد الحكيم ، بل كانت هناك أزمة أخرى ، تلد المزيد من القلاقل فى حياة المشير ، تلك هى أزمته المالية !!

وبغض النظر عن الشائعة التى اطلقتها الأجهزة ، من ان المشير باع البلد لاسرائيل ! وقبض ثمنها سبائك ذهبية ، فإن من المؤكد ان عامر كان يبحث عن مشتر لأرضه للإقامة فى اسطال ، والانفاق على اسرته ، والمقيمين معه ، قدرها بمبلغ ستة آلاف جنيه ، ولما لم يعرض احد عليه ان يقرضه هذا المبلغ ، فكر فى بيع الأرض ، الا أن اخوته وابناء عمومته ، اخبروه بأن الوقت غير مناسب للبيع ، لعدم وجود محاصيل زراعية .

وامتلأت نفس عبد الحكيم بالمرارة ، حين تبين له عجزه عن معالجة أزمته المالية ، ولو حتى عن طريق الاقتراض .. فلم يجد من يقرضه .

وانتقل المشير إلى منزله بالجيزة ، فزادت حاجته إلى المال ، للإنفاق منه على أسرته ، وعلى من يعيشون معه فى الفيلا من الضباط ، وأهل قريته .

وقد علمت من بعض موظفيه الذين كانوا فى الجيزة ، بضائقته المالية ، وان أهل بيته يعيشون طوال الأسبوع على الفول ، والطعمية ، والعدس . فبادرت إلى بيع بعض ما أملك من حلى بمبلغ الف وخمسمائة جنيه ، فلما جاء لزيارتى فى بيتنا بشارع الهرم ، قدمت له المبلغ ، ولكنه رفض تماماً ان يأخذه ، رغم الحاحى واستعطافى ، ولما اصر قلت له اعتبرهم قرضاً ـ وكله من خيرك ـ ولكنه رفض رفضاً باتاً ، ولم أجد وسيلة سوى باعطاء المبلغ لأحد حراسه المخلصين ـ متولى ـ فأعطاه له بعد عودته .

وبالطبع استنفدت النفقات الألف والخمسمائة جنيه ، كما استنفدت من قبل الستة آلاف جنيه ، ثمن الأرض التى كان قد وجد لها مشتريا فيما بعد .

كانت النفقات باهظة بالنسبة للعدد الكبير الموجود معه ، فكان أن طلب من صديقه فى الدراسة ، وعضو مجلس الأمة « محمود عبد الله » : الذى كان فى زيارة له ان يتصل

بالدكتور محمود عبد الرازق ليبحث له عن مشتر لقطعة أرض يملكها فى الجيزة وقد وجد الدكتور محمود من يشتريها ، وكان المشترى هو الطبيب ابراهيم بدران وزير الصحة الأسبق ـ الذى وافق على شرائها بمبلغ ثمانية آلاف جنيه كثمن لنصف قطعة الأرض ، وأراد الدكتور بدران أن يؤجل الدفع حتى يتم التسجيل ، ولكن الدكتور محمود عبد الرازق ، قال له ان المشير فى حاجة إلى عربون لينفق منه حتى يتم التسجيل فكتب الدكتور بدران شيكات بالمبلغ كله ، ولازالت الأدلة ، وتواريخ الشيكات موجودة .

أنا وهو وعمرو

كيف أصف حالى خلال تلك الأشهر التى أعقبت الهزيمة ، كلما عدت بالذاكرة ، أرانى امرأة أعطاها الله كل شىء وسلب منها كل شىء ، كان مع العطاء حرمان ، اعطانى زوجاً بارزاً وبطلاً قومياً ، وسلبنى حق الزهو بهذا الزوج ، أعطانى بيتاً محوطاً بالحراس ، وسلبنى الإحساس بالأمان ، أعطانى ملكاً ، وسلبنى مملكة !!

كيف أصف لكم حالى خلال تلك الأشهر ، أنا برلنتى عبد الحميد نجمة السينما وزهرة المجتمع ، وزوجة عبد الحكيم عامر ، المحارب الثائر ، والنائب الأول لرئيس الجمهورية . كيف أصف لكم حالى ؟

إنه ليكون من عبر الدهر ، أن أقول لكم : كان حالى حال ، العوز ، والفزع ، والحيرة .

لم أجمع بزواجى ثروة ، فالمشير لم يكن ثرياً ، ولم أحقق شهرة فهى كانت لى من قبل أن أتزوج ، ولعلها خبت قليلاً بالزواج .

ولم أتمرغ فى ترف ، فقد كان بيتى صغيراً من حجرتين وصالة ومازال موجوداً ـ بشارع حدائق الأهرام ـ بالجيزة ، عار تقريباً من الرياش والأثاث ، وقد أُخذ منى ـ وكان إيجاراً ـ بعد موت المشير .

ولم أنعم بقرب حبيب ، فقد كانت مهام الدولة ، وشواغل الجيش ، تأخذ منى زوجى أياماً ، وأسابيع ، وشهوراً أحياناً .

هذا هو الحال ، الذى لم أنل عليه سوى التشهير بى بكل الوسائل التى تملكها الأجهزة والعملاء ، باطلاق الشائعات التى صورت حياتى مع المشير ، وكأننا اثنان يغترفان من الملذات ما طاب لهما ، كأمير وأميرة فى إحدى حكايات ألف ليلة وليلة .

وانطلقت أقلام مسمومة ، تدّعى لنفسها الإحاطة بما يجرى فى دخيلة بيت المشير . ويدعى صاحبها لنفسه مناقشات دارت معه حول زواجه بى ، وهل أنا زوجته حقاً أم لا ؟

بنك مصر

رقم المركز الرئيسى بالسجل التجارى - القاهرة 5403

القاهرة فى ١٩/١١ سنة ١٩٩١

السيد / عمرو محمد عبد الحكيم

١٧٢

رقم الحساب

قيدنا لحسابكم حق ٥/٥٦٦٢

قرش	جنيه	البيان



صورة لأخطار البنك بقيمة معاش عمرو الشهرى ، المحول إليه من رئاسة الجمهورية .

وأن المشير قال له كذا وكذا !! .. وانه اعترض على قول المشير بكذا وكذا ، وما كان هذا الدعى ليجرؤ على الاقتراب حتى من بوابة المشير ، وما كان له من علم أكثر مما قدمه له حارس البوابة ، فى مجالس خارج البيت ، ذلك العسكرى المنحرف الذى دخل السجن . وبهذه الترهات التى أخذها من الحارس ، مضيفاً إليها أكاذيب الأجهزة السرية ، التابعة للعملاء ، أصبحت عنده بضاعة ، أخذ يروّج لها ، ويروى عنها الحكايات ، وكأنه « جبرتى » الثورة ، الذى يسرد تاريخها .

وليس أدل على الجبروت ، ان مروجى الشائعات ضد المشير ـ رحمه الله ـ لم يجدوا شيئاً يذكرونه ، فهو من القلائل فى جهاز الدولة ، الذين ليست لهم أملاك فى أى مكان . هؤلاء لم يجدوا شيئاً يذكرونه ضده ، سوى قصة زواجى به !!!

كان زواجى طى الكتمان ، وقد تم فى مارس عام ١٩٦٣ ، ولم يعلم به أحد من العامة ، إلا بعد الهزيمة ، عن طريق الأجهزة التى سربت النبأ فى سياق حملة التشهير .

ويجول بخاطرى الآن أن التشهير بالزواج أمر بالغ الغرابة ، فإذا كان زواج « برلنتى وعبد الحكيم » نبأ مثيراً ، إلا أنه ليس نبأ معيبا .. فالزواج ليس عيباً ، حتى ولو كان من زوجة ثانية ، وأن الدهشة لتستبد بى ، أن نكون فى بلد يبيح فيه الشرع والقانون ، والعرف ، الزواج بزوجة ثانية ثم نعتبر هذا مادة للتشهير !!

لم يسرق المشير ، ولم يغرق نفسه فى الملذات ، ولم يجرب ترف العيش ، وما كان لديه المال أو الوقت لذلك .

قالوا : مجلس الحشيش والأنس ، قالوا مجالس اللهو والمجون ، قالوا ... وقالـوا ... وقالوا ... ولو كان كل ماقالوه حقاً لقدموا تسجيلات فيديو ، وتسجيلات فيها صخب هذه المجالس المزعومة ، وهم القادرون على التصنت ، والتجسس ، والتسجيل ، ولكان أولى بمحمد فوزى وسامى أن يذيعا أشرطة الفيديو والتسجيلات ، بدلاً من الحديث التليفونى والمناجاة الزوجية فى حجرة نومى ، فهاتان لا عيب فيهما ، ولا يدلاّن على فساد طبع فى صاحبهما ، أما مجالس اللهو ، فإنها تكون دليلاً حقيقياً على فساد المشير .

لو كان ما قالوه حقاً وصدقاً لفعلوا ذلك وعرضوا على ضباط المعسكرات شيئاً آخر ـ غير التسجيل الذى اثار اشمئزازهم ـ من قائدهم الطروب .

وحين ازداد ضخ الشائعات ، وبلغ مسامع المشير بعض منها ، سمعت حديثاً تليفونياً بين عامر وناصر فى تلك الآونة ، كان عامر يقول غاضباً : « قول للعيال » الشيوعيين اللى عندك يبطلوا التشهير بالجيش ... علشان انت منه .. واللا نسيت ؟ .. وبعدين أنا مش فاهم .. انتوا فاضيين للدرجة دى .. مافيش حاجة فى البلد شاغلاكم غير عبد الحكيم عامر ؟

وقد بلغت درجة التشهير حدّاً جعل الأجهزة الواقعة تحت سلطان مراكز القوى ، القيام بطبع منشور وتعليقه فى بعض مقار الاتحاد الاشتراكى ، ووضع نسخ منه تحت أعقاب الأبواب ليقرأها الناس ، يتضمن المنشور كلاما فحواه أن المشير باع البلد لليهود ، وأنه تزوج برلنتى عبد الحميد ، وأنجب منها ولداً ، وأن قواد الجيش تركوا مواقعهم وهربوا ، وفر وراءهم الضباط والجنود ، وأن عبد الحكيم عامر منع عبد الناصر من دخول مقر القيادة بالقوة ، ومنعه من ادارة المعركة ، ومنشورات أخرى قريبة من هذه المعانى لا أذكرها ، فإن فحواها قد نقلت إلىّ عن طريق بعض أصدقاء المشير .

وأحمد الله أن الأجهزة لم تجد فى تاريخى منذ طفولتى ، شائبة تديننى فى مسلك ، أو موقف ما . وإلا كانوا ذكروها فى منشوراتهم .

كيف أصف حالى فى تلك الفترة ، وأنا امرأة صغيرة وطفلها ، تجد نفسها فجأة تائهة فى غابة من رجال المخابرات والمباحث بأنواعها ، والشائعات ، وتمضى بها الأيام مبلبلة الخاطر لا تستطيع أن تستوعب أحداث اليوم ، ولا تعرف كيف يأتى الغد !

جاء المشير فجأة ، وهو دائماً يأتى فجأة ، فأسرعت للقائه فرحة بمقدمه ، وكان أول ما سأل عنه : « أين عمرو » قلت : « هو مع خالتى فتحية » . وذهبت لإحضاره .

حمل المشير عمرو فرحاً به ، وأخذ يلاعبه ، ويقبله ، ثم شرع يلقى به لأعلى ويتلقفه بين يديه ، فأصابنى الجزع خوفاً عليه من السقوط ، فسخر من خوفى ، وجلس محتضناً عمرو إلى صدره . ونظر إلى قائلاً « خلى بالك منه .. معاكى عبد الحكيم اهه » .

سألته : « هل تناولت طعاماً ؟ » فأجابنى بالنفى ، وكنت أعرف عنه العزوف عن الطعام إذا كان مهموماً ، أو غاضباً ..

وعدت إلى المشير ، ونظرت إلى وجهه الشاحب ، الشارد ، وسألته عن أحواله المالية ، فقال لى انه باع نصف الأرض للدكتور ابراهيم بدران (المستشفى الحالية) .

قلت : « لماذا إذن انت مهموم ؟ » .

لم يرد المشير ، فقلت له : « لم لا نترك القاهرة ، ونعيش فى سمالوط » .

أجاب : « سيان .. فهو لن يتركنى هنا أو هناك .. إنى أعرف جمال ، إذا جريت جرى ورائى حتى يعقرنى » .

كان الحوار متقطعاً ، ثقيلاً .. فهو غارق فى أفكاره ، يضم عمرو - بين الحين والحين - فى صمت .

كنت انتظر منه مواصلة الحديث ، وتعلقت عيناى بشفتيه ، فأنا التى تعيش أيامها مترقبة متسائلة ، اتشبث بحديثه حين يجيء ، لعلى أفهم منه شيئاً ، أو أتيقن من خبر ، أو أسمع أنباء جديدة .

وتكلم المشير متسائلا : (عايز منى ايه ؟ .. انا سبت له كل حاجه .. أروح اسطال يجبنى .. أقوله اسافر يقول روح يوغوسلافيا .. جاب ناس مكانى وبيقول عايزنى .. طب ادينى إختصاصاتى يقول لما اعمل لجنة)

وراح منى عامر فى صمت مرة أخرى . كنت اصغى بكل جوارحى مسخره عقلى لفهم معنى كل جمله يقولها .. ولما طال صمته ، قلت مترددة ! (جايز خايف من حاجه) !!

ارتفع صوته فجأه وكأن صوتى أرعبه : (من إيه ؟ .. خايف من إيه ؟ .. من واحد ساب له كل حاجه .. نائب رئيس مش عايز ، ولا نائب القائد الأعلى .....

انا رفضت أكون رئيس جمهورية ، زى ما قال الروس .

تنبهت حواسى كلها ، وكأن شيئا وخزنى ، رئيس جمهورية .. روس .. بدا لى هذا القول غريبا ، وأنا التى كنت أصغى لأفهم ، فإذا به يردنى إلى عدم الفهم المطبق .

ولا أنكر ان الإثارة هيجت مشاعرى وزادت فضولى ، وما كان من الممكن أن أصمت مهما ملأتنى الرهبة . فقلت : هل .. هل تصبح رئيس جمهورية ؟



صورة للمشير فى فرنسا التقطت أثناء الزيارة التى قابل فيها ديجول وأجرى محادثات معه .

ابتسم عبد الحكيم ابتسامة واهنة ، ونظر إلى برفق وعيناه تدوران على وجهى ، وقرأت فى عينيه عبارته المعتادة « والله انتى ولا فاهمة حاجة » !!

قال المشير بسرعة ، وكأنه ينهى موقفاً تورط فيه :

ـ اصلهم جولى .. السفير يعنى .. وقال لى ان الروس مستعدين يساعدونى عشان أبقى رئيس الجمهورية .. وأنا رفضت .. بيتآمروا علينا . وأنا بلغت جمال باللى حصل .. وقلت له الروس دول زى الثعابين ، خللى بالك منهم ... دول عايزين يغرقوا البلد ويسيطروا عليها .. عايزينا نبقى زى دول حلف وارسو » .

لم يعد فى رأسى سوى الحيرة ، ولعل عامر لاحظ حيرتى فاستطرد : « طب ما هو جمال نفسه عرض على رئاسة الجمهورية .. أنا مش عايز .. بس نفسى أعرف هو عايز منى إيه ؟ » .

ثم اعطانى عمرو ، ونهض استعداداً للإنصراف .

* * *

كانت الأحداث تتتابع ، ونحن فى بيتنا الصغير ، نتلقف الأنباء ، ونستمع إلى الأخبار وأصبحنا فريسة للقلق والتوتر ، ولا نملك سوى انتظار مجىء عبد الحكيم لنطمئن .

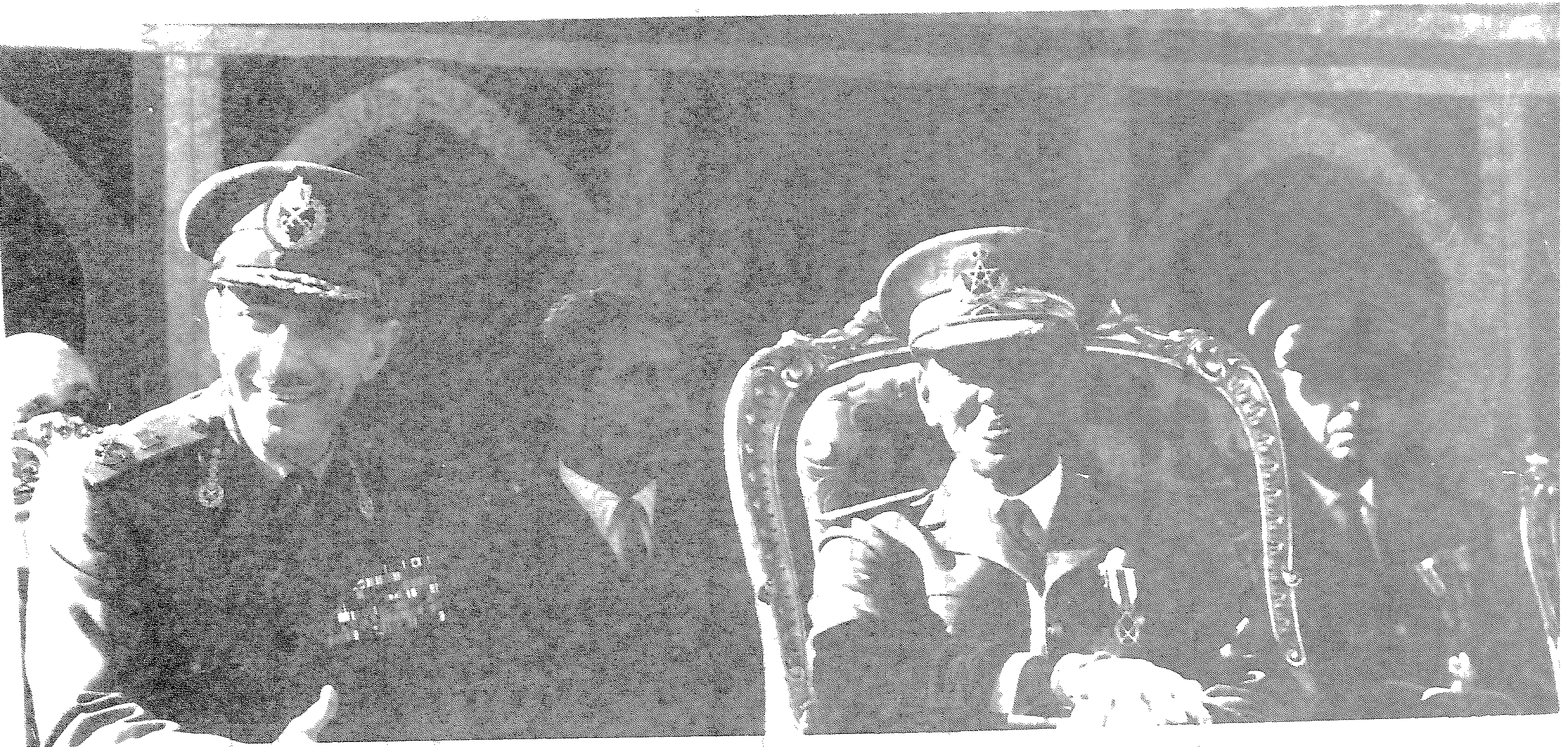
ولم أكن قد رأيته منذ الزيارة الأخيرة والتى كان يبدو فيها مهموماً مشغول البال .

لذا كان مجيئه باعثاً على السرور فى نفسى ، وزاد سرورى وثقتى ان رأيته منشرح الصدر . منصرفاً إلى مداعبة عمرو ، مطلقاً ضحكات مرحة .

سألته عن صحة صلاح نصر ـ وكان قد أصيب بأزمة قلبية ـ فقال : « أحسن من الأول .. كنت عنده وبعدها زرت جمال » .

بدت لى زيارة الرئيس مفاجأة ، فرحت استفسره عن هذه الزيارة ، وهو يجيب ، وقد عرفت منه انه بينما كان فى زيارة صلاح نصر ، مع عباس رضوان ، اقترح على عبد الحكيم زيارة عبد الناصر فى منزله ، خاصة أنهما قريبان منه ، ولقى اقتراحه قبولا لدى صلاح نصر وشجع عبد الحكيم على قبوله .

فقاما بزيارته ، وتناولا العشاء معه ، بل وأمضيا وقتاً للفرجة على أحد الأفلام فى قاعة السينما بمنزل جمال ، وطوال السهرة كان جمال مصمماً على أن يجلس عامر بجانبه ، وقبل الانصراف كانا قد تصافيا ، وسار معه جمال عبر الحديقة حتى ركب عبد الحكيم العربة .



عبد الحكيم والملك الحسن أثناء زيارته للمغرب يشاهدان عرضاً عسكرياً .

فصل الخطاب

جاءت رسالة من مكتب « الرئيس » للمشير ، تفيد بأن جمال عبد الناصر يدعو عبد الحكيم عامر إلى العشاء ، فى يوم ٢٤ أغسطس . وسرى النبأ بين أنصار عبد الحكيم عامر ، .. فانقسموا بشأنه قسمين ، قسم كان يغلب عليه التفاؤل ، ويتنبأ بأن يسافر جمال مصطحباً عامر ، إلى مؤتمر القمة العربى ، الذى سيعقد يوم ٢٨ أغسطس بمدينة الخرطوم وقد أشاع هذا الظن ، أن هذه الدعوة ، جاءت بعد اللقاء الأخير بين جمال وعامر بحضور عباس رضوان ، وما أعلنه عبد الناصر بعد ذلك عن الصلح بينه وبين عامر .

أما المتشائمون ، فقد داخلتهم الريب والشكوك بخصوص هذه الدعوى . فهم يرون ازدياد الاعتقالات بين ضباط الجيش ، وازدياد الشائعات عن إنتحار المشير ، بالإضافة إلى أن جمال كان إذا أراد دعوة المشير ، فإنه يكلمه شخصياً بنفسه ، ولم يسبق قط ان جعل بينهما وسيطا ، فجمال يطلب عامر ويسأله من منا يحضر لزيارة الآخر ، وأحياناً يترك للمشير الاختيار ، فيقول له عامر أنا فى البيت تحب تيجى امتى ، وهكذا يتفاهمان ببساطة ، ويحضر جمال إلى عامر بمنزله بالجيزة ، ولكن هذه الدعوة قد جاءت ـ لأول مرة ـ عن طريق مكتب الرئيس .

أما عبد الحكيم نفسه ، فقد أبدى تفاؤلاً ، واستبشاراً بهذه الدعوة .

وفى عصر ذلك اليوم ـ الرابع والعشرين ـ كنت فى حديقة منزل الزوجية أمارس هوايتى فى العناية بالزرع .

فجأة سمعت صوت كلاكس سيارة المشير . فتركت ما بيدى ، وجريت كالطفلة إلى السيارة أفتح بابها وأفتش كالعادة فى تابلوه العربة أبحث عن الحلوى والشيكولاته ، نظر إلى المشير مبتسماً : والله إنتى رايقة قوى .. ولا دريانه بحاجة .

وتنبهت إلى أن نظراته وحركاته يشوبها القلق .. فنظرت إلى متولى الذى نظر إلى الأرض أدباً منه ، وصامتاً كالعادة ، ولاحظت وجود عباس رضوان أيضاً فصافحته ، ثم انصرف .

سبقنى المشير إلى داخل المنزل . سألته : « تحب اعمل لك ليمون ؟ » .

قال باهتمام : « لا .. فين عمرو ؟ » .

كان عمرو مازال رضيعاً فى حوالى الشهر الرابع من عمره ترعاه خالتى المقيمة معنا فى حجرة صغيرة معدّة فى الناحية الأخرى من الشاليه .

حاولت أن اسأله ماذا به ولكنه قال بحسم : « أرجوكى قولى للحاجة تجيب عمرو عايز اشوفه » .

وذهبت إلى خالتى وأخذته منها . وكان يستعد للنوم ، وتلقفه من يدى ودخل إلى حجرة النوم وأخذ يداعبه ويقبله ، ويهدهده ـ وهو فرح ولما رآنى خائفة . قال : « لا تخافى .. ان يدى لا تؤذى من أحب .. فما بالك بابنى ؟ » ووضعه على السرير ووقف بجانبه قائلاً :

ـ لا أعرف لماذا يذكرنى بأبى كلما نظرت إليه .

قلت معلقة : « إن شكل الأطفال لا يظهر بوضوح فى هذه السن » . فرد على : « تعالى انظرى إلى هذه الأذن ، أنها ماركة مسجلة فى عائلتنا ، والعينان ، حتى الوحمة على الفخذ الشمال ـ سبحانك يارب فى نفس المكان .

وقلت ضاحكة : « ولماذا نسيت الأنف الكبير أيضاً ؟ » .

قال باعتزاز : « طبعاً .. صعايدة .. لازم تدافعوا عن بعض ، واستمر المشير يداعب عمرو إلى أن نام ، فأخذته ولكنه أخذه منى وضمه إلى صدره ضمة قوية طويلة ، اشعرتنى بالخوف .. ثم تركه لى وهو يقول : « بشرط أن أراه قبل مغادرة المنزل » .

ذهبت بعمرو ، وحين عدت وجدت عامر قد تخفف من ملابسه ، ونام مستلقياً على ظهره ، وقد بدا على وجهه الشرود والتفكير ، فجلست صامتة إلى جواره ، ولما لم يحدثنى سألته : « ماذا بك ؟ » فنظر إلى قليلاً ثم قال : « كان مالك ومال الهم اللى أنا فيه ده ؟ .. واحدة زيك صغيرة وحلوة ، كان زمانها دلوقت بتتفسح وتخرج وتهيص ... إننى اتظلمتى معايا » .

قلت : « الحمد لله الذى أنعم علينا بعمرو ... ماذا أريد أكثر من ذلك ؟ » .

ثم عاد إلى الصمت ، وكان متولى قد نقل إلى بعض المخاوف من هذه الزيارة المرتقبة ، لذا قلت له لمجرد الرغبة فى الحديث : « أنا مش مستريحة للمقابلة دى » .

فإذا به يعتدل قائلاً : « دى المرّة المائة التى أسمع فيها هذه الجملة النهارده !!

رحت أجادله : « لماذا لم يحضر إليك كما كنتما متفقين ، حسب المكالمة التى دارت أمامى ؟ » .

قال المشير : قال لى تعبان .. وعنده أنفلونزا » .

كان هذا القول استنتاجاً ، حيث أن المكالمات التى جرت بينهما فى الأيام السابقة ، كان عبد الناصر يشكو أثناءها من إصابته بالانفلونزا ، وكان المشير يعلق على ذلك بقوله : « ده صوته باين عليه » .

وساد الصمت .. قطعه بسؤالى فجأة : « مم تخافين ؟ .. تكلمى بصراحة » .

قلت : « قد يغضبك كلامى .. قال مشجعاً « متصوره إيه .. قولى » .

قلت بسرعة : « يقتلك » .

ضحك المشير .. فقلت : « يقبض عليك .. ويفتعل أدلة اتهام .. ويعمل محاكمة أى كلام تصدر حكما باعدامك ».

رجع إلى الوراء وهو يتنهد : « يعمل لى محاكمة ؟ يا ريت ... ده اللى بتمناه ... محاكمة عسكرية ... عشان أقدر أرد فيها على الاشاعات اللى محفظينها لبتوع الاتحاد الاشتراكى .

ثم نظر إلى قائلاً : فكرك راح لبعيد ... شوفى ، أنا أقول لك يقدر يعمل ايه ... يحدد إقامتى » .

ثم وصف لى وضع القوات التى تحاصر منزله . واستطرد : « مش راح يسكت بعد رفضى العمل معاه ... فلو اشتركت معاه فى الحكم حايشعر بالأمان ... ولذلك هو لابد

يصفى خلافاتنا قبل سفره إلى الخرطوم ، المهم بلاش تقلقى ... أنا كلفت قرايبى فى الصعيد كى يختاروا بيتاً صغيراً نعيش فيه هناك .

* * *

لم يكن متولى وأنا فقط اللذان يشعران بالقلق ، من هذا اللقاء المنتظر ، فإن حسن عامر شقيق المشير ، قال بوضوح « ان عامر إذا ذهب فسوف يعتقله جمال ... من يوم تمثيليه التنحى وكل اللى بيحصل خدعه ـ وأنا غير مقتنع بيه .. لأن اللى بيقوله بيعمل غيره » .

وكان هذا أيضاً رأى صلاح نصر ، وشمس بدران ، وقد أبدى صلاح نصر تشككاً فى نوايا جمال عبد الناصر .

* * *

قلت للمشير : « لماذا لا تقبل ما يعرضه عليك جمال ... وتشاركه العمل لمصلحة البلد ... كما كنتما دائماً ؟ » .

قال بحزن : « الكلام ده كان ينفع قبل الحرب ... لكن دلوقتى ... بعد أولادى ما ماتوا من غير حرب ، ومن غير ما يملكوا حتى الدفاع عن نفسهم ؟ .

قلت له : « فلتكن الحلول مرحلية .. »

رد على بغضب : انتى فاكرانى إيه .. موظف أقبض مرتبى ومخصصاتى ، واتفسح فى أوروبا ، أنا راجل ثورى . ولن أقبل هذا .

تساءلت فى يأس : « وإيه الحل ؟ » .

قال : « هو بيطلب المستحيل . إنى اقعد جنبه طرطور » .

قلت : « انت قلت إنك تريد أن تبتعد عن السياسة ونحن فى اسطال .

قال : « ماسابش لى فرصة الابتعاد ... هو غرق فى أحضان الروس ، وصفى قادة الجيش والتشكيلات المؤهلين ـ أحسن الرجال دلوقت فى السجون أو على المعاش ، طلبات الروس

كده .. لأنهم لو بره السجون ، مش هـا يقبلوا وجود عساكـر ، وضباط روس يصدروا الأوامر ـ ولا الاحتلال البريطانى ـ دايما كنت أقول له إن الروس دول حايغرقونا .. ودايماً رده : هو احنا قدامنا غيرهم ؟

واستمر عامر فى الحديث قائلاً : « لابد من التفكير فى نظام حكم يحترمه العالم .. ولن يحترم حكومات العالم نظاما دكتاتوريا من غير أحزاب ، ولا حرية صحافة ، .. ولا حرية اصدار صحف ، شكلنا غريب ، لا هو نظام رئاسى .. ولا برلمانى ، حاجه كده متفصلة على شخص واحد ، إزاى يآمن أى نظام يتعامل معانا على مصالحه .

مضى الوقت ونحن فى حوار ، إلى أن سمعت طرقاً على شباك حجرة النوم من الحديقة ، وصوت متولى يقول : الساعة اتناشر يا افندم .

قام عامر يستعد للخروج ، وخرجت إلى القاعة ، فوجدت متولى يجهز الحقيبة للمشير ، جلست صامتة انظر إليه ، وهو يعد حاجيات المشير ، كان القلق يبدو عليه ، ولما كنت أعرف رأيه فى هذا اللقاء ، فقد رغبت فى الثرثرة معه وسألته : « لماذا هو قلق » فأجاب : « أنا لست مرتاحاً لهذا التصرف ، فلم يتعود الرئيس اعطاء مواعيد لسيادة المشير عن طريق أحد .

قلت له : « وليه ماقلتش لسيادة المشير كده ؟ » .

بدا الخجل على وجه متولى وقال : « قلت له .. وكان حايضربنى بالنار .. »

استغربت وسألته : « إزاى ؟ » .

قال متولى : « واحنا فى الطريق لسيادتك ، قلت له .. يعنى لو سيادتك تعتذر وبلاش تروح بحجة انك مريض ... أنا غير مطمئن يا افندم ؟

فسألنى : « وضح كلامك .. حاتكلمنى بالألغاز ؟ » .

قلت : « خايف يعمل مع سيادتك زى ما عمل مع كمال الدين حسين » *.

---

* كان جمال عبد الناصر ، قد حدد إقامة كمال الدين حسين ليلة زفاف ابن ناصر ، فبينما ام كلثوم تصدح بالغناء فى بيت جمال ، جاءت قوة برئاسة مقدم من الشرطة العسكرية ، وأبلغوا كمال الدين ان الرئيس يريد مقابلته وأنهم سيرافقونه إلى مكان الرئيس ، وقد تبين لكمال بعد أن ذهب معهم ، أنهم خدعوه وقبضوا عليه .

وواصل متولى حديثه : « أول ما سمع الكلام ده .. راح فاتح تابلوه العربية ، وطلع المسدس ، وزعق لى .. إزاى تسمح لنفسك تتكلم عن الريس بالشكل ده .. لو كلمتنى تانى فى الموضوع ده راح أضربك بالرصاص » وبالطبع اعتذرت له .. فقال : « إزاى تفكر إن الريس يعمل معايا كده ؟

.. دا عشرة ثلاثين سنة وأكثر .. ومش ممكن يفكر فى حاجة زى دى أبداً .

ـ وإنى لأعتقد الآن ، أن المشير تحدث إلى متولى بهذه الصورة ، خوفاً على متولى نفسه ، لئلا يكون الحديث قد سجّل بصورة ما .

وقطع علينا الحوار نداء المشير « يا عمرو » وكان يقصدنى ، فأسرعت إليه ، فسألنى : « انت حاطة الغيارات فين ؟ » .

قلت ضاحكة : « انت مش ناوى تحفظ مكان الحاجة .. بعد السنين دى كلها .. البدل هنا و «قاطعنى » : « مش ح تعود .. الست عندنا تعمل لجوزها كل حاجة ... سايبانى وقاعدة تتسايرى .. عايزه تعرفى إيه ؟

ناولته الثياب وأنا أسأل : « يعنى ضرورى المشوار ده ؟ » .

قال وهو يرتدى ملابسه فى عجلة « ما تقلقيش .. جايز لأن الريس مسافر الخرطوم يوم الثلاثاء . وعايز ياخدنى معاه .. وأول ما نبعد عن المنافقين اللى حواليه ونقعد مع بعض بنتفاهم ، وكل شىء بيتحل » .

اتم المشير ارتداء ثيابه ، وطلب رؤية عمرو ، ولم يتنازل عن رغبته برغم قولى إنه نائم .

احضرت « عمرو » فأخذه بين يديه ، وضمه إلى صدره وقبله ، «فتفلفص عمرو وزام وحاول أن يخربش وجه المشير » .. فضحك وقال : « ده وحش مش عيل .. العيال تعيط وده يزوم » .

ثم بدا على وجه المشير الجد ، ونظر إلى المرآه قائلاً : « إذا لقيتى المرآة مكسورة أو أى شىء مكسور ، اعرفى على طول انهم استعملوا معايا العنف ، وإذا لقيتى بقعة دم ، تعرفى



اجتماع المشير والامبراطور هيلاسيلاسى امبراطور أثيوبيا ، وفى الصورة الامبراطور يقدم هدية للمشير عام ١٩٥٩.

إن الموضوع فيه دم ، يعنى قتلونى ، دى إشارة ، تتبعى أخبارى فيها إشارات ورموز تعرفى منها كل حاجة .

وفكر قليلاً ثم قال : « لو اعتقلونى فى البيت حاتعرفى أخبارى ، أما لو خدونى حتة تانية واعتقلونى بعيد ، راح ابعت اشارات معناها عايز أعيش ... أطلب كتابا ، ماكينة حلاقة دى إشارات تفهمى منها إنى لسه حى » .

دارت بى الأرض .. فإن كلامه دفعنى بعنف ـ وعلى غفلة ـ من مناخ التفاؤل ، إلى مناخ الظنون ، وانكشف الغطاء عن المجهول المتوعد بالويل والثبور .

قلت له : « إيه ده ... المسألة مخيفة بالشكل ده ؟ » .

كان الذعر يملؤنى وأنا أتحدث ، فقال لى : « عايزك تتصرفى كزوجة للمشير ـ عايزك تبقى هادية وأعصابك قوية .. احتمال كبير يكون فيه نية لقتلى .. خصوصاً أن التنظيمات مطلّعة اشاعات بين الجيش ، والأهالى ، بأنى حاولت الإنتحار .. دى طريقتهم يطلّعوا الإشاعة ، ويشوفوا رد الفعل .. وبعدين ينفذوها » .

سألته : « ومين اللى عايز يقتلك ؟ » .

لم يرد على سؤالى ، وإنما قال : « اوعى تصدقى إنى انتحر .. لو كنت عايز أنتحر كنت انتحرت يوم ستة ولا سبعة يونيو .. أنا راجل مؤمن ، ومش عايز أموت كافر » .

سألته وأنا مذهولة : « لكن ليه كل ده ؟ » .

قال : « لأنهم عارفين .. لو حاكموا أصغر عسكرى فى الجيش ، حا أروح المحكمة فى عربة مصفحة واتكلم ، وساعتها يعرفوا مين اللى يتحط فى القفص .. عشان كده لازم يقتلونى ، وينفدوا من المأزق ده » .

خرجت منى صرخة : « يا خبر اسود » . فاستيقظ عمرو وأخذ يبكى ، نظر إلى المشير معاتباً: لا مش دى برلنتى.. لازم تبقى أقوى من كده.. وعلى كل حال دى كلها احتمالات ، وممكن تزول بزوال الخلافات » .

وجاء متولى ليبلغ المشير بوصول عباس رضوان . فقال المشير : « لازم امشى دلوقت » .

وأعطانى عمرو فأخذته وأنا شبه غائبة عن الوعى ، وعندما رأيت المشير يتحرك مبتعداً ، ناديت خالتى ، وأعطيتها عمرو ، ثم عدوت خلفه ، ووضعت رأسى على صدره ، ولكنه ربت على رأسى ، ثم مضى صامتاً .

كانت دموعى تنهال وأنا أمشى معه إلى بوابة الحديقة ، وقلت له : « عندما تعود غداً من عند الريس ، لازم أشوفك على طول .. فلن أنام حتى أراك ولو لدقيقة واحدة قال : «بسيطة » .

أوصلته إلى السيارة ، ولم يكن بها سوى عباس رضوان ، الذى أدار موتور العربة فور رؤيته للمشير قادماً .. وانتظرت حتى صعد المشير ، واستقر بجانب عباس رضوان ، فأمسكت بيده ، وقبلتها لأول مرة وأنا أقول : « ربنا معاك » فأشاح بوجهه ليخفى تأثره قائلاً : « ربنا معانا كلنا » .

وقال لى عباس رضوان والعربة تتحرك : « تصبحى على خير يا بيلاّ .. خلى بالك من عمرو » .

وتحركت العربة ، وتابعتها حتى اختفت عن عينىّ .

* * *

مضى الليل وطلع الصباح ، ولا أدرى كيف انقضى هذا اليوم ، فأنا أنتقل داخل البيت ، وأؤدى أعمالاً لاقيمة لها ، مجرد تحريك لأشياء صغيرة من أماكنها إلى أماكن أخرى ، أو انظف كوباً من الشاى ، أو أقوم على رعاية عمرو ، وكأن عقلى فى ذلك اليوم قد توقف عن التفكير ، ولم يعد يريد أن يستشعر الزمن ، كان أملى فى ذلك الصباح أن يلغى الزمن ، وأجد نفسى فجأة فى لحظة عودة المشير من لقائه مع جمال عبد الناصر .

ومن لطف الأقدار أنى ظفرت فى ذلك اليوم ، بسماع صوته ، فقرب العصر ، جاءنى منه تليفون ، ودار بينى وبينه حوار قصير . سألته : « بتتكلم منين » .

قال : « من البيت » .

قلت : « وميعادك مع صاحبك ؟ » .

قال : « الساعة تمانية بالليل » .

قلت : « وحاتعمل ايه لغاية تمانيه » .

قال : « عبد الحليم حافظ جاى عندى » .

قلت : « ولماذا لا أراك ساعة قبل أو بعد عبد الحليم » .

قال : « عبد الحليم اتكلم كتير عشان ياخد ميعاد ، وما اقدرش أخلى بيه » .

وإنتهت المكالمة ، بعد أن وعدنى بزيارتى فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .

وضعت السماعة وأنا فى دهشة من ردوده القصيرة المقتضبة ورغبته فى إنهاء المكالمة بسرعة ، وتذكرت أنه حذرنى من قبل من أن التليفونات مراقبة .

وانتظرت زحف المساء ، ومنذ بداية الليل ، وأنا أتلهى لتسكين قلقى .. اتفرج على التليفزيون ، أو أقرأ كتاباً ، أو أستمع إلى الراديو ... وفى كل الأحوال لم اتفرج ، ولم اقرأ ، ولم أسمع .

جاءت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، ولم يأت المشير ... لم يأت .

قضيت الليل ساهرة ، لم يغمض لى جفن ، ولم يهدأ لى بال ، ولكى أطيب نفسى ، خاطرها ، رحت التمس الأسباب وأقول ـ لعل الرئيس دعاه إلى مشاهدة فيلم ، وبدأوا متأخرين .. فإن كانوا قد بدأوا فى الثانية عشرة ، أو الواحدة ، فلن يعود عبد الحكيم قبل الثالثة ، أو الرابعة صباحاً .. وقد جاءت الرابعة صباحاً ولم يأت المشير .

طلبته فى بيته ، وظل الجرس يدق ولا من مجيب ، وأدهشنى هذا ، فإن التليفون يدق فى غرفة الحرس ، وهم دائمون هناك ليلاً ونهاراً . لم يعد أمامى سوى الإنتظار .. وإنتظرت .

وما كاد يظهر ضوء النهار ، حتى خرجت ومعى اختى زهرة ، وركبنا العربة ، وانطلقت ومعى زهرة إلى بيت المشير لاستطلع الأخبار .

وفى أول شارع الطحاوى بالجيزة ـ حيث بيت المشير ـ لاحظت أعدادا كبيرة من رجال البوليس الحربى ، فهدأت من سرعة العربة ، وسرت ببطء حتى اقتربت من سور الحديقة ، فرأيت الجنود متربصين حول البيت ، وبعضهم الآخر كان منتشراً فى الحديقة .

ابطأت فى سيرى بطأ شديداً ، وجاءنى خاطر أن أدعى أنى قريبة متولى ، وأطلب من أحد العساكر أن يناديه .

توقفت العربة أمام بعضهم ، وقبل أن أفتح فمى بالكلام رأيته يشير بيده لأبتعد ... ويقول بصوت خافت يفيض خطورة ، روحى ... روحى ... إمشى من هنا » .

عدت إلى البيت ، وقد اطبقت على وحدة قاتلة .. هل رأى أحدكم « كابوس » وهو يقظان ، يخنقنى الآن كابوس يقظتى ، اتخبط بين جدران بيتى ، وشعور بالعجز يفتك بى ، وفى لحظة غضب امسكت ، بسماعة التليفون ، لأنقل عبره للناس ، الذين لا أعرفهم ولا يعرفوننى ، لأقول لكل من يرد على ندائى ان « المشير اعتقلوه » .

ولا أنسى ما تلقيت من ردود فى ذلك اليوم ، لا أنساها لتناقضها أحياناً ، ولجفوتها أحياناً أخرى . ولكنى لم أكف ، كأنى فى حالة هوس يرغمنى ارغاماً على إذاعة نبأ اعتقال المشير ، بالطريقة الوحيدة التى املكها ... التليفون .

كانت الأصوات المجهولة ـ وغير المجهولة ـ تأتينى عبر التليفون معقبة على النبأ الرهيب : « يا ساتر يارب » ثم يغلق التليفون .. أو يقول « مين .. إيه ده » ثم يغلق بسرعة ، أو يقول وأحنا مالنا .. أو « إيه يعنى » ثم يغلق التليفون .

كان واجبى أن أفعل شيئاً ، وأشد العذاب أن يجب عليك الفعل دون أن تدرى ماذا تفعل ؟

فبعد توزيع المنشورات التليفونية على النحو الذى ذكرته ، زاد عندى الشعور بالوحدة والعجز ، وانتظرت أن يأتينى أى شخص من رجال عبد الحكيم ، ليقول شيئاً عما يجرى أو جرى ، ولكن أحداً لم يأت ، ولا حتى متولى حارسه الأمين الملازم لعبد الحكيم .

ومع الوقت ، أخذت مشاعر الخوف تتكاثر ، وإحساسى بعزلتى يتزايد ، فأنا لا أجد من أطلبه ، ولا أجد أحداً يطلبنى ، وكأن جميع الروابط التى تربطنى بالوجود قد تقطعت .

وفجأة رن جرس التليفون ، فجريت إليه ، ورفعت السماعة ، فإذا بى أسمع على الطرف الآخر صوت عبد الحكيم يتحدث فى رتابه ، وبلغة تلغرافية : « أنا كويس .. أنا كويس خللى بالك من عمرو .

سألته أين أنت ، كيف حالك ، ولكن لم يبد عليه أنه سمعنى ، فهو لم يرد على أى سؤال من اسئلتى ، وإنما ظل يردد عبارته السابقة : « أنا كويس .. أنا كويس .. خللى بالك من عمرو » ثم وضع السماعة . وتركنى فى حيرة من أمر هذه المكالمة .. لماذا لم يرد ، هل هو لم يسمع صوتى .. واعتقد الآن أنه كان يحدثنى من جهاز يرسل ولا يستقبل .. فصدق علينا المثل القائل : « أعمى ينادى على أطرش لا ده شايف ولا ده سامع » .

وضعت السماعة وجلست وحيدة . وخيل إلى أن الدنيا تتباعد عنى ، أين الأصدقاء ، أين الحراس ورجال المشير ؟!

ولما كان من المستحيل أن أطيق هذه الحال ، فقد قررت الخروج إلى الشارع ، وطلبت من خالتى « فتحيه » ان تأخذ عمرو الى منزلى بالعجوزة ، وأوصيت اختى « زهرة » بالا تبرح البيت ولا تأتى بأى عمل فى المنزل ، بعيدا عن التليفون .

وفيما انا منطلقة بالعربية فى الطريق ، عاودنى هوس إذاعة النبأ ، فكنت اقف بالعربه امام اى جماعة اصادفها واقول لها « المشير عامر حددوا اقامته : المشير عامر راح يقتلوه »

وتجاهلنى الناس ، وفروا من امامى ... لم يهتم احد بمناقشتى ، ولم يدفعهم الفضول للسؤال عن أى شىء !! كانوا ينظرون الى واجمين ، فإن انتهيت من كلامى تباعدوا ، وكأنهم رأوا شبحا لا إنسانا يتمزق ألما وغضبا .

رحت أدور بعربتى كالتائهة فى الشوارع، انظر الى الحشود من رجال الشرطة العسكرية، والمباحث الجنائية ، وهيئات أخرى لا أعلمها ، .. والعربات المصفحة التى تقف فى ميدان الجيزة والجامعة ، وكل الشوارع المحيطة بسكن عبد الحكيم عامر .. الجنود بملابس الميدان فى كل مكان ، ينشرون على المنطقة جوا من الجهامة والرهبة .

دخلت بالعربة شارع النيل ، ولم أكد أمضى فيه ، حتى تذكرت صديقة لى تسكن فى نفس الشارع على مقربة من بيت المشير .

تلقفت مشاعرى هذا التذكر باهتمام تشوبه الراحة .. هاأنا أجد من أتحدث إليه ، فأسرعت إلى بيتها .

كانت تلك الصديقة ، هى « مدام ظافر » زوجة الكاتب السياسى السورى « ظافر الصابونى » .

لم تكن مدام ظافر على علم بما بينى وبين عامر ـ أو هكذا كان يبدو لى ـ وقد اعتدت زيارتها لمعرفة قديمة تربطنى بهذه الأسرة ، بل وزارنى عندها حسن عامر ، ومصطفى عامر عدة مرات ، وكان المشير نفسه يصلنى هناك أحياناً باسم « الدكتور » ولعلها شعرت بهذه العلاقة على نحو ما ، وإن لم تصارحنى ما دمت لم أصارحها .

استقبلتنى « مدام ظافر » بحفاوتها وودها المعهودين ، بل ولاحظت هذه المرة زيادة فى الحنو والرقة ، وأخذتنى إلى شرفة منزلها ، المطل على النيل ، فجلست هناك شاردة أنظر إلى مياه النهر ، وافكر فى الفيلا القريبة منى حيث بيت المشير .

وأفقت من شرودى على صوت الطباخ ، وهو يقدم فنجان الشاى ، وبعد أن وضعه أمامى ، وقف يقول : « امبارح كان فيه دوشه يا ست هانم فى بيت المشير » !

سألته : « ليه »

أجاب : « كان فيه ضرب نار ... وضباط وعساكر كتير ، والحتة كلها كانت مقلوبة » .

أظهرت للطباخ فضولاً ، وميلاً إلى الإنصات فاسترسل قائلاً : « تصورى حضرتك الميدان بتاعنا ده ـ يقصد ميدان الجيزة ـ مليان دبابات وضباط وعساكر .. وعربيات جيش على الكوبرى .. أنا يا ست هانم شفت كده جريت على فوق وقلت للست .. وبصينا من البلكونة ، شفنا مراكب شكلها غريب ـ يقصد اللنشات العسكرية ـ وبعد شوية سمعنا ضرب رصاص .

أصابنى ذعر ، فسألته بتلقائية : « حدّ مات ؟ » .

رد بقوله : « ما حدش عارف حاجة .. كل الناس كانت خايفة تقرّب من بيت المشير !»

لم أكن أرغب فى أن ينهى حديثه .. فتساءلت : « كل ده حصل فى بيت المشير ؟ » .

قال الطباخ : « آه .. والجيران قعدوا يسألوا بعض ، ولا حد عرف يجاوب » .

قالت مدام ظافر : « كل الناس كانوا مذعورين ، وغير مصدقين لما يحدث .. وسمعت بعض الناس يقولون : « لعله انقلاب فى الجيش .. وكنا نسمع طلقات الرصاص ، بين الحين والحين .

* * *

وأنقل للقارىء حكاية هذا اليوم ، كما عرفتها بعد من أمين عامر ، وعباس رضوان ، وأقارب المشير ، وأصدقائه .

بعد أن أصبحت المنطقة كلها محاصرة بالدبابات ، والجنود ، وبقوات يقودها محمد فوزى ، واللواء محمد صادق رئيس المخابرات الحربية ، والليثى ناصف قائد حرس رئيس الجمهورية ، وسعد عبد الكريم مدير الشرطة العسكرية .

عندما أحاطت القوات بمنزل المشير ، أغلق محمد أبو نار البوابة الحديدية ، ليمنع دخول أحد إلى القوات المحاصرة .

وكانت الخطة تقضى بالقبض على كل الموجودين بمنزل المشير من الضباط ، والأهالى حتى لو اقتضى الأمر تدمير المنطقة كلها ..

وطلب محمد فوزى من شمس بدران ـ عبر الباب الحديدى ـ أن يسلم نفسه هو ومن معه . ولكن شمس رد عليه بأنه لن يفتح الأبواب إلى عند مجىء المشير والأطمئنان عليه .

وكرر فوزى طلبه بتسليم أنفسهم ، وأصر شمس على عدم فتح الباب لهم . إذ كانت تعليمات المشير له ، بألا يسلم نفسه هو ومن معه ، مهما كانت الظروف .

كان فوزى مرءوساً لشمس بدران ، وأصبح الآن قائداً للجيش ، وأصبح الموقف مليئاً بين الاثنين بالكراهية ، وجرت بينهما استفزازات كلامية بدأها محمد فوزى قائلاً لشمس : « أيام الأنزحة راحت خلاص .. وما عدش ليك قيمة .. » ورد شمس : « انت ولا حاجة.. وحا تفضل طول عمرك ولا حاجة » وتبادلا ألفاظاً أخرى كلها شتائم وإهانات .

وأثناء هذه المهزلة حضر عباس رضوان ـ بناء على أوامر جمال عبد الناصر ـ وجاء عباس رضوان ، وطلب من محمد فوزى الابتعاد عن البوابة ، وترك الأمر له ، فقال له محمد فوزى : « الريس كلمنى دلوقت .. وقال انك جاى » وابتعد محمد فوزى إلى الرصيف المقابل .

ثم فتح الضابط باب الفيلا لعباس رضوان ، فدخل ، وفور دخوله سمع صراخاً فى الداخل ، وبكاء أبناء المشير وبناته ، وكان هذا طبيعياً للتوتر الشديد الذى تعرض له هؤلاء الصغار ، وهم يرون جيشاً كاملاً يحاصر فيلا والدهم .

واستطاع عباس رضوان أن يقنع الضباط بتسليم أنفسهم ، مستغلاً صراخ أولاد المشير للتأثير على الضباط المعتصمين .. وأنه لا ينبغى لهم ان يقوموا بتعريض أبناء المشير لمثل هذا الموقف .

وقد تم الاتفاق على ذلك بين عباس وشمس ، أثناء اجتماعهما فى غرفة نوم المشير ولم يجد شمس بدران بداً من الموافقة على التسليم ، حرصاً على حياة المشير ـ بعد أن أفهمه عباس أن المشير رهينة ـ وحفاظاً على أهله ، وكذلك حفاظاً على المنطقة كلها ، فلو وقع اشتباك لدمرتها قوات محمد فوزى ، حسب الأوامر !!!

وبعد أن توصلا إلى هذا القرار ، اتفقا أيضاً ـ فيما بينهما ـ على حرق كل أوراق المشير ، خاصة أنها كانت مؤلفة من عدد من نسخة الاستقالة ٦٢ ، والبوسطة الدورية ، وكان عبد الناصر قد أمر الجهات المختصة بقطعها عن المشير ، لكن هذه الجهات كانت ترسلها بطرق خفيه ، وكان المشير قد طلب مراراً من المقيمين معه التخلص من هذه الأوراق ، خوفاً من وقوعها فى أيدى الأجهزة ، فيضار القادة المسئولون عن إرسال هذه « البوسطة » .

واستغرقت عملية حرق هذه الأوراق أربع ساعات ، ومن المضحكات ـ أن كان فى المآسى مضحكات ـ أن يقال فى أثناء محاكمة شمس بدران ، أن هذه كانت أوراق المؤامرة التى أحرقوها ، فهل يكتب الناس مؤامراتهم فى تلال من هذه الأوراق فى حين أن خطة الثورة نفسها ، لم تكن مكتوبة سوى فى ورقة بحجم الكف .

ومن قبيل هذا التلفيق ، ما وقع عند لقاء عامر وجمال فى منزل الأخير بمنشية البكرى ، وكان ذلك عقب عودة جمال بعد « تمثيلية التنحى » ، وتصادف وقت اللقاء .. إن كانت

هناك سرية صغيرة من الجيش ، فأراد افرادها التعبير عن مشاعرهم قبل عبد الناصر وعبد الحكيم ، فخرجوا يقودهم أبو نار يهتفون « ناصر ، عامر » .. وكان هذا هو هتافهم الوحيد ـ عند بيت عبد الناصر ، وهذا هو أيضاً كان هتاف الجماهير فى الشوارع . وهذا أيضاً شائع فى الأغانى ـ وكان هدفهم اظهار الولاء لرئيس الجمهورية ، ولقائد الجيش .

وقد تم القبض علي جميع أفراد هذه السرية ، وصورتها أجهزة الإعلام أنها كانت مؤامرة ، دبرها عبد الحكيم عامر ضد جمال عبد الناصر .

ونعود إلى شمس بدران وعباس رضوان ، فقد خرج الأخير ، وطلب من محمد فوزى المجىء لاستلام الضباط الذين أخرجهم عباس رضوان مستغلاً صراخ بنات المشير وإنى لأرى أن عبد الناصر ، قد استغل عباس رضوان ـ صديق المشير ـ ضد مصلحة المشير نفسه دون أن يدرى ، وسلم الضباط لقمة سائغة لأجهزة عبد الناصر .

وكان تعليق المشير عندما علم أن شمس سلم نفسه قوله : « أنا قلت له ما تسلمش وما يهمكش حياتى ، مصر أهم ، دى ثورة تانية .. قاوم مهما حدث ، واضرب ، لازم الناس تصحى ، وتعرف ايه اللى بيحصل فى بلدها .

* * *

زاد ما سمعته من مخاوف وقلقى .. وخفت أن يكون قد أصابه مكروه .. وكنت أعلم أن فى منزله المحاصر الآن ، عددا كبيرا من ضباط الصاعقة المفصولين ، وعدداً من أقارب وبلديات المشير جاءوا من اسطال لحراسته ، وان الفيلا مليئة بالأسلحة الخفيفة .

وتداعى إلى خيالى فى تلك اللحظة ، حوار دار بينى وبين عبد الحكيم عامر حول هؤلاء الضباط ، قلت له ساعتها : « وجودهم عندك حا يوسع الخلاف بينك وبين الريس .. »

أجابنى عامر : « بالعكس .. أنا عملت كده علشان أحمى الريس من تهورهم .. لأنهم معروفون ومحبوبون بين أفراد الجيش .. ووجودهم عندى ضمان لعدم تورطهم فى أى عمل عسكرى ضد الريس .. أنا قصدى أحميه منهم فى الحقيقة .. لأنهم شاعرون بالمهانة من الإشاعات اللى طلعتها الأجهزة بتاعة سامى شرف وشعراوى جمعة عن الجيش » .

وافقت على صوت مدام ظافر تقول : « السياسة شيء فظيع .. عندنا فى سوريا السياسة تفرق بين الأخ وأخوه .. والأب وابنه ، .. السياسة تفسد أى إنسانية ، ولا تستغربى من حدوث أى شيء ، ما دام الأمر قد وصل إلى حد إعتقال المشير وتحديد إقامته .

كانت تتكلم وهى تتفرس فى وجهى ، وكأنها تقدم لى الحديث شخصياً ، بدأت الدموع تنهال رغماً عنى .. وأظهرت مدام ظافر عطفاً وتفهما ، وقالت بصوتها الناصح العطوف :

« لا .. لا ينبغى هذا الآن ـ لا تضيعى الوقت فى البكاء .. يجب أن تظلى قوية .. حتى تكونى مستعدة لما قد يفعلون .

نظرت إليها فى فزع : « يفعلون ؟ .. يفعلون ماذا ؟ .

ابتسمت فى رفق قائلة : « يفعلون الكثير .. لن يتركوا ثقباً فى بيتك دون أن يفتشوا فيه ، ولن يدعوا ورقة دون أن يقرأوها .. وسيراقبون تليفونك ، ويتبعون خطواتك ، لا تبك الآن .. ورتبى أمورك .

نبهتنى مدام ظافر لما لم أكن متنبهة له . فقد كان لديها خبرة بالأساليب البوليسية ، والصراعات السياسية .. ولم تضيع وقتاً ، فأخذت تستحثنى ـ وقد انكشف المستور ـ على الاسراع إلى بيتى ، وعمل اللازم تحسبا لما قد .. يفعلون .

قدمت لى « مدام ظافر » كثيراً من النصح ، ونصحتنى بأن أدع عمرو فى أيد أمينة ، ولا أرضعه فى تلك الظروف .. وأن أتأهب لمرحلة مريرة مقبلة .

خرجت من عندها إلى بيتى مباشرة ، وقد استقر قرارى على ترك هذا البيت والإقامة فى شقتى المطلة على النيل ، ولممت ثيابى ، وبعض الأشياء التى أعتز بها ، وكان أكثر الأشياء استيلاء على اهتمامى ، هى ثياب المشير ، فقد جمعتها فى الحقيبة ، كما وضعت كتبه فى صناديق ، وأشرطة أم كلثوم التى كان يحبها .

وطلبت أخى هشام عن طريق التليفون ، ودعوته ليساعدنى فى حمل الحقائب والصناديق ، وأعطيت أختى هذه الحقائب لتضعها فى منزلها عند والدتى حتى لا تتعرض للتفتيش والمصادرة ، وغادرت بيت الزوجية .

عدت إلى منزلى فى شارع النيل ، وفور عودتى اكتشفت أنه لم يبق معى سوى عشرين جنيهاً ، وكان هذا هماً جديداً ، فمن أين أنفق ؟ .. كان المشير يعطينى مصروفاً شهرياً مائة وخمسين جنيهاً ، ثم ازاده إلى مائتين .

شغلنى التفكير فى هذا بعض الوقت ، وتذكرت لحظتها يوم جاء المشير وبصحبته أخوه الأكبر « عبد المنعم عامر » وأعطانى المشير حقيبة « سامسونايت » وقال لى ضعى كل ما معك من مصاغ فى هذه الحقيبة » . فوضعت كل مصاغى وحليى دون مناقشة ، فوضع المشير فيها ألف جنيه ، ثم أغلق الحقيبة ، وأعطاها لأخيه قائلاً : « دى بتاعة بيلا .. شيلها معاك أمانة » . فأخذها الحاج عبد المنعم عامر .

فى قلب حيرتى فى هذه اللحظة ، لحظة اكتشاف الحاجة إلى مال ، أدركت مدى بعد نظر المشير ..

ولم أكد التقط أنفاسى ، حتى استفزتنى فكرة أن يتصل بى المشير فى بيتنا بالهرم فقررت العودة إليه مرة أخرى ، ولم أصغ إلى اعتراضات خالتى « الحاجة فتحية » وشقيقى لخوفهما علىَّ من الذهاب وحدى ليلاً فى مثل هذه الظروف .

عدت إلى بيت الزوجية بالهرم ، وجلست انتظر . دق جرس التليفون ، فانتزعت السماعة بسرعة قال : « مازلت حياً أرزق .. كونى مؤمنة بالله وإرادته ، عمرو معك كعبد الحكيم تماماً .. احرصى عليه .. النية لقتلى أصبحت مؤكدة .. الروس يلعبون دوراً فى منتهى القذارة .. ينفذون مخططهم ، والراجل ـ يقصد الريس ـ غارق معهم لأذنيه .. سيأكلوننا واحداً واحداً .. ثم اختنق صوته ـ الأمر لله ـ » .

وقطع الصوت ، كان صوت عبد الحكيم عامر ، وتشنجت يدى على سماعة التليفون ، لا أريد أن أبعدها عن أذنى ، أشعر بقبضة باردة تعتصر قلبى .. وتدوى فى رأسى عبارته : « النية لقتلى أصبحت مؤكدة » .

ولأول مرة أشعر كيف يكون الإنسان محاصراً وهو طليق .. لا أحد أذهب إليه ، لا مغيث استغيث به سوى الله ، لا شىء أستطيع أن أفعله من أجل عبد الحكيم ، ليس أمامى سوى التليفون .

عاودت فعلتى ، أكلم الناس ، لأقول لهم : « المشير متحدده إقامتـه .. المشير راح يقتلوه .. مش عايزين يحاكموه عشان الناس ما تعرفش الحقيقة .. » .

وكان الجواب على صرخاتى هو ذاته كل مره : يا ساتر يا رب .. إزاى ده .. يا ستى انتى مين ؟ وفى كل الأحوال كان الخط يغلق فى وجهى .

وفى الطريق فعلت نفس الشيء ، لم أكن أملك سوى هذا الفعل ، وكما كان الناس يغلقون التليفون فى وجهى ، كان يفرون من أمامى فى الطريق !!

ولما أصابنى الإرهاق ، قصدت إلى منزل صديقتى « مدام ظافر » . وجلست فى شرفة بيتها ، انظر إلى النيل وإلى بيت المشير ، وسألت « مدام ظافر » التى كانت بجوارى : « ماذا سيحدث الآن ؟ » قالت لا يستطيع أحد أن يعرف ماذا يمكن أن يحدث » .

سألتها : « ماذا سيفعلون به ؟ » .

قالت : « لا أحد يدرى .. فقد يحاكمونه » قاطعتها : يا ريت ـ قد يضعونه فى المعتقل .. المهم الا تشغلى بالك الآن بهذه التساؤلات ، وانتبهى لنفسك ، وولدك عمرو ..

وقطع حديثنا صوت جرس الباب ، فترقبنا القادم ، فإذا القادم أمين عامر ـ ابن شقيق المشير حسن عامر ...

استقبلته فى لهفة ، فهو يعيش فى منزل عمه ـ المشير ـ ولديه كل أخباره ، وكان محبوباً من عبد الحكيم ويثق به .

كان أمين شاباً فى الثامنة عشرة تقريباً ، وقال حين دخل : « سألت عنك فى الشقة قالوا فى الهرم أو عند مدام ظافر .. ولقيتك هنا » .

ثم أخرج من جيبه مائتى جنيه .. ـ مصروف الشهر ـ وقدمها لى .

سألته عن أحوال عمه ، فأكد لى أنه فى حال طيبة ، وأنه يقضى وقته إما فى قراءة كـتاب ، واما فى لعب الشطرنج أو مع احد أولاده .

سألته : « الم تعرف منه ماذا جرى عند لقائه بجمال عبد الناصر فى منزله » .

سكت أمين عامر برهة ثم قال : « أشعر أن عمى فى محنة كبيرة ... زى ما يكون منتظر موته .

أفزعنى هذا القول ، وقلت له : « ما الذى دعاك إلى هذا القول ؟ » .

قال : « عمى أظهر لى معصمه صباح اليوم ، فإذا به بقعة زرقاء ، ودهشت لذلك فسألته عن السبب فقال : « ده حصل لما زقيت زكريا .. أصلى لما رحت عند الريس ، لقيته لامم الشوية « بتوع آمين » كان هناك زكريا وحسين الشافعى وأنور السادات ، وأنا وكنت عارف أنه محضر التسجيلات زى عوايده .. وعايز يسجل لى ، وابتدا يكلمنى عن جلال هريدى ، ولكنى كلمته فى أحوال البلد ، والحريات ، وطبعاً ما كانش قادر يواجهنى .. فكان يدخل يقول كلمة ويخرج ، وطلبت منه يتعمل لى محاكمة عسكرية علنية ، عشان الناس تعرف مسئوليتى ومسئوليته عن الهزيمة ، وحا اقول اللى جرى »

ولكن الريس قال لى : « مش ممكن لأن اسمك مرتبط باسمى » .

وخرج ثم عاد بعد برهة وقال : « احنا قدرنا نتحفظ عليك ونحدد اقامتك » . فقلت له : « اخرس قطع لسانك .. انت حا تتحفظ عليه ؟ » وهجمت عليه ، وقلت له : « الرجولة انك تواجهنى راجل لراجل ، مش لامم الشوية بتوعك ؟ » ... ولولا حاشنى زكريا .. كنت حا اضربه على الخدعة القذرة دى ـ يقصد عزومة العشاء ـ

كان أمين عامر يتحدث وأنا أصغى إليه باهتمام شديد ، وكنت استدرجه لمواصلة الكلام كلما أبدى فتوراً فى الحديث ، كنت أريد أن أعرف كل شىء عن عبد الحكيم فى هذه اللحظة ، ووجدت فى أمين الذى يقيم معه بصفة دائمة ، فرصة لا أريد أن أضيعها ، فطلبت منه سرد كل التفاصيل عن لقائه الأخير بجمال .

استمر أمين يروى على لسان عمه : « أنا قلت لزكريا ... يا زكريا انت مصيرك مرتبط بمصيرى .. وزعقت لحسين الشافعى وقلت له : « انت بقالك خمستاشر سنة ماقلتش رأى .. ودلوقتى جاى تقول رأيك فى اللى ما تعرفوش .. وبعدين خرجت من الباب لقيت ضابط ماسك مدفع رشاش ، صرخت فيه : « إذا كنت راجل اضرب بالرصاص .. عبد الحكيم عامر واقف قدامك أهوه » .

وختم أمين حديثه بقوله : « هذا ما رواه عمى عن اعتقاله فى منزل الرئيس .. » .

قلت لأمين : « وكيف حاله هو » . قال : « قلق .. وطلب منى أن أذهب إلى المنزل لاستفسر عن صحة عمرو ، وأديكى المصروف » .

ولما سكت قلت له : « هيه .. وبعدين .. قول كل اللى تعرفه . فقال : « بالأمس قلت لعمى ـ يقصد المشير ـ ان هناك اشاعة قوية عن جلال هريدى بتقول إنه إنتحر فقال لى : « يبقى ناويين يقتلوه .. زى ما طلعوا الإشاعات عنى وقالوا انى انتحرت ... وأدينى عايش أهوه » . اسمع يا أمين تعالى معى .

وأخذنى وسار بى إلى حجرته وكتب ورقة بها : « إذا مت أو حدث لى شىء فسيكون عبد الناصر هو الذى قتلنى ، وكتب مثلها عدة نسخ ووقع بإمضائه وطلب منى أن احتفظ بها » .

وأطرق أمين عامر برهة ثم قال : « ان عمى يتوقع نقله » فسألته ، لماذا ؟ .. وما هو الفارق بين هنا أو أى مكان آخر ، ما دمت لا تستطيع الدخول أو الخروج ، وحول البيت حرس رئاسة الجمهورية ، ورجال المخابرات اللى تابعين لرئاسة الجمهورية ، والمنزل ليس به سوى أولاد عمى ومرات عمى .. ولا اعتقد أن هناك داعيا للنقل ، فما الفرق ؟!

قال عمى : « لا .. فيه فرق .. البيت هنا فيه شهود ، حتى لـو كانوا من رجالته ـ فهـو لا يستطيع أن يفعل شيئاً أمام كل هؤلاء الشهود ..

وسألت عمى : « شهود على ايه ؟ » .. إذا كان عايز يقدمك للمحاكمة يقدمك !

قال عمى : « مين اللى يحاكمنى ؟ .. ويحاكمنى على إيه ؟ .. ما انا كان فى ايدى كل حاجة وسيبتها له.. وبرضه مش عايز يسبنى .. هو مش راح يستريح إلا لما يخلص منى » .

وأظهر أمين عامر رغبة فى الانصراف ، فقلت له : « بلغ المشير بأنى سأوزع صور استقالته .. ومنشورات عن الوضع الحالى ، وحقائق ما جرى فى الحرب » .

وانصرف أمين على أن يأتى لزيارتى غداً ، لتظل الصلة بينى وبين عبد الحكيم قائمة من خلال ابن أخيه ، وليبلغنى رد المشير .

وفى اليوم التالى ـ عندما جاء أمين ـ سألته عما قاله المشير بخصوص المنشورات .

قال أمين : « عندما ذكرت ذلك .. قال إنها جريئة .. وممكن أن تفعل أى شىء » .

وكان عبد الحكيم عامر لين الجانب بالنسبة لأبنائه ، ولأبناء اخوته ، وبالذات أمين عامر ابن أخيه حسن عامر ، وعودهم عبد الحكيم على المناقشة معه فى جلساتهم العائلية . وقد نقل لى رد عبد الحكيم ثم اطرق قليلاً قبل أن يعود إلى الكلام ، وأنا أترقب .. قال :

« كنت اتحدث مع عمى عنك .. » فابتسمت مشجعة له على مواصلة الحديث ، خاصة أن علامات الخجل ظهرت عليه مما أثار حيرتى ، واستطرد أمين : « كنت أقول له إنك ـ يقصدنى ـ شجاعة جميلة ومثقفة .. فقال لى ... مش دى اللى أبوك كان مش موافق عليها ؟ » .

واستطرد أمين وهو يقاوم خجله : « قال لى عمى : « إننى لم أتزوج لمجرد اننى أريد امرأة جميلة .. ولكنى وجدت فيها صفات جذبتنى إليها كالذكاء .. والثقافة .. والشخصية الجذابة .. يا أمين بيلا إنسانة ممتازة » .

كان عبد الحكيم معتاداً على مثل هذا القول ، إذا جاء ذكرى فى حديث بينه وبين اخوته ، وأبناء عمومته ، لأن موجة المعارضة لزواجه منى ، كانت قوية داخل الأسرة ، خصوصاً أنْ زوجته الأولى قريبته ، فكان يحرص على أن يفهمهم ـ كلما سنحت الفرصة ـ ان زواجه بى ليس نزوة منه .. وليس لهواً .. وانه وجد فى الصفات ، ما عبرّ عنه ذات مرة لجمال عبد الناصر ، أثناء فترة خطوبتى .. إذ قال له جمال : « يقولون إن برلنتى جميلة جداً » فرد عليه عبد الحكيم عامر بقوله : « ليست مسألة الجمال .. ولكنها امرأة اغنتنى عن صداقة الرجال » .

وإنى لأشهد هنا ، ان عبد الحكيم لم يكن من الرجال طالبى المتعة ، محبى الطعام والنساء والحشيش ، لم يكن عامر فيه شىء من هذا .. كان ثائراً ، عاشقاً لوطنه ، رافضاً للهيمنة الأجنبية ، والعجيب أننا نسينا تماماً ، مغزى أن يحبه رجال الجيش هذا الحب .

استطاعت الأجهزة ـ الموالية للسوفيت ـ تشويه صور عبد الحكيم ، عامدة متعمدة ، تمهيداً لخطة التخلص منه .. وقدمت للناس « حكايات » لا دليل على صحتها ، والعجيب

أنهم صدقوا الحكايات التى أطلقتها الأجهزة ، أى أنهم صدقوا مالم يروا .. وكذبوا ما رأوا ، واعنى به « حب الجيش لعبد الحكيم عامر » تلك الحقيقة التى لم يكن يجهلها فى مصر أحد . ألم يكن لهذا مغزى ؟ !!

ان حب الجيش لعبد الحكيم عامر ، حمى حياة عبد الناصر ، وحمى الثورة من أى قلاقل أو اغتيالات .

نظرت إلى أمين عامر الجالس أمامى مطرقاً فى صمت . ولم يكن هناك ما يسيطر على تفكيرنا سوى عبد الحكيم عامر . وسألته : « ألم يأت أحد قط لزيارة عمك فى هذه الفترة ؟» .

هز رأسه نفياً ، ثم قال : « الوحيد الذى كان مسموحاً له بزيارة عمى هو هيكل .. ولكن حتى هذا لم يأت للزيارة .. ومع أن عمى أرسل له عدة مرات ـ بعد تحديد الإقامة طبعاً .

ـ إلا أن كل من ذهب إليه ، لم يفلح فى العثور عليه .. » .

وبقدر ما آلمنى هذا الكلام ، بقدر ما أثار دهشتى ، فأنا كنت أعلم أن هيكل صديق للمشير . وأفصحت عن تفكيرى لأمين ، الذى قال لى : « عمى قال لى أن هيكل جاء لزيارته يوماً ـ وطلب منه مستعطفاً أن يتعهد له برعاية أولاده ـ أى أولاد هيكل ـ إذا حدث له شىء وأن هيكل ـ فى بداية الخلاف بينه وبين جمال ـ قال لعمى .. إذا لم يصطلحا فلا بقاء له فى البلد ، وأنه سيجد نفسه مضطراً إلى حمل حقائبه ومغادرة مصر .

وصمتنا ... كان الحزن مخيماً علينا .

لا شىء فى القلب سوى المخاوف ، ولا شىء فى العقل سوى عبد الحكيم عامر .

قطع أمين الصمت بقوله : « وقعت قصة غريبة فى بيت المشير .. » وابتسم ابتسامة واهنة وقبل ان أقول شيئاً استطرد : « وجدنا شخصاً مختبئاً داخل المنزل .. زاغ من القوة التى أخذت الضباط ، واختبأ تحت السرير فى إحدى الغرف .. وظل هناك حتى عثرنا عليه .. كان فى حالة إعياء شديدة .. وقد علمت السلطات بوجوده ، وطلب العميد الماحى تسليمه ، وفعلاً سلم العميد أيوب نفسه ... » .

سألت أمين : « وماذا قال عمك عبد الحكيم ؟ » .

أجاب : « قال لى أن العميد أيوب * كان يرافق شمس بدران ، فى رحلاته إلى موسكو ، حتى آخر زيارة له قبل ٥ يونيو مباشرة ، وحضر جميع المقابلات التى تمت مع القادة الروس ، وبالطبع فإنه استمع إلى التأكيدات التى أبداها الروس بخصوص موقفهم معنا . إذا نشبت الحرب بيننا وبين اسرائيل ، وبالذات ما دار بين جريتشكو وشمس » .

واستطرد أمين وقد عاودته المخاوف : « يبدو أن عمى كمن ينتظر مصيره .. وأن حياته قد أصبحت فى خطر .. لذلك فهو يتحدث معى عن أشياء كثيرة ، ويكلمنى فى أمور ما كان يخوض فيها معى من قبل .

سألت أمين : « وكيف يقضى وقته ؟ » .

قال : « إنه غالباً ما يجلس فى حجرة الصالون يقرأ .. ورأيت معه مؤخراً كتاب « المتمرد» « لألبير كامى » . وأحياناً نلعب الشطرنج معاً ، وإذا أخطأت فى اللعب يصحح لى اللعبة .. وأحياناً يتسلى بتعليم أولاده لعبة « البريدج » وأحياناً يكون منبسطاً فيلعب معهم لعبة « المونوبولى » .

سألت أمين : « وما هى أخبار العائلة » .

قال : « الاعتقالات مستمرة .. اعتلقوا والدى حسن وعمى مصطفى ووضعوا أملاكهما تحت الحراسة » .

ثم قال وهو يطوّح يديه : « إذا كان جمال عبد الناصر يعتقل أقاربه .. أفلا يعتقل أقارب عبد الحكيم عامر ؟ » .

---

* كان العميد أيوب هو الشاهد الوحيد على ما دار بين جريتشكو وشمس ، وبين شمس وباقى القادة الروس من مباحثات ، وما أدلوا به من تأكيدات . وقد وجدوه ميتاً ذات صباح فى زنزانته بالسجن الحربى ، وقالت الأجهزة والتقارير ، انه « انتحر » قبل محاكمته بعد أن تسلم قرار الاتهام !!!

سألته : « من تقصد ؟ »

قال الأستاذ حسن حسين .. ابن خالة زوجة عبد الناصر ـ زوج أخت المشير !!

ثم سألنى أمين عامر : « هل تعرفين شقيق عبد الناصر. الطيار حسين عبد الناصر .. »

قلت : « أعرفه » قال أمين : « جمال طرده من الطيران وهو مازال برتبة رائد !! »

قلت لأمين : « ذلك لأنه زوج ابنة عبد الحكيم الكبرى ، وكان يناصر عمك دائماً فى المناقشات بينه وبين جمال ، ويؤيد وجهة نظر عبد الحكيم فى نظام الحكم الديموقراطى ... بل ويقول لأخيه عبد الناصر ان عمى عبد الحكيم على حق فى تصوره لعلاج المشاكل » .

وكان آخر مواقفه .. وقد قالها لجمال عبد الناصر ـ بأنه يرى أن عبد الحكيم لا يطلب لنفسه شيئاً ، وأن كل مطالبه ، بعد التجارب التى خضناها ، وأوصلتنا لما نحن فيه ، لا تزيد على المطالبة بنظام حكم ديموقراطى .. وأن المشير يريد أن يعرف الناس ، حقيقة ما جرى وقت الحرب ، وقبلها ، وبعدها ، .. وهذا حق بديهى ، وكان حسين معترضاً أيضاً على تصفية الجيش ، مع أن حسين عبد الناصر هو أقرب الإخوة إلى قلب جمال » .

رد أمين : « ومع هذا طرده » .

وانصرف أمين عامر ، وبقيت لحظة غارقة فى أفكارى ، وحاولت « مدام ظافر » أن تجعلنى أتناول بعض الطعام ، ولكنى اعتذرت لها ، فلم تكن بى أى رغبة فى الأكل .

خرجت من بيتها وركبت عربتى ، وفى طريقى سرت ببطء ، متلكئة أمام بيت المشير ... وعيناى تجوبان حوله وخلال الحديقة ، والشبابيك ، لعلى أرى عبد الحكيم .. ورفعت عينى إلى حجرة نومه بالدور الأول ، والتى كان يقيم بها « أخيراً عامر » .. وهى فى جناح بآخر المنزل ، مكونة من حجرة نوم ، وحجرة بجانبها وبها حمام كبير ، أما فى بداية الدور ، فتوجد حجرة الحرس ثم الصالونات على يمين الداخل .

كنت قد عشت فى هذا المنزل فترات قصيرة ، حين كانت السيدة حرم المشير « أم الأولاد » تصطاف بالاسكندرية ، نظرت إلى هـذا الدور راجية أن أرى المشير فى أى مكان منه ، ولكنى لم أفلح ..

واصلت سيرى كسيرة الخاطر إلى منزلى بشارع النيل ، واستقبلتنى خالتى « الحاجة فتحية » فرحه بمقدمى ، وأعربت عن قلقها لغيابى ، وسألتنى أين كنت ؟ » .

سألتها عن أخبار ، أو مكالمات تليفونية ، فأجابت : « لم يرن الجرس ولو مرة واحدة غلط » .

قلت لها : « هذا طبيعى .. فلا أحد يعرف أنى هنا .. والشقة مهجورة منذ وقت طويل » .

ثم اقبلت على عمرو .. والغريب أنى لم أحس ميلاً إلى ملاطفته وكأن مشاعرى قد حدّدت إقامتها بداخلى .

كان الخاطر المسيطر على تفكيرى فى تلك اللحظة ، هو محاولة طرق أى باب لإنقاذ عبد الحكيم .. ولكن الأبواب كلها كانت مغلقة ، استعرضتها فى خيالى واحداً واحداً .. ووجدت استحالة أن أدخل واحدا منها .. هل أشكو إلى رئيس الجمهورية .. هل أذهب للإذاعة ... هل ألجأ إلى الصحافة.. هل أذهب إلى النيابة.. لا.. فكلها جمال عبد الناصر !!

هذا هو النظام الذى كان يرفضه عبد الحكيم ، ويشاء القدر الساخر ، أن يجسد لى معنى الديكتاتورية ، ويذيقنى هذا المعنى قسرا ، ويحرقنى به حرقاً .. فأعيش التجربة كاملة تجربة القهر .. وحكم الفرد .

كل وسائل الغوث المشروعة ، كل أطواق النجاة ، كل منصّات المحاكم .. كلها تكاد تكون ملكية فردية ، لحاكم فرد .

رددت عمرو إلى خالتى ، وهرعت كالمحمومة إلى الطريق مرة أخرى .. ولكن أخذت عند نزولى كمية من الأوراق ، على كل منها نص استقالة عبد الحكيم عامر ، التى قدمها لجمال عبد الناصر عام ٦٢ . ـ وهى غير التى أراد إذاعتها ـ .كان المشير قد طبع منها ألف نسخة ، لتوزيعها حين عجز عن إذاعة استقالته وبيانه عن الحرب ، وتمثل وجهة نظره فى الحكم ، وقمت بتوزيع أكثرها فى مختلف المحافظات . ولكن عبد الناصر أعتبر هذه الاستقالة منشوراً سياسياً يستوجبه اعتقال صاحبه ، بل واعتقال من تضبط معه نسخة منها ، كما فعل مع بعض أعضاء مجلس الشعب فى ذلك الوقت .

وفى الطريق ، وزعت كل ما معى من صور الاستقالة فى أماكن متفرقة ، ولم يحدث ـ ولدهشتى ـ أن سألنى أحد عن مضمونها ، ولم يناقشنى أحد فيما جاء فيها ، ولم يسألنى أحد عن « الموضوع » .

خيل إلى أننى انقلبت شبحاً لا يراه الناس ، ولا يسمعونه .. أنا لم يعد لى وجود .

عدت إلى المنزل مرهقة ، خلعت ملابسى ، واستلقيت على السرير ، فأخذنى نعاس متقطع ، ولا أدرى كم من الوقت مضى على غفوتى ، ولكنى صحوت فزعة على صوت طرق شديد على الباب ، قالت خالتى وفى صوتها رنة خوف : « يا ساتر يا رب من يأتى فى هذه الساعة .

قلت لها : « افتحى الباب ، وانظرى ريثما ألبس شيئاً فوق القميص .. » وقبل أن أتم ارتداء الروب ، فوجئت برجال أمام حجرة نومى !!

غضبت خالتى ، وثارت : « عيب كده .. اتفضلوا على الصالون لغاية ماتغير ملابسها .. »

ردوا عليها ببرود عجيب « حاندور وشنا وهى بتلبس .. بس ما تقفلش الباب » .

أشرت لخالتى أدعوهاللهدوء ، فلا داعى لرفع الصوت فى هذا الوقت المتأخر من الليل ظلت خالتى واقفة معى إلى أن أتممت ارتداء ملابسى .

خرجت إلى الصالة ، فوجدت عدداً كبيراً من الرجال منتشرين فى كل مكان بالشقة ... يفتشون كل شىء ، يرفعون الاثاث ، ويمزقون المراتب .. ويفتحون الدواليب .. يفعلون ذلك بسرعة ونشاط ، وكأنهم فى هجوم ساحق على موقع عسكرى .. وانه لم يكن يوجد سواى ، وعمرو الرضيع ، وخالتى .

جلست على الكنبة فى الصالون ، وتركتهم يفتشون ، فلا حول ولا قوة .. اللّهم الا التسليم بمشيئته، وبين الحين والحين يأتى واحد يقول لرئيسه : « مفيش حاجة هنا يـافندم » .

كان على رأس القوة ، ضابط مباحث ، دمث الاخلاق ، يميل لونه إلى السمرة ، ويميل بدنه إلى السمنة ، وعلى ما أذكر كان اسمه « محمد أو أحمد صالح » .. كان صوته يشوبه بعض الحياء .. وقد شجعنى هذا على مخاطبته .. فقلت له :

ـ كنت انتظركم .. ولكنكم تأخرتم كثيراً ...

اقترب منى وقال بهدوء :

ـ كنا مشغولين شوية ..

ـ ربنا يقويكم ... إن شاء الله تكونوا قبضتم على مصريين كتير ، لأنهم فى الحقيقة أخطر من اليهود !!

خرج فى تلك اللحظة آخرهم وأعلن : « مافيش حاجة هنا يا افندم » عندئذ استدار نحوى قائلاً : « أرجو اعطائى مفاتيح المنزل هنا ومنزل الهرم .. واتفضلى معانا هناك »

قلت : « اسمح لى امر على والدتى » .

فقاطعنى : « بلاش الوالدة دلوقت .. فيه فرقة راحت عندها » .

ملأنى الفزع فقلت : « والدتى .. هذه السيدة الحاجة .. يدخل شقتها عساكر وهى فى هذه السن ... ماذا تستطيع أن تفعل امرأة لا تعرف الطريق إلى شارع فؤاد ؟ .. ماذا تريدون منها ؟ » .

تذكرت والدتى ، وأختى الصغيرة البكر الطالبة بكلية الطب ، وأخوتى من الشباب ... وخفت عليهم من التحرش بالبوليس .

ثرت قائلة « والدتى لن تتحمل مشاهدة هذا كله » .

أكد ضابط المباحث سمو أخلاقه ، إذ قال بصوت خافت « لا تعتقدى إنى راض عن ذلك .. ولكن هذه .. وأشار إلى البدلة الرسمى .. ترغمنى على التصرف بهذه الصورة » .

اخجلنى رده فلزمت الصمت .

ذهبوا بى إلى منزلى بالهرم ، وفتشوا فى كل شىء ، ووجدوا صوراً فوتوغرافية ، التقطت لى فى حفلات بعض السفارات ، وبعض لقطات من المسرحيات والأفلام التى مثلتها ، وبعض خطابات المعجبين ، أيام اشتغالى بالفن ، شاهدوا كل شىء ، وقرأوا كل ورقة ، وأخذوا كل عنوان حتى إذا كان العنوان لجزار ، أو بقال !!

أخذوا يسألوننى عن أسماء من معى فى الصور ، وعن وظائفهم .. وشملنى برود عجيب وأنا أرد على اسئلتهم ، وذات مرة أجبت على السؤال بقولى : « دول سفراء دول العالم ... روحوا اقبضوا عليهم . واقفلوا السفارات لأننى التقطت لهم صوراً .. »

ثم طلب الضابط منى مفاتيح الخزنة ، فأعطيتها له ، وفتحها وأخذ يفتش كل شىء فيها ، ثم أخرج سلسلتى مفاتيح وسألنى : « لمن هاتان السلسلتان ؟ » قلت : « هما لجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .. سادهم الوجوم برهة ، وفحصها الضابط وأنا ألاحظ حيرته ، ثم قال لى : « ولكنهما برجان مختلفان » . كانت السلسلتان بكل منهما ميدالية ، فى قلبها رسم برج صاحبه على « مينا سوداء » وكان عبد الناصر برج الجدى ، أما عبد الحكيم فقد كان برج القوس .

قلت لأرد على ملاحظة الضابط : « هذان البرجان هديتا عيد ميلاد » .

قال : « اتعرفين جمال عبد الناصر ؟ » .

قلت : « لا .. ولكن مصطفى عامر هو الذى طلبهما ليقدمها بنفسه ، واصلوا التفتيش ثم اقترب منى رئيسهم قائلاً : « خذى كل احتياجاتك .. فسنغلق الشاليه بالشمع الأحمر ، ولن تستطيعى المجىء إلى هنا لفترة طويلة » .

شكرت الضابط على حسن معاملته ، وأدبه *.

أعادونى ثانية إلى شقتى بشارع النيل ، فوجدت أنهم خصصوا رجلين للبقاء معى فى الشقة طوال الليل .. وعلى الباب وقف اثنان آخران ، وانتشر عدد منهم على السلم .

---

* من المثير للشجن والحزن ، ان هذا الضابط وكان يدعى « محمد صالح » أطلق عليه أربع رصاصات فى مكتبه بعد هذه ...ة بعدة أسابيع كان مصرياً باراً بمصريته يرحمه الله .

أما منزل والدتى ـ وهو فى شارع قريب منى ـ فقد أرسلوا أربع عربات « جيب » تحمل جنوداً مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وما كادت العربات تقف حتى هبط منها الرجال وصعدوا مسرعين إلى الشقة .. وقال لوالدتى التى أصابها الفزع : « عايزين نفتش الشقة .. مباحث » وكان الآخرون قد بدأوا فى تمزيق المراتب ، وقلب الأشياء ، وعاثوا فى جميع الحجرات فسادا . وقد حدث ان اثنين ارادا أن ينقلا كرسيا من مكانه ، فما كاد يهمان برفعه ، حتى سقطت رجل الكرسى المتهالك ، وجم الرجلان ، ونظرا لبعضهما البعض ثم التفتا إلى والدتى وابتسما .. قالت لهما : « معلهش اصلى ما احبش اسيب بيتى القديم » ثم حشدوا والدتى واخوتى جميعاً فى عربة ، وجاءوا بهم إلى منزلى ، بينما واصلوا هم تفتيش شقة والدتى بدون وجودها . وفى هذه المرة اخذوا معهم كل ما جئت به من شقتى بالهرم .

حبسنا جميعا داخل الشقة ، يملؤنا الإحساس بالقهر ، والعجز .. تحيط بنا ، رشاشات تصوب نحونا ، والأيدى تمزق وتقلب ، ويبعثر كل ما نملك داخل بيوتنا .. ولا اعتراض .. ولاحق فى الاعتراض ، هم أصحاب الحق كله ، والجبروت كله .

لم يكن قد مضى على عودتى من منزل الهرم أكثر من نصف ساعة ، حين أخذونى أنا ووالدتى إلى مبنى المخابرات العامة ـ بعد عودتى من الهرم .

وفى هذا المبنى ، صعدوا بى إلى الدور الأول ، عبر سلم ضيق ، وضعونى بحجرة على اليسار ، تقع فى أول الدهليز الطويل ، أما والدتى فقد وضعوها فى حجرة أخرى .

كانت الحجرة التى أنابها ، تحتوى على مكتب حديدى وكرسى وراءه ، وكرسيين على جانبى المكتب ، وإلى جانب الجدار ، كان يوجد سرير حديدى .

أظهروا لطفاً وليناً فى معاملتى ، وقدموا إلىّ السجائر والقهوة ، بعد عشاء مؤلف من دجاج مشوى وبعض أنواع السلطة ، قدموها وهم يقولون بلطف « حاجة كده على قد الحال » .

سعدت بهذه المعاملة ، واستراحت نفسى ، .. ثم جاءوا لاستجوابى .

كنت جالسة إلى المكتب الحديدى ، وبعد أن قدموا الاعتذار عن اضطرارهم لاحضارى ، بدأوا استجوابهم بقول أحدهم : « نحن نعرف انك زوجة المشير عبد الحكيم عامر » .

أجبت على الفور « أنا لست زوجة المشير عبد الحكيم عامر » .

بدا أن اجابتى فاجأتهم ، وتبادلوا النظرات ، ثم قال أحدهم « لقد جئنا بك إلى هنا باعتبارك زوجة المشير » قلت : « ومن قال لكم أننى زوجته .. » .

قال : « ولكنك تقيمين فى بيته » .

قلت : « ليس هذا بيت عبد الحكيم ، ولكنه بيت مصطفى عامر » .

تركونى وهم فى حيرة من الأمر ، وأغلقوا على الباب بالمفتاح . جلست فى وحدتى ، داخل الحجرة ، وكان أول ما طفا على سطح ذاكرتى قول عبد الحكيم لى : « ليس فى حياتى شىء يأخذونه على ـ انت نقطة ضعفى الوحيدة » .

عادوا إلى بعد قليل ، وقال أحدهم « أمك بتقول إنك زوجة المشير عبد الحكيم عامر » .

قلت بإصرار : « أمى لا تعرف زوجة من أنا » .

قال : « وابنك .. ابن مصطفى أم ابن عبد الحكيم » .

قلت : « ابن مصطفى !!! » .

تركونى مرة أخرى ، وأغلقوا على الباب . ذهبوا إلى والدتى ـ كما أخبرتنى فيما بعد ـ وقالوا لها : « ابنتك تقول ان الولد ابن مصطفى عامر » .

ثارت أمى وقالت لهم ، كيف تقولون هذا .. ده لو ابن مصطفى لكنت مزقته بيدى .. هو ابن المشير عبد الحكيم عامر .

عادوا إلى مرة أخرى ، وكنت قد ازددت تمسكاً بقولى ، بعدما وضح لى مدى الحيرة والارتباك اللذين وقعهما فيها انكارى أنى زوجة عبد الحكيم عامر .

ان اهتمامهم الزائد بأن أكون زوجة عبد الحكيم ، جعلنى على ثقة ، من اننى فعلت الصواب .

لا أدرى لماذا اتبعت هذه الخطة معهم .. وليس لى من تعليق سوى أن أقول ، أن الله ألهمنى هذه الإجابة ، وكانت هى سبب نجاتى من الأهوال ، ونجاة كل من أعرفهم من زملاء وأصدقاء وأقارب وأولاد عامر ـ أقصد الضباط ـ التى رأيتها على أيديهم بعد ذلك .

قضيت تلك الليلة فى الحجرة : وفى اليوم التالى عادوا إلى استجوابى ، وانفقنا النهار والليل فى قـول : « انت زوجـة من إذن » « أنا زوجة مصطفى عامر » « أنا لست زوجـة عبد الحكيم عامر » .

كنت أنتظر حلول المساء ، يراودنى أمل فى أن يفتحوا باب زنزانتى ، ويقول لى أحدهم « اتفضلى روحى بيتك » .. وسبب الأمل أن أحدهم قال لى بعد استجوابى ، رداً على سؤالى « متى أخرج » قال « فى المساء أخبرك .. » .

كلمة ـ قيلت عرضا ـ وربما هزراً ـ فتعلقت بها ، فإن الحنين إلى بيتى وولدى ، فـاض بقلبى ، بينما يمسكون بخناقى فى هذه الحجرة الضيقة المقبضة .

وفى الليل سمعت صوت الباب يفتح ، فخفق قلبى ، وقلت لعلهم جـاءوا ليفرجـوا عنى .

دخل رجلان وقالا لى : « تفضلى معانا .. » وسارا بى فى الممر الطويل الضيق ، وفى نهايته انحرفنا يمينا ، ودخلنا حجرة واسعة . تتوه فيها العين .

كان المكتب أول ما وقع عليه بصرى . ورأيت رجلاً حنون النظرات والملامح ، والصوت . كان يجلس خلف المكتب .

وقريباً منه ، على مقعد ضخم ، رأيت كومة لحم هائلة ، خليطاً من الأذرع والسيقان يعلوها رأس ضخم ، له وجه شديد العبوس ، والاشمئناط ، ونظرة شديدة العداء .

هذا ـ كما علمت فيما بعد ـ كانا حلمى السعيد ذى الوجه العطوف ، وأمين هويدى ذى الوجه العبوس .

فور دخولى نهض حلمى السعيد ، واستقبلنى برقة ولطف ، ودعانى للجلوس .

أما أمين هويدى ، فقد ظل مضطجعاً فى كرسيه ، واضعاً ساقاً على ساق ، وطرف حـذائه ، يعترض الفراغ الكائن أمام المكتب .

جلست ، وشغلنى الرجل الضخم بنظراته التى تسكب علىَّ بغضاً مما يفيض به قلبه ... وعجبت ، فأنا لم أكن قد رأيته من قبل ، ولا أذكر أن قد وقع بينى وبينه ما يستوجب منه كل هذه الكراهية .

دارت عيناى فى المكان ، ورأيت فى مواجهتى نافذة عريضة ، تتدلى من حافتها أسلاك كثيرة وتذكرت أن على نافذتى بعض الأسلاك ، أيضاً .. إذن هم يسألوننى هناك ، ويسجلون لى هنا !!

مد حلمى السعيد يده ، ولمس زراراً فى رقعه ذات ازرار كثيرة موضوعة فى درج مفتوح من ادراج مكتبه .. وبالطبع كان معنى هذا أنه بدأ التسجيل .. قال حلمى السعيد :

ـ كيف حالك ؟

ـ بخير ...

ـ وعمرو ؟

ـ بخير ..

إذ ذاك مال قليلاً إلى الأمام وهو يقول :

ـ لا تعتقدى أننا ضدك ... فنحن نحب المشير .. وكلنا نكن له الحب والتقدير .. ولكنها الظروف هى التى دعت إلى ذلك .. وإن شاء الله تخرجين من هنا بسرعة .. بس عندنا شوية أسئلة وعاوزينك تجاوبى عليها ..

قلت :: « خير » .

قال : « نحن نعرف انك مصرية جدعة بنت بلد .. ولا تحبين الكذب .. وأنت بالطبع زوجة سيادة المشير ؟ » .

على الفور قلت : « لا .. أنا زوجة مصطفى عامر » .

قال بصوته الحنون المخملى « لماذا تتخذين موقفاً .. إننا من أصدقاء المشير ، وبيننا عشرة طويلة .

ـ وتمرت فيك العشرة ؟.

صمت برهة ثم استأنف :

ـ نحن نعرف أنك زوجة المشير عبد الحكيم عامر .. ولهذا جاءوا بك إلى هنا .. الأوامر صدرت بالقبض على زوجة المشير عبد الحكيم عامر .. فذهبوا إلى منزلك بالهرم .. ومنزلك

بشارع النيل .. لأنك زوجة المشير .. ومصطفى عامر متزوج ، ولدينا ورقة منه يؤكد فيها إنك زوجة عبد الحكيم عامر ، وورقة من حسن عامر بأنك زوجة أخيه المشير عبد الحكيم عامر . فلماذا ترفضين الاعتراف بهذه الحقيقة ؟

قلت : « إذا أردت الحقيقة ، فهى أنى زوجة مصطفى عامر .. » وأريد أن أعرف ما هى جريمتى ؟ .. هل الزواج أصبح جريمة .. ورغم أنى لست زوجة المشير .. ولكن افترض - فهل هذه هى جريمة أن أكون زوجة المشير ؟

قال أمين هويدى بجفاء : « ليس هنا شىء اسمه افتراض ، نحن متأكدون .. فلماذا تنكرين ؟ » .

ثم قال بلهجة مستفزة تفيض اشمئزازاً « أم لأن المشير فى مأزق فأنت تتخلين عنه .. كنا نظنك أكبر من هذا .. » .

قلت : « عندما أخرج من هنا .. سوف تعرف أنى كنت أكبر مما تتخيل .. »

قال حلمى السعيد : « إذن عمرو .. ابن من ؟

قلت : « ابن مصطفى عامر » .

قال : « أخبرناك أن لدينا ورقة من مصطفى عامر يقول فيها أنك زوجة أخيه عبد الحكيم عامر وان عمرو ابن أخيه عبد الحكيم عامر .. » .

قلت : « هذا موضوع عائلى ، ولا يهمكم أمره .. وحين أخرج سوف نتولى علاجه معاً » .

قال حلمى السعيد : « ولكننا نريد لك ولعمرو أن تأخذا حقوقكما ، ومستحقاتكما الرسمية » .

قلت : « شكراً .. لا أريد منكم شيئاً » .

ناقوس الخطر يدق بداخلى ، وأدركت أن بساط الحرير منزلق إلى الاعتراف ، بأسماء من زاروه ، أو كلموه ، أو جاءت على لسان أحدهم معلومة أمامى ، وما يتبع ذلك من مواجهات ، واتهامات بين رجال المشير المقربين . وتلطيخ صورتهم جميعاً .

قال أمين هويدى بلهجة مباغتة « هل تعرفين لغات أجنبية ؟ »

ابتسمت : « أعرف إنجليزى وفرنساوى .. وبعض الإيطالية » .

قال بعجالة « هل تذهبين إلى السفارات الأجنبية ؟ »

وسؤال ثالث : « هل كنت تقابلين السفراء الغربيين ؟ » .

أجبته وقد أخذتنى قسوته : « نعم .. ولكن جمال عبد الناصر يعرف الانجليزية ويقابل السفراء ... لم لا تحققون معه ؟ »

رد بصرامة : « جاوبى على قد السؤال !!!»

داهمتنى ذكرى الشائعات .. تلك التى اشاعوها .. عنى .. فقالوا أنى عميلة أمريكية !!

وقالوا ويا لسخف ما قالوا ـ إنى اختفيت قبل الحرب بأيام .. كنت خلالها فى اسرائيل .. وان هذا سبب النكسة !!!

قلت فى نفسى : « لقد لفقوا حكاياتهم عنى ، وها هم أولاء يريدون تلفيق الدليل .. وشعرت بخوف شديد . ونظرات أمين هويدى تلاحقنى فى انتظار الإجابة . قلت :

« ان رئيس الدولة قدوة للناس .. فإذا أنا فعلت ما يفعله ، فلن أكون بعيدة عن الصواب وساد الصمت .. ثم مد حلمى السعيد يده ، وضغط على الزرار الموضوع فى درج من أدراج مكتبه .. انتهى التسجيل ، وانتهت المقابلة .

وفى نهاية الليل ، نفضوا أيديهم منى ، وأعادونى معصوبة العينين ـ كما أخذونى ـ إلى منزلى .

وفى البيت ، وجدت والدتى .. وأخوتى .. وعرفت منهم أن والدتى لم تمكث فى مبنى المخابرات سوى ساعات .

كانوا جميعاً فى منزلى على النيل ، وقالت والدتى انهم الآن يفتشون شقتها ، وسألتنى والدتى : « ليه يا بنتى بتنكرى جوازك من المشير ؟ ده راجل يشرّف ، قلت : أنا عملت كده لمصلحته ، لو قلت انى مراته مش حا يبطلوا اسئلة ، واعتقالات ، وحاياخدوا ناس كتير ، لكن لما انكر معرفتى بيه ، مش حايكون فيه سؤال تانى .

قالت والدتى : « سمعنا اشاعات تقول انك عميلة أمريكية » قلت لها : « معلش يا ماما دى سياسة » . ثم انتحيت بأختى زهرة ، وشرحت لها لماذا قلت أننى زوجة مصطفى عامر ، وأوصيتها إذا سئلت هذا السؤال ، أن تقول لا أعرف ، ورحت أشرح لها : « إذا قلتى أعرف فلن تنتهى ، سيسألونك عن صلاح نصر ، وعباس رضوان وعصام خليل وكل اللى بييجوا عندنا .

قاطعتنى زهرة : « ولا أونكل أنور السادات ؟ » .

قلت : « ولا أنور السادات .. قولى إنك لا تعرفين شيئاً وتمسكى بهذا ».

على مدى يومين لم تكف عمليات التفتيش والتنقيب فى منزلى ، ومنزل والدتى .. نقلوا كل شىء ، وحفروا كل شىء ومزقوا كل شىء ، كانوا كمن أصابتهم الحمى ، وقالت والدتى : « يأخذوننا خارج الشقة ليخلو لهم الجو ، ليواصلوا البحث ثم يعيدونا ونظرت إلى شقتى ، حتى جدرانها التى كنت بطنتها بألواح من الخشب كسروها ، وكشفوا الحائط ، الذى خلفها ، والصناديق الصينى التى كنت قد أحضرتها من منزلى بالهرم ، أخذوها جميعاً ، بحثوا .. بحثوا .. وبحثوا .. وفى النهاية كفوا عن البحث .. وتفرغوا لى .

* * *

يستطيع كثير من القراء ان يعودوا بالذاكرة معى إلى الوراء ، إلى تلك الأيام من النصف الثانى لعام ١٩٦٧ .

وقتها امتلأت الصحف ـ بإيعاذ من سامى شرف ، ومحمد فوزى ، بتساؤلات خبيثة ، عنى ، وعن المشير ، وعن أخيه مصطفى . وطرحت القضية ، عن طريق عملائهما من الكتاب المنتمين إلى أجهزتهم السرية .

- هل برلنتى عبد الحميد زوجة عبد الحكيم عامر ؟
- هل هى زوجة مصطفى عامر ؟

وانبرت الأقلام ، المغرضة ، تناقش وتحلل ، وتقول رأيها فى مسألة كونى زوجة مصطفى ، وأخرى تقدم البراهين الكلامية ـ المأخوذة من أجهزة المخابرات ـ أننى زوجة عبد الحكيم عامر .

جمهورية مصر العربية
وزارة الداخلية
مصلحة الأحوال المدنية
رقم الصفحة (٦٥٢)
رقم القيد المتسلسل ٩٧ ١٤٨٧

(نموذج رقم ١٧ "٣")
ضريبة دمغة ١٥٠ مليما
ثمن ٥٠ مليما
المجموع ٢٠٠ مليم

صورة قيد عائلي

من السجل المدني

تحرر هذا النموذج بمعرفة الموظف المختص بمكتب السجل المدني
ولا يجوز تحرير البيان بمعرفة المواطن حيث يؤدي ذلك إلى بطلانه

رقم الحي ٦ قسم / شياخة / قرية الجمعية مكتب سجل مدني الدرب محافظة القاهرة

	بيانات الاسم			النوع					بيانات الميلاد / كتابة						البطاقة				واقعات المواليد		
الرقم الخاص	الاسم	اسم الأب	اللقب أو الجد	ذكر	أنثى	اسم الأب بالكامل	الديانة	المهنة	مكان الولادة	اليوم	الشهر	السنة	الحالة العائلية	تاريخ القيد	الرقم	جهة صدورها	التاريخ	الحالة المدنية	مكتب سجل مدني	تاريخ قيد الواقعة	رقم الواقعة
١ ١	محمد	عبد الحكيم	علي عامر	ذكر			مسلم	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	متزوج	٦٧/٨/١٢	٢٩٨٤	الدرب	٦٦/٢/١٢	—			
٢ ٢	زينب	عبد الوهاب	خليفة		أنثى		مسلمة						زوجة								
٣ ٣	آمال	محمد عبد الحكيم	علي		أنثى	زينب عبد الوهاب	مسلمة						ابنة								
٤ ٤	نجيبة	محمد عبد الحكيم	علي		أنثى	زينب عبد الوهاب	مسلمة						ابنة								
٥ ٥	جمال	محمد عبد الحكيم	علي	ذكر		زينب عبد الوهاب	مسلم						ابن								
٦ ٦	نصر	محمد عبد الحكيم	علي	ذكر		زينب عبد الوهاب	مسلم						ابن								
٧ ٧	سميرة	محمد عبد الحكيم	علي		أنثى	زينب عبد الوهاب	مسلمة						ابنة								
٨ ٨	نوال	محمد عبد الحكيم	علي		أنثى	زينب عبد الوهاب	مسلمة						ابنة								
٩ ٩	صلاح	محمد عبد الحكيم	علي	ذكر		زينب عبد الوهاب	مسلم						ابن								
١٠ ١٠	عمرو	محمد عبد الحكيم	علي	ذكر		نفيسة عبد الحميد محمد	مسلم						ابن								
١١																					
١٢																					
١٣																					
١٤																					
١٥																					

(أنظر خلفه)

صورة قيد عائلي باسماء اسرة المشير عبد الحكيم عامر ، ويلاحظ فيه اسم الزوجة الأولى واسماء ابنائها ، واسم الزوجة الثانية نفيسة ـ برلنتي ـ واسم ابنها عمرو عبد الحكيم عامر . كما يلاحظ صدور هذا الكشف العائلي بتاريخ ١٣/ ٨/ ١٩٦٧ !!

جرى هذا العبث ، ليشغل الناس بمسألة « لغز برلنتى » فى وقت هم فيه أحوج ما يكون لمن يفسر لهم « لغز الهزيمة » .

ولم يستح رؤساء الأجهزة السرية ، فى أن يعرضوا حرمات الناس للهتك ، وشرفهم للشبهات ، وهم يعلمون أن عبد الحكيم عامر من أسرة « صعيدية » تتمسك بالتقاليد ، وتحافظ على الشرف .

لم يستحوا .. ولم يتقوا ربهم ، فألقوا بهذه الحكاية فى ساحة الاعلام ، لتصبح مادة من مواد « التلاّهى » التى يلهون بها الناس ، ويشغلون عقولهم ، عن صميم القضية .

وأصبح معرفة «أنا زوجة من» أهم من معرفة من خان الجيش المصرى فى حرب ٦٧ ...؟!

أوغل الليل .. وساد السكون الحانى على منزلى المهشم ، وهاجمتنى الأفكار تكسر مشاعرى ، كما كسر الرجال بيتى ، تقتحم عقلى صور من أحداث هذه الأيام ، يحيط بها الغموض ، والابهام ، رغم وضوحها للعين !!

أنا أخاف على ابنى ، وأمى وأخوتى ، أخاف على عبد الحكيم ، أخاف على أبنائه ، وأهله وأخوته .

فجأة شق سكون الليل دقات عنيفة على بابى ، فقمت مفزوعة لأفتحه ، وما كدت أفعل حتى انهمر إلى الداخل سيل من العساكر والضباط المتعجلين .. تسوقهم رغبة عارمة محمومة إلى تفتيش كل شىء يصادفونه ، ولم يقلل من اندفاعهم أنهم فتشوا من قبل مرات ومرات .. وكل مرة يأتون بنفس الحماس ، ونفس العجرفة ، ونفس القسوة .. ويختتمون مرتهم بنفس الأعتقال .

أخذونى فى هذه الليلة ـ أنا وأمى وشقيقتى زهرة ـ إلى مبنى المخابرات العامة ولم ينسوا ان يعصبوا أعيننا كما تعودوا .

القوا بى إلى قلب الحجرة ذاتها ، التى كنت بها من قبل . ولكن المعاملة لم تكن هى ذاتها كما كانت من قبل .

هذه المرة تسود الجهامة والغلظة ، على طباع من أحاطوا بى . فى المرة الأولى كانت « فرقة الاستجواب » رجلين فقط ، أما هذه المرة فقد أصبحوا أربعة .

وكان أولى علامات الحفاوة أن تركونى بلا طعام ولا سجائر طوال الليل . وفيما تلى من أيام أصبح الطعام والسجائر من أدوات التعذيب التى يعذبوننى بها .

أما الطعام .. فلم تكن بى شراهة له فى يوم من الأيام .

وأما السجائر .. فقد ركبنى بشأنها عناد أصم .. فلا أطلبها ، ولا أقربها إن جاءوا بها .

وبذا أعطبت لهم هاتين الأداتين .

وفى سجنى هـذا ، تذكرت المشير فى سجنـه . وقاسمته الشعور بالوحـدة . وتساءلت : «ماذا تراهم يفعلون به . انهم لا يتورعون عن فعل أى شىء ، مادام لا شىء يردعهم .. وظللت أفكر ، ماذا يريدون منى .. لم أكن ضالعه فى مؤامرة لقلب نظام الحكم ... لم أكن خطراً ، ولم أكن عدواً ، فما الذى يريدونه منى .. أننى حتى لم أعـرف ماذا يريدون من المشـير .. ولاح فى خاطرى ، أنهم ربما أرادوا استغلالى كسلاح ضد المشير !!

فتح الباب .. ورأيت من خلاله رجلاً يهرول ذهاباً وإياباً وجيئة .. والمكان تسوده الرهبة .

دخل الحجرة فجأة أربعة أشخاص ، ذوى وجوه متجهمة ، وعيون جامدة ، يتحركون كأنهم آلات .

لم يبد عليهم أنهم رأونى ، وتناثروا فى الحجرة من حولى ، ماعدا رجلاً سميناً أصلع ، جاحظ العينين . جلس هذا « الجاحظ » إلى المكتب وأنفق وقتاً باسطاً ذراعيه على حافة المكتب ، ناظراً إلىّ نظرة طويلة بكماء .. ثم أشار بيده إلىّ وإلى الكرسى الذى أمام المكتب ، فجلست .

ورغبت فى كسر حاجز الرهبة الذى أقاموه حولى على هذه الصورة ، فقلت : « الساعة كام من فضلك ؟

أجاب بصرامة :

ـ الوقت مش مهم ...

ـ قلت : ولكنه مهم بالنسبة لى ـ فما السبب الذى جعلكم تقتحمون علىّ الحجرة فى هذا الوقت من الليل ؟

أجاب بغلظة : « إحنا هنا نعمل اللى احنا عاوزينه » .

عناد قام بداخلى ، وتحفزت جوارحى كلها ، وتأهبت للمواجهة .

فقلت : « يعنى حرب أعصاب ؟ » .

قال : « هذا يتوقف عليك » . قلت : « كيف ؟ » .

وكأنهم كانوا ينتظرون « كيف » حين تخرج من فمى ، فقد بدا رد فعلها قوياً عليهم ، فالتفتوا حولى ، ولانت أصواتهم ، وقال واحد منهم : « احنا عايزين بس ندردش معاكى .. ونسأل شوية أسئلة .. وإذا تعاونتى معانا بشكل ايجابى .. راح تخرجى على طول .

سألته : « أتعاون معاكم فى ايه ؟ » .

قال آخر برقة ومداهنة : « بيقولوا عليك انك ست مثقفة ، وبنت بلد .. والمفروض فى مواقف زى دى إنك تبقى معانا .. لأن مصلحة البلد أهم من الأشخاص .

تساءلت : « وايه مصلحة البلد فى وجودى هنا ؟ وايه مصلحة الشعب المصرى فى اعتقالى ، وحرمانى من ابنى ، وجرجرة أمى وبهدلتها .. والتفتيش .. والرجالة اللى داخلة خارجة علينا طول الليل ؟ .. ايه مصلحة البلد فى ده كله ؟ » .

ولما انهيت كلامى ، تقدم منى شخص لم يكن قد تكلم من قبل ، بل طوال الوقت ، كان يقف متباعداً ، متعالياً ، مصطنعاً عدم الرضا والاستخفاف بسلوك زملائه ... كان أنيقاً ، وديعاً ، وسيماً « ابن ناس » .

قال « ابن الناس » : انتى طبعاً زوجة المشير ، ويهمك مصلحته ، ومن مصلحتك ومصلحته إنك تتكلمى ، عشان ترجعى بيتك على طول .. وتشوفى ابنك .. ووالدتك ترجع بيتها ، وإحنا طالبين حاجات عادية ما تضرش المشير يعنى .. كان بيقابل مين ، وبيزوره مين ، وهوه بيزور مين ، وكانوا بيتكلموا عن ايه ؟

قلت له بقوة : « انتم ناسيين حاجة .. ناسيين إنى مش زوجة عبد الحكيم .. أنا زوجة مصطفى عامر !!

تلفتوا إلى بعضهم .. وظهرت فى عيونهم الحيرة والتساؤلات ، فبادر الجاحظ إلى التدخل نظر إلى طويلاً بعينيه الجاحظتين .. كعادته قبل أن يبدأ الحديث ، ثم قال : « أنت حا تتكلمى وإلا نوسخ اسمك .. ونقول عنك حكايات قذرة .. واحنا نقدر نعمل الأدلة اللى تثبت انك أى حاجة .. احنا عاوزينها .

تدخل آخر فى الكلام قائلاً : « نقول مثلاً .. إنك بتشتغلى فى بيت دعارة .. انتى مش قدنا .. احنا نملك كل شيء .. وانتى ما تملكيش أى شيء .. المشير إقامته محددة .. لايقدر ينفعك ، ولا حتى يقدر ينفع نفسه .

اقترب « ابن الناس » بكرسيه منى بعض الشيء وقال :

ـ شوفى يا مدام .. إحنا مش ممكن نؤذى حد .. إلا إذا أجبرنا على كده .. وكلنا بنحب المشير ، ومانرضاش نضره .. لكن انتى راح تضطرينا على تصرفات إحنا مش عايزينها .. حاولى تتعاونى معانا .. وإحنا مستعدين لإرضائك .

ثم تلطف صوته ، ومال ناحيتى كصديق إلى صديق : « بينى وبينك المشير خلاص ... انتهى .. ومافيش داعى تعرضى نفسك للخطر .. وإذا كنت خايفة حد يؤذيكى وكانت ليكى شروط انك تعيشى بره .. مثلاً .. إحنا مستعدين نتفاهم على « الرقم » اللى يخليكى بره أحسن عيشه .. وتربى ابنك فى أحسن مدارس فى أوربا .. شفتى إحنا ممكـن نفيدك إزاى ؟

واستطرد متلطفاً :

ـ أما إذا ما فيش تجاوب معانا .. حتخسرى كتير .. لأننا عارفين كويس إنك زوجة المشير ، ولما رحنا نجيبك ، جبناكى بصفتك زوجة المشير ، وقولك ان مصطفى زوجك يضرك .. لأن معناه إنك مرات مصطفى ، وعشيقة المشير !!

غرس الرجل سيفاً محميا فى لحمى بكلماته الأخيرة .. كانت تعريضاً واضحاً بشرفى .. وسمعتى .. وتهديداً بضياع أبوة ابنى ، وضياع كرامة أبيه .. استفزاز .. وقررت ألا أُستفز .

اتضحت لى نواياهم .. إنهم يريدون التشهير بعبد الحكيم عامر ، ولأنهم لم يجدوا فى حياته ما يشين ، فقد أرادوا استغلالى لمساعدتهم فى تحقيق هذه المآرب لكن .. هيهات .

قلت للرجل : « أنا لا يهمنى عبد الحكيم عامر .. أنا زوجة مصطفى عامر » .

صعقتهم كلماتى ، كما كانت تصعقهم كلما قلت ، اننى زوجة مصطفى عامر ، لأن هذا القول يوصد الباب أمام أى أسئلة أخرى كانوا قد اعدوها من قبل على أساس إنى زوجة عبد الحكيم .

قال أحدهم : « وابنك ؟ .. سنأتى به ونضعه فى حجرة مجاورة لتسمعى صراخه طول الليل ..

كانوا يتلمسون « نقطة ضعفى » فيضغطون على بها إلى آخر مدى .

فتصنعت حالة كراهية ونفور وأنا أردد بانفعال : « احضروه أمامى ، وقطعوه .. قطعة قطعة .. ولن أسألكم ماذا تفعلون به .. أننى أكرهه فهو نحس ، ولا أريد أن أراه !!

شملهم استنكار شديد ، وقال أحدهم :

ـ أعوذ بالله !! .. إنتى ما عندكيش قلب خالص !!

أحسست بالراحة لأول مرة ، فقد أفلحت فى إثارة اشمئزازهم من أمومتى الجامدة ، وتخلصت من « نقطة ضعف » .

وإلى هنا تركونى وانصرفوا .

* * *

بعد انصرافهم ، مكثت وحدى فى الحجرة ، مهدودة العافية ، لما بذلت من مجهود عصبى ، وفكرت فى الحال الذى أنا فيه ، وفى هؤلاء القوم الذين يسعون إلى تدنيس سمعة واحد من رجال الثورة ، وشريك وصديق لرئيس الجمهورية .. نعم هو « التدنيس » فلو كان كل غرضهم ، ان يعرفوا زوجة من أنا ؟ فليس هذا مجهولاً من جمال عبد الناصر ، ولا من أجهزته ، وكان يستطيع أن يخبرهم .. خاصة أنه كان صاحب فكرة كتمان خبر الزواج ، حتى يتفقا ـ هو والمشير ـ على إعلانه فى وقت مناسب .. وفوق ذلك هو الـذى اطلق اسم « عمرو » على ابننا وبدأت أغفو ..

انتبهت على صوت الباب وهو يفتح .. واندفعت كتيبة الاستجواب ، بأفرادها الأربعة إلى داخل الحجرة . تحركوا حولى بذات جمودهم وآليتهم ، وقال أحدهم بجفاء « قومى .. الموضوع أصبح خطيراً .. ومش حاتفلتى المرة دى !! »

رجوتهم أن يتركونى بضع ساعات لأنام ، ولكنهم رفضوا بشدة قائلين : إنتى مش فى بيتك .. إنتى هنا تبعنا .

كان أحدهم يحمل حقيبة سفر مغلقة ، وآخر بجواره ممسكاً بمفتاحها ، وقدمه لحامل الحقيبة ليفتحها .

وراقبت عملية فتح الحقيبة ، وأنا أتساءل عن الشىء الخطير الذى بداخلها ، والذى خصص له رجلان كاملان من رجال الدولة !!

فتحت الحقيبة .. وأخرجوا منها بذلة ، وقال أحدهم :

ـ وجدنا هذه فى أحد الدواليب بمنزلك ..

ـ ثم ماذا ؟

ـ انظرى .. وأشار باصبعه إلى الجيب الداخلى للجاكت .. حيث كان اسم عبد الحكيم مطرزاً على حافة الجيب .

جلس « الجاحظ » وراء المكتب وقال : « تقدرى تفتكرى دلوقت .. » .

قلت له : « ايه هيه جريمتى .. إذ كان فيه جريمة قدمونى للمحاكمة » .

قال : « إحنا هنا المحكمة » .

وكان على أن أقدم تبريراً لهم ، فقلت :

ـ البدلة مكتوب عليها اسم عبد الحكيم عامر .. وهو أخو جوزى عبد الحكيم عامر .. فيه شىء يضر البلد من وجود البدلة فى الدولاب عندى ؟ .. هو أخوه ومن حقه يزوره فى أى وقت .

قالوا جميعاً فى نفس واحد تقريباً :

ـ يعنى انتى شفتى المشير .

قلت : « شفته مرات قليلة .. لما كان بيجى مع أخوه حسن عشان يزوروا مصطفى » .

رفع أحدهم أمام عينى سلسلتى المفاتيح وقال : « وجدنا السلسلتين دول فى الخزينة الحديد ، الموجودة فى حجرة نومك .. واحدة عليها برج الجدى ، والثانية بنفس الموديل ـ وعليها برج القوس .

قلت لهم : « مصطفى قالى اعملى سلسلتين للمفاتيح ، واحدة لجمال عبد الناصر ، وواحدة لعبد الحكيم عامر ، لأنهم شافوا الموديل ده معاه ، فطلبوا زيها .

قال الجاحظ : « سألنا مصطفى وقال ان ما شافتش السلسلتين دول قبل كده .. يبقى الريس شافها مع عبد الحكيم .. وتبقى انتى زوجة عبد الحكيم .

وكأنى ذكرت أسماء سحرية ـ لا بشرية ـ فاصابتهم بالبلاهة ، والجمود . وانتابتهم حيرة ، فأخذوا ينظرون إلى بعضهم .

قلت خلال الصمت : « دى هدايا لهم ، وكان مصطفى ناوى يهديها لهم بنفسه ، لأنى ما أعرفش الرئيس جمال وماليش معرفة قوى بالمشير . الحكاية ان المشير شافها مع مصطفى ، وجمال شافها مع المشير فطلب واحدة زيها .

شملت الحجرة لحظات صمت ، يتبادلون فيها النظرات واجمين .. ثم قطع الصمت « ابن الناس » بقوله :

ـ أنا بقول نسيب المدام تستريح شوية .. لأننا تقلنا عليها وكفاية كده دلوقت .

خرجوا .. وسمعت صوت الباب يقفل بالمفتاح ، فاستلقيت على السرير الحديدى الموجود بالحجرة .. وآلمتنى الوسادة ، كأنها محشوة بالرمل والزلط ، وقد انتابنى الأرق من الملل رغم الإرهاق ، وأنفقت ساعات استجدى النوم دون جدوى .

أردت الذهاب إلى الحمام ، فقمت إلى الباب أدق عليه كالمعتاد ، ولكن لم يستجب لى أحد ، واصلت الدق فترة ثم يئست ، فعدت لأستلقى على السرير .

ورحت أفكر فيما أحاطونى به من سرية تامة ، فليس مسموحاً لأى شخص فى المبنى أن يرانى ، أو يدخل الحجرة ، وحين أطرق الباب طالبة الذهاب إلى دورة المياه ، يأتى شخص ليسير أمامى ، ومهمته إغلاق جميع الأبواب التى أمر بها . ورجل آخر يقوم بمنع ظهور أى شخص إلى أن أعود إلى حجرتى ، ويغلق على الباب .

ثم خطر لى خاطر آخر رحت اقلبه فى رأسى ، وهو أن اطلب رؤية جمال عبد الناصر وأتكلم معه ، فلعل صداقته القديمة للمشير ، ومعرفته الشخصية بى ، يكونان عوناً لى على الفور بإزاحة الجدار الذى يفصل بينه وبين المشير ، ذلك الجدار المؤلف من مراكز القوى المسيطرين على عبد الناصر ، وأصحاب مصلحة فى هذا الشقاق .

وقلت لنفسى : « كيف يرضى لى أن أنام هنا ، فى هذا المبنى الملىء بالرجال ، وهو يعرف أننى زوجة صديقه ، وأن هذا التصرف يجرحه كواحد من أبناء الصعيد .

كنت أعرف أنى أهذى .. فالرجل الذى حدد إقامة أقرب الناس إليه ، والذى كان يقول عنه : « لو فتحتم قلبى لوجدتم عبد الحكيم عامر متربعاً فيه » .. هو ـ جمال عبد الناصر ـ الذى طرد شقيقه الطيار حسين عبد الناصر ـ وهو أقرب أشقائه إلى قلبه ـ من الخدمة .. هذا الرجل .. هل يهتم بمجاملتى وأنا الغريبة بالنسبة إليه ؟

غلبنى النوم فى النهاية ، فرحت فى سبات عميق . ولا أدرى كم من الوقت نمت ، ولكنى صحوت على صوت رجال بالحجرة ، وقال لى أحدهم : « قومى .. » قلت الساعة كام رد أحدهم : « أربعة بعد الظهر » .

قلت : « أنا خبطت على الباب كتير ، كنت عايزة أروح الحمام ، لكن محدش رد على .. » إذا كانت دى زنزانة انفرادية ، أرجوكم جهزوا لى جردل بجوار المكتب .

ضحك أحدهم وقال : « لا إحنا بس كنا مشغولين شوية » .. كنت أنام بملابسى كاملة وكأنى فى الشارع ، فلم أعد أعرف متى يفتحون على الباب ، ويدخلون ، واعتدلت فى جلستى ، ثم نهضت واقفة ، وأنا أشعر بارهاق شديد .

كان الجاحظ قد أخذ مكانه وراء المكتب ، وكان معهم شاب تبدو عليه الطيبة ، اخرج هذا الشاب مجموعة صور من جيبه كلها لى قبل زواجى ، التقطت فى حفلات السفارات ،

والاستقبالات . وأخذوا يعرضون على الصور ويسألون : « من هذا » « ومن الذى تسلمين عليه » . « ومن الذى يطبع قبلة على يدك » ... الخ .

زاد يقينى بأنهم يبحثون عن وسيلة للتشهير بعبد الحكيم .

قلت « للجاحظ » : الاستاذ أمين هويدى سألنى فى المرة اللى فاتت وجاوبت .

تدخل « ابن الناس » قائلاً : « معلش .. ده موضوع تانى .. موضوعنا النهارده عن الصور .. كلمينا بالتفصيل عنها ، احنا عارفين إنك على صلة بالدبلوماسيين ، وإنك الوحيدة اللى بتقعد بعد انتهاء الحفلات الرسمية ، وتجالسين أسرهم يعنى القعدات «الأنتيم» هل كانت لك علاقة بأحدهم ؟

قلت : « ليه تاعبين نفسكوا معايا ، وانتو تقدروا تبعتوا بالأكذوبة أو التشنيعة اللى أنتم عايزينها .. إلى مكان أنتم عارفينه .. وتبقى على لسان كل المصريين فى أربع وعشرين ساعة .

قال « ابن الناس » إحنا عايزين نسمع منك أنت .

قلت لو كان لى علاقات ، ماكنتش حزت على الثقة والاحترام داخل أسرهم ، وأنت بنفسك قلت كده دلوقت .

سأل « الجاحظ » : انتى ليكى صداقة بالأمريكان ؟

قلت : « علاقتى بيهم مجرد حضور الحفلات الرسمية .. زيى زى غيرى .

فجأة سألنى : « امتى اتجوزتى المشير ؟ »

ولم أرد .

قال بغضب : « أنا باسألك » .

قلت : « وأنا جاوبت ميت مرة » .

قال : لكن عندنا اللى يثبت إنك مراته .

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة ، وهم يتحدثون ، ويشربون القهوة والشاى .. ثم فجأة ، تركونى وانصرفوا ..

« مواجهـــات »

ايقظتنى من نومى هزة عنيفة ، ملأت قلبى ذعرا ، وفتحت عينى ، فإذا هم يدفعونها أمامهم دفعا ، وتفرست فيها بعينين يغشاهما النعاس ، فإذا هى الدكتورة إيزيس خليل ، شقيقة اللواء عصام خليل .

جاءوا بها أمامى وأجلسوها ، وسألها أحدهم .

ـ هى دى اللى ولدتيها ؟ .

صحت قبل ان تجيب : « أنا ما اعرفهاش ، ولا عمرى شفتها قبل كدة :

كانت الدكتورة إيزيس ذكية ، وفهمت مرادى فقالت :

ـ الحقيقة .. المدام اللى ولّدتها كانت تشبه دى ، لكن الثانية شعرها أفتح شوية ، .. ولونها أبيض من دى ... وأسمن شوية .

واسقط فى أيديهم ... أما أنا فشعرت بالارتياح ، بنجاتى من هذا المأزق ، وشكرت للدكتورة ـ فى قرارة نفسى ـ حضور بديهتها ، خصوصا انها هى التى كتبت شهادة ميلاد عمرو بيدها .

تقدم « الجاحظ » من الدكتورة إيزيس ، ورمقها بنظرة صارمة وهو يقول :

ـ انتى مش قلتى انك تعرفيها ، وولدتيها ؟

قالت الدكتورة إيزيس :

ـ الموضوع ده كان من شهور .. وأنا دكتورة أولّد عشرات كل شهر .. وقلت لو شفتها احتمال انى افتكرها .

قال « ابن الناس » : ما هى دى نفس المدام اللى انتى ولّدتيها .. بس ساعتها كانت صابغة شعرها افتح شوية .. بصى لها كويس وانتى حتتعرفى عليها .

قلت بسرعة : « أنا قلت لحضرتك انى ما اعرفهاش .. وما شفتهاش خالص قبل كدة» . وأكدت إيزيس بشجاعة : « أنا كمان ما اعرفش الست دى .

لأول مرة يأتى شخص من خارج هذا المبنى ، ارادوا ان يأتوا بها كشاهدة علىّ ، ولكنها تحولت إلى شاهدة عليهم !!

اندفعت إلى الحديث مستغلة وجود هذه الشاهدة :

ـ انتم بتعملوا فينا إيه ؟ .. إيه جريمتى دلوقت ؟ .. إيه يهمكم ان كنت متجوزة مصطفى وإلا عبد الحكيم .

وإيه اللى يفيدكم لو كانت الدكتورة اللى ولدتنى والا لأ ؟ .. هو الانجاب جريمة ؟

قال « ابن الناس » : لأ طبعا .. بس عايزين نعرف من مين ؟

أجبت : « قلت لك من مصطفى عامر » .

قال : « ومصطفى عامر قال انك مرات أخوه ، وعمرو يبقى ابن أخوه » .

قلت : « وإيه هيه مشكلتكم ، إذا كنتم تقدروا تلزقوا أى تهمة لأى واحد ؟

ولما وجد « ابن الناس » ان الحوار أصبح غير مرغوب فيه ، لوجود الدكتورة إيزيس انهى المقابلة قائلا : « كفاية كدة » .

ولكنى ثرت قائلة : « اتهمونى بأى حاجة ... ودونى السجن .. حاكمونى .. انتوا مبهدلينّى ومبهدلين أمى واخواتى .. ليه .. وعاوزين منا إيه .. حرام عليكم ، وأخذت أصرخ وأبكى .

نظرت إلىّ إيزيس متأثرة وقالت : « معلش يا مدام .. ما تعمليش فى نفسك كده ربنا موجود » .

وفى عجلة أخرجوها من أمامى ، وخرجوا معها .. « وابن الناس » يبتسم .

* * *

الآلة الكاتبة

ذات يوم ، جاءوا بجلبتهم كالمعتاد ، وخرجوا بىّ من الحجرة ، إلى الحجرة الواسعة ، التى قابلت فيها حلمى السعيد وأمين هويدى من قبل .

وفور دخولى الحجرة ، وجدت أمامى « فتوح » ـ خطيب أختى زهرة ـ يقف مرتبكا أصفر الوجه .

وكان حلمى السعيد جالسا وراء ذات المكتب ذى الأزرار ، ولم يكن معه أمين هويدى هذه المرة ، وانما رجل آخر كان طويلا أصلع ، وعرفت ان اسمه نسيم .

قال حلمى السعيد موجها حديثه إلى فتوح :

ـ قل لنا بقى إيه حكاية الآلة الكاتبة .

ـ مكنة إيه ؟ .. مش فاهم .

وتدخلت فى الحديث بسرعة :

الآلة دى جابها مصطفى وقال انها بتاعة أخوه المشير .. وعايز يشيلها عندنا ، عشان خايف لحسن الضباط يكتبوا عليها منشورات .. وأنا اديتها لفتوح يشيلها عنده ومالوش دعوة بحاجة .

تمالك فتوح أعصابه ، وتصرف بذكاء قائلا :

ـ آه انا شيلتها ... بتاعتها وشالتها عندى .

وكانت قصة هذه الآلة الكاتبة ، ان عبد الحكيم أراد ان يبعدها عن منزله ، فأعطاها لىّ لأحفظها عندى ، فاعطيتها لخطيب أختى زهرة ليضعها فى منزله .

انتهت المقابلة فأعادونى إلى الزنزانة .

شاهد من السجن

مواجهة أخرى وضعونى فيها أمام « عبد المنعم أبو زيد » حارس استراحات المشير الذى استغل اسم المشير عبد الحكيم عامر فى ممارسة أعمال تجارية وحكم عليه بالسجن .

جاءوا به ليؤكد اننى زوجة المشير ، وأمامى سألوه .

ـ تعرف المدام ؟

ـ طبعا دى حرم سيادة المشير ..

سألوه : « متأكد ؟ » .

قال : « مدام برلنتى عبد الحميد .. كنت دايما أروح الفيلا ، واشتريلهم اللى محتاجينه . حتى البيت اللى فى إسكندرية ، أنا اللى كنت باشرف عليه .

نظر الىّ أحدهم قائلا : « إيه رأيك بقى ، تعرفى الراجل ده .

قلت : « اعرفه .. كان دايما بيجى عندنا ... وطبيعى ان المشير كان بيبعت حاجات لأخوه ، وكان هو اللى بيجيبها ، إيه الغريبة فى كدة ؟

قال عبد المنعم : « والله دى ست طيبة وكريمة ، وعمرنا ما شفنا منها حاجة وحشة ، هو فيه إيه ؟

شاهد من الماضى

اتضح لىّ الآن ، انهم مثلما نقبوا فى أرجاء بيتى ، نقبوا أيضا فى أرجاء حياتى ، ففى ليلة من ذات الليالى ، أخرجونى من زنزانتى الى المكتب ذى الأجهزة والأسلاك .

وفى هذه المرة ، أفلحوا فى اثارة دهشتى ، إلى درجة الارتباك .

وجدت أمامى « موريس » الشاب الفرنسى العاشق ، الذى جاء يعرض علىّ نعيم الدنيا ، ممثلا فى الثراء والشباب والوسامة .

كان آخر ما أتوقعه ، أن يأتوا به من باريس .. وآخر ما أتوقعه أيضا ان يتكلم العربية !

ولكنه فاجأنى بآخر ما أتوقع .. كان لسانه عربيا خالصا ، ويتحدث بالبلدى ، حين أجاب على سؤالهم ان كان يعرفنى فأجاب :

ـ دى مدام برلنتى عبد الحميد ..

كنت لا أزال أبحلق فيه مأخوذة ، بأن اراه ينطق بالعربية ، وهو الذى أفهمنى انه لا يعرف منها حرفا واحدا .

ـ إيه حكايتك معها ؟

ـ انا رحت لها .. ومعايا واحدة كومبارس .. وعرضت عليها مصاغ وفلوس .. ولكنها رفضت وزعلت .. وطردتنى .. فاعتذرت بأنى لا أعرف التقاليد المصرية .

سألوه : وهل ذهبت معك إلى الفيلا ، اللى فى مصر الجديدة .

قال : « ايوه .. راحت اختها معانا .. كدة .. يعنى حركة جدعنة ..

سألوه : « هيةكانت مجندة فى المخابرات ؟

قال : « لأ .. اللى أعرفه انه اتعرض عليها .. ورفضت ..

مواجهة غيابى

قد نعلم جميعا أن عذاب البدن ، ليس هو أشد أنواع العذاب ، ولكننا بالتأكيد لا نعلم ـ جميعا ـ ما هو أشد أنواع العذاب؟

فإنزال الألم له زبانية متخصصون وحاذقون . وقادرون على تجاهل أى صرخة ألم !!

كان السؤال الذى شغل اذهان الرجال ، فى مبنى المخابرات العامة ، والذى حشدوا له المحققين من أرفع الرتب ، والمستجوبين البارعين ، والمعذبين الشرسين .

كان السؤال ـ كما تعرفون ـ هو « هل أنا زوجة عبد الحكيم عامر ؟ » .

والمؤسف فى الأمر ـ وربما المضحك أيضا ـ ان الجواب الصحيح على هذا السؤال كان يعلمه جمال عبد الناصر ، وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة مثل أنور السادات ، وعدد من كبار رجال الدولة ، والضباط الأحرار ، مثل صلاح نصر ، شمس بدران ، عصام خليـل ، وعباس رضوان ، والأجهزة السرية المتعددة وعلى رأسها ، سامى شرف ، وشعراوى جمعة ، وهذان أصحاب المنشورات التى وزعت فى وسط المدينة ، عامى ٦٤ - ٦٥ ، عن علاقتى بعبد الحكيم عامر ، ومنشور أخر ، يذكر بأن برلنتى عبد الحميد حامل مـن زوجهـا عبد الحكيم عامر .

ويعلمه أيضا من قاموا بتسجيل ما دار بغرفة النوم من خدم عبد الناصر ، ناهيك عن قدرة جمال نفسه ـ بجهاز التسجيل فى منـزله ـ على ان يسـجل كل مـا يـدور فى منـزل عبـد الحكيم عامر .

ومع ذلك فإن الزبانية ، الذين أحاطوا بى ، كى ينتزعوا منى الجواب ، كانوا يفعلون ذلك بأمر جمال عبد الناصر !!

وليرغمونى على الاعتراف ـ بما يعرفونه ـ القوا بى فى مبنى المخابرات العامة ، ما يزيد على الشهر ونصف الشهر .

وللوصول إلى غايتهم ، فقد اتخذوا من أسلوب المواجهة ، عامل ضغط عليّ ، لأقول لهم انني زوجة عبد الحكيم عامر ، وقد سلف القول عن مواجهتي بالدكتورة إيزيس . ومواجهتي بموريس رجل المخابرات ، الذى مثل عليّ دور الشاب الفرنسى .

وواجهوني بفتوح هزّاع ، خطيب أختى زهرة .

ثم واجهوني بأختى زهرة ، دون ان يأتوا بها اليّ وجها لوجه .

لم تكن زهرة تزيد على الخامسة عشرة من عمرها ، حين وقعت لها هذه القصة . كانت طفلة بريئة كل ذنبها ، انها اقامت معى لتؤنس وحدتى ، فى بيت الزوجية بالهرم .

وبالطبع لم أكن أعلم ان شقيقتى الصغيرة ، حبيسة الزنزانة التى بالقرب من زنزانتى . وأترك لكم زهرة لتروى قصتها . تقول زهرة :

« ذات يوم زارنا رجال من المخابرات العامة ، وكان تصرفهم هادئا وهم يقولون لىّ « سنأخذك لزيارة أختك ـ يقصد برلنتى ـ وسوف نعيدك على الفور » .

فرحت بهذا الكلام . ونهضت من فورى لاستعد للذهاب معهم ، وعمت الفرحة جميع أفراد الأسرة ، وطلبوا منى ابلاغها السلام ، وتطمينهم على أحوال برلنتى .

ذهبت معهم ، وأنا أكاد أطير شوقا لرؤيتى « لأبلة بيلا » ، التى أخذت من بيننا ذات مساء .

وبعد ان ركبنا السيارة ، وضعوا عصابة فوق عينى ، فأحدث هذا فى نفسى أثرا سيئا ... وليته كان هو كل السوء فى رحلتى ، التى ذهبت فيها بكل فرح واطمئنان .

فكوا العصابة عندما وصلنا ، وأخذونى إلى حجرة وأجلسونى بها ، وعيناى تدوران بحثا عن « ابلة برلنتى » .. فقلت لعلهم سيأتون بها الآن .

وفجأة صلتوا ضوءا قويا على وجهى ، وبدأوا يسألوننى :

ـ مين اللى كان بيزور منزل المشير عند برلنتى ؟

ـ ما اعرفش .

ـ طب عمرو .. ابن المشير وإلا لأ ؟

ـ ما اعرفش .

ـ ما تعرفيش ازاى .. انتى مش كنتى قاعدة معاها ؟

ـ طب بتسألونى ليه .. ما هى عندكم ، روحوا أسألوها .

ـ هية مش برضه مرات المشير ؟

ـ ما اعرفش ومش حا اقول حاجة .. وما اعرفش حاجة .

كنت أسمع أصواتا ولا أرى وجوها ، فالضوء الباهر مسلط على وجهى ، وقد بدا أنهم يئسوا من هذه الطريقة ، فقال أحدهم : « شكلك كدة بيقول ان دماغك ناشفة .. طب احنا حانوريكى حاجة ، عشان تعرفى حقيقة اختك اللى بتدافعى عنها » .

وجاءونى بجهاز تسجيل ، قالوا وهم يضعون السماعات حول اذنى :

ـ الشريط ده فيه كلام ما يصحش ان احنا نسمعه عشان كدة راح نسيبك تسمعيه لوحدك .

وبعد ان رفعوا السماعات عن أذنى ، قالوا : « الشريط ده سجلته اختك لعبد الحكيم .. شوفى بقى اختك شكلها إيه .. » .

قالت : « اختى ما تعملش كده .. والصوت ده مش صوتها » .

قال أحدهم : « انتى تاعبة نفسك ليه .. أمك جات هنا وقالت ان برلنتى مرات عبد الحكيم عامر .. وانتى مش عايزة تقولى ليه ؟ » .

صرخت : « طب عايزين منى إيه بعد كده ... انتوا بينكم وبينى إيه مش روحى ... أنا أقدر أخلصكم منها ، أحط بنسة فى فيشة الكهرباء وأموت .. » .

وأخذت فى الصراخ والعويل ، ويبدو انهم أخذوا تهديدى مأخذ الجد ، ففتشوا حقيبتى خوفا من ان يكون بها ، أى شىء يساعد على تنفيذ وعيدى .

ثم أخذوا فى تهدئتى ، قائلين : « خلاص يا ستى .. أحنا آسفين .. مافيش أسئلة تانى ، دلوقت تحبى تتعشى إيه ؟

وفى الواقع ، كان الجوع قد اشتد بىّ ، فطلبت « زبادى » بالسكر .

جاءوا بالزبادى ، وعلبة مليئة بالسكر ، ولاحظت ان السكر به شوائب صغيرة سوداء ، فقلت لعله « سكر تموين » فقد اعتدنا ان يكون السكر ـ أحيانا ـ غامقا ، وبه هذه الشوائب ، وقد تكون بقايا شاى متناثرة فيه .

وضعوا الزبادى والسكر ، وتركونى وحدى ، واغلقوا الباب ، فاقبلت على الطعام ، ووضعت عدة ملاعق من السكر على الزبادى وأكلت .

لم يمض وقت طويل ، حتى بدأت أشعر بدوار ، وبثقل فى يدى ورجلى ، فقلت انهم وضعوا لىّ المخدر فى الطعام ، وخفت ان يفعلوا بىّ شيئا وأنا مخدرة .

كان على السرير ملاءة ، فلففت نفسى بها جيدا ، حتى أصبحت مثل الكرنبة ، وكان معى « دبوس مشبك » كبير ، شبكت به طرف الملاءة ، وقلت إن غبت عن الوعى ، واستيقظت بعد ذلك ، سأعرف ان كان حدث لى شىء ، أثناء غيبوبتى أم لا ، من ملاحظة الدبوس .

دخلوا علىّ الحجرة وأنا فى هذه الحال ، وعاودوا اسئلتهم عن المشير «وبرلنتى» وعمرو .. وتمسكت بالأنكار .

قالوا : طب والماكينة .. كان فيه آلة كاتبة .. يا ترى راحت فين .. رموها فى الترعة .. واللا نقولها عند حد ؟

قلت : « مكنة إيه ؟ .. ما اعرفش حاجة عنها .. » .

فى تلك اللحظة ، كانت تقف على خدى ذبابة ، وشعور المخدر يتزايد فى يدى ، وأشعر بعدم القدرة على هشها قلت : « فيه دبانة واقفة على وشى .. قد الضفدعة » .

صاح أحدهم : « يا نهار أسود دى مسطولة وبتتفلسف !! » .

زاد علىّ تأثير المخدر ، فبدأت الهث ، وأحسست بالاختناق ، فكفوا عن استجوابى واحضروا طبيبا .

غادروا الحجرة جميعا ما عدا الطبيب ، الذى جلس على طرف السرير ، وبدأ فى مداواتى قلت للدكتور : « عملوها ووقعوك فيها .. أنا حا اموت فى ايديك » .

قال الرجل : « يا نهار أسود .. دى عايزة تلبسنى تهمة » .

ولم يتركنى الطبيب ، وظل ملازما لىّ طوال الأزمة التى استمرت حتى الصباح .

زالت الأزمة واستعدت قواى بفضل رعاية الطبيب ، وتركت بمفردى قليلا . ثم فجأة فتح الباب ، ورأيتهم يدخلون رجلا حافى القدمين يرتدى قميصا نصف كم ، أوقفوه أمامى ، كان الرجل يبدو مرهقا ، شاحبا ، وعيناه تنظران إلى الأمام ، وكأن لا حياة فيهما .. تفرست فيه ، فتبينت إنه متولى .

سألوه : « تعرف دى ؟ » .

قال : « دى زهرة يا افندم أخت مدام برلنتى !

سألوه : « دى كانت مع اختها فى بيت المشير ؟

قال : « ايوه يا افندم » .

إذ ذاك التفتوا إلىّ : « ما قولك الآن فيما يقوله متولى ؟ » .

قلت : « أنا ما اعرفوش .. وإيه السجاير اللى مطفية فى رجليه وايديه دى .. انتوا عذبتوه » .

قالوا : « لا دى تقيحات فى رجله بس » .

كان اثر اطفاء السجائر فى يدى متولى ، وفى قدميه واضحا ، وعلى ذراعيه المكشوفتين .. وكان يبدو فى حالة يرثى لها ، ولذا قلت صارخة : « دى سجاير مطفية فى ايديه ورجليه » .

قال أحدهم : « قلنا لك دى تقيحات » .

ثم التفت الى متولى وسأله : « إيه اللى فى رجلك يا متولى ؟ » .

فأجاب على الفور : « دى تقيحات يا افندم !! » .

بدأت اصرخ وأبكى واردد : « ما اعرفش حاجة .. هية عندكم اسألوها .. أنا مش حا اقول حاجة .. ولا حاتعرفوا منى حاجة .. أنا عايزة أموت نفسى .. أنا حا اموت نفسى .

سحبوا متولى وخرجوا جميعا . وبقيت وحدى خلف الباب المغلق .

« عجوز فى سن الشباب »

أصبحت الأفكار قاتمة ، والنفس معاندة ، وجلست أفكر فيما آل إليه حالى ... وكلما خلوت إلى نفسى ـ حين يتركونى ـ أروح أفكر فى المشير ، وفى ولدى عمرو .

ثقيل على القلب ان يتحمل حزنا ، فكيف به إذا تحمل حزنا ، وألما ، وخوفا ، لا أدرى ماذا فعلوا بالمشير ، ولا بوالدتى ، ولا باخوتى ، وفيما أنا فى هواجس عادوا .

دخلوا علىّ قائلين : « ياللا يا مدام .. تعالى معانا » نهضت معهم ، وخرجنا وفى تصرفاتهم خشونة وجفاء .

أحسست بانقباض ، وهم يسيرون بىّ عبر الممر الطويل ، وفى النهاية وجدنا سلما نزلنا عليه ، وفى نهايته رأيت بابا حديديا كبيرا ، يفتح على حارة ضيقة .

اتجهوا بى ناحية اليسار ، وفتحوا بابا دخلوا منه ، فإذا بنا أمام بناء آخر .. ثم دخلوا ممرا طويلا مظلما .. وعند أول حجرة على اليسار دخلنا .

كانت جدران الحجرة مليئة بالثقوب ، وتوقعت ان يكون بها أجهزة تصوير وتسجيل ، ثم وقعت عيناى على شيخ مهدم جالس على كرسى ، يرتدى قميصا نظيفا ، وحذاء بدون جورب .

نظر إلى الرجل ، فلاحظت بقعة من الدم فى قميصه ، وآثار حروق بادية فى الجزء العارى من قدمه ، صرخت فزعة :

ـ متولى .. !!

كان متولى شاباً يفيض نشاطاً وصحة ، اما الأن فالوجه أصفر ميت ، وعينان خابيتان منكسرتان .

واصلت صراخى :

ـ إيه اللى عملتوه فيه يا كفرة ... ازاى خلتوه كدة ؟

كانت هذه أول مرة افقد فيها أعصابى ، فهذا الرجل المهدم أمامى ، آثار غضبى وحـزنى .

ويبدو ان صراخى وكلامى كان مفاجأة لهم ، وهم الذين أرادوا ان يكون « متولى » مفاجأة لى ، ولما كانت أجهزة التسجيل تدور ، فلم يكن مستحبا ان تسجل ما قلت !!

وفيما أنا أفكر فى انهم قد يستغلون متولى ضد المشير ، وفى كيفية منع هذا الاستغلال نهض متولى ليصافحنى .

رأيته يحاول الوقوف بصعوبة ، وخطا نحوى خطوة واحدة ، فتبينت أنه يعرج .. واقترب منى الجاحظ مهددا : إذا صرخت مرة ثانية مش حاتخرجى من هنا إلا جثة هامدة .

قلت والغضب يعصف بى قهرا عنى :

ـ بعد اللى أنا شفته تهون الدنيا واللى فيها .. ولو موتونى تبقوا عملتم فىَّ معروف ... وصمتوا قليلا ، وخلال صمتهم سألت متولى : « عملوا فيك إيه ؟ » نظر الىّ متولى بعينين زائغتين ... ولم يرد .

صاح فيه أحدهم : « مش دى مرات المشير ؟ » .

قال متولى بصوت ضعيف : « آه .. طبعا .. سيادتها مرات سيادة المشير .

وسأله آخر متجوزين من امتى ؟

قال متولى : « من سنين طويلة يا افندم .. لا أذكر سنة ٦٢ .. أو سنة ٦٣ ..

قال الجاحظ : « احكى لنا موضوع الماكينة » .

قال متولى : « فى يوم سيادة المشير قال لىّ خذ المكنة من البدروم ، لاحسن حد من الضباط يكتب عليها حاجة ضد الريس .. ووديها عند المدام ، وفعلا وديتها عندها فى الهرم ، وما اعرفش عنها حاجة بعد كدة .

قاطعه « الجاحظ » : « ومين كان بيكتب عليها المنشورات ؟ » .

قال متولى : « مافيش حد كتب منشورات فى البيت ... وإذا كان فيه منشورات ، تقدروا تتأكدوا ، إذا كانت حروف المكنة هية اللى فى المنشورات واللا لأ » .

صاح به « الجاحظ » : مش عايز تحليل ... جاوب على قد السؤال .

وإلى هنا تحوطوا بى ، بينما تباعد الشاب الأنيق « ابن الناس » . الذى كان يبدو لىّ انه المتفرج الوحيد على هذه اللعبة !!

امطرونى بالأسئلة ، وكانت اجاباتى تساؤلات عما فعلوا بمتولى ، واردت ان أفسد التسجيل والتصوير الدائر طوال الوقت ، فأشرت إلى الدم الذى يلطخ قميص متولى : « شايفين الدم اللى على قميصه .. شايفين التعذيب اللى على جسمه .. ليه عملتم فيه كده ؟ » .

إذ ذاك تصرفوا معى بقسوة وعنف ... سحبونى ... وجرونى إلى أعلى .. وفى الدهليز الطويل ظلوا يدفعوننى امامهم إلى ان بلغت حجرتى .. ثم دفعونى داخلها دفعة قوية القت بى على الأرض ، واغلقوا الباب .

بقيت مكانى لا أتحرك ، وأنا أقول فى نفسى : « إذا كانوا عملوا كدة مع أصغر رجال المشير .. أمال حايعملوا إيه فى المشير ؟

الحـــلم

نهضت متثاقلة ، وارتميت على السرير الحديدى ، والأفكار والهواجس تطن فى دماغى وتذكرت قول عبد الحكيم لىّ : « انه مثل كلب الصيد إذا تركته ، يجرى ورائى يعقرنى .

وها هو ذا يجرى وراءنا الآن بكل قواه ... ولم يترك رجلا أو أمرأة ، قريبا أو نسيبا فهو يطارد الجميع حتى يعقرنا جميعا .

ثم انتابنى الاعياء ، فاستغرقت فى النوم .

رأيت فى منامى ، انى أنام على سرير أبيض ، ثم دخل علىّ عبد الحكيم فى بدلة رمادية ، ويبدو عليه الحزن .

فرحت بمقدمه ، وطلبت منه ان يجلس بجوارى .. ولكنه رفض قائلا : « لأ خلينى بعيـد » ومشى إلى كنبة منخفضة بجوار الحائط وجلس عليها ، وقال لى : « أنا جاى من السفارة الروسية .. » قلت : « السفارة الروسية » . قال : « نعم » .

سألته : « كنت بتعمل إيه هناك ؟ » قال : « حاتعرفى كل شىء بكرة » .

وصحوت فى الصباح ، وأنا أشعر بحزن عميق لا أدرى سببه ، وقضيت النهار قلقة ، وعندما احضروا لى طعام الغداء لم أجد شهية للأكل .

وفى المساء جاءت فرقة الاستجواب ، وعندما رأونى على هذه الحال من الإكتئاب والفتور نظروا الى بعضهم البعض ثم سألنى أحدهم : « مالك النهاردة ؟ » .

قلت : « مش عارفة .. بس حزينة وقلقانة » .

قال الجاحظ : « أحنا صبرنا عليكى كثير .. وآن الأوان علشان تتكلمى .. أحنا عرفنا انك مدرّبة على أعمال المخابرات ، بس ده مش حايفيدك .

سألته : « مدربة ؟ .. فين ؟ » .

لم يرد واسترسلت : « حا اتدرب على إيه وليه ؟ .. هوه أنا كنت أتصور فى يوم من الأيام انه يحصل لى كدة .. اللى بيحصل ليّة دلوقت ما يخطرش على بال حد ، ولو كافر » .

قال : « احنا عارفين انك زوجة المشير .. مش عايزة ليه تعترفى ؟ » .

أصبح الحديث معادا مملا .. ولم أعد أسمع شيئا سوى أفواه تفتح وتقفل ، ولم تفلح تهديداتهم ، فقد كان الأمر بالنسبة لهم عملا ، اما بالنسبة لىّ فهو حياة .

فى هذا اليوم رفضوا صرف سجائرى ، وما سألتش ليه .. اما العشاء فقد احضروا لىّ نصف رغيف جاف وعليه قطعة جبن أكثر جفافا ، ولكنى تركته ، فتركونى .

وكالمعتاد .. امضيت وقتا مع الهواجس والظنون ، حتى غمرنى النوم ، وفى هذه الليلة أيضا رأيت عامر فى المنام .

رأيتنى مستلقية على الأرض فوق مرتبة فى حجرة ضيقة ، ودخل علىّ عامر مرتديا قميصا أبيض فى بنى .. ووقف عند الباب ، وقال لىّ بصوت هامس :

« افهمى كويس اللى راح أقوله دلوقت ... فيه اتنين راح ييجوا ياخدونى ، وحايكون باين عليهم انهم بيعاملونى بمنتهى الرقة .. ويطلبوا منى الخروج معاهم .. لكن ما تصدقيش تصرفاتهم ... ولما اخرج بصى ورايا وانتى حاتعرفى كل حاجة » .

وفعلا أقبل الرجلان على المشير مرحبين به .. وتأبط كل منهما ذراعا وقالا بلطف : « اتفضل سيادتك معانا » .

نظر عامر الىّ بحزن ، وكأنه يذكرنى بما قال ، ثم خرج معهما وهما يتأبَطان ذراعيه .

قمت من مكانى لأنظر وراءه ، .. فوجدتهم يعبرون صالة كبيرة تنتهى ببضع درجات من السلم ثم باب خارجى ، وما كدت أصبح عند رأس السلم ، حتى رأيتهما يجرانه جرّا ، ويسيئون معاملته .. نزلت السلالم عدوا ، فرأيتهم يركبونه سيارة ، بدأت تتحرك ، واستدارت ناحية اليسار .

ثم رأيت العربة تقف أمام فيلا قديمة ، مكونة من دور واحد ، وحولها سور ... ثم رأيت الرجلين يدفعانه إلى داخل المبنى ، وبعد ان غابوا أمام عينى وقفت أنظر .. وما هى الا لحظات حتى دوى صوت انفجار .. ورأيت دخانا ، ونارا ينبعثان من هذا المبنى .

« رائحة المـوت »

استيقظت فى الصباح ، واطياف الرؤيا عالقة بخيالى ، وحزنها يملأ قلبى ، عيناى تسكبان الدموع رغما عنى ، لم أكن أشعر انى أبكى ، برغم الدموع المنهمرة بغزارة على خـدى.

ودخل الحجرة ، فريق الاستجواب ، وما كادت عيونهم تقع علىّ وأنا فى هذه الحالة ، حتى وقفوا صامتين ، وعلامات الاستغراب على وجوههم .

وكان أول من تكلم « ابن الناس » الذى سألنى : « بتعيطى ليه .. دى أول مرة نشوفك بتعيطى .. فيه إيه ؟ » .

قلت : « أنا مش بعيّط ... لكن مش عارفة دموعى بتنزل .

نظروا الى بعضهم صامتين . ثم التفت واحد منهم إلى جانب السرير ، حيث كان يوضع جهاز راديو ، ولكن واحد منهم كان قد انتزعه منذ يومين .

قال : « ابن الناس » : « فيه حد قالك حاجة ؟ » .

قلت : « الباب مقفول بالمفتاح .. ومش باشوف حد غيركم .. يبقى مين حايقول لىّ ... وحايقول لىّ إيه ؟ » .

قال الجاحظ : « عشان كده بنسأل .. أنت بتعيطى ليه ؟ » .

قلت : « مش عارفة .. بس حاسة بحزن شديد .. مش عارفة ليه .. لم يبتسم هذه المرة على غير عادته ـ ثم نظروا إلى بعضهم البعض فى حيرة .. وغادروا الحجرة صامتين .

وبعد دقائق دخلت الحجرة امرأتان ، كل منهما ترتدى بنطلونا وبلوزة .. وجلسا معى فى الحجرة .

طلبت الذهاب إلى الحمام ، فأخذانى اليها . وهناك عرضت علىّ احداهما ان آخذ دشا ، فرحبت بالفكرة ، وما كدت اعطى الموافقة ، حتى امتدت ايديهما لتخلعا عنى الثياب

بطريقة مقززة ، .. واصابعها تندس إلى أجزاء من جسمى ، تتحسس ، وتتلصص ، وتبحث ، فصرخت فيهما ، وهممت بالأنصراف ، فصاحت إحداهن : « استنى » . وتقدمتنى الأخرى لتغلق الأبواب التى نمر بها فى الممر الطويل .

وتغيرت معاملتهما معى ، ومالتا إلى العنف والقسوة ، فكرهت وجودهما . سألت :

ـ انتم جايبينكم معايا ليه ؟

قالت إحداهن : « علشان نونسك ونساعدك .. » .

قلت : « لكن أنا مش محتاجة مساعدة » .

ردت الأخرى : « حانقعد معاكى .. عايزة واللا مش عايزة ، حانقعد معاكى .

أدركت انهما جاءتا لمراقبتى داخل الحجرة .. فلم يتركانى أغيب عن أعينهم ، وان خرجت إحداهما بقيت الأخرى ... وأصرتا على ان يظل مصباح النور مضاء حتى الصباح !!

وفى الصباح اختفت المرأتان .. وجاءنى الأربعة بكراسيهم ، والقوا أمامى بنسختين من جريدتى الأهرام ، والأخبار .. وأخذ عينى المانشيت الكبير « انتحار المشير » .

ولا شك ان رد فعلى ، لم يخطر لهم على بال قط .. فإن نوبة من الضحك تملكتنى ... وتزايدت وأنا أرى رد فعلهم ، فانطلقت أضحك .. وأضحك .. وأضحك .

كان « ابن الناس » يبتسم .. وقد تعود ان يبتسم خلسة ، كلما فشلت هجمة من هجماتهم !!

قالوا مستغربين : « انتى بتضحكى لأنه مات ؟ » .

ولم يعرفوا فى الواقع سر ضحكى ، فقد القى الله فى روعى ، ان هذه الجريدة مزورة ... وانهم صنعوها خصيصا لى ، لاقناعى بأن المشير مات ، فينتابنى اليأس ، واعترف لهم بكل ما يريدون .

ولم يأتنى هذا الخاطر من فراغ ، فقد حدث ان كان جلال هريدى ـ قائد الصاعقة ـ فى سوريا مقبوضا عليه بعد الانفصال ، فقد ارسل جمال عبد الناصر فرقة صاعقة بقيادة جلال

هريدى ، للاستيلاء على مدينة حلب ، وبعد وصول الفرقة ، أمره جمال عبد الناصر بتسليم نفسه ومن معه ، فقبضوا عليه ووضعوه فى سجن « المزّة » . وعذبوه تعذيبا شديدا ، ولكنه لم يتكلم ، .. فطبعوا له جريدة بها أخبار عن وقوع انقلاب فى مصر ، وعن مقتل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

وإزاء هذه الأخبار ، تكلم جلال هريدى ، وسجلوا لـه شريطا اذيع بالتليفزيون السورى ، وفيه نقد مرير لجمال عبد الناصر ، ولما سألوه عن عبد الحكيم عامر ، شكره وقـال : « كان راجل طيب وجدع .. الله يرحمه » ..

ولما عاد جلال هريدى ـ بعد حرب سنة ٦٧ وهو يظن انهم سيستقبلونه استقبال الأبطال فى مصر ، وجد أمرا بالقبض عليه واعتقاله .

لذا فقد ظننت انهم يلعبون معى نفس اللعبة الآن .. فكان هذا سر انخراطى فى الضحك .

قال « الجاحظ » وهو ينظر إلىّ كمن ينظر إلى مخلوق عجيب : « انتى انسانة غريبـة قـوى .. ما عندكيش قلبْ !! » .

قلت : « إذا كان مات .. فهو مش أكثر من أخو جوزى .. واحزن عليه طبعا باعتباره مصريا ، وكان بيشارك فى حكم مصر .

تقدم « ابن الناس » منى وقال : « احنا عايزين مصلحتك .. مش حاتقدرى تخدى معاش ليكى .. ولا معاش لابنك .. وراح يضيع حقك بالطريقة دى .. وهو مات وانتهى ، والحى أبقى من الميت ... فكرى فى مصلحة ابنك .. احنا نقدر نخليكى تخدى كل اللى يناسب زوجة المشير ... فيلا تعيشى فيها .. وعربية بالسواق .. وحرس .. كله على حساب الدولة .. وده حقك الدستورى .

وكان جوابى مزيجا من الضحك ... وقد أحسست فعلا بذهولهم .. ثم تركونى ، وعقلى يرفض فكرة موت المشير .

نزهة حول مبنى المخابرات

فى مساء هذا اليوم ، جاء « ابن الناس » وقد بدت عليه الطيبة والوداعة . وقال برفق : « اعتقد انك محتاجة تغيير .. تعالى نطلع من الأوضة دى ونتمشى شوية برة .. وفعلا خرجنا » .

وجدت الباب الحديدى مفتوحا عن آخره ، ووجدت المبنى محاطاً بسور كبير ، يطل على حارة .

فى هذه الحارة أخذنا نتريض ذهابا وجيئة .

بدأ الحديث معى بقوله : « احنا وحدنا دلوقت .. وانا عايز مصلحتك علشان تخرجى من هنا بسرعة .. ودى آخر فرصة لية علشان انقذك من الجو ده .. دول وحوش .. ويقدروا يعملوا أى حاجة ، وانتى دلوقت وحدك .. ولا حد عارف عنك حاجة ، .. ولا انتى فين ... وانتى عارفة ما فيش أسهل من تأليف حكاية عنك وتبقى فى خبر كان .. ونقدر نخلى الرأى العام يلعنك .. مثلا حكايات تمس شرفك .. عشان كده عايزك تتصرفى بذكاء المرة دى .. ونتكلم بصراحة فى كل شىء ، عشان أقدر انقذك من الوحوش دول .

سألته : « عايز إيه ؟ » .

قال : « احنا عارفين كويس انك مرات المشير ، ومعانا ورق من حسن ومصطفى أخوة المشير انك مرات أخوهم ، وقالوا ان عمرو يبقى ابن اخوهم المشير ، ودلوقت بما انك مراته ، عايزين نعرف منك مين كان بيزوره ، أو يكلمه ، وتحركاته بعد الحرب ، واراءه عن الحرب ، وأى كلام قاله عن الهزيمة .

قلت : « قلت لحضرتك انى ما اعرفش المشير » .

قال : « دى آخر مرة حاتشوفينى فيها .. ودورى انتهى لغاية كدة ...

استجواب بالكرباج

انتهت الفسحة .. وعاد بى « ابن الناس » إلى زنزانتى . وتركنى فيها .

ويبدو أنهم كانوا فى انتظار عودتى من مرحلة « الدحلبة » ، فما هى إلا دقائق ، حتى فتح الباب ، ودخل « الجاحظ » . وأخذنى إلى الدور الأرضى .. ووجدت نفسى داخل الحجرة ، ذات الثقوب فى حوائطها ، لتسجل الصوت والصورة .

لاحظت تغييراً فى طباع الجاحظ ، فبدا قاسياً ، فظاً ، يتصرف معى بوقاحة !!

وقال بلهجة نابية : « مش راح تطلعى من هنا أبداً .. عندنا أوامر .. يا احنا يا انتى ..

تذكرت قول المشير : « السياسة لعبة قذرة .. وأنا لا أصلح لها » . فعلاً أنها لعبة قذرة .. وأحسست بالهوان ، فهان على كل شىء ، وتمنيت الموت فراراً من هذا الأصلع تلميذ أجهزة عبد الناصر .

أمسك « الجاحظ » كرباجاً بيده ، وأمسك بى اثنان .. وضعا يدى فوق رأسى .. وانهال الكرباج يمزق جسدى ، و ... أفقت ، فوجدت نفسى مرتمية على الأرض بنفس الحجرة ، ونظرت بصعوبة فوقعت عيناى على وجه لم أره من قبل ، كان يتكلم ، وكنت اسمعه بصعوبة .. قال : « احنا عندنا أوامر ، يا احنا يا انتى .. حاتفضلى تتضربى كل ساعتين ... يعنى يا تموتى .. يا تتكلمى مافيش ثالث » .

وعاود ضربى بالكرباج ، حتى فقدت الوعى مرة أخرى .. وعندما أفقت قال الجاحظ :

ـ « اكلك من النهاردة حا يكون عيش حاف وميّة ، ومش حاتدوقى سيجارة ، ومش حا تخرجى من هنا أبداً .. كل يوم حا يكون فيه نظام جديد .. وحا تتمنى فى يوم من الأيام ، إنهم يدوكى العيش الحاف .. يا احنا يا انتى ... »

نفس عبارة « الجاحظ » .. لقد أعطوه الضوء الأخضر ، وأصبحت أيامى معدودة ... وكم اتمنى الموت (*) .

---

* كان المشير عبد الحكيم عامر قد مات فعلاً فى اليوم السابق يرحمه الله رحمة واسعة .

ومكثت فى هذه الحجرة المفزعة ، دون أن أدرى كم من الوقت قد مر على . وكلما أفقت بعد نوبة جلد ، أجد طبيباً يضمد جراحى .

نظرت إلى « الجاحظ » وقلت : « عايزة أشوف الراجل اللى كان بيتمشى معايا .. »

سألنى : « عايزاه فى ايه ؟ »

قلت : « حا اتكلم معاه ... »

قال : « لما نشوف آخرتها معاكى ... يا احنا يا انتى » .

وبالفعل جاء « ابن الناس » واشترطت ان يكون الحديث بينى وبينه على حدة وقال أنا مش قلتلك ، ونصحتك ... »

قلت له : « إذا كنت ما اتكلمتش ... فده مش بس عشان أحمى المشير ، لكن عشان كمان أحمى عبد الناصر .

باغته قولى .. فسألنى بسرعة : « انتى تعرفى الريس ؟ »

قلت : « ما أقدرش أجاوب .. لكن المفروض ان واحدة زيى ، حصل لها كل ده ، من غير ما تتكلم ، يبقى مش حا تتكلم .. فى أى ظرف حتى لو هددوا حياتى وحياة ابنى الرضيع » .

تساءل : « وليه ما تتكلميش » .

كنت أشعر أنه يحمل ميكروفوناً فى جيبه ، يرسل إلى أجهزة التسجيل فى المبنى .. فقلت فى نفسى ، لعل هذا التسجيل يرسل ما أريد قوله للرئيس عبد الناصر ، فقلت :

ـ الحقيقة إن البكرة مكعبلة جداً .. والخيوط داخلة فى بعضها ، وإذا بدأت أفكها ... حاتنفك كل الخيوط ... وعدم فك البكرة راح يفيد كل الأطراف .

نظر إلى مبتسماً وقال : « مصيبة لو كنتى تعرفى الريس ونطلع مش فاهمين حاجة ..

قلت : « مش لوحدك »

قال : « وازاى أفهم » .

قلت : « من مصلحتك انك ما تفهمش .. وإلا راح تبقى مكانى .. وانتهت المقابلة .

ومكثت تشغلنى آلام بدنى عن كل شىء ، حتى صرت لا أدرى أأنا فى يقظة أم نعاس

فما كان فى جسمى موضع أستطيع أن أميل عليه .. فكنت أنام ولا أنام ، وبين الحين والحين يومض فى رأسى « ابن الناس » ورسالتى لجمال عبد الناصر ، وأعيش بين الخوف والرجاء .. فلعلها تأتى بنتيجة ، ويفرج عنى ، ولعلها .. تدفعهم إلى قتلى . وما كان علىّ سوى الانتظار الملىء بمشاعر الألم .

وبعد يوم تقريباً ، جاءوا قادمين فى عجالة واهتمام ، ورفعونى من فوق الأرض بعناية .. وأجلسونى على كرسى ، وبدأوا فى تقديم أفخر الطعام والسجائر ، ولم أعد قادرة على فهم ، لماذا فعلوا بى ما فعلوا ؟ .. ولا لماذا يفعلون ما يفعلون الآن ؟!!

* * *

فجأة أصبحوا فى منتهى الرقة والدماثة .. فركبنى الخوف . ان الإنسان فى هذا المكان يخاف البسمة ، كما يخاف العبوس ، يخاف الرقة ، كما يخاف القسوة ، فهم يعودونك على أن توجس شراً من كل شىء .

وسألتهم : « انتوا عايزين ايه ؟ » .

فقال أحدهم : « إحنا مش عاوزين منك حاجة .. موضوعك عند الريس ..

إذن فقد جاءهم الأمر برفع أيديهم عنى ، وحملونى حملاً إلى حجرتى الضيقة بالدور الأول ، فلن أكن استطيع السير ... وأحضروا لى طبيباً قدم لى عقاقير لا أعرفها ، وضمد جراحى .

ولم أدرِ أمرت أيام أم ساعات حتى تمكنت من السير ، ولم تعد تطالعنى منهم سوى وجوه باشة ودودة !!

وعجبت .. كأنى فى وسط فريق تمثيل ، يؤدى أفراده أدواراً مختلفة .. ولم أطمئن !!

وفى أحد الأيام ، بعد أن زارونى زيارة ودية ـ خرجوا وتركوا الباب مفتوحاً .

ورأيت من فتحة الباب الشاب الصغير ، الذى سبق وأعطانى اشارة بمعنى أن شخصية هامة ستأتى .. وأعطانى الشاب اشارات هذه المرة بهذا المعنى .

ولم يمض وقت طويل حتى ساد الهرج والمرج ، فى الممر الذى به حجرتى ، ودبت فى المبنى حركة نشطة ، من كنس وتنظيف ، و نقل موبيليا ، وأبواب تقفل وتفتح .. ثم جاء من أغلق الحجرة با لمفتاح .

وفى حجرتى ، كانت تصلنى أصوات الأقدام المهرولة ذهابـاً وإياباً فى الممر الضيـق .

بعد ساعات حضر « ابن الناس » ومعه شاب طويل أسمر اللون أصلع ، ثم أخذانى إلى الحجرة الفسيحة ذات الأسلاك ، ويبدو أنها حجرة رئيس هذا المبنى ، ومنها إلى حجرة صغيرة ملحقة با لمكتب .

وجدت شخصاً يجلس إلى مائدة مستديرة .. وكان أمامه كرسى شاغر ، طلبوا منى الجلوس عليه .

جلست أنظر إليه صامته .. إلى أن عرفنى بنفسه : « أنا سامى شرف !! »

وانتظرت ـ كان الرجل الأبيض السمين الجالس أمامى ، يتحرك فوق الكرسى كثيراً ، منتشياً بحالة من التيه ، والعجرفة ، والتحدى ، وأخذ يهز جذعه بحركة رتيبة وهو يقول : « أنا كنت ما أقدرش أدخل المبنى ده .. دلوقت خلاص المبنى رجع لنا ... وأبو رقبة طويلة ـ يقصد شمس بدران ـ بقى تحت أيدى .. والدم حا يبقى للركب .. حكاية ثورة بيضة دى خلاص انتهت ... »

وتذكرت قول المشير : « حيخربوا البلد .. » وخيل إلى أنى أشم رائحة عفنة . واسترسل سامى شرف ، وهو يتيه عجباً على كرسيه : « أنا كنت عنده النهارده ... وقلت له يبطل قنزحة .. خلاص راحت عليه ... ورقبته الطويلة دى ... حا اكسرها .. لأ .. دأنا حا امحيها خالص .. هاها هاها » ...

وضحك سامى شرف بقوة ، وان كنت لم أر أين النكتة فيها قال :

ثم أكمل حديثه : « وأنا حا أخلى رقبته الطويلة .. تبقى قد السمسة » .

وأهتز جزلانا وهو يضحك ثم قال : « ولا قدر يرد على .. وأنا ماكنتش عارف أكلمه .. وكل ما أكلمه يقفل السكة فى وشى .. أهو دلوقت ما عندوش تليفون فى السجن يقفله فى وشى » .

ثم أرسل ضحكات الشماتة ، وهو يرمقني بعينيه ، ولعله كان يريد مني أن أشاركه الضحك على ما يظنه فكاهة .

ثم قال : « الريس مبسوط منك .. وبيقولك نجحتِ في الامتحان . وبيطمنك انت وابنك عمرو في حمايته ، وأنا معايا جواب من الريس » .

وأخرج من شنطة « سامسونايت » خطاباً في حجم « الفولوسكاب » مكون من ورقتين وأعطاهما لي ، بينما هو مستمر في كلامه :

« دي أسئلة من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً علشان تجاوبي عليها » .

من جمال عبد الناصر إلى السيدة برلنتي عبد الحميد ..

كانت الورقة بخط جمال عبد الناصر ..

بدأ ناصر خطابه بطمأنتي بأني سأكون في أمان مهما قلت ـ أنا وابني عمرو ـ ومهما كان فيه من جرائم ، وأن الأمر سيكون سراً لا يعلم به أحد ، وأن مع سامي شرف ظرفاً به ورق وأستطيع أن أكتب في الورق ما أشاء ، وأضعه في الظرف ـ يريد أن يتأكد من حسن نيتي تجاهه . وذلك بالإجابة الصريحة على أسئلته .

ومما جاء فيها أيضاً : « انت لا تعلمين أن الجيش يغلي مثل البركان .. وانت يهمك بلدك .. وهناك خطورة على البلد .. ولا أعرف الضربة من أين تأتي ؟ .. وأي معلومة عندك ستفيدنا ، وتساعد على تكملة الصورة لدينا ، أو تكون خيطاً يوصلنا إلى ما يفيدنا ـ وأنا أعرف أن حكيم بيتكلم معك في كل شيء ، واعتبري هذا صكاً مني بالأمان لك ولعمرو الذي اعتبره كإبني تماماً .

ثم أشار إلى استطاعتي العيش في الخارج ، وأن يوضع لي في أي وقت اختاره مبلغ يكفيني ، ويغنيني طول حياتي .

أسئلة عبد الناصر

وكانت الأسئلة تدور حول رأى عبد الحكيم عامر فى علاج الهزيمة ، لأنه قال له ـ أى لجمال ـ أنه من الممكن علاج ذلك ، ويريد هـذا الرأى بشكل تفصيلى ، لأن عامر قـال : « أنها مشكلة يمكن حلها » وهو ـ أى ناصر ـ يتساءل كيف ؟

ثم ماذا يقول عامر عن ناصر أثناء حديثه معى ، وهل كان عامر يسمى ناصر اسما وصفياً (*) ؟

وما هو موقف صلاح نصر من بعد الهزيمة .. واراؤه وأقواله بالنسبة لعبد الناصر ؟ وكذلك موقف عباس رضوان بالنسبة لجمال عبد الناصر ؟ .. وعصام خليل وهل كان يزور حكيم كثيراً بعد الهزيمة ؟ .. وماذا قالوا فى جلساتهم معى فى بيتى بالهرم ؟

وأثناء استغراقى فى القراءة ، كان سامى شرف قلقاً يتحرك فى أرجاء الحجرة ، ثم يجلس على كرسيه ، ثم ينهض مرة أخرى ليسير فى الحجرة حولى . ثم فاجأنى بسؤال عجيب :

ـ سيادة المشير كان رأيه إيه فى الروس .. وهل تحدث عن شىء بالنسبة لهم ؟

ولم ينتظر إجابتى فاستطرد : إحنا عارفين أن سيادة المشير بيكره الروس .. لكن كان بيقول إيه عنهم ؟

نظرت إليه وقلت : « المشير واضح ... وبيقول رأيه للريس بصراحة .. وضرورى إنك عارف خطبه فى الجيش ، اللى قال فيها شيوعى عميل .. أمريكى عميل ـ إحنا مصريين . يعنى كان رأيه بيعلنه فى كل مناسبة رسمية وغير رسمية .

قال : « آه .. احنا عارفين ده .. لكن سيادته مقالش كلام عن أحداث .. أو مقابلات ـ يعنى أى تفاصيل ـ خاصة بالروس ؟

---

* كان عبد الناصر معتاداً على إطلاق أسماء وصفية على بعض زملائه من مجلس قيادة الثورة ، مثل النسناس ، الفريزيان ، بريا ، وهكذا ..

وأطرقت برأسى ناظرة إلى خطاب الرئيس . أتابع قراءة الاسئلة ، كان الخطاب يتضمن أسئلة عن قواد الجيش الذين كلموا المشير وزاروه ، وعما كانوا يقولون ، وما هى اسماؤهم ؟

وأين كان يذهب عبد الحكيم فى الشهور الأخيرة .. ومع من كان يتقابل ؟

ثم سؤال عن الآلة الكاتبة ، وأين خبئت ؟

وبعد أن انتهيت من قراءة الخطاب ، سألت سامى شرف : « لم يرسل معك الرئيس ظرفاً ؟ »

قال : « هذا الظرف » وناولنى الظرف ، الذى فتحته ، فوجدت به ورقتين فارغتين بحجم الفولسكاب .. وبدأت فى الكتابة :

من برلنتى عبد الحميد إلى جمال عبد الناصر .

وأوضح هنا للقارىء ، أنى بدأت الخطاب بهذا الاستهلال ، ظناً منى أن هذا هو الشكل المناسب فى المخاطبات الرسمية .. مثلما قرأت فى خطاب عبد الناصر . وحتى لا أقع فى خطأ لا يتفق مع « البروتوكول » . وأدرك الآن كم كنت ساذجة !!

وقبل أن أمضى فى الكتابة ، فكرت أن موضوع « الآلة الكاتبة » لن يضر أحداً .. ورأيت أن أشغل به الصفحات ، ولأكسب وقتاً للتفكير ـ المهم شرحت قصة الآلة الكاتبة ، وكيف أن متولى احضرها فى صندوق من الكارتون ، حتى لا يستعملها الضباط المقيمون فى منزل عبد الحكيم عامر بالجيزة ، حتى يمكن تضييق الخلاف بينه وبين ناصر ، وعندما وصلتنى أعطيتها لخطيب أختى ليدفنها فى إحدى القرى ، وأنا مستعدة لإحضارها بنفسى ، لإثبات حسن نيتى ، وليتأكد الرئيس من أنها لم تستعمل ضده ، وكنت متأكدة من ذلك ، وظهر فعلاً صدق قولى فى التحقيقات .

وقلت بشكل عام : « أن الجميع يحبون الرئيس ، ويتناولون سيرته بالحسنى »

أما عن سؤاله عن رأى عامر فى الهزيمة ، وكيف تحل مشكلتها ، فأنا لا أعرفه .

أما الأشرطة التى سجل عليها أسباب الهزيمة ، فإنى لم أسمع عنها قط .

وختمت خطابى بأن ناصر لن يجد شخصاً وفياً يثق فيه ، ولا يطعنه من الخلف مثل عامر ، وأنه فعلاً يحبه ويحترمه . ويقف ضد أى إنسان يحاول مجرد الإساءة إلى ناصر . ورجوته ألا يسمح لأحد أن يتدخل بينهما .

طويت الورقتين ، ووضعتهما فى الظرف ، وأغلقته .. وقلت لسامى شرف : « بلغ الرئيس أنى مش عايزة حاجة .. ولكن لى طلب واحد فقط .. هو أن أرى عامر .

قتلوا عـامر

حين نطقت اسمه ، فاضت نفسى لوعة وحزناً ، وغلب علىَّ شعور بالاختناق ، واسترسلت متوسلة إليه : « أرجوك .. عايزة أشوفه ، مش عايزة أى حاجة ، غير أنى أشوفه واطمئن عليه » .

ويبدو أن سامى شرف تأثر بحالتى ، فتهدج صوته وهو يقول : « مـا نقدرش لأنـه عيان » .

قلت : « أذهب معك إلى أى مكان يكون فيه ، وبعدها رجعونى تانى » .

قال : « الحقيقة هو حصلت له حادثة » .

فرت الدموع من عينى ، وأنا أقول « حادثة .. ازاى »

قال متلجلجاً : « كنا بننقله ... من مكان لمكان .. وجت فيه رصاصة » .

هببت واقفة وأنا أبكى ، وقلت مستعطفة : « حصلت له حاجة ؟ » .

أرجوك كلمنى بصراحة .

قال : « لا .. الرصاصة جت فى دراعه بس .. وهو بيتعالج » .

سألته : « فين ؟ » .

قال سامى شرف : « فى مكان سرى .. ما تقدريش تدخليه .. »

سألته : « وحالته خطرة ؟ »

قال محاولاً أن يقربنى من الكارثة ، ويعدنى للخبر الرهيب :

« هو حالته تعبانة قوى .. مش معروف حا يعيش واللا لأ » .

ركعت على قدميه مستعطفة : « أبوس رجلك . ودينى له .. »

ولما ازداد ضغطى عليه قال: « أنا عايز أعصابك تكون جامدة.. وتتحملى اللى راح أقوله » .

قلت : « عايزة الحقيقة » .

بعد تردد أدار وجهه وقال : « هو انتحر !! » .

وكأن انفجاراً وقع فى دماغى ، فصرخت بلا وعى : « قتلوه ، المشير ما ينتحرش ، دا مؤمن بالله .. عامر مايموتش كافر ... »

وكأن صراخى شفرة سرية معناها : « زلزال !! »

فى غمضة عين تبدلت الدنيا ، وساد الظلام .

دارت بى الأرض ، ودارت الغرفة ، ووجدتنى اتخبط وسط أجسام بشرية تتزاحم حولى .. وكأنى نقلت ـ بلمسة شيطانية ـ إلى خلاط الأسمنت والزلط ... يدور بى ويدور ، وأنا اتصادم مع حجارته واتفلفص وأتألم ، وصراخى ينطلق من داخلى فيدوى صداه برأسى ، وصدرى وكل جوارحى : « قتلوك يا عامر .. قتلوك يا عامر .. » والبرق يخطف بصرى .. أين أنا ، من هؤلاء الناس ، ومتى ينزلون بى ضربتهم القاتلة ، أتكون طعنة فى الظلام ، أم رصاصة معدة بيد أحدهم .. أم ترانى أموت خنقاً ؟!!

أحاطت بى أذرع تشدنى إلى الخلف ، فامتلأت خوفاً ، وامتلأت قوة .. فرحت أتقافز بينهم ، وأتملص من أيديهم الممسكة بى تسحبنى .. وصراخى يكاد يحطم الجدران الصماء ، وهم يسحبوننى .. ويسحبوننى ، والبرق يومض فى المكان ، وهم يسحبوننى ، وعلى وميضه تبينت أريكة بجوار الحائط ، وأحسست وكأن صراخى أصابهم بالجنون ، « قتلوك يا عامر .. قتلوك يا عامر .. »

كنت أصرخ ولا أستقر على وضع ، وأحسست انهم يريدون أن يفعلوا شيئاً ، ولكن حركتى الدائبة ، كانت تحول بينهم وبين ما يريدون ، وعلى وميض البرق رأيت أجساماً فى ثياب بيضاء .. وكأنى فى مشهد رعب ، فى بيت الأشباح ، وصراخى الملتاع يدوى ، ويدوى « قتلوك يا عامر .. » .

والجنون من حولى يتزايد ، والظلام يغرق كل شىء ، حتى السواعد التى تمسك بى ، لا أرى وجوهاً ، وكأنى فى كابوس يملؤنى رعباً وحزناً وغضباً .

أصبحت فى كرب شديد ، ومن وسط الظلام ، امتد ت يد حانية ، أعادتنى لمستها إلى الصواب ـ وبارك الله فى صاحب هذه اليد العطوف ـ يد أمسكت يدى وراحت تضغط عليها ، بانتظام المرة تلو المرة ، وكأن صاحبها يقول لى « خدى بالك .. خدى بالك » .

أفقت .. وأدركت انى كنت متجهة إلى الموت ، وهذه اللمسات المحذرة ، نبهتنى .. فغيرت اتجاهى .

لم أكف عن الصراخ ، فما كنت قادرة على الصمت ، وواصلت : « لازم حد قتله .. مش معقول الريس يكون عارف ؟ .. ده أكتر واحد بيحب الريس ، واكتر واحد يخاف عليه .. وهو اللى كان حاميه ، قولوا للريس من النهاردة ما ينامش ، إلا وتحت مخدته مسدس .. ده الوحيد اللى ماكنش يخون .. » .

لا أدرى كم عاماً أنفقتها خلال هذه الثوانى .. كل ثانية دهر من العذاب والفزع .

ويبدو ان عباراتى الأخيرة جاءتنى بالإفراج .. فإذا بكل شىء يسكن فجأة ويضاء النـور ، واختفى سامى شرف ، وأدركت أن الخطر على حياتى قد زال ، وأخذنى « ابن الناس » إلى حجرتى ، وأناأمشى معه بصعوبة شديدة .

واغلق باب الحجرة علىَّ وعلى المرأتين الملازمتين لى ، واللتين تلقيتانى فور دخولى الحجـرة ، وحملتانى إلى السرير الحديدى ، حيث رقدت شبه ميتة ، أو جثة لا دليل على الحياة فيها سوى أنفاس تصعد وتهبط .

وفى مرقدى الخشن ، غمرتنى الذكرى .. ورفض عقلى أن يصدق أن المشير انتحر .. وذاكرتى تعيد علىَّ بعض أقوال المشير وتلميحاته إلى احتمال قتله . والرؤيا التى رأيتها وقوله لى « انظرى خلفى .. وستعرفين كل شىء » .

لم أصدق أبداً ، رغم الضرب ، والإرهاب ، والاغراء ، ان المشير انتحر !!

ولكن عقلى الرافض بدأ يتجه بى وجهة أخرى ، وتبنى فكرة ان المشير لم يمت ، وإنما هو مسافر إلى « يوغوسلافيا » ـ كما عرض عليه عبد الناصر ، وقرر البقاء هناك حتى تستقر الأمور .. وان اتفاقاً بينه وبين جمال قد تم على ذلك ، وان اطلاقهُ إشاعة انتحاره ، إنما هى للتمويه .. حتى يتم القضاء على القلائل داخل الجيش ، فيدعوه جمال للخروج من مخبئه .. وسيعود ، فهو على قيد الحياة .

وتمسك عقلى بهذه الفكرة ، فرحت أقلبها ، وأستحسنها ، وأقتنع بها .. بل ورأيتها معقولة للغاية .. فعشت بها ، وارتاحت نفسى رغم آلام البدن ، وخشونة الفراش .

مكثت أياماً حتى تماثلت للشفاء ، وكانوا خلالها يحسنون معاملتى ، فقدموا لى الطعام والسجائر ، مما أكد لى صدق ظنونى فى بقاء المشير على قيد الحياة .

ما أعجب الإنسان ، هؤلاء الزبانية ، تحولوا إلى مواطنين مجاملين .. والحديث بينى وبينهم يجرى بلطف وسهولة ، مادام قد توقف الاستجواب .

بل ان باب الزنزانة ترك مفتوحاً ، بلا اقفال ، أو متاريس ، وأصبح فى إمكان أختى زهرة أن تزورنى ، وفى إمكانى أن أزورها فى حجرتها .. ووجدنا ـ أنا وهى ـ فى هذه الزيارات تسرية عن النفس ، وفى أول مرة جاءت فيها إلىّ ، حكت لى عن قصة المخدر الذى وضعوه لها فى السكر مع الزبادى ، وعما فعلته من لف نفسها بملاءة السرير لفاً محكماً .. وضحكنا كثيراً من هذه القصة . وسألتنى « زهرة » :

ـ صحيح أبيه مات ؟

كانت تقصد المشير . فأجبتها وأنا أتخذ سمت العارفين ببواطن الأمور : « لا .. جمال سفره يوغوسلافيا .. وطلعوا إشاعة انه مات لغاية الأحوال ما تهدأ فى الجيش .. وراح يرجع تانى .

قالت بفرح : « يعنى ما متش يا أبلة ؟ » .

قلت : « لا يا حبيبتى .. دى خطة عاملها هو وجمال .. وأنا كنت عارفة الحكاية دى من الأول » .

وهكذا عشنا أياماً فى مبنى المخابرات العامة ، فى هدوء بلا تعذيب ، ولا استجواب ، بل وتلقينا فيها معاملة طيبة .

« عبد الناصر على التليفون »

وذات مساء قرب منتصف الليل ، رأيت الجاحظ واقفاً أمامى باحترام شديد وهو يقول : « تليفون يا افندم » ورافقته إلى المكتب حتى جاءت المكالمة . وضعت السماعة على أذنى ، فإذا بى أسمع صوت جمال عبد الناصر :

ـ ازيك يا برلنتى .. عاملة إيه ؟

ودهشت من هذاالسؤال، فهو يعلم أين أنا ، وماذا حدث لى « حا أكون عاملة إيه ؟ » .

رددت عليه بقولى : « الحمد لله » .

قال جمال : « مبروك .. نجحت فى الامتحان .. انت حا تروحى خلاص . لكن حا أحدد إقامتك » . يعنى مافيش خروج ولا دخول ، مافيش زيارات ، أنا ماشى فوق رمال متحركة ، ومش ناقص دوشة ، مش عايز أى مخالفة لتعليماتى ، وزى ما كنتى ماشية بالضبط تمشى ، مش عايز أسمع كلام عنك . مافيش شغل طبعاً » .

قلت : « لكن ياريس حضرتك عارف .. انى مسئولة عن أمى واخواتى . ده غير عمرو وإذا ما اشتغلتش حايعيشوا ازاى ؟ » .

قال : « أنا عارف .. وحا أعمل حساب انك ما تحتاجيش حاجة انت وعمرو ، ده زى ابنى » .

قلت : « اللى تشوفه حضرتك .. بس أنا لى رجاء » .

(صمت) ، فقلت : « عايزة أعرف .. عامر مات .. واللا سافر يوغوسلافيا ؟ » .

قال : « انت شايفة ايه ؟ » .

قلت : « شايفة ان سيادتك سفرته يوغوسلافيا ، لغاية الحال ما يهدأ وترجعه تانى » .

قال : « كويس » ثم ضحك قائلا : « مش وقته .. بعدين حاتعرفى» وانتهت المكالمة .

* * *

بعد هذه المكالمة ، وفى الصباح ، أخذونى وأختى زهرة إلى « إدارة المباحث العامة » فى لاظوغلى ، ومكثنا هناك ساعتين لاتمام بعض الاجراءات ، ثم حملونا فى سيارة إلى منزلى بالعجوزة ، وخيرونى بين الإقامة فى شقتى قبل الزواج أم فى فى الهرم ، فاخترت الإقامة فى العجوزة ، لأنها آهلة بالسكان .

من السجن إلى السجن !!

نزلنا من العربة على بعد أمتار من العمارة التى اقطن فيها ، وأكملنا الباقى سيرا على الأقدام ، وكان أول ما لاحظته هذا العدد الكبير من رجال الشرطة ، والمخبرين المنتشرين أمام العمارة . وكأن المكان ينتظر زائرا كبيرا !!

باب الاسانسير كان يحرسه اثنان ، وصعد معى اثنان ، وعلى باب الشقة اثنان ، وفى قلب الشقة اثنان ليقيما معى .. أما السلم فقد تناثروا عليه ، يراقبون الصاعد والهابط فأنا ... ممنوع الاقتراب منى !!

تحولت العمارة إلى سجن محاط بالحراس والمخبرين .. سجن ليس فيه سوى سجين واحد هو أنا . أما باقى السكان فقد قرأوا المحذور فتباعدوا عنى تماما .

ولا أنكر فرحتى بالأفراج ، ولم تنل من هذه الفرحة ، صدمتى بتلف شقتى ، فقد أخذتنى الفوضى الضاربة فى أرجائها حال دخولى ، كل شىء مبعثر ، وكل شىء منكوش ولكن ... كل شىء ذاب وأصبح فرحة غامرة حين القوا بطفلى على صدرى ، قبلته ، وضميته ، وضغطته فى أحضانى ، واختفى عن نظرى كل شىء فى الوجود ما عداه ... والتصق بى عمرو احسسته كتلة دافئة لينة ، تريد ان تتوغل داخل صدرى بحثا عن الحنان ، وبدافع غريزى اعطيته ثديى ، الذى غاب عنه شهراً ونصف الشهر ... وكم افرحنى - وبالتأكيد أفرح عمرو ايضا أن وجدته يدر لبنا للطفل المحروم ... الذى نزل به عقاب دون ذنب جناه .

لم أستطع ابعاده عنى .. كلما حاولت .. التصق بى ، وظل معى حتى غلبنى وغلبه النعاس .

وفى اليوم التالى ، كانت قد ولّت لحظة اللقاء السعيد ، وواجهت الواقع العابس ... واقع العزلة من الحياة والناس ، فى شقة مشوشة كئيبة ، يشاركنى فيها رجلان غريبان ليلا ونهارا ، حتى التليفون قطعوا عنه الحرارة .

جنيهاتى العشرون ـ كل ما أملك ـ انفقتها سريعا ، فكوب الشاى يكلفنى ـ فوق ثمنه ـ ثمن الكوب ، والبراد ، والملعقة فكل ادوات منزلى وجدتها مفقودة .

وأصبحت خالية الوفاض ، ولم يبّر جمال بوعده ، فلم أجد أحدا يقدم الطعام ، أو المال ، أو أى عون كان ، يساعدنى أنا واختى وخالتى وطفلى الرضيع على العيش .

ونضب المال ، فأصبحنا مهددين بالجوع ، بل ان الجوع قدمسنا فعلا ، واعلن الرضيع عن جوعه بالصراخ والبكاء ، فقد كان لبن الثدى شحيحا ، بسبب الاعتقال ، وسوء صحتى .

كل السبل أصبحت مسدودة فى وجهى ، فلا جار يغنينى ، ولا صديق يمد يد العون ، ولا أهل .. أمى حددت إقامتها فى شقتها ، وأختى زهرة حددت إقامتها وهى فى شقتى ، وباقى اخوتى صغار فى حاجة إلى من يعولهم ، وعائلهم ـ وهو أنا ـ محددة إقامته .

خرجت إلى أحد المجندين الواقفين على باب الشقة ، قلت له : « الفلوس اللى معايا خلصت .. وما عدتش عارفة أجيب فلوس منين ... اعمل إيه دلوقتى ؟ » .

قال الرجل : « بيعى أى حاجة .. » .

نظرت حولى ، فوقعت عيناى على راديو ترانزستور ، فأمسكته واديته له : « ده ينفع » ..

قال : « نعم » واخذه منى وغاب وقتا ، ثم عاد وأعطانى عشرة جنيهات ، ثمن الراديو ، فشكرته .. طلبت منه شراء بضعة كيلو جرامات من البطاطس ، وزجاجة زيت ، وزجاجتى لبن .

وعشت على البطاطس المسلوقة ـ أو المقلية ـ وأصبحت هى وجبتى الوحيدة ، وأحيانا كنت أطلب من المخبر ان يشترى لنا « كتغيير » سندوتشات فول أو بذنجان مقلى .

فى هذه المعيشة الضنك ، هبت علىّ نفحة سرور ، ومن عجب أنها اتت من حارسى ـ الضابط المقيم معى ـ إذا اقترب منى معرفا نفسه : « أنا فلان .. أبو الليل » . رفعت عينى إلى وجهه مستغربة ، فاردف وهو يبتسم على استحياء « أبو الليل » وأكد على حروف الكلمة ... فأدركت ما يريد قوله . فإن عائلة « أبو الليل » هى عائلة والدة عبد الحكيم

عامر . وواصل الضابط مواسيا : « معلهش ... أزمة وتزول بإذن الله .. وفرج ربنا قريب » أحيت كلماته بصيصا من الأمل فى نفسى . واستمر الضابط يقول بأدب جم « عن نفسى » أنا قاعد فى الصالة مش حتحرك منها ، واعتبرينى مش موجود خالص » وحا ابقى أشوف حكاية الحراسة داخل الشقة » .

نعمة هبطت علىّ من السماء ، فالطمأنينة ، وسكون النفس ، من نعم الله ا لكبرى على الانسان ، وفى هذا الوقت كنت قد فقدتها تماما .. فالخوف كان رائدى ليلا ونهارا ، رغم كثرة الحراس من حولى .. فأنا لم أكن خائفة سوى من حراسى .

وانفقت من الجنيهات العشرة على مدى أسابيع ثم نفدت ، ولما ضاقت بىّ الحال ، ولم يأتنى عون أو مدد ، طلبت من الضابط المقيم معى ان يبلغ المأمور « بقسم العجوزة » . أنى أطلب رؤيته لأمر هام ، فوعدنى بأنه سيفعل .. وقد برّ بوعده ، ففى اليوم التالى جاء مأمور قسم العجوزة .

شرحت للمأمور حالتى .. وقلت له أنا وعائلتى تحت مسئوليتكم ، فلا يعقل أن تتركونا بلا طعام ، وطبعا الشقة ليست بها مزرعة حتى نقطف ونأكل منها . ولا انتم تركتونى حتى أعمل واخرج للبحث عن حل .. يعنى أنا لو خرجت من باب الشقة وقتلت أى أحد من الواقفين على الباب ، فإن وضعى سيتحسن ، لأنه سيقبض علىّ واحاكم وقد ابرأ وفى الوقت نفسه سيقدمون لىّ الطعام بالسجن . أرجو تبليغ المسئولين أنى سأصرخ من البلكونة .. وأقول لكل من فى الشارع والواقفين على محطات الأوتوبيس ما يحدث معى .. ومع أسرتى .

استمع إلى المأمور باهتمام ، ثم وعدنى بأن يبلغ كلامى للمسئولين ، ثم انصرف .

لكن ضغط الحياة استمر ، وضاقت بىّ الدنيا بما رحبت ، كنت قد استنفدت كل ما يمكن بيعه من قطع صغيرة ، مثل الساعة ، سلسلة المفاتيح ، أى شىء معى اعطيه للمخبر فيذهب ويعود إلى بثمن بخس ، نتقوت عليه أنا ومن معى .

وكان طبيعيا ان تطول أوقات الأفلاس ، ويعضنا الجوع ، وكان أقلنا تحملا للجوع هو ولدى الرضيع عمرو ... الذى أصبح صراخه وبكاؤه يدويان على الدوام فى الشقة .

ولما طال بكاؤه ، سألنى أحد المجندين عما به ، فقلت له جائع . وكأن الرجل أصيب بصدمة كهربائية ، فقد انطلق من أمامى إلى الخارج وهو يزعق « لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. » وغاب المخبر لحظات ، كان خلالها زميله يقرأ القرآن بصوت مرتفع على باب شقتى ، حالة انتابت هذين المخبرين الطيبين ، لما يريانه من تجويع طفل رضيع .

وأصبح هذا منوالا فى حياتى ، يجوع عمرو ويبكى ، ويجرى المخبر ليشترى ـ على حسابه ـ زجاجة لبن ، والثانى يقرأ القرآن بصوت مرتفع .

إلى أن جاء يوم ، ظل فيه قارىء القرآن يرفع صوته ويرفع صوته ، حتى اصابته حالة من الهوس ، فنهض واقفا وهو يصرخ : « لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا إله إلا الله ... لا إله إلا الله .. وارتمى على الأرض وهو يرتعد ويردد عبارات التكبير والحوقلة .

خرجت على صراخه لأستطلع الخبر ، وزملاؤه مجتمعون . ثم جاءت سيارة الأسعاف وحملوه إليها . ولم أره بعد ذلك .

ومرت الأيام .. ولم يف جمال عبد الناصر بوعده ، وأصبحت البطاطس المسلوقة والملح ، هما كل طعامى ، إذ لم يعد لدى زيت اقلى به البطاطس .

وذات يوم ، كنت واقفة فى مشرفة منزلى ، وقد ركبتنى الهموم والأحزان ، أفكر فى الحال الذى أصبحت فيه ، وهو حال بدا لىّ أسوأ من المعتقل ، فهناك كانوا يقدمون لىّ الطعام على الأقل ... فهل تراهم حددوا إقامتى ، وضيقوا على العيش ، كوسيلة من وسائل التعذيب ، حتى ألين وارضخ لمطالبهم ؟

وعادت إلى ذاكرتى ، زيارة « للجاحظ » فى زنزانتى بالمعتقل ، جاء ومعه ورقتا فولسكاب ، تتضمن الأولى منها وعدا بالإفراج عنى ، ووضع مليون دولار لى ونصف مليون دولار لإبنى عمرو فى أى بنك أختاره فى الخارج ، مع السماح لى بالسفر والإقامه حيث اشاء، ووعدٌ بحمايتى من أى انتقام أو أذى حتى أغادر البلاد ، وإن تحقيق هذا كله مشروط بموافقتى وتوقيعى على ما جاء بالورقة الأخرى ، وانه بمجرد وقوفى أمام شاشة التليفزيون والأدلاء بتصريح أردد فيه ما جاء بالورقة المذكورة .

وشرعت فى قراءة الورقة الأخرى ، ولم اقرأ سوى بضعة أسطر ، حتى أحسست بالغثيان والاشمئزاز لما جاء فيها ، كانت تؤكد ما سبق كلامه من شائعات ، ويزيد عليها أنواع من الرذائل يشيب لهولها الولدان ، وقد مزقت هـذه الورقـة لحظتها فى ثورة غضب ، فقـال لى : « حتدفعى ثمن عملتك دى » . قلت على الفور : « يا ريت عشان استريح من العيشة دى .. خلصونى بقى .. أنا كرهت الدنيا .. يمكن الموت أرحم ... » .

وفيما أنا غارقة فى خواطرى ، أحسست ربتة على كتفى .. فنظرت ، فإذا جارتى المسيحية ، التى تلاصق شرفتها شرفتى ، سألتنى السيدة الطيبة ـ الشجاعة ـ عن حالى فحكيت لها ما أعانيه ، وما أبيعه من أشياء صغيرة ، أعثر عليها داخل حقائبى .

شجعتنى السيدة بكلمات طيبة ، ثم قالت لىّ : « حاولى تبيعى حاجة كبيرة تكفيكى عدة أشهر .

استحسنت الفكرة ، وكانت عندى سجادة « شينواه » يربو ثمنها على الألف جنيه ، حملتها ودليتها من شرفتى ، وناديت على المارة : « يا ناس .. أنا هنا متحددة إقامتى ، جعانين ومعاناش فلوس ، وعايزة أبيع السجادة دى » .

وقف المارة ، ونظروا الىّ ، وقال بعضهم : « دى مدام برلنتى ، انها مدام برلنتى » .

قال بعض المارة : « لكن معناش فلوس تكفى ثمنها » .

قلت : « ما يهمش .. معاكو كام .. أى حاجة هاتوها .. » .

ورأيت بعض الناس يضرب كفا على كف فى حيرة ، ورأيت آخرين ، يجمعون ثمن السجادة . وقد اشتراها رجل وزوجته بخمسين جنيها هى كل ما كان معهما . وانطلقا بها فرحين بحملهما الثمين .

وفى يوم من الأيام جاءت اختى ، لزيارتى ففرحت لرؤيتها ، ورحت اسألها عن أحوال والدتى ، فإذا بها تحكى صورة شبيهة بما أنا فيه ، باعت أمى حاجات بيتها ، لتأكل هى واخوتى بثمنها ، وقالت أختى : « سمعتها تقول انها باعت كل ما قدم لها من هدايا فى أعياد ميلادها » .

وحكت أختى حكاية غريبة احزنتنا جميعا . فقد قرأت أمى فى الجورنال نبأ انتحار المشير ، فلم تتمالك نفسها ، وراحت تصرخ وتولول ، فأسرع البوليس ، واستحضر لها عربة مستشفى الأمراض العقلية ، وصعدوا اليها « بالقميص » ومعهم طبيب ، قالوا للطبيب هـذه السيدة مجنـونة وتصرخ وتهـذى ، وقـد سـألها الطبيب : « لماذا تصرخين ؟ » فقالت : « جوز بنتى مات .. ما اصرخش عليه .. ما اعيطش ؟ » وبدأ الطبيب يسألها عن اسمها ، وعن أى يوم نحن فيه ، وعن الأيام .. ثم قال لمن حوله من رجال الشرطة : « دى أعقل منى ومنكم ، وأنا لا يمكن امضى على حاجة زى دى » .

وكان قرار الطبيب الشريف ، سببا فى نجاة والدتى من الحبس فى مستشفى المجانين .

انصرفت أختى بعد ان عرفت انهم فى حالة من الافلاس تشبه حالتى .

مرت الأيام بطيئة كئيبة ، شعرنا فيها ، بالجوع ، واليأس ، والملل . وفى ذت مساء جاء إلى الشقة كل من حلمى السعيد ، وأمين هويدى ، وفى يد أحدهما شنطة « سامسونايت » .

قابلتهما فى الصالون ، وفور جلوسهما فتحا الحقيبة ، وتركاها مفتوحة ، فأدركت ان الحديث سيسجل .

بدأ حلمى السعيد الكلام بقوله :

ـ عاملة إيه .. ازيك .. وازى عمرو .

اكملت :

ـ وازىّ الهرم وأبو الهول ... والجو ... أنت جاى عشان تسألنى عن الجو ... خش فى الموضوع من فضلك .

قال : « جئنا نسألك عن الآلة الكاتبة .

وكانت وقتها قد بدأت محاكمة عسكرية لبعض قادة الجيش ، يرأسها حسين الشافعى ودار بخلدى انهم يريدون الأيقاع بىّ ، وتلفيق قضية ضدى .. والتسجيل دائر .

قلت : « موضوع الألة الكاتبة اتكلمت فيه مع الريس .. وقلت كل حاجة للريس .. وممكن تسألوا الريس .

تعمدت اقحام اسم الرئيس فى كل جملة لأفسد التسجيل فلا يصلح تقديمه للمحكمة .

قاطعنى أمين هويدى بقوله : « مالناش دعوة بكلامك مع الريس .. احنا جايين هنا نسألك بس ، عشان جايز ده يساعدنا وانتى قلتى انك سلمتيها لمتولى ، ومتولى سلمها لفتوح .

قلت : « مالكوش دعوة ازاى بكلامى مع الريس ، إذا كنت أنا قلتله كل حاجة ، وهوه عارف كل حاجة ، والريس رئيسكم كلكم ، بعديه ما اقدرش أتكلم مع حد » .

ولم يخرجا بطائل فى هذه المرة أيضا ، ونجوت بعون الله من شراكهم .

أحمد الله انهم لم يسدلوا ستائر سوداء على نوافذ شقتى ، ليمنعوا عنى النور ورؤية السماء ، والنيل المتهادى أمام منزلى ، وكان الخروج إلى الشرفة هو بالنسبة لىّ « رحلة نزهة » . أو حديقة الأورمان .

خرجت إلى الشرفة ، اسرى عن نفسى بالمشاهدة ، أو بمناجاة ربى أن يفك أسرى ، ولكم بكيت ، وكم تألمت ، وكم غفوت فى هذه الشرفة .

وكان من لطف الله بىّ ، ان آتاح لىّ - رغم الحراسة المشدّدة - زائرا مواسيا عبر الشرفة : جارتى المسيحية .

بعد يوم من أول حديث لها معى ، قالت لىّ فى اليوم التالى ، ان المباحث هاجمت شقتها ، وانهم راحوا يستجوبونها عما دار بينى وبينها من حديث ، وماذا قلت لها .. وهل اعطيتها شيئا لتخفيه عندها فى شقتها .

قلت لها : « وهمة خللوا عندى حاجة أديها لحد ؟ .. دول أخذوا كل شىء ، حتى أقلام الحبر الذهبية ، أخذوها » .

واستطردت جارتى : « قلت لهم ... وفيها إيه .. واحدة جارتى واتكلمت معاها ... إيه اللى يمنع ؟ » .

ثم سألتنى بغتة : « إيه الشريط اللى بيتكلموا عنه ؟ » .

قلت : « مش عارفة شريط إيه ده » .

ولم يكن ممكنا ان أقول لها الحقيقة ، ولعل القارىء يذكر سؤال سامى شرف لىّ - وأنا فى المعتقل - عن هذا الشريط . والحقيقة انه شريط مسجل عليه حديث تليفونى بين جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر عقب الهزيمة ، وفيه اعترافات على لسان عبد الناصر عن اخطائه التى أدت إلى الهزيمة ، وقد أعود مرة أخرى إلى الحديث عنه ، فى هذا الكتاب .

قالت جارتى وقد رأتنى كاسفة البال : « انتى شايلة الهم كدة ليه .. انتى لسة صغيرة وجميلة ، وممكن تشتغلى و « تكسبى » .. والحالة دى مش حاتستمر على طول .. ومتهيألىّ انهم همة اللى متضايقين دلوقت من الحاجات اللى بتعمليها دى » . وكانت تقصد بيع السجادة من الشرفة ، والقاء بعض الأشياء على المارة ، ليبعثوا لىّ بثمنها .

ذكرت قصة هذه السيدة الشجاعة المصرية ، التى غلّبت انسانيتها على خوفها من رجال المخابرات .

كما ذكرت قصة الدكتورة إيزيس شقيقة الطيار عصام خليل ، وموقفها فى مبنى المخابرات العامة .

كما ذكرت قصة ضابط المباحث ، الدمث ، المهذب الذى قتل فى مكتبه بأربع رصاصات .

كما ذكرت قصة الطبيب « الشريف » الذى رفض الموافقة على اتهام والدتى بالجنون .

وقصة المخبر الذى كان يقدم زجاجات اللبن لأبنى عمرو ، وزميله الذى أصيب بحالة هوس وانهيار .

وقصة الضابط المقيم فى شقتى ، وأدبه وعفته ، وحرصه على حرمة البيت .

كما سأذكر قصة الدكتور « الظواهرى » واريحيته ووطنيته .

أذكر هؤلاء الشرفاء ، الذين تصرفوا وفق ما تمليه عليهم طبيعتهم المصرية المستقيمة ، رغم الحديد والنار والأرهاب ، ورغم ان بعضهم اصابه الأذى ، لمجرد ان اظهر عطفا علىّ ..

أذكرهم لأنهم كانوا بوارق أمل فى ظلمة حياتى ... ولأقدم برهانا على صلابة شعبنا ، ونقائه ونبله ، .. وانه مهما اشتدت عليه قبضة الظلم ، يظل نبيلا ، شامخا ، معتصما بدينه ، وتقاليده ، واخلاقه .

وفى هذا السياق ، تأتى ـ أيضا ـ قصة مأمور قسم العجوزة ، الذى أشرت إليه من قبل .

هذا المأمور ، جاء لزيارتى يحمل « وردة » بيده ، قدمها لىّ وهو يقول بروح مفعم بالود والحنان : « مبروك ـ تحديد الأقامة انتهى » .

أخذت منه الوردة شاكرة فرحة بالنبأ السعيد ، بينما استطرد : « من الآن انتهى كل شىء ... بإمكانك الدخول والخروج ... واحنا ـ وأشار إلى المخبرين ـ حنعزّل من هنا » .

قلت ضاحكة : « أو أعزل أنا زى بعضه ... بس أخرج . وضحك المأمور ، ثم أعاد تهنئتى ، وانصرف تاركا فى نفسى أثرا طيبا ، هو الأثر المصرى الذى يتركه المصريون العظماء فى أى مكان يوجدون به .

« الخروج إلى أين ؟ »

انقلب البيت الوادع الحزين ، إلى فرح صاخب ، وانطلقنا نهنىء بعضنا بعضاً بالأحضان والقبلات ـ أنا وأختى وخالتى وعمرو ـ ألا ما أجمل الحرية .

وكان على ان اتأهب لأول مرة أخرج فيها إلى الطريق ، بعد عام ونصف من الحبس والتعذيب ، والجوع . رفعت « الأيشارب » من فوق رأسى لأمشطه ، وتذكرت ان شهرا مضى ، دون ان أمشط شعرى !! .

وأمسكت بخصلة من شعرى فى مؤخرة رأسى ، وهالنى ان وجدتها تخرج من بين أصابعى ونظرت لها بهلع .... ان شعرى يتساقط !!

ربطت رأسى على الفور ، ولبست ثياب الخروج ، وغادرت المنزل قاصدة عيادة الدكتور محمد الظواهرى .

عندما ادخلتنى الممرضة عليه ، كان منشغلا على مكتبه بالكتابة فى بعض الأوراق . وجلست صامتة فى انتظار ان يفرغ لىّ .

رفع الدكتور الظواهرى رأسه ونظر إلىّ برهة ، ثم ضيق عينيه ومال ناحيتى ، قائلا : « مين ... مدام برلنتى عبد الحميد ؟ » .

ثم اعتدل فجأة وهو يقول : « وكمان دفعت كشف ؟ » ثم فتح درج مكتبه ، وأخرج قيمة الكشف ودسها فى حقيبتى ، وهو يواصل حديثه : « كلنا حاسين بيكى .. كلنا عارفين اللى انتى فيه ... إنت ست عظيمة . انتى مش عايزة حاجة .. من جنيه لألف لخمسة تحت أمرك » . ثم أعطانى أدوية « للعلاج » .

ذهبت إليه لأعالج شعرى ، فعالج نفسى ... أعاد اليها بصيصا من الثقة ، وبصيصا من الأمل ، وأضاف إلى رصيدى من الطيبين ، طيبا آخر ، وتصوروا معى امرأة عاشت عاما ونصفا وهى « منبوذة » ثم إذا خرجت قابلت الدكتور الظواهرى ـ أكرمه الله ـ كان هذا جرعة دواء اعدها القدر لعلاج آلام النفس .

خرجت إلى الطريق ، اتعثر فى مشيتى ، فلم أكن أعرف ان المسجون قد يحتاج إلى التدريب حين يفك أسره .

وفى تجوالى كنت أشعر بهيبة من الناس والعربات ، واحتجت إلى أيام حتى أعود إلى سابق عهدى ، أمشى بخطى منتظمة ، بلا هيبة .. حرة أغدو وأروح كما أشاء ، لكن الحرية التى فرحت بها ، فى البداية ، اسلمتنى لليأس مرة أخرى ، كما أسلمنى السجن للبيت ، واسلمنى البيت للحرية ، فمشكلتى لا زالت قائمة ... الطعام .

وأحسست ان يدا شحيحة تمسك بمصيرى ، وتعطينى أسباب الحياة بالقطارة ، العمل محرّم علىّ فكيف أكون حرة وأنا ممنوعة من العمل ؟

كيف أكون حرة ، وهناك من يسير خلفى فى كل مكان ... ليراقبنى !!

وفى حالتى تلك يصبح البيت ملاذا للإنسان ، حتى ولو كان بيتا خاويا ... وبيتى لم يكن خاويا . كان فيه طفلى الرضيع ، فأصبحنا نلوذ ـ أنا وهو ـ بالجدران الصماء .

وكان ضعف صحتى ، سببا فى ظهور العلل ، التى كانت أولاها سقوط خصل كاملة من شعرى ، ثم آلام الصدر ، والظهر ... ومع تزايد هذه؟ الآلام اضطررت إلى استحضار طبيب .

كان الطبيب الذى حضر إلى منزلى ، هو الدكتور « إسماعيل السباعى » . وكان رجلا جهير الصوت ، صريح الطبع ، فبعد ان كشف علىّ ، ورأى آثار التعذيب على ظهرى ، أشاح بوجهه قليلا ، وقد بدا على وجهه الغضب والتوتر ، ثم استعاد توازنه قائلا :

ـ انتى فاكرة يعنى انك بطلة .. إيه اللى عملاه فى نفسك ده .. وإيه اللى ربطاه على دماغك .. انتى ناوية تعيشى فوق فى السما على طول .. انزلى على الأرض .. خليكى واقعية .. إيه البطولة والزيطة اللى انتى عايشة فيها دى ... انتى فاكرة ان بكدة يبقى عندك كرامة ؟ لازم تشتغلى وتجيبى فلوس علشان تحافظى على كرامتك .

لو رحتى مثلا الشيراتون ، واديتى للجرسون شلن ، وجنب منك واحدة أى كلام وادته عشرة جنيه ، حايحترمها ومش حايعبرك . اخرجى واشتغلى ، خليتى إيه للست الجاهلة ؟

القى علىّ الدكتور « إسماعيل السباعى » هذه الكلمات اللاذعة ، فكانت سببا فى اشعال حميتى ، ولا شك انه أراد استنهاض همتى ... وقد كان له ما أراد ـ جزاه الله كل خير ـ فقد بدأت أفكر فى الحلول ، للخروج من أزمتى الطاحنة ، وكان لكلامه لمسة السحر التى اعادت إلى عقلى صوابه .

وحتى هذه اللحظة ، كنت أعيش على أمل ان المشير ، لا يزال حيا .. ولم يكن عندى أنباء عما جرى له قبل سفره ، أو ماذا يجرى الآن .

* * *

إن الظن بأن المشير لا زال على قيد الحياة ، كان يقينا وشكا فى نفس الوقت ، ولعل النفس المضطربة ، والواقع المرتعش ، ساعدا على تقبل هذين النقيضين ، وسمحا لهما بالعيش فى بيت واحد ، هو عقلى .

ولأن هذا العقل يعى كثيرا من المواقف ، والأحاديث ، التى تمت بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وكلها مواقف وأحاديث ، تنفى الظن بأن جمال يفتك بعامر .

هذا الأمل لم يكن وهما كله ، فإن الذاكرة تعى كثيرا مما نقله إلى عبد الحكيم من مشاعر وأفكار ، توحى با لمسئولية عن جمال عبد الناصر ، والخوف عليه ، وتوحى أيضا بأن مصير كل منهما يتبع الأخر ويزامنه ، من ذلك قول عبد الحكيم لىّ ذات مرة : « هوه ما يعرفش ان نهايته حتكون مع نهايتى .. لأن وجودى فى الجيش حاميه ، وحامى البلد من الروس وحاميه أيضا من عملائهم اللى حواليه » .

ولقد كان عبد الحكيم يمثل بالنسبة لجمال ، العقل المتأنى الذى يحد من اندفاعه .. والاسم الذى أطلقه جمال على عبد الحكيم فيه خير دليل على طبيعة هذه العلاقة القوية بين الاثنين ، فى فترة الإعداد للثورة ، ذلك الاسم هو « جينى » وكان الاسم المفضل لدى عبد الناصر عند مخاطبته ، وهو اختصار لإسم « جان جاك روسو » الفيلسوف الفرنسى ، الذى أطلقوا عليه اسم فيلسوف الثورة الفرنسية ، وصاحب كتاب العقد الاجتماعى ، الذى كان له أكبر الأثر فى صياغة القوانين الفرنسية ، وقد جاءت هذه التسمية ، لما كان يبديه

عبد الحكيم من ميل إلى الديموقراطية ، وتقبل الحوار ، ومراعاة الجوانب الأنسانية والاجتماعية ، عند التفكير فى وضع قرار ما ، مثل « قانون تحديد الملكية » مثلا والذى ابدى فيه عامر رأيا كان سببا فى انقاذ الآلاف من الأسر فى قرى مصر ، ونجوعها ، وايضا دوره واصراره فى تعريف جناحى الحرية بالميثاق ، وهما العدالة الاجتماعية ، وايضا العدالة السياسية . وغيرها وهو ما سبق الاشارة إليهم .

لذا لم يكن ما يبديه عبد الناصر لعبد الحكيم ، إلا انعكاسا لما يبديه المشير من الرأى الصواب والإخلاص ، والميل إلى الرحمة والتراحم منذ صداقتهما المبكرة .

والإثنان يرويان قصة وقعت لهما فى أحد الأيام - وكان ذلك عقب عودتهما من حرب ١٩٤٨ - إذ كانا فى العربة معا ، وتوقفت العربة عند اشارة المرور ، كان اليوم من أيام الشتاء الباردة ، ونظر عبد الحكيم فوقعت عيناه على صبى فى ثياب ممزقة ينام على الرصيف عاريا من أى غطاء يحميه من الصقيع ، فاغرورقت عينا عامر والتفت إلى جمال ، فإذا بعينيه مغرورقتان أيضا .

هذا القلبان النابضان بحب الوطن ، وحب الناس ، وحب بعضهما البعض ، جمع القدر بينهما فى الحياة الاجتماعية ، والعسكرية ، والسياسية .

وفى العلاقات الاجتماعية ، كانت الأواصر لا تربط الصديقين فقط ، بل وبين أسرتيهما برباط قوى .

ومن أمثلة ذلك علاقة عامر محمد عامر - عم المشير - بجمال عبد الناصر - صديق ابن اخيه - وكان رجلا طيبا عطوفا ، يرعى بروح الأبوة كلا من عامر وناصر ، فإذا تصادف وركب الحاج عامر مع عبد الناصر فى عربته (الأوستن) - وكان ذلك قبل الثورة - فإن جمال يدخل بها محطة البنزين ، وبعد ملء الخزان يلتفت إلى الرجل قائلا : « اتنين جالون يا عامر بيه » فيدفع الرجل ثمن البنزين ، فالعلاقة بينهما علاقة شاب بعمه الطيب القلب .

وفى احدى المرات ذهب الحاج عامر إلى منزل جمال عبد الناصر ، وكان قد سمع ان زوجته - أى جمال - تضع وليدا ، وفى البيت لم يجد جمال ، وانما وجد عبد الحكيم يحمل

« خالد » ابن جمال عبد الناصر ! .. ان الاندماج الأسرى بينهما كان حميما ونبيلا . حتى ان أبناء جمال كانوا يتعلقون « بعم عبد الحكيم » حين يزورهم ، بل يحمل بعضهم على كتفه ، ولا يتردد ابناء جمال فى طلب ما يشاءون من عبد الحكيم عامر .

ان ما كان بينهما هو الكفاح ، والأخوة ، والتراحم ، والتزاوج بين الأسرتين ، واحزناه .

لا .. لا يقبل العقل ان يكون جمال قد فتك بعامر ، وكيف يقبل .. وكيف يعقل وما عنده فى مكنون الذاكرة كل هذا ويزيد .

كيف يقبل وفى مكنون الذاكرة ، موقف عبد الحكيم يوم ثورة سلاح الفرسان عام ١٩٥٤ ، يوم كتب مجلس الثورة بأجمعه ، وعلى رأسه جمال عبد الناصر استقالاتهم ، تحت ضغط الحصار الذى كان يقوده خالد محيى الدين . وبذلك تكون الثورة قد انتهت فى الواقع ، وسلمت السلطة للشيوعيين .

لم يكن عبد الحكيم موجودا ، ولكنه فور سماع النبأ توجه إلى مجلس الثورة . وعند دخوله وجد الجميع صامتين ، كأن على رؤسهم الطير ، وكان جمال عبد الناصر جالسا مطرقا بوجهه إلى الأرض ، واضعا رأسه بين كفيه ، وفجأة انفجر جمال عبد الناصر بالبكاء حين رأى عبد الحكيم ، وقال له : « الثورة انتهت ، والبلد ضاعت » . ورد المشير : « لن تضيع البلد ... أنا القائد العام للقوات المسلحة ، وأنا الوحيد الذى لم يستقل بعد .. ومش معقول البلد تضيع وأنا واقف أتفرج عليها .. » .

وبدأ عبد الحكيم عامر وسط ذهول الجميع ـ يلقى بأوامره إلى معاونيه ، حتى تم حصار سلاح الفرسان ، وحلقت الطائرات فوقه . واتصل عبد الحكيم بخالد محيى الدين قائلا : « إذا ما خرجتش يا خالد أنت واللى معاك ، وسلمتوا أنفسكم ، حا اهد السلاح عليكم » .

ودخل شمس بدران ، واحضر المعتصمين داخل السلاح ، وأصدر عبد الحكيم عامر قرارا بإعادة مجلس الثورة .

لم « يسرق » عبد الحكيم الثورة ، وقد كان فى امكانه بصفته القائد الأعلى للجيش ، ولكنه أنقذها ، فلم يكن التآمر والانتهازية من سجايا عبد الحكيم عامر ، فاستلمها وسلمها لجمال عبد الناصر .

وقام جمال من فوق الكرسى ، ليصافح عبد الحكيم ويعانقه ، بعد ان انزاحت الغمة ، وهو يقول لعامر : « أنت كنت وأنت بتكلم الضباط يا حكيم ، وبتدى الأوامر ، عامل زى نابليون .. » واستطرد جمال يقول: « أنت عملت اللى كان نفسى أعمله .. وماكنتش قادر » .

كيف لعقل يعى كل هذا ، ان يصدق الوساوس التى تصور مقتله .

ما أثقل أحزان القلب .. وما أشد حيرة العقل ، فلا يسخرن أحد منى حين أقول له الأن ، اننى ـ رغم كل هذه الأحداث ـ كنت أحيا بوهم ، يصور لىّ المشير على قيد الحياة .

أفقت من شرودى على بكاء عمرو ، فأسرعت إليه ، واعددت وجبة طعام ، ونظرت إلى القماش الممزق الذى إلف به عمرو ، فتذكرت ان جميع ملابسه فى بيتنا بالهرم . فقلت أذهب لأرى الفيلا ، وأحضر بعض ثياب عمرو .

وعلى باب الفيلا ، خرج لىّ « سفرجى » لا أعرفه فسألته : « أنت مين ؟ » قال الرجل : « انتى اللى مين ؟ » . قلت له أنا صاحبة الفيلا . قال : « لا .. صاحبتها الست الكويتية » .

أحسست بدوار ، وأسرع الرجل باحضار مقعد لىّ عندما لاحظ انى على وشك السقوط . جلست على الكرسى لأستريح ، ثم قلت له : « ازاى خدت الفيلا وأنا لا زلت ساكنة ولم أتنازل عن عقد الايجار .. » فحكى لىّ الرجل ان عددا من رجال الجيش جاءوا فى عربة كبيرة ، وحملوا كل شىء والقوا به فى العربة ، دون عناية أو حرص ، ويقول الرجل : « والله صعبت علينا حاجتك يا ست واحنا شايفينهم ، بيخلعوها ويكسروها ، ويحطوها فى العربية ، وبعدين العربية خدت العفش ومشيت » .

عدت إلى بيتى ، والغضب يفتك بىّ فتكا ، ولزمت دارى كسيرة القلب ، اجتر أحزانا لا تنتهى ، والأيام تمضى بطيئة ، كئيبة ، خاوية .

ألم أقل منذ البداية ، ان للعذاب خبراء متخصصين ؟ اننى الآن فى مختبر قسوتهم ووحشيتهم ، سجنهم تعذيب ، وافراجهم ضياع .

بلغت حدا لا يطاق عنده العيش ، ماذا يريدون منىّ ، حيرتنى الاجابة على هذا السؤال ، كل يوم ازداد سوءا ، فلا عمل ، ولا عون ، ولا معاش ، ولا سفر ، الأبواب كلها موصدة فى وجهى .

وغلبنى الشعور بالقهر ، وأنا أتذكر ما نقله لىّ أحدهم عن لسان سامى شرف عقب الأفراج عنىّ إذ قال : « ستة أشهر بس .. وهاتيجى زاحفة على ركبها لحد عندى ، وتعمل اللى أنا عاوزه » . أكل مراد مسئول كبير فى الدولة ، ان تأتى إليه امرأة زاحفة على ركبها ؟!

أم ان الأجهزة الظافرة تريد بىّ ما هو أسوأ من ذلك ، إذ ماذا تفعل امرأة شابة لا تجد ثمن اللبن لرضيعها ، ولا تجد ثمن القوت لأسرتها ، ولنفسها .. ماذا تفعل ؟ إذا كانوا يريدون ذلك ، فإن مطالب البدن تموت بموت البدن ، خرجت من البيت ، يخيم على قلبى حزن ثقيل قاتم ، وركبت عربتى المتهالكة ، انطلقت بها على غير هدى .

والغريب انه لم يخطر على بالى ان أبيع العربة ، فإن بيع أى شىء لم يكن ليخطر لىّ على بال ، ولولا ان المخبر قال لىّ : « بيعى حاجة » لما فكرت فى بيع الأشياء الصغيرة ، ولولا ان الجارة قالت لى : « بيعى حاجة كبيرة » لما بعت السجادة .

وفى الطريق فى إول شارع الهرم مررت باحدى الصيدليات ، فاشتريت منها علبة اسبرين ، ومررت ببائع كازوزة ، فاشتريت منه زجاجة كوكاكولا . وانطلقت بعربتى إلى فيللتى المسلوبة بشارع الهرم ، وبالقرب منها أوقفت العربة ، وتطلعت إلى الفيلا ، اسرّح الطرف فى ارجائها . وهجمت على خيالى ذكريات الماضى مع المشير فى تلك الفيلا ، واسترجعت كل جزء منها ، وما فعلته من تحسينات وتجميل ، ورأيت الدنيا موحشة ، والبقاء أمر يفوق الاحتمال . وبلعت الأسبرين مستعينة بزجاجة الكوكاكولا .. وتركت نفسى للمصير المحتوم .

أفقت من غيبوبتى على أصوات تتكلم ، كان حوارا بين طبيبين شابين الأول يقول : « ياه بص .. دى الظاهر مدام برلنتى عبد الحميد » والآخر : « مش معقول » . قال الصوت الأول : « الظاهر جابوها هنا غلط .. » وكنت قد تمكنت من فتح عينى ، ونظرت حولى فهالنى المنظر ، فى عنبر احد المستشفيات العامة ـ وأظنها كانت أم المصريين ـ رأيت حولى المرضى وصور البؤس مرتسمة على وجوههم ، ففزعت قائلة : « أين أنا ؟ » .

قال لىّ أحد الطبيبين : « معلش يا مدام برلنتى ... حاننقلك من هنا » .

كان الشاب الذى جاء بىّ إلى المستشفى ، ومعه والده ووالدته ، لا زالوا واقفين . فحملونى فى عربتهم ـ وقد علموا انى برلنتى عبد الحميد ـ وذهبوا بىّ إلى مستشفى الشبراويشى .

وقضيت يوما فى المستشفى .. وفى اليوم التالى لم أطلب الخروج ، خوفا من مطالبتى بثمن الأقامة ، والعلاج . ومر يوم ... ويومان ... وثلاثة ... وتوالت الأيام ، وتكاثر الدين ، وأصبحت حبيسة هذا الدين ، ولا أدرى ماذا أفعل ، أو كيف أتصرف وآتى با لمال اللازم لسداد الدين .

فوضت أمرى لله ، وانتظرت .

فى اليوم العاشر ، اتصلت بىّ صديقة ، لتقول ان هناك من يسأل عنىّ ، وكان السائل رجلا جزائريا ، كان ورفاقه اصدقاء قدامى ، قد اعتادوا زيارتى ، عندما كنت فى بداية حياتى الفنية ، وقد عرفتهم كمجموعة متلازمة ، وكان يبدو عليهم ان ثمة أمرا خطيرا يشغلهم ، وان قضية ما ـ اظنها قضية النضال ـ تستحوذ على كل اهتمامهم ، كانوا يعانون من شظف العيش ، وكنت امدهم بالعون بين الحين والحين ، وعندما قامت ثورة الجزائر ، سافروا إلى وطنهم ولم أسمع عنهم إلا الآن وأنا فى المستشفى .

قالت صاحبتى : « هوه عايز يزورك .. ولا يعرف ظروفك ، يقدر يجى بدون احراج ؟ » .

قلت لها : « لا مانع .. متى ؟ » .

قالت : « هو بجانبى .. هل يستطيع الحضور الآن ؟ » .

قلت : « أهلا وسهلا » .

وجاءنى الصديق الجزائرى فى المستشفى ، فوجدته فى حال غير التى عرفته عليها ، إذ يبدو عليه اليسر والراحة ... واخبرنى انهم خيروه بعد الاستقلال ، بين تولى منصب أو العمل بالتجارة فاختار التجارة .

وأخبرنى الرجل بأنه علم بما جرى لىّ ، وانه جاء ليطمئن علىّ ، ثم اسمعنى بعض كلمات التشجيع وانصرف .

وبقيت وحدى لأواجه مشكلتى ، وأفكر فى طريقة اسدد بها دينى للمستشفى ، حتى أصابنى الأرهاق ، وغلبنى النعاس .

صحوت ، وكان أول ما شغل تفكيرى ، ان الدين ازداد .. وجاءوا لىّ بالإفطار ، والفاكهة يقدمونها مشفوعة بالبسمات ، والتمنيات ، ومـا دروا ان قلبى يغوص كلما أكلت ، أو شـربت ، أو نمت .

بعد الإفطار تناولت كتابا كنت أضعه على مائدة قريبة ، وما كدت أفتحه ، حتى أوشك قلبى على التوقف .. من يصدق ان بداخل الكتاب « ألف جنيه » !!

وتذكرت بالعرفان الصديق الجزائرى ، الذى جاءنى ، وغافلنى ، ووضع هذه الألف وانصرف ، ولم أره بعد ذلك قط .

وخرجت من المستشفى ، الذى دخلته مريضة مفلسة ، خرجت صحيحة البدن ، واحمل فى جيبى ثروة !!

فضل الله الغامر ، يهز القلب الغافل .. رزقنى الله من حيث لا احتسب ، فى لحظة قالت لىّ فيها الدنيا « مستحيل » .. إذ ذاك فتحت كتابا فوجدت به ألف جنيه .

ذهبت إلى دارى محملة بالهدايا ، والأكياس الملأى بأطايب الطعام ، ومررت على بيت والدتى محملة أيضا بالهدايا ، وكم كانت سعادتى ، وأنا أرى اخوتى يفضون اللفائف ، ويفتحون الأكياس ، ويزيطون .

وفى البيت ، صليت شكرا لله ، واستغفرت لنفسى ، إذ أوشكت على قتلها ، وأوشكت على الموت كافرة فقيرة ، فمنحنى الله مغفرة وأعطانى حياة غنية .... سبحانك ربى .

ونال عمرو نصيبه من الرفاهية ، طعاما وثيابا جديدة ، ويخطىء من يظن ان الطفل لا يشارك أهله سعادتهم ، وأحزانهم ، فقد بدا عمرو مشاركا ـ كأنه يفهم ـ فى تلك المسرات التى غمرت الأسرة على حين بغتة ، وبعد ان كنت اداعبه أنا فقط ، أصبحت أتلقى منه المداعبات ، وكأنه يحاول اضحاكى بكل حصيلته اللغوية التى لا تزيد على كلمة واحدة هى أجمل الكلمات « ماما » ولا استطيع ان أصف فرحة القلب ، وأنا أراه يحاول مداعبتى بنطقها ، مقطعة ، ومنغمة ، ومهدهدة .

ومضى يوم أو يومان ... واكتشفت ان الطعام ، والشراب ، لا يصرفان عن القلب الهمـوم ، ان شاغلي الأكبر هو عبد الحكيم عامر ، أين هو الآن ، وماذا جرى له ، وما هى أخباره ؟

إلى ان جاء يوم رأيت فيه .. أمين عامر داخلا عليّ ، فكان لرؤيته فرحة تفوق رؤيتى للألف جنيه داخل الكتاب .

كان أمين ـ كما أسلفت ـ ابن شقيق عبد الحكيم عامر ، ولأنه كان مقربا من عمه عبد الحكيم ، ويعيش معه بصفة دائمة كواحد من ابنائه ، فقد لازمه طوال فترة تحديد إقامته ، واستمع إلى اقواله ، وتعليقاته ، وراقب أفعاله ، وتصرفاته ، ولذا فقد كانت سعادتى كبيرة ، حين وجدت إكثر الناس دراية بالمشير فى الشهور الأخيرة .

وبدأ أمين الكلام معتذرا عن انقطاعه بسبب الحراسة ، التى كان يجدها حول العمارة كلما جاء ، فهو لم يكف عن التردد ، ومراقبة العمارة من الرصيف المقابل ـ حسب وصية عمه المشير ان يخللى باله من عمرو وأم عمرو ـ فكان يجيء ليطمئن علينا ، وحكى انه ذات مرة ، جازف وصعد بالاسانسير ، فصعد معه أحد المخبرين ، وفوجيء بمخبرين آخرين على باب شقتى ، فتظاهر انه يقصد الشقة المجاورة ، فوقف وضغط على جرس الباب ، والمخبرون يراقبونه ، وحمد الله ان احدا لم يكن بالمنزل ، فعاد إلى الاسانسير ، وهو يقول للمخبرين : « الظاهر محدش جوه » .

وضحكنا على ذلك . ولكن ماذا عن أخبار المشير ؟

صمت أمين عامر طويلا ، وهو ينظر اليّ وقد اصابته حيرة مفاجئة ، وعلى وجهه انفعالات من لا يدرى ماذا يقول ؟!

أثار صمته مخاوفى ، فسألته مباشرة : « المشير كويس ؟ .... هو حى واللا ميت ؟ » .

نظر إلىّ صامتا مشككا فزاد الوسواس فى صدرى فصرخت .

ـ ما تتكلم ... هو مات صحيح ؟

أفلت لسانه قائلا : « بعد ما خدوه بيومين » .

سألته : « خدوه على فين ؟ » .

قال : « خدوه .. شالوه من ايديه ورجليه .. وخدوه .. وبعدين قتلوه !

صرخت : « قتلوه ؟!! ، وافزعت صيحتى عمرو الرابض فى أحضانى ، فبكى ، فاسرعت الى خالتى الحاجة فتحية ، واخذته من بين يدى .

لم ينطق لسانى كلمة غير كلمة « قتلوه » . امتلأ بعدها دماغى بالطنين ، واحسست بالدماء تركض فى شراييني ، ودق قلبى بعنف ، وبدأت اترنح فى جلستى ، فحملونى إلى الكنبة ، وارقدونى عليها .

وبدأت أشعر كأن يدا لينة تشد خدى الأيمن ، وشعرت بأن خدى يشتد ويشتد ... . ورحت فى غيبوبة .

أفقت على احساس بوخز إبر فى وجهى ، واصوات مختلطة تصل سمعى . وما كدت أفتح عينى ، حتى وقعتا على وجه الدكتور « حسنى عيّاد » الذى رأى افاقتى من الغيبوبة فقال : « ما انتى وشك زى القمر أهـه .. وعال العال .. بس أنا عايز منك انك تبقى هادية ... مافيش نرفزة .. مافيش زعل .. عشان تقدرى تنتبهى لإبنك ... واللا عايزاه يبقى يتيم الأب والأم كمان .. وإن شاء الله تخفى قوام .. لأنه مهم انك تخفى بسرعة ، والمرض لسه فى أوله .. لأنه لو اتأخر حيبقى علاجه صعب » .

سألته : « أنا عندى إيه يا دكتور ؟ » .

وأحسست ثقل لسانى ، وأنا اتكلم ، ورأيت الدهشة على وجه الدكتور حسنى فور سماعه كلامى ، ونظر الى من حولى متحيرا ، ثم عاد ينظر الىّ قائلا : « شوفى .. هو شيء بسيط .. ومش عايز أقول لك الاسم .. لحسن تفتكرى ان الحكاية كبيرة .. كل المطلوب انك متفكريش فى أى حاجة .. وتمشى على العلاج ، وانتى حتخفى بسرعة من الشلل ان شاء الله .

صفعنى اللفظ ، فتماسكت ، ونهضت مسرعة إلى المرآة ... فصدمنى ما رأيت على وجهى ، كان النصف الأيمن من وجهى مشدودا إلى الوراء .. كأنما نصف وجهى يريد أن يفارق النصف الأخر ... ومددت يدى أتحسس فلم أجد حسا ولا شعورا فى هذا الجانب .

وعدت كالبلهاء ... لا كلام ، ولا تفكير ، ولا خواطر .... وهل يتحمل القلب ؟

وقـدم لىّ الدكتـور حسنى بعـض الأدويـة المجانيـة ، وعنـدما أرادت أختى ان تعطيـه « الكشف » رفض بشدة قائلا : « افرضى ان بنتى مكانها ... واحنا كلنا عارفين اللى جـرى لها ... وحاسين بيها » ..

وقد واظب الدكتور حسنى على علاجى ، مقدما لىّ الدواء مجانا ، ومقدما لىّ النصيحة والتشجيع ، فكان بارّا من جملة الأبرار الذين تولوا علاجى ، وتقوية عزيمتى ، ومساندتى فى محنة انعدم فيها الصديق والمعين .

واستمر معى المرض عدة أسابيع ، بعدها تماثلت للشفاء ، بفضل الله ثم عناية الدكتور حسنى عياد .

بعد الشفاء عدت إلى حياتى الطبيعية ، أو بالأحرى إلى حياتى غير الطبيعية ، فكل شىء بدا لىّ غير طبيعى ، وغير مفهوم ، وعافت نفسى الكلام ، والطعام ، والناس .

ولم يعد للوجود طعم ، فقدت مذاق الأشياء ، والطعام إلقيه فى جوفى ، لا أبالى ان كان عادما أو مالحا .. بل استكثر على نفسى وضع الملح فى الطعام إذا وجدته ناقصا ... بل ان الأكل ذاته بدا لىّ عملا منافيا للذوق بعد ان مات المشير ... وفسر لىّ عقلى الراكد ان الهنود يدفنون الزوجات مع زوجاتهم رحمة بهن ... فلماذا لم يقتلونى ، ولِمَ لم أمت كما مات المشير ؟

أصبحت أريد بعدا عن هذا الوجود ، أريد ملاذا الوذ به حيث لا بشر ، ولا ضجة ، ولا أحد ... أين أذهب ؟ . خطر ببالى الهروب إلى أحد المساجد ، ولكن هـذا محـال ... قلت : « اعتكف » فقال العارفون ان المرأة تعتكف فى بيتها .

لقد تمت لىّ الإحاطة الكاملة ، بتفاصيل ما جرى لعبد الحكيم عامر ، من سجن فى منـزله ، واهانات من مرؤسيه ، وسحب امام أعين بناته وأبنائه الصغار ، أطفال سبعة ، ينظرون بقلوب واجفة إلى أبيهم العظيم ، وهو يهان ويؤخذ عنوة من بيته ، وبعد يومين ... يأتيهم نبأ انتحاره .

يا للهزل .. لماذا لم ينتحر ـ ان كان يبغى انتحارا ـ يوم الهزيمة الساحقة ، وأجساد جنوده ينهشها الطير فى الصحراء ، أو يوم التنحى الذى تبين فيه خديعة جمال عبد الناصر . أو

خلال الأسابيع التى قضاها حبيسا فى بيته ، ويعلم انهم يبيتون النية لقتله ؟ . ولماذا لم ينتحر يوم العشاء الأخير فى منزل جمال بعد ان علم بتحديد إقامته ولماذا لم ينتحر وهو يتعرض للإهانات على يد سعد عبد الكريم ، ومحمد فوزى ، وباقى شلة سامى شرف ، على النحو الذى وصفه ابن أخيه ، من أنه رأى المشير جالسا فى آخر الشرفة ، وسعد عبد الكريم رئيس الشرطة العسكرية يقول له : « أنت ما تتكلمش مع حد خالص .. تقعد ساكت .. واياك أشوفك بتتكلم مع الحرس ، أو أى واحد » ..

هذا ما يقوله سعد عبد الكريم لمن كان بالأمس قائده !!

أيصمد عبد الحكيم عامر لكل هذه الأزمات ، والفواجع ، ويعبرها بقلب مؤمن ، لا يقنط من رحمة الله ... ثم بعد هذا الصمود الطويل ، لا يقتل نفسه !! الا بعد أن أصبح فى حيازتهم بعيدا عن العيون ؟!

وكما ان أمين عامر ملازم للمشير ، كذلك كان أخوه حسن عامر . الذى أفضى إليه عبد الحكيم ، بمخاوفه من أن يقتل ، وإلا فما الذى دعا حسن عامر إلى التقدم بطلب إلى النيابة العامة ، يطلب فيه فتح باب التحقيق فى موت المشير . فلم ينظر فى الطلب حتى الآن ؟!!

وقد كتب المشير رسالة فى ٧ سبتمبر عام ١٩٦٧ ، أثناء تحديد إقامته بأنه قد طلب محاكمة عسكرية لتحديد المسئوليات ، وأسباب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ . وانه ـ أى المشير ـ قد تلقى نتيجة لذلك تهديدات بإسكاته إلى الأبد إذا جازف وتكلم وقال المشير فى الرسالة :

« انى فقدت الثقة ، ولم أعد أشعر بالأمان .. انى أتلقى تهديدات لأنى طلبت محاكمة علنية ، فمنذ ساعتين زارنى ضابط من المخابرات ـ تحت قيادة سامى شرف ـ وهدد بإسكاتى إلى الأبد إذا جازفت وتكلمت ، وانى على ثقة ان هناك مؤامرة تدبر ضدى ، لقد نشروا تقارير أنى أعانى من أزمة نفسية ، واننى حاولت الانتحار مرارا ـ ومن منا لم يعانى من أزمة نفسية بعد الكارثة التى حلت بنا ؟ ... ان الإنتحار هو أبعد شيء عن تفكيرى لأنه هروب من المسئولية ، وقد أكدت ، لأصدقائى ان ما أسعى إليه هو كشف حقيقة المأساة ، ولا أخشى قول الحقيقة » ..

ويقول المهندس حسن عامر بأنه صرح لىّ شخصيا بأنه خائف على حياته . وكان المشير عبد الحكيم عامر أهم شهود حرب يونيو بحكم منصبه كنائب للقائد الأعلى للقوات المسلحة ، حيث كان على علم بأدق أسرار تلك الأحداث السياسية ، والعسكرية ، والمؤامرة التى دبرت للقضاء على القوات المسلحة المصرية ، وتحطيمها قبل أن تدخل المعركة .

وان مصرع المشير مرتبط بمواقفه السياسية ، والتزامه بالحفاظ على الجيش المصرى وطنيا بعيدا عن أى تدخلات أو محاولات للتغلغل والسيطرة عليه من أى قوى خارجية ، كان هدفها السيطرة على البلاد ، والحكم من خلال سيطرتها على القوات المسلحة ، وفرض نظام الحكم الذى يخدم مصالحها ، ويجعل من مصر بلدا يدور فى فلكها ، وتفقد بذلك استقلالها وقوميتها .

وهل ننسى ما قاله صلاح نصر يوم خرج إلى شرفة المستشفى صارخا : « سيقتلوننى كما قتلوا المشير » .

فما القول إذن فى رجل قال لأهله أنه سيقتل ، وقال لأصحابه انه سيقتل ، وقال للمسئولين انه سيقتل ، بل وكتب ورقة بأنه سيقتل وحدد اسم القاتل ... ثم قتل !!!

ما القول فى كل هذا القول ؟

وكيف يتحمل العقل هذا الكذب ، ويتحمل القلب كل هذا العذاب ، ويتحمل البدن كل هذا الهوان ؟

ان الصورة التى نقلها إلىّ أمين عامر تملأنى حزنا وزهدا على النحو الذى ذكرته آنفا .

ولكن ما هى هذه الصورة ؟ ان أمين الذى عاش مع المشير فى منزله ، ورأى بعينيه ، وسمع بأذنيه مأساة يرويها للناس .

« الانقضاض على الفريسة »

فى الثالث عشر من سبتمبر عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، انتهت رحلة الصيد ، واقتربت الفريسة من أنياب الصياد ، وما هى إلا لحظات ، ويطبق فمه ، ويتلمظ منتشيا بطعم دماء ضحيته .

وقعت حادثة الصيد بفيلا ، بشارع « الطحاوية » بالجيزة ، إحدى محافظات جمهورية مصر العربية .

أما الضحية ، فقد كان المشير عبد الحكيم عامر ، نائب رئيس الجمهورية ، ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وبطل من أبطال ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فهو بطل قومى ، وقائد محبب للجنود .

كان حبيسا بمنزله ، عندما حل صباح الثالث عشر ، مكملا واحدا وعشرين يوما ، كان فيها مقيد الأقامة ، التى بدأت فى السادس والعشرين من شهر سبتمبر من نفس العام .

كانت الفيلا محاصرة بالجنود المدججين بالسلاح من الشرطة العسكرية التابعة لمحمد فوزى ، والعربات المصفحة وعربات الجيب التابعة للمخابرات الحربية ، والمخابرات العامة ، تحت اشراف سامى شرف ، واعداد هائلة من الحرس الجمهورى وأسلحته المتعددة ، والتابعة لجمال عبد الناصر . كانت الحشود تتزايد وتتكاثف حول الفيلا .

صعد المشير « الأعزل » إلى سطح منزله ليستطلع ما يجرى حول بيته ، ثم هبط وجلس فى صالون منزله ينتظر .

كان جوا من التوقع يسود الأسرة كلها ، فإن عبد الحكيم لم يخف عن بعض أبنائه ، وأبناء اخوته ، توقعه أن يؤخذ من بيته إلى مكان مجهول .

وقد سأله الشاب « أمين حسن عامر » ابن شقيق المشير ، عما يدعوه إلى توقع نقله من الفيلا ، بقوله : « لماذا ينقلونك يا عمى .. وهنا الحرس الجمهورى ، أى انه سجن حقيقى .

قال عبد الحكيم لإبن أخيه : « هؤلاء شهود ... وعبد الناصر لن يقتلنى أمام شهود !! ».

قال أمين : « ولماذا لا يحاكمك ؟ » .

قال المشير : « انه لن يجرؤ حتى على إجراء أى محاكمة لأى ضابط أو حتى عسكرى ، مادمت على قيد الحياة .. فهو يعرف ان الجيش برىء تماما من الهزيمة » .

سأله أمين : « ولماذا يقتلونك بعد ان تركت كل شىء ؟ .. لقد رفضت تسلم مناصبك ... وأردت ان تعيش فى اسطال .. فلماذا يقتلونك ؟ » .

قال عبد الحكيم لابن أخيه : « اما ان أكون معهم فى السلطة ، وإما ان اقبل النفى إلى يوغوسلافيا ... اما بقائى هنا خارج السلطة ، فهو بالنسبة له قنبلة موقوتة يحسبون حسابا لموعد انفجارها » .

كان أمين هو القائم على خدمة عمه ، والمسامر له فى ليالى الحبس الطويلة ، شاب فى العشرين من عمره ، يمتلىء حماسا ، ونقاء ، ورومانسية ، ويمتلىء قلبه بحب خاص واكبار لعمه المشير عبد الحكيم عامر ، ولأنه أكبر من فى الأسرة من الشباب ، فقد أصبح موضع سر عمه فى تلك الأيام الحرجة ، اما ابناء عبد الحكيم « نصر » و « جمال » و « صلاح » فهم أطفال لا يزيد عمر أكبرهم على عشرة أعوام ، هؤلاء كانوا يقيمون مع المشير ، ومعهم أمهم ، واختهم نجيبة ، وامال ، وسوسن ، ونوال ...

فى ذلك اليوم شكا أمين إلى عمه من الانفلونزا ، فأعطاه علاجا ، وأمره بالراحة ، فذهب أمين إلى حجرته المجاورة ونام .

ولكن الشاب لم يطل به الرقاد ، فقد صحا بعد قليل على جلبة فى الصالة التى تفصل بين حجرته وحجرة المشير ، فغادر فراشه ليستطلع الأمر ، ففوجىء بصفين من الضباط يحملون المدافع الرشاشة يقفان على جانبى الصالة .

فرك الفتى عينيه دهشة ، وتطلع حوله بعينين مذعورتين ، فوقعت عيناه على نجيبة ابنة عمه عبد الحكيم ، فسألها عن اشقائها ، فانبأته أنهم نزلوا إلى الحديقة .

الجنود صفوف والمدافع مصوبة ، والهدف رجل فرد « أعزل » يحيط به ابناؤه الصغار ، ثلاثة صبية واربع بنات ، ووجيب قلوبهم ابتهالات بأن ينجى الله والدهم من هذا الرصاص المعبأ فى المدافع الرشاشة .

وكان ثمة فقيدان من أطفال عبد الحكيم ، بحث عنهم اخوتهم دون جدوى ، ثم تبين لهم ان العميد الماحى احتجز هذين الطفلين ـ جمال ونصر ـ وحبسهما فى مبنى بالحديقة ، اتخذه العميد الماحى مقرا له ، وتم اعتقال كل من فى بيت المشير ، وإذا تمكنوا وسيطروا على بيت قائدهم ، تقدم عبد المنعم رياض ، بخطى متعالية متمنطقا مسدسه ، ومر بين صفى الضباط إلى حجرة المشير عبد الحكيم عامر .

والعيون المذعورة للأبناء تتابع هذا الاقتحام الساحق برعب يكاد يقتلها ، وآذانهم مرهفة لأى صوت أو كلمة .

وتناهى إلى سمع أبناء المشير صوته وهو يقول : « أنا قلت لجمال عبد الناصر انه لازم يواجه الناس بالحقائق ... ولازم الشعب يعرف كل حاجة ، أنا طلبت محاكمة علنية ... هو خايف من إيه ؟

ولم يبد على عبد المنعم رياض انه سمع كلمة مما قاله المشير ، وتقدم من عبد الحكيم متهجما ، ولكن هنا دفعه بعيدا عنه وهو يصيح : « انتوا حتدفعوا ثمن الخيانة اللى حصلت للبلد ... » .

وأعقب ذلك صوت جلبة ، ودبيب إقدام وشتائم ، فتقدم أمين من باب الصالون فرأى عبد المنعم رياض يحاول الهجوم على عبد الحكيم ليمسك بخناقه وهو يقول : « حتيجى معايا يا عبد الحكيم بالذوق أو بالعافية » .

كان عبد الحكيم يلوح بعصا فى يده ، أمام وجه عبد المنعم رياض ، ليمنعه من الإقتراب منه وهو يقول : « انتوا عايزين تنقلونى من هنا عشان تقتلونى ؟

واستطرد المشير وهو متحفز : « ما البيت ملغم برجالتكم من المخابرات ، وحرس رئاسة الجمهورية ... والتليفونات مقطوعة ... والحرس حوالين البيت ، يبقى عايزين إيه ... عايزين تنقلونى ليه ؟

قال لى أمين : « لو كان عمى قَبِل ما عرضه عيه جمال عبد الناصر من مناصب ، لكان كل هؤلاء ينحنون له ، ويؤدون التحية ... » .

كان أمين قد اعتاد رؤية الضباط يقدمون الاحترام والطاعة لعمه ، ولذا فإنه حين رأى عبد المنعم رياض ممسكا بذراع عمه ، لم يتمالك نفسه ، واقتحم الصالون وأمسك بذراع عبد المنعم رياض قائلا : « ما تكلمهوش بالطريقة دى .. » .

لا يعرف أحد ان كان المشير قد أصيب بصداع ، ام انه كان يحاول كسب الوقت ، حين تشاغل بتناول حبتين من الأسبرين ، حينئذ صاح عبد المنعم رياض فى الضباط القائمين فى جنبات الصالون : « تعالوا خذوه .. باين بلع حاجة .. حانوديه المستشفى » (*) .

قاومهم عبد الحكيم عامر ، وتشبث بالكنبة الجالس عليها ، لم يكن يريد الغياب عن أعين أهله ، ليكونوا شهودا على جريمة قتله التى كان يتوقعها .

كان عبد الحكيم عامر يرتدى فى ذلك اليوم قميصا بنيا ، وبنطلونا رماديا ، وصندلا بنيـا ، .. وكان يصيح فيهم قائلا : « عايزين تقتلونى قبل ما اتكلم . لكن أنا اتكلمت والناس عرفت .... أنا عايز محاكمة ... ازاى ده يحصل معايا .. الراجل ـ يقصد عبد الناصر ـ اتجنن » .

وتمكن الضباط من فصل يديه عن ظهر الكنبة ويدها ، نزعوها اصبعا اصبعا .. حتى أصبح فى قبضتهم .

ونظر الفتى إلى عينى عمه ، فرآهما كما لم يرهما من قبل فى حياته .. عينان ذابلتان قانطتان ، يظن صاحبهما أن الأجل قد دنا .

وظن الفتى أن عمه قد ابتلع شيئا حقا ، كما قال عبد المنعم ، وخوفا عليه راح يتوسل إليه باكيا : « أرجوك يا عمى ... عشان خاطرى ... روح معاهم » وإذا أصبح الفتى قريبا من عمه ، همس عمه فى أذنه قائلا : « الرسالة » . وعرف الشاب ان عمه يقصد تلك الورقة التى كتبها ويقول فيها : « إذا مت ، أو حدث لىّ شيئا ، فسيكون عبد الناصر هو الذى قتلنى » .

(*) فى تقرير مستشفى المعادى العسكرى ان التحاليل الطبية أثبتت ان دماء المشير لم يكن بها سوى حامض الساليسليك الموجود بالإسبرين !

وشاهد أبناء عبد الحكيم عامر ، أباهم وهو محمول من يديه وقدميه ، والضباط يخرجون به من الصالون على هذه الصورة ، بينما المشير يقاومهم ، ويحاول التملص من بين ايديهم ، وهبطوا به من سلم الخدم « الأوفيس » وعند الباب بذل مجهودا جبارا ليفلت من ايدى الممسكين به بالقوة ، وقد أفلح فى التخلص منهم والوقوف منتصب القامة ... ومشى على قدميه خارجا من الباب حتى ركب العربة المرسيدس التى احضروها معهم ، وركب عن يمينه محمد فوزى « نسيب سامى شرف » وعن شماله عبد المنعم رياض ، وقد جرى نصر ابن المشير عامر ، وكان ممسكا بيده عصا فألقى بها على السيارة فحطمت الزجاج الخلفى ، وخرجت زوجة المشير عامر من الفيلا حافية القدمين ، وراحت تجرى خلف العربة وهى تبكى وتولول وراء زوجها المساق إلى مكان مجهول فداست على قطعة من الزجاج مزقت قدميها ، فدفعها سيد عبد الكريم بيده دفعة قوية ، اسقطتها على الأرض أمام عينيه ، الناظرتين بكراهية إلى الزوجة المكلومة . وفى ذات اللحظة التفت المشير إلى الخلف ليملأ عينيه - لآخر مرة - بمرآى أحبابه فلذات كبده الصغار .

وبعد رحيله مباشرة ، دخل باقى أفراد القوة المكلفة بهذه المهمة ، إلى منزل المشير ، وغاصت قلوب ابنائه ، وهم يرون من يتجرأ لأول مرة على اقتحام بيتهم وتفتيشه .

قلبوا المنزل رأسا على عقب ، بحثوا ، ومزقوا ، وحطموا ... ونقلوا كل ما وجدوه فى المنزل من أوراق ، وبدا انهم يبحثون عن أشياء معينة .

وقد عثروا على مذكرات المشير عن « أسرار حرب يونيو سنة ١٩٦٧ » .

ولم يظهر لهذه المذكرات اثر بعد ذلك .

كما عثروا على شريط مسجل عليه كل ما دار قبل وأثناء حرب يونيو .

ويروى أمين ، ان هذا الشريط ، كان فى حوزة عمى إلى ان لاحظ تزايد الحشود العسكرية حول البيت ، فأخذ يبحث عن مكان يخفى فيه هذا الشريط ، فأخفاه وراء لوحة معلقة فى غرفة الصالون .

تحديد إقامة جثة !!

سبعة أطفال وأمهم ومعهم شاب دون العشرين هم كل ما تبقى من عزوة النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وقائد الجيوش عبد الحكيم عامر .

سبعة أطفال ، والأم ، وابن العم ، كلهم دامعوا الأعين يرون الدنيا من خلال الدموع ، دنيا شوهاء خلت من الرحمة ، والعدل ، بل ومن العقل .

دنيا خلت من الصديق ، والخليل ، بل ومن الأقرباء أيضا ، فقد زج بكل رجال عائلة المشير فى السجون ، بل ومن عائلة عبد الناصر ، من كان مرتبطا بعائلة المشير عن طريق النسب .

هؤلاء جميعا لزموا دارهم مهيضى الجناح ، لا يملكون سوى الدموع ، والابتهال إلى الله ان ينجى أباهم من شر مبيت . فقد باغتتهم الدنيا ولا من نصير .

كانوا يعلمون ان لا نصير ، ولا صديق يلجأون إليه ، فقد هشمت المطارق كل الأصدقاء ، وأبعدت المخاوف كل المعارف والخلان ، فقد رأوا عائلهم يبذل محاولات للاتصال بالأصدقاء ، لم يجد صديقا يجيب على ندائه .

سأل عن جمال عبد الناصر ، فقيل هو غير موجود ، وفى مكان لا يعلمه أحد . ففى هذا اليوم بالذات ـ كما قال أحد رجال الحرس الجمهورى ـ صدرت الأوامر فجأة ، على غير المعتاد فى تقاليد الرئاسة ، بالاستعداد للسفر فجأة إلى الإسكندرية . ولم يحدث ان اخطروا برحلة فجائية إلا هذه المرة .

وسأل المشير عن حسين الشافعى ، فقيل انه غير موجود ، وفى مكان لا يعلمه أحد .

وسأل عن محمد حسنين هيكل فى جميع التليفونات الخاصة به ، فقيل انه غير موجود ، وفى مكان لا يعلمه أحد .

الجميع أصبحوا فجأة فى أماكن لا يعلمها إلا الله !!

حتى هيكل ذلك المتودد إلى المشير ، المتظاهر بأنه يلوذ بحماه ، فإن الأبناء الدامعين المذهولين ، يذكرون كيف جاء محمد حسنين هيكل إلى عبد الحكيم عامر يوما ، ليوصيه بأبنائه - أى أبناء هيكل - إذا حدث له شيء ، فقد أصبح يعيش فى عالم لا عدل فيه ، ولا محاكم ، ولا أمان !!!

لم يجد الأبناء سوى الحرس ليسألوهم عن أنباء أبيهم ، وكما يقول : « أمين عامر » شاهد العيان : « فى الساعة الخامسة مساء من نفس اليوم ، سألنا الحراس عن عمى ، فقالوا لنا أنه غادر المستشفى بصحة جيدة ، وهو يقيم الأن باحدى الاستراحات التابعة للدولة .

وفى اليوم التالى الموافق أربعة عشر من سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وستين جاء رسول يقول : « ان المشير يطلب كتبا وملابس نظيفة ، فاعطيناه مصحفا وبعض الكتب ، واعطيناه الملابس النظيفة التى طلبها ، وكتبت نجيبة « ابنته » رسالة إلى أبيها .

وفى صباح يوم خمسة عشر سبتمبر ، وفى السادسة صباحا ، سمعنا طرقا شديدا على الباب ، وابلغنا الطارق ان قائد الحرس يطلب « جمال » ابن المشير ، الطفل ذا السنوات العشر ، فنزل لمقابلته ، وعاد الينا جمال ليقول إنهم ابلغوه ، ان أباه - المشير - مريض فى اسطال وانه يريد ان يراهم !!

بالأمس يطلب كتبا وملابس نظيفة ، واليوم مريضا فى اسطال !!

خفقت قلوبهم ، وانبأهم حدسهم ، ان أباهم قد مات ، فهم يعلمون أن موتاهم يدفنون فى اسطال . وانخرطوا جميعا فى حالة من البكاء والنحيب . وركبت الأسرة السيارة الوحيدة الباقية « فيات ١٣٠٠ » وانطلقوا إلى بلدتهم .

ويستطرد أمين : « انطلقنا بالسيارة فى الطريق ، وعند احدى محطات البنزين ، نزلت نجيبة ابنة عمى وأنا معها ، وأخذنا ننادى فى كل اتجاه « ... قتلوا عبد الحكيم عامر » .. وتكرر هذا النداء المرة تلو المرة . وأثناء مرورنا فوق كوبرى الجامعة ، طلبت من زوج نجيبة - وكان يقود السيارة - ان يمر على الدكتور إبراهيم الوكيل ، واخذت من نجيبة الورقة التى كتب فيها عبد الحكيم بخطه وامضائه « لو مت أو حدث لىّ شيء فإن « ..... » هو الذى

قتلنى » وقلت للدكتور إبراهيم الوكيل : « انهم قتلوا المشير ، ومعى ورقة بخط يده تثبت ذلك ، واعطيته الورقة ، قرأها ، فذعر الرجل وقال : « ان هذه الورقة تعرض حياة من يحملها للخطر ، فأخذت الورقة وعدت للسيارة ، وهناك اخذت منى نجيبة الورقة ، واخفتها فى ملابسها ، خوفا عليها من الضياع .

وفى الطريق إلى البلدة ، كنا نشاهد عربات المخابرات فى أماكن متفرقة ، يتابعوننا ، ويبلغون عنا إن مررنا بهم ...

ولما وصلنا وجدنا أمام منزل جدى سيارة كبيرة محملة بالجنود المسلحين بالمدافع الرشاشة ، كما رأينا عربات المخابرات متناثرة هنا وهناك ، أمام البيت .

كانت البلدة ذاهلة ساهمة ، وجن جنونى ، عندما دخلت البيت ، فطالعتنى صورة ضخمة لجمال عبد الناصر ، فحملتها ، وألقيت بها فى الطريق ، وأخذت ادوسها بقدمى ، وأنا أسب وألعن أمام الضباط .

انكشف المستور واطلت علينا النكبة بكل بشاعتها وفظاظتها ، وظهر لنا أننا لم نأت لزيارة مريض ، وانما لتشييع جنازة .

وفى هذه الأثناء دخلت سيارة سوداء صغيرة ، مما تراها الأعين فى كل مكان ، ولأى انسان ، شعارها « تحت الطلب » . وفى جوفها جثمان عمى العزيز المشير عبد الحكيم عامـر !!!

كان ميتا بلا أهل ، فنحن أهله ، لا ندرى من الأمر شيئا ، ولا يسمح لنا بالمشاركة فى الإعداد للجنازة ، ولم يسمح لنا ولو بإلقاء نظرة أخيرة عليه ، وكأن المشير كان له أهل غيرنا لا نعرفهم ... وشاء القدر القاسى ان يعرفنا بهم ، ونحن فى حال هو أقرب للذهول ... ولا أدرى ما داموا يلتفون حول جثمانه ، ويستأثرون به دوننا نحن ابناؤه ، وابناء اخـوته ، واخـوته ، لا أدرى فيما كانت دعوتنا للذهاب إلى اسطال ، فهم أصحاب كل شىء ، ونحن ... ليس لنا شىء !!

وجاءت اللحظة الموجعة ... لحظة تشييع الجنازة . فعلى جانبى الطريق ، الذى يمر شرق اسطال ، والمؤدى إلى مدافن الأسرة ، اصطف على جانبى الطريق ، طابوران من الجنود

المسلحين بالمدافع الرشاشة ، ولا عجب فوديعتهم غالية ، تحفظ فى جوفها سر الموت .. وهو سر يخشاه الكثيرون .....

ولم يكن مشيعو جثمان المشير سوى بضعة أطفال هم فلذات كبده المنسحقين ، الباكين ، الحيارى .... واما باقى رجال الأسرة ، فقد اعتقلوهم ، ولم يسمحوا لأحد من اخوته بالسير فى جنازته ، سوى اثنين عجوزين لم يعتقلا ، هما عمى الحاج سنوسى البالغ من العمر سبعين عاما ، وعمى المستشار عبد الجواد الذى مر بتجربة تعرف على ميت ، هى أقرب للهزل ، ولولا ان الميت عزيز لأضحكتنا حين رواها لنا . استدعوه ليرى جثة أخيه فى القاهرة ، فلما ذهب أخذوه إلى الحجرة الواسعة التى سجن فيها جثمان المشير ، فوجد هناك محمد فوزى وأنور السادات فسأل أنور السادات : « هوه فين ؟ » فأشار السادات بيده وهو يقول : « أهو جوه .. خش شوفه » . دخل المستشار عبد الجواد عامر ، ونظر إلى شىء ملفوف ممدد على السرير ، فلم يتعرف على صاحب هذه الجثة ، قال لهم : « دعونى اقترب منه » . وكانوا قد أوقفوه عند الباب ـ قالوا : « لا » .

قال شقيق المشير : « طب أشوف وشه ؟ » ذهب أحدهم ليكشف عن جزء من الوجه بينما وقف الآخر أمام المستشار عبد الجواد يمنعه من الدخول أو الاقتراب من الجثة .

قال عبد الجواد : « شيلوا الملاية من فضلكم عشان أشوف جسم أخويا » . قالوا : « لا ... كفاية كده .. اتفضل » .

وخرج عمى عبد الجواد الذى ذهب ليتعرف ، فلم يعرف ، وما زال لا يعرف وهو يشيع الآن جثمان أخيه إلى مثواه .

كان جوا من الخشية يظلل اسطال كلها ، فالمدافع ، والجنود ، والعربات ، ضمنت ان يلزم كل انسان حدّه .... واحتجزوا أهل القرى المجاورة الذين جاءوا ليؤدوا الواجب ، ومنعوهم من المشاركة فى تشييع الجنازة .

وأمام فوهة القبر المفتوح ، اخرجوا الجثمان الملفوف ، المتخفى عن العيون ، والجنود شاهرون السلاح يقظون ، متربصون ....

وجاءت لحظة الوداع الأخير ... وما بكته الصفوف المسلحة ، مئات من الجنـود لم يبكوا ... وتحمل عن مصر كلها واجب البكاء ، بضعة أطفال صغار ، طارت قلوبهم شعاعا ، وانسحقت أرواحهم ، وغدر بهم ـ فى أعز من لهم ـ غادر آثم .

ادخلت الجثة إلى القبر ، وأوصدوه بالطوب والأسمنت ، وأقاموا الحراس فوقه ، وحوله ، وعلى مقربة منه ، وعلى الكل جهامة هى ليست جهامة الحزن ، وانما هى جهامة البأس ... وكأنها جاءوا ليحددوا إقامة الجثة . ولعلهم ارادوا تأكيد سلطانهم على صاحبها إلى الأبد ، وما دروا أنها قد أصبحت تحت سلطان الواحد القهار ، المنتقم الجبار .

* * *

« الروس والمأمور الثورى »

بعد عام ونصف صحوت على الحقيقة المفجعة ، فقد تلقيت نبأ موت المشير مؤكدا لا لبس فيه ولا أوهام من فم أمين عامر . وكان نزول النبأ ثقيلا ماحقا فأصابنى بالشلل ... لم تسحقنى ضائقة ، أو أزمة مثلما سحقتنى هذه النازلة ، فأنا لم يسحقنى تنحيته ، ولا تحديد إقامته ، ولا اعتقالى وتعذيبى ، ولا تحديد إقامتى إلى ان جاءت هذه الطامة ، فأمرضتنى هذا المرض العضال ، الذى شفيت منه على يدى الطبيب البارع فى انسانيته مثلما كان بارعا فى علمه ، الدكتور حسنى عياد .

بعد الشفاء واجهت معضلات الحياة ، وكانت معضلتى لا تكمن فقط فى الحاجة إلى المال ، وانما هى فى الحقيقة منعى من سلوك طريق العمل والكسب ، فإلى جانب خوف المخرجين السينمائيين من التعامل معى ، كان هناك أوامر شفهية للتليفزيون وقطاع السينما بعدم التعامل معى ، كما كان ورائى فى كل مكان من يتعقب خطواتى للمراقبة من قبل المخابرات ، والتى واصل رجالها التجسس علىّ بطرق مختلفة غير المراقبة .

ولا أدرى ماذا كانوا يريدون منىّ على وجه التحديد ، بعد ان مات المشير ، وتم للصياد التهام فريسته ، والظن عندى انهم كانوا يبحثون عن أشرطة مسجلة بصوت المشير يكشف فيها أسباب الهزيمة والاسرار الخافية وراءها وشريط آخر ـ كنت أعلم به ـ ولا أعرف أين ذهب ، ولعلهم أخذوه حين فتشوا بيت عبد الحكيم ، ذلك الشريط كان يسجل حديثا تليفونيا بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعد الهزيمة مباشرة ـ وفيه كان عبد الناصر يبكى وينحى على نفسه باللائمة ، لما أصاب الجيش من تمزيق وتشتت ، ولأنه لم يأخذ برأى المشير والقادة والطيارين ، فى عدم وجوب عدم الانتظار ، والأخذ بالمبادأة ، وضرب منشآت إسرائيل العسكرية ومطاراتها ، والتحام الجيش المصرى بالجيش الأسرائيلى ، لتضييع ميزة التفوق الجوى الأسرائيلى ، ويطلب من عبد الحكيم المشورة للخروج من هذه الورطة .



من ينادى ... ومن يستغيث ... الطفل عمرو عبد الحكيم فى لقطة قبل موت والده المشير ببضعة أيام .

والشيء الآخر الذى كانوا يبحثون عنه ـ غير الأشرطة ـ هو مذكرات عبد الحكيم عامر عن « أسرار حرب ٥ يونيو » . ولا أدرى إن كانوا يعلمون بالورقة التى كتبها عبد الحكيم ووقعها ، محذرا فيها من احتمال قتله مع ذكر اسم قاتله أم لا .

لا أذكر أسبابا لاستمرار المراقبة ، والتجسس غير ذلك ، فإن كان هناك أسباب لا أعرفها ، ولا أفهمها ، ويبقى « المعنى فى بطن الشاعر » .

وذات يوم كنت جالسة فى شرفة بيتى ، أنظر إلى النيل الكريم المعطاء ، واحزن إنى على شاطئه وأحرم من الرزق والعطاء .

كانت هذه الشرفة متعتى ، وخلوتى ... ففيها أفكر ، وأدبر ، وأبكى ، وكنت فى هذه اللحظة أفكر فى قسوة الأنسان على الأنسان ، فيقف حائلا بينه وبين رحمة الله ، قاطعا طريق الرزق الذى هو من عند الله .

وتداعى الى الذاكرة ، بعض كلمات المشير عبد الحكيم عامر ، كان قد قالها تعليقا على محاولة عبد الناصر معرفة ان كان الله موجودا أم غير موجود ؟!!

وفى سبيل الحصول على الأجابة ، راح يسأل المفكرين ، والأدباء ، والعلماء والأصدقاء . وكانت كلمات عامر التى علق بها على ذلك قوله :

ـ شوف الراجل !! عايز يتأكد ان الله مش موجود عشان يفترى أكثر !!

ترى هل تأكد عبد الناصر ؟ أم مات دون ان يتأكد ؟!!

يا الله ... نجنى مما أنا فيه ، ويسر لىّ أمرى الذى بات صعبا ، وساعدنى على الخروج من هذا المأزق ؟

جارتى الطيبة تلقى على التحية من شرفة شقتها ، وتسألنى عما بىّ ، فشكوت لها ما أعانى ، وقلت لها : « أنا حظى وحش .. » .

قالت لىّ الجارة : « لا انتى حظك حلو قوى ... اللى حظه وحش بصحيح هو عمرو ... بعدما كانت تنتظره حياة حلوة فى حياة أبوه المشير ... بقى دلوقت يتيم مالوش حد » .

سألتها : « طب أعمل إيه ؟ » .

قالت : « انتى شقتك على النيل ، يعنى ممكن تأجريها مفروشة بإيجار كويس تعيشى منـه » وعجبتنى الفكرة ، ووجدت فيها مخرجا مما أنا فيه ؟ يا الله .. كيف لم يخطر هذا ببالى من قبل ؟!

وأفلحت فى إيجاد ساكن لها ، بإيجار شهرى مقداره مئتا جنيه ، فكان فيه حل لأزمتى وأزمة أسرتى .

وذهبت لأقيم عند والدتى ، ولكن شقتها لم تكن تزيد على حجرتين ، تقيم فيها مع إخوتى الخمسة ، مما جعل الإقامة مرهقة ، بل تكان تكون غير ممكنة ، فكان لا بد من البحث عن سكن .

وقد وجدت سكنا فى بنسيون « هورس هاوس » بالزمالك ، بإيجار يومى جنيه واحد نظير الإقامة والطعام .

كانت صاحبة البنسيون سيدة روسية متقدمة فى السن ، وقد اكتشفت منذ اليوم الأول ، ان كل المقيمين فى هذا البنسيون من العسكريين الروس ، الذين يعملون ، كخبراء فى الجيش المصرى !!

كانوا حوالى العشرين من الرجال والنساء ولكن عدد الرجال كان أكبر بكثير من عدد النساء .

وكأنما القدر أراد لىّ ان أرى بعينى رأسى ، صورة للشيوعية لتشهد لعبد الحكيم عامر بأنه على حق ، حين كره ان تكون الشيوعية كائنة على أرض مصر ، بأى صورة من الصور ، سواء فى صورة قواعد ، أو خبراء ، أو صداقة ، وكان من رأى المشير ان مصر بمعاهدة الصداقة المصرية السوفيتية التى ابرمها جمال عبد الناصر بعد الهزيمة ، قد أصبحت احدى دول حلف وارسو . وقد سمعت بأذنى عبد الحكيم يقول فى التليفون أثناء حديث له مع جمال عبد الناصر بعد توقيع المعاهدة « بكدة بقينا دولة من دول حلف وارسو » وكان لحظتها يبدو عليه غضب شديد .

كان من عادة هؤلاء الروس ، حين يعودون من أعمالهم ان ينفقوا الليل فى شرب الخمر حتى يفقدوا الوعى .

وكنا نبدو جميعا ـ أنا وهم وصاحبة البنسيون ـ كمن يظله ارهاب خفى يمنعه من التبسط والتعارف ، والكلام الصريح . وعلى هذا فقد مرت الأيام الأولى « وكل واحد فى حاله » . ولأن الحال كان بؤسا وقهرا ، ولأن الجوار كان مؤديا إلى التخاطب حتما ، فقد صار بينى وبينهم كلام وحوار .

وكان أول ما دعى إلى ذلك ، حادثة وقعت ذات ليلة ، اصابت البنسيون بالفزع والأضطراب ، فقد فوجئت وأنا فى حجرتى ، بمن يحدث جلبة وصياحا ، ودقا عنيفا على باب احدى الحجرات ، فخرجت لأرى واحدا من الروس شرب حتى ثمل ، واصابته حالة هياج ، فراح يدق بعنف حتى كاد يحطم الباب ، لولا أن أسرع إليه زملاؤه ، وأبعدوه عن باب الحجرة التى عرفت فيما بعد انها لاحدى الروسيات المقيمات معنا فى البنسيون ، وتبين لىّ من الحديث ان المرأة التى كانت بالداخل هى « زوجته » ومعها واحد منهم ، ولدهشتى وجدت الزوج فى اليوم التالى يعتذر عن « حماقة » الأمس للرجل الروسى الذى كان بالداخل ... إذن فى عرفهم .. هو المخطىء ؟

ولا يستطيع الانسان ان يمنع فضوله فى مثل هذه المواقف ، فكان ان سألت أحدهم الذى بدوره كان مخمورا ، ولكنه متمالكا لوعيه ، وكانت اللغة بيننا كلمات من العربية ، والفرنسية مع اللغة العالمية : الاشارات .

وكان المعنى الذى استخلصته من هذا الحديث المكسر هى كالآتى : « اننا محرومون .. إذا عرفت امرأة .. فإلى سيبيريا ، وإذا صادقت أسرة مصرية .. أنفى إلى سيبيريا ، .. ومن يخالف الأوامر ـ ومرر يده على رقبته ـ فإلى الموت ... ولا نستطيع ان نخالط أحدا ... أو نذهب إلى مكان للترفيه ؟!

لقد كان هؤلاء الروس يبدون لى ـ فى ظل القهر ـ كأنهم آلات تتحرك وفق أوامر وتعليمات ، بلا شعور ولا تفكير ، ورأيت فيهم تعاسة الانسان حين يفقد إيمانه بالله ويفقد إرادته ، ويفقد حريته ، وتملى عليه اشكال الحياة إملاء .

وتذكرت ما قاله المشير لىّ ذات يوم : « الماركسية نظرية كويسة قوى ... بس نسيت حاجة مهمة ... نسيت الانسان نفسه » .

R. C. C. 103032 — س.ت ١٠٣٠٣٢
Teleph 803977 — ت ٨٠٣٩٧٧

هوروس هاوس

عمارة هورس — ٢١ شارع اسماعيل محمد بالزمالك — القاهرة

"HORUS HOUSE"

HORUS BUILDING

21, Ismail Mohamed, ZAMALEK — CAIRO

Mrs. Nefissa abd el Hamid

Room No. 4 28.2.70

	L.E.	M.
Pension for February	30	800
Room & Breakfast		
Room		
extra		770
Telephone		200
Service 10 %	3	080
Tax Municipality		280
TOTAL	34	130

فاتورة فندق « هوروس هاوس » الذى اقمت فيه مع بعض الضباط والجنود الروس فى فبراير عام ١٩٧٠.

كان البنسيون مقفلا على تعسائه ، فلا زائر ، ولا ضيف ، ولا صديق لأى من سكانه ، لا أحد يبث روح التفاؤل والمرح فى هذا المكان . ولكنى أنا كانت لىّ فرحة مع مطلع كل صباح ، حين تأتى خالتى فتحية ومعها عمرو ، فيقضى النهار معى ، يلهو ويلعب ، ويأكل ، ويملأ علىّ فراغ حياتى ، فإذا جاء الليل عادت به خالتى إلى منزل والدتى ، لأن قانون البنسيون يمنع وجود أطفال ، وقد سنته صاحبة البنسيون الروسية البيضاء ، حرصا على راحة من ينزلون عندها من الروس ، ومن الانصاف ان أقول انها لم تكن تقبل نزلاء غيرهم أصلا ، لولا انى أوضحت لها انى نجمة سينمائية ، وأريد الابتعاد عن الناس بعض الوقت ، ولما جرى الحوار بينى وبينها احبتنى وقبلت اعطائى حجرة فى هذا البنسيون العجيب . وكما كنت أفرح فى الصباح . كنت أتألم فى المساء حين تأتى لحظة انصراف عمـرو ... فأنظر الى يده الممدودة نحوى باكيا ، أثناء انصراف خالتى به . والألم يعتصر قلبى .

وسارت بنا الأيام على هذه الوتيرة ، إلى ان اقتحم البنسيون يوما ضيف جديد ، لم يكن مقيما ، وانما كان زائرا يأتى بين الحين والحين . ولقد جاء أول مرة فى صورة من يسعى إلى خطب ود إحدى السيدات الروسيات ... ولكنه بعد ان أصبح بيننا ، وأصبح تردده علينا معتادا نسبيا ، وأولانى إهتمامه ...

كان هذا الزائر رجلا من رجال الشرطة ، وبالتحديد كان مأمور أحد الأقسام ، تقدم إلى بصورة وادعة متلطفة ، وأراد ان يشعرنى بمشاركته لىّ فى مأساتى فقال ذات مرة « احنا فى الداخلية فيه ناس كثير مش راضية عن اللى حصل .. ولكنا حاسين بيكى .. ومتهيألىّ انهم عايزين يعملوا حاجة !! » .

ومرة أخرى قال : « الناس ما عدتش طايقة ... واحنا مش راضيين عن اللى بيحصـل ده ... ما حدش قادر يتكلم ... ما حدش قادر يتنفس ... أى حد يتكلم على طول يودوه ورا الشمس ... كنا امبارح قاعدين قعدة مع زملائى وفكرنا يعنى .. نشيل الجدع اللى موجود » .

وتساءلت : « يعنى إيه ؟ » .

قال المأمور : « الثورى » : نعمل اغتيال .. نعمل أى حاجة ... انقلاب ... لازم نتصرف الأوضاع بقيت لا تحتمل » .

قلت له : « ايوه .. بس ازاى .. يعنى إيه ؟ » .

فى تلك الأثناء زارنى صديق من رجال المشير ، كنت قد قابلته صدفة فى الطريق منذ أيام ، واعطيته عنوانى ، ودعوته لزيارتى وقتما يشاء .

جلس الصديق معنا ، وما كاد يعرف منى ان الجالس معى من الداخلية حتى نهض واقفا وهو يقول : « لو سمحتى أنا عايز حضرتك فى كلمتين » . نهضت بدورى ، وانتحينا جانبا فتحدث .

قال الصديق : « وأنا طالع دلوقت لاحظت وجود عربة لاسلكى واقفة تحت ... » .

انقذنى أحد رجال المشير فى الوقت المناسب ، فقد اكتشفت ان « المأمور الثورى » لم يكن الا فخا نصبوه لى ، فيحادثنى والعربة أسفل البيت تسجل الحديث .

وفى اليوم التالى لزيارة الصديق ، جاءنى المأمور كعادته ليحدثنى فى مشاريعه الثورية !! .. ودار بيننا الحوار التالى الذى بدأه بقوله :

ـ بالنسبة للموضوع اللى كنت باكلمك فيه امبارح ...

قاطعته :

ـ موضوع إيه ؟

ـ موضوع الانقلاب اللى راح نعمله ..

قاطعته :

ـ انقلاب إيه ... مالى ومال الكلام اللى بتقوله ده .

ـ الله ؟ مش كنا بنتكلم عن قرف الناس .. وعن الانقلاب .

ـ مالى أنا ومال الكلام ده .. انقلاب إيه .. هو أنا ضابط فى الجيش .. أنا واحدة ست عايزة تعيش وتربى ابنها .

ولم يجد طائلا من استمرار الحوار فانصرف . كان صديق المشير الذى حذرنى من عربة اللاسلكى ، قد قال لىّ يومها : « أوعى تخليه يفهم انك كشفتيه ... لأنه فى الحالة دى راح يبعثوا حد تانى أنتى مش عرفاه .

لم يقطع المأمور زياراته بالطبع ، ولم ييأس ، وفى ذات مرة قاللىّ : « أنا خايف عليكى ... خللى بالك انتى متراقبة ... وعشان كدة انصحك إذا كان عندك حاجة غالية أو مهمة تخبيها فى مكان مأمون ، وإذا كان عندك فلوس أنا أقدر احطها باسمك فى بنك من البنوك .. انتى متأكدة ان حاجاتك فى مكان أمين ؟ » .

واستطرد متلطفا : « أنا لىّ صاحب فى المباحث ... وسمعنا عن اللى عملوه معاكى .. وكلنا مبسوطين من جدعنتك ... أنت ست جدعة تمام .. وتستاهلى كل خير .. » .

ثم رق صوته ولان : « وأنا حاسس باللى أنتى فيه .. وخايف عليكى قوى .. واحنا يعنى مش قد المشير .. انما يعنى لو قبلتى تتجوزينى » .

قلت له : « مش وقته دلوقت ... أنا واحدة فى ظروف صعبة ... ومش معقول وأنا باغرق تقوللى شوفى القمر يا ليلى ؟

كانت حياتى فى هذا البنسيون تسير بهدوء ، والمال يأتى بانتظام أول كل شهر ، والشىء الوحيد الذى نغص علىّ حياتى هو افتقاد عمرو طوال الليل ، حيث تظل صورته، وهو يبكى ماثلة فى ذهنى حتى الصباح .

وحدث فى إحدى الليالى ان رفض عمرو بشدة ان يذهب مع خالتى ، ورأيته يقاوم ويطوح بنفسه وهو على كتفها ، حتى كاد يسقط ، فبدأت فكرة البحث عن مكان آخر تشغل تفكيرى .

وفى اليوم التالى ، عندما شعر عمرو بأن وقت الانصراف قد حل ـ وكان قد تعلم الكلام ـ بكى وقال لىّ مستعطفا ، ظنا منه اننا نصرفه بسبب بكائه ... قال بلسان الطفولة الذى يدغدغ القلب : « أنا مش حا اعيط .. ومش حا اكسر حاجة .. ومش حا العب فى حاجة .. » وأحسست قلبى يذوب مشفقة عليه ، فكان ان قررت البحث عن شقة مفروشة منذ الغد مهما كلفنى الأمر .

بعد بحث طويل ، ذهبت إلى فيلا من دورين ، وحين سألت قال لىّ واحد من أهل الدار : « اننا نؤجر فقط للأجانب » .

قلت له : « اسمح لىّ بمقابلة ربة البيت » . فأخذنى اليها وما كاد بصرها يقع علىّ حتى صاحت : « يا خبر ... مدام برلنتى ؟؟!! .. أهلا وسهلا ... لأ طبعا انتى مش زى أى حد » .

كانت هذه الفيللا من طابقين ، يسكن الطابق العلوى منها ، أسرة مصرية طيبة ـ وما أكثر الطيبة فى مصر ـ وتحيط بها حديقة جميلة ، وقد سألتنى السيدة صاحبة البيت عما يدعونى للسكن المفروش ، وأنا أسكن فى شقة ، شرحت للسيدة الفاضلة قصتى ، واضطرارى إلى تأجير شقتى لحاجتى إلى المال ، فقبلت المرأة ان تؤجر لىّ الدور الأرضى الذى تحيط به حديقة جميلة ، وكان الأيجار لا يتعدى الثمانية جنيهات .

* * *

بالانتقال إلى الشقة المفروشة ، بدأت فقرة جديدة فى حياتى . فقد تجمع حولى الأهل ، وزارنى الأصدقاء ، وكان أهم الزوار هم أشقاء عبد الحكيم عامر ، الذين لم ارهم منذ حوالى العامين ، بسبب تحديد إقامتى ، وبسبب إقامة البنسيون الذى لم يعرف مكانه أحد .

فلما عرفوا عنوانى جاءونى . وكانت زيارة الحاج عبد المنعم عامر شقيق المشير ـ باعثا لروح جديدة بداخلى ، بما رواه لىّ عن شقيقه المستشار عبد الجواد عامر حين استدعوه ليرى جثة شقيقه ، والطريقة التى عومل بها من إيقافه على باب الحجرة ورفضهم تسليمه الجثة ، وقال فى هذا الصدد : « ان المشير مات مقتولا ، وإلا فلماذا رفضوا تسليم الجثة للأهل كما تقضى التقاليد المتبعة فى مثل هذه الأحوال .

قفز قلبى حين سمعت ما قاله ، ودبت فى بدنى روح جديدة ، تشعلها الرغبة فى معرفة ما جرى للمشير ، وظلت هذه الجذوة بداخلى لا تخبو ولا تنطفىء ، حتى مات جمال عبد الناصر .

« رحلة البحث »

بموت جمال عبد الناصر ، انتهت عمليا فترة سجنى . فلا مراقبة ، ولا تهديد ، ولا تعقب فى مصادر الرزق .

ورفع الحرج عن الضيوف والزوار ، من أقاربى ، أو أقارب المشير ، ولأول مرة يزورنى ، « الحاج عبد المنعم عامر » الشقيق الأكبر لعبد الحكيم عامر .

كان الحاج عبد المنعم يعمل فى سفارة مصر بألمانيا ، ولكن السنوات التى قضاها فى السلك الدبلوماسى ، والتى عاشها فى أوروبا ، لم تؤثر مطلقا على نقائه وفطرته ، وسلامة طريقته ، ... وهو فى نظرى « ملاك طاهر » وكنت أراه كثير العبادة شديد التقوى . حتى أيامه الأخيرة ، قضى معظمها معتكفا با لمسجد .

وكان حين يزورنا أشعر فى وجوده بسكينة النفس ، والطمأنينة ، وأشم فى المكان عبق المسك وكان هو ذاته نفحة عطر مباركة .

وقد جاء لزيارتى هذه المرة ، ليؤدى « الأمانة » التى أئتمنه عليها عبد الحكيم ، حين أعطاه حقيبة بها مصاغى وألفا جنيه ، ليحفظها لىّ ، تحسبا لغدر الأيام .

يا لرحمة الله ... هل كان المشير يرى هذا اليوم ، وكيف رآه وهو فى أوج قوته ، وسلطانه ؟

دخل على الحاج عبد المنعم عامر ، حاملا تلك الحقيبة ، وما كدت افتحها وتقع عيناى على الثروة التى بداخلها ، حتى غمرتنى السعادة ، وامتلأ قلبى شكرا لله .

وكان الحاج عبد المنعم يراقبنى ، وعلى وجهه ابتسامة عطوف ، وانتظر حتى افرغت دهشتى وفرحتى بعودة الحقيبة ، ثم شرع يحكى لىّ حكاية اضحكتنى ، والحكاية كانت عن هذه الحقيبة ، وكيف نجت من أيدى رجال المخابرات الذين نقبوا كل ركن ، فى كل بيت ، من بيوت آل عامر .

قال الرجل الطيب : « كنت أخفى الحقيبة فوق « السندرة » وعندما هاجموا بيتى لم يتركوا فيه مكانا دون ان يفتشوه ، بما فى ذلك السندرة نفسها ... فقد صعدوا اليها ، وصعدت

معهم ، وأخذوا يفتشون ويفحصون الأشياء قطعة قطعة ، فإذا انتهوا من واحد وضعوها فى ركن بعيد ، فأصبح هناك ركنان ـ أو كومتان ـ كومة تم تفتيشها ، وكومة جارى فيها التفتيش وهى التى كانت بها الحقيبة .

وفجأة ظهر فأر فأشاع الارتباك والهرجلة بين الجميع ، وتظاهرت بأنى أشاركهم تعقب الفار ، وانتهزت الفرصة فأخذت الحقيبة ، وألقيتها إلى الكومة التى تم تفتيشها .... وبهذا نجت من أيديهم .

وبعد يومين تقريبا ، قلت لرجال المباحث انى مسافر إلى الأسكندرية ـ وكنت بالطبع مراقب ـ فأخذت معى حقيبة كبيرة ، وضعت بداخلها حقيبة النقود ، وخرجت من بيتى وأنا أحملها فى الطريق العام ، وفى وضح النهار . وأودعتها لدى صديق لىّ فى الإسكندرية ، وعدت بذات الحقيبة التى ذهبت بها .

الآن وفى غمضة عين ، انقلبت حياتى من حال إلى حال ... لقد أصبحت ثرية !!

وكان أول عمل قمت به ، هو العودة إلى شقتى الحبيبة على النيل . وفى هذه المرة كشفت لىّ صاحبة البيت ، عن آخر شراك الأجهزة السرية ، التى نصبت لىّ ، فقد جاءها من يطلب منها فسخ العقد الذى بينى وبينها ، بحجة انى امرأة مغضوب عليها ، إلى هذا المدى بلغت بهم الرغبة فى تشريدى وتعذيبى .

لكن صاحبة البيت أبلغتهم بأن عقد الأيجار ليس باسم برلنتى ، وانما هو باسم « حسن عامر » ومتنازل لعمرو عامر ، فطلبوا الاطلاع عليه ، وإذا وجدوها صادقة ، تركوها وانصرفوا .

وهنا أذكر المثل القائل : « رب ضارة نافعة » فإن وجود عقد باسم حسن عامر جاء نتيجة واقعة لم أحسب حسابها ، ذلك حين تركت الشقة لأقيم فى فيلا الهرم التى استأجرها لىّ عبد الحكيم عامر ، ويبدو ان صاحبة البيت ، قد لاحظت غيابى فطمعت فى الشقة ، فأقامت ضدى قضية طرد ، وحصلت على حكم بذلك ، ولما تنبهت إلى ما حدث بادرت بطلب حراسة على الشقة إلى حين فض النزاع بينى وبينها ، وعينت المحكمة حارسا ،

وتقدم حسن عامر إلى الحارس طالبا إيجار الشقة ، ووقع عقد إيجار باسمه ، وبالطبع أنا التى أقمت بالشقة مع ابنى عمرو إلى ان تم اعتقالى ، وأرادوا طردى ، فلم يجدونى ساكنة !!

كلما استرجعت مراحل حياتى ، وتذكرت ما مر بىّ من أحداث ، بعضها رفعنى إلى قمة السعادة ، والآخر هبط بىّ إلى غور الأحزان والتعاسة ، وكلما تأملت تفاصيل هذه الحياة ، لا أملك إلا الشكر لله ، فإنى أرى نفسى قد حظيت بقدر كبير من عنايته ورحمته ، بل ان وقائع متعددة ، تحمل فى طياتها إشارات مؤكدة ، على ان يد العناية الإلهية ، لا تنسى مظلوما ، أو مبتهلا ، أو سليم الطوية .

هذه الوقائع كانت بالنسبة لىّ مصيرية ، وان الفرج جاء فى لحظة توهمت فيها ألا خلاص ولا أمل للخروج من هذه الأزمة ، أو تلك الورطة ، ومنها ما هدد حياتى ذاتها بالفناء .

ان الذاكرة حينما تقف بىّ عند حكايتى مع موريس الذى كان يملك شبابا ، وجمالا ومالا ، ويعرض على الدنيا بمباهجها ، ونجوميتها ، وأجد من نفسى القدرة على رفضه ، وصده ، وأنا بعد فتاة تفيض حيوية وطموحا واقبالا على الحياة ، .. كيف صددته فنجوت من مكر شديد ، كان من الجائز ان يقضى على حياتى كلها ، كيف حدث ذلك لولا انها عناية الله بىّ ، وكم كنت امتلىء كبرياء واعتزاز ا حينما ظهر لىّ فى مبنى المخابرات ... وإذا به رجل مخابرات مصرى .

ولقد تداركتنى عناية الله وأنا أصرخ فى الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة رئيس المخابرات ، وأتهمهم بأنهم قتلوا المشير ، وكان من الجائز لو تماديت فى الاتهام ، ان اقتل فى تلك اللحظة ، وفى تلك الغرفة المظلمة المخيفة ، وبلا شهود ، لولا أن سخرت لىّ رحمة الله يدا تضغط على يدى ، لتنبهنى إلى خطورة موقفى ، فانتبهت ، واتجهت بالصراخ وجهة أخرى ، أعقبها اضاءة النور ، وكف أيديهم عنى .... والغريب ان هذه اليد كانت احدى ايدى الجادين !!

ولقد الهمنى الله لأقول لرجل المخابرات ، ابلغ الرئيس جمال عبد الناصر « أن خيوط البكرة ملعبكة ، وداخلة فى بعضها ، ولو بدأت أفكها سأضطر لفك الخيوط كلها » وكان لهذه العبارة أثرها فى اطلاق سراحى من المخابرات ، واتصال جمال عبد الناصر بىّ قبل الخروج .

وعقد زواجى بالمشير ، وكيف وصل إلى يدى ، وقد كان فى بيت عبد الحكيم عامر أثناء تحديد إقامته ، وقد فتشوا البيت وقلبوه رأسا على عقب ، ولم يتركوا شيئا الا ونقبوا فيه ، ومع ذلك لم يقع فى ايديهم هذا العقد ، الذى خبأه عبد الحكيم داخل راديو فى حجرة نومه ، وأوصى به ابن أخيه أمين ، ان يوصله لىّ إذا اصابه ـ أى المشير ـ مكروه .

وقد وصلنى هذا العقد فعلا بفضل حرص أمين على وصية عمه ، رغم انه واجه ، الصعاب ، ليحصل عليه ، فإن حجرته قد اغلقت بعد وفاته ، وكان لا بد من الحصول على هذا الراديو ، ولكن ابن المشير رفض قائلا : « ده الراديو بتاع بابا ومش راح أديهولك » ولكن أمين أفلح فى اقناعه بحجة انه سيستمع قليلا اليه ويعيده . أليس هذا من فضل الله ، ان تصلنى هذه الورقة ، فى وقت بدا لىّ مستحيلا أن تصل ؟

ولـو كان القـلب حجرا للان أمام فضل الله الغامر ، وما كان قلبى حجرا فى يـوم مـن الأيام ، فكيف به لا يمتلىء حمدا وشكرا ، وتمتلىء العين دموعا ، حين افتح كتابا ـ وأنا حبيسة المستشفى لعجزى عن دفع ثمن اقامتى ـ فأجد به ألف جنيه !! وكيف تداركتنى رحمة الله فغيرت حالى فى ثانية من الحزن الشديد إلى .... الفرح الشديد !!

ومن ذا الذى لا يرى العبرة فى قصة الحقيبة ، التى حفظ فيها المشير مصاغى والألفى جنيه ، كيف فكر فى هذا الوقت البعيد ، وكيف نجت من أيدى المخابرات ، وكيف ظهر الفأر ليجد الحاج عبد المنعم فرصة لنقلها ... وفى النهاية يأتى بها الرجل « الصالح » وأنا فى أمس الحاجة اليها .. أيكون مصادفة ... أم قدرا ... إنه قدر الله .

وعقد إيجار شقتى ، الذى يصدق عليه قول الله تعالى « وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » فلقد كرهت يومها أن أطرد من شقتى ، وكرهت ألا يكون عقد الأيجار باسمى ، ولكن القدر أراد ان يكون باسم حسن عامر ، وعمرو عبد الحكيم عامر . فإذا جاءت لحظة البطش ، من طاغية مكير ، كان مكر الله قد سبقه ، لم يجد لىّ عقد إيجار فيرغم صاحبة البيت على الغائه وطردى من بيتى ... انها طردتنى مرة واحدة ، فى وقت كنت فيه قوية وقادرة ، وعجزت عن طردى فى وقت كنت فيه ضعيفة عاجزة .. أليس هذا من فضل الله ورعايته ... اللهم لك الشكر والحمد ... شكرا كثيرا طيبا مباركا فيه .

والحمد لله الذى يسر أمرى ، واعادنى إلى بيتى ، ومعى من فضل الله مال وفير ـ فى ذلك الوقت ـ وإذ عاد الصفاء إلى عقلى ، تذكرت صديقا للمشير كنت أعلم انه فى محنة ، ذلك الصديق هو « صلاح نصر » رئيس المخابرات المصرية السابق وثقة عبد الناصر ، ومن مهازل ا لزمن ان يصبح هذا الرجل الوطنى ، سجينا سياسيا .

وعندما انتويت زيارته ، كان يقيم فى القصر العينى للعلاج ، تحت الحراسة المشددة ، وسعيت لدى السلطات للحصول على تصريح بالزيارة ، فلما تحقق ذلك ، ركبت عربتى ، واتجهت الى مستشفى القصر العينى .

وفى الطريق داهمتنى الأفكار الحزينة ، تذكرنى بما أصاب صلاح نصر من سجن وتنكيل ، وكان ذنبه انه لم يوافق على نشر أكاذيب تدين الجيش المصرى ، وغيره ما كان ليجرؤ على الوقوف فى وجه جمال عبد الناصر ليدافع عن الحقيقة التى أرادوا اخفاءها فيما يتعلق بالجيش المصرى والمشير عامر وبما حدث قبل وبعد الهزيمة ، ولذا حق عليه السخط ، والانتقام والتشويه .

كان صلاح نصر مريضا بالقلب ، وحينما وصلت إلى المستشفى ، وجدت اناسا من الأمن يظهرون من كل مكان ، ويسيرون معى ، حتى إذا ما بلغت حجرة صلاح نصر كان قد أصبح ورائى جيش من العاملين فى أمن الدولة !!

وجدت صلاح نصر جالسا على سرير حديدى ، ذى ملاءة قذرة ، وأمامه مائدة عليها وابور كيروسين ، وحلة ، وابريق شاى ، وبضعة أكواب ، ولما رآنى اعتدل فى جلسته ، وقال مبتسما : « أنا عارف انك حاتيجى » .

وكانت زوجته الفاضلة إلى جواره ، واحتضنتنى باكية . وجلست أنظر إليه ، وأنا لا أدرى كيف أبدأ حديثى ، فأعرف ما يعانيه ، وأسباب هذه المعاناة ، بدأت حديثى بالسؤال عن صحته فقال : « أنا بتعرض لأزمات صحية ... لكن بتحملها والحمد لله » .

ولما سألته عن الأحوال قال : « لا شىء ينقصنى .. كله تمام والحمد لله » ... وقبل ان أرد وجدت زوجته تنفجر باكية وهى تقول لىّ : « آخر سجادة بعناها ... ومش عارفين بعد كدة حانعمل إيه ؟ » .

ظهر الغضب والكبرياء على وجه صلاح نصر ، وقال لزوجته : « أنا قلت الحاجات دى ما تتقلش لحد ... » .

سكتت زوجته فقد أحست بأنه جرح بما قالت واكتفت بقولها : « أصل أم عمرو مش غريبة » .

وحول صلاح نصر الحديث إلى موضوع آخر ، بينما نهضت زوجته لاعداد الشاى ، فبدأ يسألنى عن عمرو وعن والدتى ، وقد أثار احترامى له أن وجدته متماسكا ، حاضر البديهة رغم كل ما مر به من سنوات قاسية ، بين السجن والمرض العضال ، والحاجة إلى المال .

ومن الأنصاف لذكرى هذا الرجل ، أن أقف بالقارىء قليلا ، لأذكر له بعض الحقائق عن صلاح نصر ، ان أول ميزة له كانت عفة اليد ، ويشهد موته فقيرا على صدق ما أقول .

كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر معتادين على زيارته وذات مرة قال جمال لصلاح : « بيتك ضيق واحنا مش عارفين نقعد ولا نتكلم ... واقترح عليك تشترى قطعة أرض من بتوع الضباط فى مدينة نصر » وكانت مدينة نصر وقتها عبارة عن صحراء جرداء لا يقبل أحد على السكنى بها ، ولذا كان ثمن الأرض ضئيلا جدا ، وفى امكان صلاح أن يشترى منها .

ولما جاء وقت البناء ، لم يجد صلاح نصر مالا يبنى به ، فأراد جمال ان يساهم بمبلغ صغير يساعده على البدء فى البناء ، ولكن صلاح نصر رفض بشدة ، وأصر جمال على تقديم المبلغ ، وكان عبد الحكيم حاضرا ، فاقترح صلاح قبول المبلغ بصفة دين ، يرده على اقساط . وبنى البيت من طابقين ، واستغرق بناؤه وقتا طويلا ، مما يدل على قلة المال فى يد رجل يشغل منصبا من أخطر المناصب ، وتحت يده ميزانيات ضخمة .

وسألت صلاح : « إلى متى يستمر هذا الحال ؟ » .

أجابنى بكبرياء : « أنا مش حا أقول غير الحق ... أنا رجل ثورى .. » .

ولما أشرت له بيدى أن يأخذ حذره ، فقد يكون هناك ميكروفونات ، لم يتراجع ، بل واصل قائلا : « أنا عارف انهم بيسجلولى ... وأنا لا أخشى غير الله ... ومش حاقول الا

اللى بعتقده ... ومش حايقدروا يقتلونى قبل أجلى ولو بدقيقة واحدة ... وأنا قلتها بأعلى صوتى لكل الناس اللى فى الشارع ، ورواح أقولها فى كل وقت انهم قتلوا عامر .. ومستعد المحاكم مرة ثانية .. وأنا قلت ده قبل كدة فى شرفة المستشفى ، وبأعلى صوتى قلت : « قتلوا عبد الحكيم عامر ... ورواح يقتلونى عشان يدفنوا الحقيقة !! » .

وخرجت من عنده حزينة على ما أصاب رجالات مصر ، أولئك الثوار المناضلين من أجل أوطانهم ... واأسفاه !!

وكانت هذه الزيارة سببا فى ازدياد يقينى بمقتل عبد الحكيم عامر ، وأعطانى دفعة قوية للمثابرة ، ومواصلة رحلة البحث . وتكررت زياراتى لصلاح نصر أكثر من مرة فى منزله بعد خروجه من المستشفى ، وكانت حصيلة هذه الزيارات مُؤكدة للشكوك فى الوسيلة التى مات بها عبد الحكيم وكان مما قاله لىّ بالنص : « ان أمين هويدى الذى خلفنى فى المخابرات ، قد اقتحم الجهاز ولم أقم بتسليمه أى شىء ، سوى حسابات المصاريف السرية ، عن طريق مدير مكتبى وجيه عبد الله » .

وقد قدم صلاح نصر بلاغا عن طريق المحامى عبد الحليم حسن رمضان ، يطالب فيه باعادة التحقيق فى الموضوع . وقد أصر صلاح نصر على ان النائب العام قد اختصر من أقواله الكثير ، ومنها ان صلاح نصر جزم بأن المشير لم يتسلم منه « سم » قط ، وأكد ان المرحوم عبد الحكيم عامر لا ينتحر ، فمعرفته به كصديق عمر وكفاح تؤكد ان عبد الحكيم رجل مؤمن وشجاع ، وقادر على مواجهة الصعاب .

وقال صلاح نصر ان النائب العام ، أهمل ما قاله صلاح نصر فى التحقيق من أن تلاعبا قد حدث فى سجلات السموم بالمخابرات العامة بعد استقالته . فقد نحوّ المسئول عن السموم ، وأتوا برجل آخر « لا يوثق به » ويستطيع. ان يفعل أى شىء » .

وأكد صلاح نصر ان المادة السامة كانت كاملة فى مكتبه حتى تقديم استقالته فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ .

والنائب العام لم يذكر ان صلاح نصر قد أرسل له صورة من الاستقالة التى رفعها إلى رئيس الجمهورية ، والبرقيات التى وجهها إليه أثناء تحديد إقامته ، وأضاف مخاطبا النائب العام :

« لقد أغفلتم شيئا هاما قلته فى التحقيق ، وهو انى قلت ... هل من المعقول ان يتسلم المشير سما فى أوائل ابريل لينتحر به فى ١٤ سبتمبر ... أى بعد خمسة شهور !! ومن كان يستطيع فى هذا التاريخ ان يتنبأ بأن الحرب ستنشب فى يونيو ، وستؤدى إلى هزيمة ... ثم إلى خلاف بين عامر وناصر ، ثم اعتقال المشير عامر ، ثم انتحاره ؟

وواصل صلاح نصر مخاطبته للنائب العام قائلا : « أين كنتم حين نشرت الصحف ـ فى اليوم التالى لوفاة المشير ـ فى « المانشيت » اننى صرحت بأننى سلمت سما للمشير خلافا لما جاء فى التحقيق . وقد أردت ان أعبر عن هذا الإفك من شرفة غرفتى بمستشفى الطيران ، وخاطبت أهالى العباسية يوم ٥ أكتوبر ... وأردت ان يعرف أهالى حى العباسية ، ان المشير قتل ... واننى سأقتل . ولذلك نقلت بالقوة إلى السجن الحربى ـ وأنا بين الحياة والموت ـ وكنت لا أزال أعالج من الأزمة القلبية التى انتابتنى فى مكتبى ، فى اليوم الثالث عشر من يوليو عام ١٩٦٧ . والتى أجبرتنى على الرقاد فى فراشى شهرا ونصفا .

وقد أرسل صلاح بلاغا للنائب العام من المستشفى اتهم فيه البعض بقتل عبد الحكيم عامر ، ولم يعلم ماذا تم فيه حتى وفاته !!

وقد اعترض صلاح نصر فى بلاغه على العبارة القائلة : « وبذا تحقق ان المشير حصل على المادة السامة التى انتحر بها من ادارة المخابرات العامة ، وعلق على ما جاء فى التقرير الطبى الشرعى ، الذى قرر احتمال ان يكون المشير قد تناول قبيل وفاته ـ فى استراحة المريوطية ـ قدرا آخر من مادة الإكوينتين مما عجل بوفاته .

واستطرد قائلا : « ان هذا الاحتمال يفتح الباب لاحتمال آخر لا يصل إلى حد الاستحالة . وهو ان يكون أحد خدم الاستراحة قد دس له فى الشراب قدرا من الاكوينتين عجل بوفاته .

واختتم صلاح نصر رده على النائب العام بقوله : « إذن هناك حلقة ضائعة ... فإن لم أكن أنا قد سلمت عبد الحكيم عامر السم ... وإذا ثبت انه قد وجدت فى المخابرات الكمية التى تسلمتها فى أول ابريل ١٩٦٧ فمن هو صاحب المصلحة إذن فى موت المشير عبد الحكيم عامر ؟ » .

ومن الذى يستطيع ان يخرج السم من المخابرات العامة بعد استقالتى ؟

وهل مات عامر منتحرا أم مات اغتيالا ؟

وهل مات بالسم أم مات بغيره ؟

وأضيف أنا إلى هذه الاسئلة سؤالا :

ومن يستطيع الأجابة على هذه التساؤلات ، بصورة قاطعة ، الا بإعادة فتح ملف قضية المرحوم عبد الحكيم عامر ؟

ان الحقائق تتضح لىّ رويدا ، رويدا ، والشكوك تتزايد ، فها هو واحد من العارفين بالحقائق يدلى بشهادته ، فى قضية انتحار المشير ، ويصرخ ويؤكد انه مات مقتولا ... ولا من مجيب .

ترى هل يوصلنى سعيى وبحثى إلى المجيب ... الذى يسمع منى ويستجيب لرغبة الإنصاف ، بالنسبة لرجل كافح من أجل وطنه ، وقاوم التدخل الأجنبى ، فكان له هذا المصير المحزن ؟

* * *

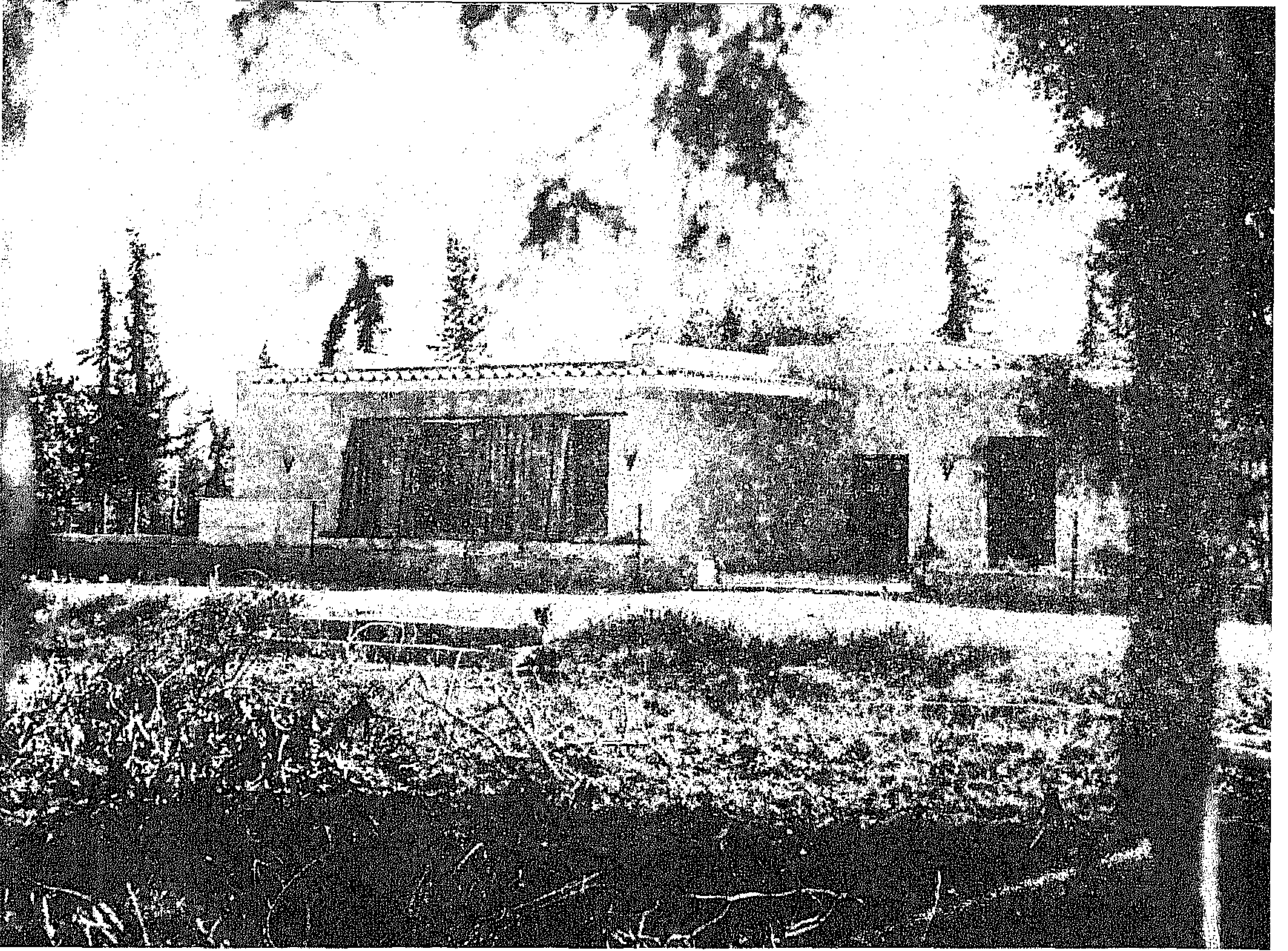
وذات يوم زارنى المهندس حسن عامر ـ شقيق المشير ـ وكان واحدا من الإخوة المقربين اليه ، وموضع سره ، لما كان يتميز به حسن عامر من ثقافة واتزان ، وللحقيقة فإن حسن عامر ، كان أول من حذر أخاه عبد الحكيم من الغدر به ، وقد أدرك ذلك يوم « تمثيلية التنحى » ولم يصدق ان جمال يترك السلطة وقال لأخيه عامر : « ده ناوى يغدر بيك !! » .

وقال لى حسن عامر انه طلب من المحامى العام طلبين هما :

ـ إعادة التحقيق وسؤال الشهود ، لأن الظروف التى تم فيها التحقيق ، كانت ظروف قمع وارهاب ، أدت إلى احجام الشهود عن الإدلاء بالحقيقة .

والثانى : عرض تقرير الطبيب الشرعى ، والتقارير الطبية المعملية ، على هيئة دولية لدراستها ، وابداء الرأى فيما ورد فيها .

وأضاف حسن عامر وفى صوته رنة ألم : « أخذوه من بين أولاده كويس ، وصحته كويسة ... وبقى تحت مسئوليتهم ... وبعد أربع وعشرين ساعة أعلنوا موته للدنيا كان خصومه هم القضاة ... من غير ما يدوه حق الدفاع عن نفسه !! ..



الفيللا التى اعتقل فيها عبد الحكيم عامر بالهرم فى ١٩٦٧/٩/١٦ بعد مصرعه بيومين .

« شهود العيان »

شاءت إرادة الله ان يكون لكل واقعة شهود . فإن لم يكن هناك شهود فلا واقعة ، ما دام لا علم بها عند البشر .

والواقعة التى نحن بصددها هى « موت المشير عبد الحكيم عامر » .

ومع ان « الموت » حدث فى استراحة الماريوطية ، الا ان مسرح هذه الواقعة يشمل أربعة أماكن .

المكان الأول : بيت عبد الحكيم عامر بالجيزة حيث ظل سجينا لعدة أسابيع ، بفضل قرار « تحديد الأقامة » .

المكان الثانى : المستشفى العسكرى بالمعادى .

المكان الثالث : استراحة الماريوطية .

المكان الرابع : اسطال ، مدافن الأسرة بالصعيد .

ولكل مسرح من هذه المسارح شهود محددون ، أدلوا بأقوالهم وارائهم وتحليلاتهم حول موت المشير ، ومنهم من أكد ان الموت لم يكن انتحارا وانما كان قتلا .

وينقسم الشهود إلى ثلاث فصائل هم : أهل المشير ، الأطباء الذين لازموا المشير وعالجوه سواء فى مستشفى المعادى ، واستراحة الماريوطية ، والفصيل الثالث هم رجال المخابرات ، والحرس الجمهورى .

والعجيب ان الفصيل الأول والثانى ، أعلنا ان المشير مات مقتولا ، وقدموا اتهاماتهم مشفوعة بالبينة والبرهان .

اما الفصيل الثالث فقد أنكر بلا بينة وبلا برهان !!!

وسأقدم للقارىء شهود هذه الواقعة ، وسأبدأ بأهل المشير الذين رافقوه طوال فترة تحديد إقامته فى منزله . ولقد سبق ان قدمنا كلا من : أمين عامر ، عبد الجواد عامر ، عبد المنعم عامر ، حسن عامر ، والآن نقدم شهادة « نجيبة » عبد الحكيم عامر الأبنة الكبرى .

تقول نجيبة عبد الحكيم : « كان أبى منذ اللحظة التى جاءوا فيها إلى لحظة اخراجه بالقوة من بيته ، كان جالسا طوال الوقت امام عبد المنعم رياض ، ولم يغادر الغرفة قط ، وبالتالى لم يأخذ أى شىء معه من ادراج مكتبه ، خلافا لما أشيع وتردد فى الجرائد ، وخرج أبى معهم وهو فى حالة جيدة ، ممتلكا لجميع قواه .

وتكمل نجيبة : « وفى اليوم التالى ارسل فى طلب كتب وملابس ، وماكينة حلاقة ، وقد أرسلنا له كل ما طلب ، ومعه رسالة منى وهذا خير دليل على ارتفاع روحه المعنوية .

« شهود مستشفى المعادى »

أكدت تقارية السادة الأطباء بمستشفى المعادى على ان المشير كان فى صحة جيدة عندما جاءوا به إلى المستشفى . وان الفحوص والتحاليل أثبتت انه لم يتناول أى شىء من « الإكوينتين » أو « الأفيون » حتى لحظة مغادرته المستشفى فى الخامسة والنصف مساء يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ ، وأنه غادر المستشفى سائرا على قدميه بخطى ثابتة .

وقد قال الرائد طبيب حسن عبد الحى أحمد فتحى انه لم تظهر على المشير اعراض وجود حالة تسمم ، وكانت صحة المشير حين جاءوا به فى صحة جيدة .

اما الممرضة صفاء فإنها قالت : المشير حضر ماشيا على قدميه وكان يضحك وأنه غادر المستشفى يوم ١٣/ ٩/ ١٩٦٧ فى حالة جيدة وسائرا على قدميه .

الرائد محمد عصمت مصطفى من الشرطة العسكرية ، وكان يرافق المشير فى الطريق إلى المستشفى ، وتلقى على يديه ما لفظه المشير من فمه شيئا كان يمضغه ـ على حد زعمه ـ وقد سلم الورقتين السلوفان إلى المستشفى ، وفى اليوم التالى قدم ورقة ثالثة وهو ما زعموا ان المشير كان يمضغهم وهو فى الطريق إلى المستشفى .

هؤلاء الشهود كانوا شهود يوم ١٣/ ٩/ ١٩٦٧ عقب القبض على المشير مباشرة .

اما شهود يوم ١٤ / ٩ / ١٩٦٧ بمستشفى المعادى ، فإن أولهم هو اللـواء طبيب مرتجى ، الذى قال : « ان الفريق فوزى اتصل به يوم ١٤ / ٩ / ١٩٦٧ فى الساعة السـادسة مسـاء ، وطلب منه ارسال طبيب إلى استراحة المريوطية على وجه السرعة ، والملاحظ ان المشير لم يصب بالأزمة إلا بعد ذلك بثلث الساعة ... فكيف عرف محمد فوزى انهم فى حاجة إلى طبيب ؟!

مقدم طبيب محمد عبد المنعم عثمان ، والرائد طبيب ثروت عبد الرحمن الحرف .

هذان قررا ان ما سلم من قطعتين متماثلتين من ورق السلوفان لم يكن بهما أى اثار مضـغ ، وان الورقة الصغيرة ـ الثالثة ـ لم يثبت التحليل وجود أى شىء بها .

الصيدلى أبو الذهب : أكد ان السيلوفان والورقة المفضضة لم يكن بهما أى شىء . من اثار المضغ .

الكيميائى صلاح عبد الغنى : تحليل القىء أثبت خلو المعدة من أى آثار للأفيون أو المورفين وشريف عبد الفتاح : أخبره الدكتور بطاطا ان المشير كان متهالكا لقواه ، ونام من الساعة ٤ حتى الساعة ٦ ، ثم ذهب إلى الحمام ، مما يدل على انه كان قادرا على المشى .

« شهود المريوطية »

استراحة المريوطية هى المكان الذى حملوا المشير إليه بعد خروجه مباشرة من مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، وهى المسرح الثالث من مسارح « الواقعة » وفيه بالذات حدث موت عبد الحكيم عامر ، وفيها شهود من الأطباء والعسكريين ، والمدنيين . ومن الأطباء :

الدكتور مصطفى بيومى حسنين الذى قال : « حال المشير بعد وصوله إلى الاستراحة لم يطرأ عليها سوء ، ولم يكن فيها ما يدعو إلى القلق » .

الدكتور إبراهيم على بطاطا قال : « انه كان مع المشير حتى الساعة السادسة ، وانه تركه فى حالة جيدة ، وفى السادسة وعشرين دقيقة استدعى ليرى المشير ، وقد وجده يعانى ضيقاً فى التنفس وارهاقا .

عريف مجند أحمد مصطفى قال : « المشير لم يقبل أى شراب يوم ١٤/ ٩/ ١٩٦٧ حتى الوقت الذى انصرف فيه للنوم (من رئاسة الجمهورية) .

الخادم منصور أحمد على قال : « المشير ظهر عليه الضعف جدا من الساعة ١٢ وحوالى الساعة ٥ طلب ان يذهب إلى دورة المياه وكان جسمه غير طبيعى .

ويلاحظ ان كلامه يتناقض مع أقوال الدكتور إبراهيم بطاطا .

هؤلاء الشهود كان هناك غيرهم من كبار المسئولين هم : الفريق محمد فوزى ، والليثى ناصف رئيس الحرس الجمهورى ، وسعد عبد الكريم رئيس الشرطة العسكرية ، وأنور السادات ، والمقدم عبد الكريم .

« شهود الدّفن »

نقل جثمان المشير عبد الحكيم عامر بأمر من جمال عبد الناصر تحت حراسة مشددة ، ودفن بمعرفتهم ، وضربوا كل من حاول ان يقترب من الجثة من أهالى البلد ، ووضع كل اخوته فى السجن إلى ما بعد دفنه !!

ولم يشهد جنازته سوى سبعة أطفال هم أبناء المشير ، ورجلان من اخوته كانا هما الباقيان ، ولم يقبض عليهما ، المستشار عبد المجيد عامر ، والحاج سنوسى (٧٠ سنة) ، ولم يسمح لهما بالاقتراب من الجثة !!

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تقرير استشاري

في حادث وفاة المرحوم المشير / عبد الحكيم عامر

بناء على قرار :

السيد الاستاذ / المستشار المحامي العام بانتدابي أنا دكتور علي محمد دياب مدرس التحليل والسموم بالمركز القومي للبحوث للاطلاع على الأوراق الطبية الخاصة بحادث وفاة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر وكتابة تقرير استشاري بالنتيجة أفيد أنني قمت :

أولا : بالاطلاع على تقارير وأقوال السادة الأطباء المعالجين للمرحوم المشير في مستشفى القوات المسلحة بالمعادي .. وتقريري وأقوال الطبيبين الموكل اليهما رعاية سيادته باستراحة المريوطية والاجراءات التي تمت وماصاحبها من ظروف ابتداء من محاولة نقل المشير من منزله الى المستشفى بالمعادي ثم الى استراحة المريوطية حتى وقت الوفاة ثم الاجراءات الأخرى التي تمت حتى وقت الكشف الطبي الشرعي وأخذ العينات من الجثة بدار التشريح في الساعة ٣٠ر٥ صباح يوم الجمعة ١٩٦٧/٩/١٥

ثانيا : بفحص ماجاء بكل التقارير من نتائج التحاليل التي أجريت بمستشفى القوات المسلحة بالمعادي وبالمعامل الطبية المركزية وبادارة المعامل الكيماوية بمصلحة الطب الشرعي وأقوال السادة القائمين بالتحاليل والظروف التي تمت فيها هذه التحاليل وقد قمت أيضا بالاطلاع وفحص التقرير الشامل رقم ١٢٤ طب شرعي سنه ١٩٦٧ المعنون " تقرير طبي شرعي في حادث وفاة السيد المشير عبد الحكيم عامر .

وبناء على هذا فقد رأيت قبل مناقشة التقارير الطبية وطرق ونتائج التحاليل المختلفة أنه من المفيد بل ومن الضروري ايراد بعض الحقائق العلمية الهامة والتي لم يرد لأي منها ذكر فيما جاء بالتقرير الطبي الشرعي السابق وذلك كأساس ومقدمة لما نقطع به من رأي بعد ذلك .

أولا : عن الاكونتين Aonitine

١) التأثير العلاجي أو السام (كما وكيفا) لأي عقار يعتمد اعتمادا كبيرا ليس فقط على تركيبه الكيميائي ولكن أيضا عن خواصه الطبيعية كالشكل البللوري وحجم الجسيمات ومعدل الذوبان في الماء .. الخ فقد يوجد عقار على صورتين أحداهما مسحوق ناعم مثلا والآخر متبلورة بل أن الصورة المتبلورة قد تتخذ عدة اشكال ورغم أن التركيب الكيميائي لهذه المادة واحد وثابت الا أن التأثير العلاجي أو السام لهذه المادة قد يختلف من صورة الى أخرى .

٢) عقار الاكونتين قد يوجد على صورتين . على صورة بللورية CRYSTALLINE متخذة شكل منشورات معينة .. أو على صورة مسحوق ناعم ليس له أي شكل معين AMORPHOUS وقد ورد تلميحا في بعض المراجع أن الصورة المتبلورة للاكونتين أشد وأقوى في تأثيرها السام من ١٠ ــ ١٥ مرة من الصورة غير المتبلورة .

ولما كان هذا مخالفا للقاعدة الصيدلية العامة التى تقول أن أى عقار اذا وجد على صورتين احداهما مسحوق ناعم وأخرى متبلورة فان الصورة الناعمة تكون أقوى وأسرع مفعولا من الصورة المتبلورة فقد قمنا بعمل دراسات أكدت شذوذ الاكونتين عن هذه القاعدة فتحقق لدينا ماذكرته المراجع بهذا الخصوص •

٣) الجرعة السامة والقاتلة من الصورة المتبلورة للاكونتين لاتتعدى ١ — ٢ مللى جرام •

٤) اذا لامست نقطة واحدة من محلول الاكونتين البالغ التخفيف (١ : ١٠٠٠٠) طرف اللسان فان ذلك يتسبب فى الشعور بحموة فى اللسان والفم والحلق يتبعها ارتجافات ورعشات مميزة وشديدة نوعا للشفتين والعضلات المحيطة بهما مع ازدياد أفراز اللعاب وقد يستمر ذلك فترة •

(النقطة من هذا المحلول تعادل تقريبا ٠٠٠٥ر٠ مللى جرام أى خمسة اجزاء من الألف من المللى جرام أو جزءا من أربعمائة من الجرعة القاتلة) •

٥) اذا أعيد هذا الاختبار ولكن مع استعمال نقطة واحدة أيضا من محلول أكثر تركيزا من المحلول السابق وليكن (١ : ١٠٠٠) أى مايعادل ٠٥ر٠ مللى جرام من الاكونتين وهى تعادل نصف الجرعة التى كانت تستعمل فى العلاج قديما وتساوى ١/٤٠ من الجرعة القاتلة فان الشعور بالحموة أو الحرقان فى اللسان والشفتين والحلق والزور يشتد وتمتد الارتجافات والرعشات الى الأطراف وسائر الجسم يتبعها تنميل عام وشعور بالانهاك والضعف فى العضلات لايجد المريض معهما أى رغبة أو مقدرة على القيام أو القعود أو القبض بالاصابع على شئ •

٦) أهم مظاهر التسمم بالاكونتين غير هذه الارتجافات المميزة هو الشعور بالدوخة والضعف الشديد لعضلات الأطراف حيث يصبح المريض غير قادر على القيام أو المشى وبطء النبض ثم عدم انتظامه ، سرعة حركة التنفس أولا ولمدة ثوان يهبط بعدها بشكل ملحوظ ويضعف وتتغير حدقة العين وتتسع ولكنها فى المراحل الاخيرة تظل متسعة تماما • ومن المظاهر الهامة أيضا الشعور بضيق الصدر وصعوبة التنفس •

٧) تحدث الوفاة أما عن توقف عملية التنفس أو القلب نتيجة الاضطراب فى حركة البطينين بسبب التأثير المباشر للأكونتين فى عضلة القلب ومركز العصب المخى العاشر (العصب الحائر) ومراكز تنظيم الدورة الدموية بالمخ •

والوفاة قد تحدث سريعا فى ظروف بضع دقائق ولكن فى المتوسط فان المدة منذ بلع السم حتى الوفاة تتراوح مابين ١/٢ الى ٦ ساعات واذا عاش أكثر من ٨ الى ١٠ ساعات فيتوقع شفاؤه •

٨) يكثر النبات المحتوى على الاكونتين وهو نبات " خانق الذئب " فى شبه القارة الهندية حيث يستعمل بكثرة حتى الآن لتأثيره العلاجى ولتأثيره السام أيضا وتذكر المراجع الهندية التى هى أصدق المراجع فى حديثها عن هذا العقار عدة حقائق هامة :

أ ـ الصفات التشريحية بعد الوفاة بسبب الاكونتين غير مميزة على الاطلاق •

ب ـ يستخدم الاكونتين بهدف القتل بعد خلطه بأوراق نبات ينمو لاخفاء طعمه الحارق •

ومن معرفة المواد الفعالة فى هذه الأوراق يمكن القول بأن هناك وجه شبه بين طعمهـا ونكهتها وطعم ونكهة عصير الجوافة •

جـ ـ يذكر أحد المراجع الهندية أهم أوجه الاستعمال الاجرامى لهذا العقار كاستعمال الصيادين له لقتل النمور والأفيال والاغنياء وللقضاء على الاقارب المتعبين والمشاغبين (Traubl- some relatives) والأزواج الغيورين لقتل الزوجات الخائنات ••

د ـ لوحظ استعمال الاكونتين أو مسحوق النبات لتسميم منابع الميـاه •

هـ ـ يمتاز الاكونتين كسم قاتل برخص ثمنه •• وسهولة الحصول عليه وصغر الجرعة القاتلة وسـرعة التأثير وامكان اخفاء طعمه باذابته فى بعض المشروبات وتكسره الى مواد يصعب التعرف اليهـا بمجرد أن يبدأ الجسم الميت فى التحلل الرمـى •

٩) فى دراسة عملية تحليلية لنا فى رسالة الدكتوراة ومنشورة فى احدى المجلات الامريكية المتخصصة A.O.A.C. عن مصير الاكونتين فى الجسم كان الهدف منها معرفة كيف وأين ومتى يمكـن الكشف عن هذا العقار فى أى حالة تسمم وجدنا الآتـى :

كيـف :

نمنا باستخدام طريقة لونية دقيقة وحساسة جدا تمكننا من التعرف على وتقييم هذا العقـار كيمائيا سواء فى مصادرة الخام أو فى السوائل البيولوجية أو الانسجة الحيوانيـة •

أين ومتى :

ثبت أنه لا يوجد أى أثر لهذا العقار بالمعدة بعد حوالى ساعة من تعاطية عن طريق الفـم وفى خلال الثمانى الساعات التالية لتناول الجرعة يمكن الكشف عنه فى الدم والبول المتجمـع خلال هذه الفترة وفى الكبد وفى القلب وما يحويه من دم •

أما بعد مرور ثمانى ساعات على بدء التسمم فقد باءت كل محاولات الكشف عن الاكونتـين والعثور عليه بالفشل رغم دقة وحساسية الطريقة المستعملة علما بأن الجرعات المستعملة كانت أقل من الجرعات السامة التى لا تعد وكما قلنا سابقا ٢ مجم من الصورة المتبلورة من الاكونتين • أما اذا كانت الوفاة قد تسببت بجرعات كبيرة أضعاف هذه الجرعة فان العثور على الاكونتين فى الاحشاء يصبح محتملا •• خاصة اذا استعمل فى الكشف الاختبارات المشار اليها •

وقد وجد أنه عند حدوث الوفاة بجرعة تزيد على الثلاثين مجم من الاكونتين فقد أمكـن الكشف عنه فى الدم والكبد والكلى والبول بعد حوالى ١٢ ساعة من تاريخ الوفاة التى حدثت بعد عشر دقائق تماما من تعاطيه •

ثانيا : عن الأفيون والمورفين :

١) يفرز المورفين فى البول غالبا على هيئة جلوكورونيد حيث يفرز اكثر من ٥٠٪ من الجرعة المعطاة خلال الثمانى الساعات الاولى من تعاطيه وبعد ٢٤ ساعة يتم افراز حوالى ٩٠٪ من الجرعة المبلوعة وتظل هناك آثار منه يمكن الكشف عنها حتى بعد انقضاء أكثر من ٤٨ ساعة •

٢) يمتص المورفين بسرعة بعد حقنه بالعضل أو تحت الجلد ويصل تركيزه فى الدم الى قمته بعد ساعة واحدة • أما الامتصاص من القناة الهضمية بعد البلع فضعيف جدا •

٣) يترك المورفين الدم بسرعة ويتركز فى الرئتين والطحال والكلى والمخ ومع ذلك فهو لا يتراكم فى هذه الانسجة حيث يمكن أن يوجد كل من المورفين الحر والمتحد مع البروتين فى البلازما •

٤) ايجابية الكشف عن المورفين هى عينة من الدم ليست بالضرورة دليلا على أن صاحب هذا الدم قد تعاطى مورفينا أو أفيونا فمن الجائز أن يكون قد تعاطى مادة الكودايين (المستعملة فى علاج الكحة والتى تدخل فى تركيب معظم مستحضرات علاج البرد والانفلونزاء والسعال أو مادة الهيروين فمن المعروف أن هاتين المادتين (الكودايين والهيروين) يتحول جزء كبير منهما فى الجسم بعد البلع الى مورفين • لدرجة أن كمية المورفين فى بول مدمنى الهيروين الذين لم يتناولوا المورفين أعلى بكثير من كمية المورفين فى بول المصابين بالتسمم الحاد بالمورفين •

٥) يؤثر المورفين فى بعض المراكز العصبية بالجزء من المخ المسمى بالنخاع المستطيل وأكثر هذه المراكز تأثرا هى المراكز المتحكمة فى التنفس والكحة والقيء •• فهو بينما يثبط مركزى التنفس والكحة يثير مركز القيء وهذا يفسر تأثير المورفين المثبط والمضعف لعملية التنفس (خاصة اذا زادت الجرعة) وتأثيره المسكن للكحة • وهذا التأثير فى عملية التنفس هام جدا بحيث لو حدثت وفاة نتيجة تعاطى جرعة زائدة من المورفين فلن يكون السبب الرئيسى للوفاة الا انهيار (COLLAPSE) الجهاز التنفسى •

٦) المورفين صعب الامتصاص من المعدة حيث لا يمتص فى هذا الجزء من الجهاز الهضمى الا القليل جدا أما عند وصوله للامعاء الدقيقة (بعد ٢-٤ ساعات منذ وقت البلع) فهو يمتص بسهولة وبسرعة •

٧) أهم أعراض تشخيص تعاطى جرعة كبيرة من المورفين هو ضيق حدقة العين المميز •

ثالثا: عن الاسبرين :

١) عند بلع من ٠٫٣ جرام (قرص واحد) الى ٢ جرام (٦ أقراص) من الأسبرين فان افرازها عن طريق البول يستمر أكثر من ٢٠ ساعة حيث يمكن الكشف عنه كيميائيا •

٢) يمتص الاسبرين جزئيا من المعدة ويكتمل امتصاصه فى الامعاء الدقيقة ويلاحظ أن امتصاص الاسبرين من المعدة يستمر فى الزيادة (كما يشاهد من ارتفاع مستواه فى الدم ، بعد

انقضاء عشر دقائق على البلع ولمدة تصل الى ٤ ساعات بعد ذلك أى أنه لايمكن الكشف عن الاسبرين فى المعدة بعد أكثر من ساعة من تعاطية) .

رابعا : عن خواص الكشوف الكيماوية عن السموم فى السوائل البيولوجية والانسجة الحيوانية لايصح الاعتماد على أى اختبار كيماوى فى مجال الطب الشرعى الا اذا توافرت فى الجوهر الكشاف المستعمل فى هذا الاختبار الشروط الآتيــة :

١ـ تميزه باختباره للمادة المراد الكشف عنها للتفاعل معها دون ماعداها فى حالة وجودها غير نقية أو مخلوط مع مواد أخرى SELECTIVITY

٢ـ خصوصيته أو خاصية قابليته للتفاعل مع هذه المادة وبالذات حتى لو كانت فى مخلوط من مواد متقاربة فى التركيب أو متشابهة فى المفعول SPECIFICITY

٣ـ حساسيته الشديدة بحيث يعطى نتائج ايجابية مع أقل كمية ممكنة من المادة المراد الكشف عنها Sensilivin وتوافر واكتمال هذه الشروط بجميع ظروفها لعملية اختبار معين هو الاساس فى الاعتماد على هذا الاختبار كحجة قوية وعدم توافر هذه الشروط أو أى منها يقلل كثيرا من قيمة نتيجة هذا الاختبار مما يستدعى اللجوء الى الاختبارات البيلوجية والاعتماد عليها .

ـ مناقشة التقارير الطبيــة .

تقارير مستشفى القوات المسلحة بالمعادى . تعتبر فترة وجود السيد المشير فى مستشفى المعادى مكملة لفترة وجوده بمنزله ابتداء من وقت وصول القوة المكلفة باصطحابه .

من تقارير السادة الأطباء وأقوالهم التى نصت على سلامة وطبيعية النبض وضغط الدم والقلب والرئتين والانعكاسات العصبية وسلامة الجهاز الهضمى من حيث عدم وجود أعراض مغص أو قئ أو اسهال وكذلك سلامة القوة العضلية والاحساس وطبيعة الحدقتين وتفاعلهما مع الضوء ذكر جميع الشهود أن سيادة المشير لم يلحظ عليه أى تغيير يدل على حدوث تأثير مادة سامة وأنه غادر المستشفى سائرا على قدميه وبخطى ثابتة . . من كل ذلك يستطيع الفاحص بعد مراجعة الحقائق العلمية السابقة أن يقطع بعدم تناول السيد المشير أيا من الاكونتين أو الافيون حتى لحظة مغادرته المستشفى . ٣ر٥ مساء يوم ١٢ /١٩٦٧/٥/١

أوضح التقرير رقم ١٩ من مستشفى المعادى والموقع من مقدم طبيب محمد عبد المنعم عثمان ورائد طبيب ثروت عبد الرحمن الحرف أن ماسلم للمستشفى من قطعتين متماثلتين من ورق السلوفان أحداهما طولها ½ ٢ سم أى ٢٥ مللى متر وهى التى أرسلت الى المعامل الطبية الرئيسية يوم ١٩٦٧/٩/١١ والاخرى طولها ١ سم (أى ١٠ مللى متر) وهى التى حفظت بالمستشفى وأجرى عليها تحليل يوم ١٤ /١٩٦٧/٩ .

ويلاحظ أن التقرير لم يذكر أن أيا من هاتين الورقتين كان بهما آثار مضغ كما أنه لم يمكن التوصل الى اثبات وجود أى شئ من تحليل الورقة الصغرى .

— تقرير المعامل الطبية المركزية للقوات المسلحة :

١) يلاحظ وصول العينة التي هي قطعة ورق السلوفان المبرومة وداخلها قطعة صغيرة من الورق المفضض في أنبوبة مغطاة بفلة عادية وليست مشمعة يعتبر اجراء خاطئا .

٢) جاء في تقرير نقيب صيدلي أبو الدهب أن قطعة ورق السلوفان طولها لايتعدى نصف سم (٥ مللي متر) في حين أن الجهة المرسلة للعينة وهي مستشفى المعادي قررت أن هذه الورقة يبلغ طولها ½ ٢ سم (٢٥ مللي متر) ؟؟

٣) اكد الصيدلي أبوالدهب أن ورقة السلوفان والورقة المفضضة لم يكن بهما آثار مضغ .

٤) ما جاء عن ايجابية ورقة السلوفان لاختبار حمض الميكونيك الدال على وجود الأفيون لايعتد به لنقص هذا الاختبار وعدم توافر الشروط المشار اليه سابقا ذلك أن هذا الاختبار يعتمد على ظهور لون مابين الأحمر البني الى الأحمر القرمزي عند تفاعل محلول كلوريد الحديديك مع ملح الميكونيك وهذا اللون يظهر أيضا عند تفاعل كلوريد الحديديك مع مواد أخرى غير حمض الميكونيك كاملاح حمض الخليك (الخل) والتمليك وأيون الثيوسيانات وتكملة هذا الاختبار والتي يمكن بها التفريق بين هذه المواد وبعضها لم يرد لها ذكر في التقرير فلم يذكر مثلا تأثير التسخين ولا حمض الهيدروكلوريك على اللون الناتج (الذي يصبح بتأثيرهما في حالة املاح حمض الخليك والتماريك) ولا كلوريد الزئبقيك أو كلوريد القصدير وكلاهما يذهب اللون في حالة الثيوسيانات .

٥) التعليل الذي قيل عن أن اللون الباهت قد يكون نتيجة لأن الكمية صغيرة جدا غير مقبول . ذلك أن وجود حمض الميكونيك بتركزات صغيرة جدا يؤثر حتما في شدة اللون INTENSITY ولكنه لايؤثر في درجته أو نوعه GRADE

٦) تحليل صينيتي القيء (اللتين وصلتا يومي ١٣ و ١٤/٩/١٩٦٧) سواء بواسطة الصيدلي أبوالدهب أو الكيميائي صلاح عبدالغني اثبت خلو المعدة من أى آثار للافيون أو المورفين وهذا يوضح بما لايقبل الشك أن المشير لم يبلع لا أفيونا ولا مورفينا ولا أكونتينا حتى وقت وصول القوة المكلفة باصطحابه الى منزله في الساعة ٢,٣٠ يوم ١٣ /٩/١٩٦٧ .

— تقارير المعامل الكيماوية بمصلحة الطب الشرعي :

١) جاء عن فحص عينات الدم والبول أنه قد وجد بهما آثار لحمض السليسيليك (من نواتج تحلل وتمثيل الاسبرين) واثار ضئيلة للمورفين .

نلاحظ أن هذا التحليل أجرى بعد الساعة ٧ صباح يوم ١٥ /٩/١٩٦٧ أى بعد الوفاة بحوالي ½ ١٢ ساعة وعلى هذا نستطيع القطع بأن ايجابية الكشف عن المورفين في الدم بعد مرور هذا الوقت وسلبيته عند اجرائه على محتويات المعدة من القيء الذي أحدث في المستشفى يدل على أن السيد المشير لم يتناول أفيونا أو مورفينا بعد محاولة القبض عليه بل المنطقي (لو كانت هذه الكشوف صحيحة) ان يكون سيادته قد تناولها في وقت سابق

لهذا وقد يكون عشية يوم ٢١ / ٩ حيث أن المورفين كما سبق أن أوضحنا يظل فى الدم بكميات يمكن الكشف عنها حتى بعد مرور ٤٨ ساعة على تعاطيه .

وهناك احتمال آخر قوى يبرز من ملاحظة حالة المشير الصحية قبل القبض عليه ومايفهم من حرصه على أخذ دواء الكحة فى حقيبته قبل خروجه من منزله وهو أن المشير كان يتعاطى أدوية للكحة (غير شراب البتلين الذى كان فى حقيبته) تحتوى على مادة الكوادايين التى تدخل فى تركيب معظم أدوية الكحة والبرد والزكام . وهذه المادة (أى الكودايين) يتحول جزء كبير منها فى جسم الانسان الى مورفين خاصة أن نتيجة التحليل بينت أن ما وجد فى الدم والبول كان أثرا ضئيلة .

٢) جاء فى التقرير رقم ٥٠٧ ك الوارد من المعامل الكيمائية بمصلحة الطب الشرعى والخاص بتحليل قطعة ورقة السلوفان وعينة القئ اللتين سبق تحليلهما بالمعامل المركزية للقوات المسلحة عن وصف ورقة السلوفان بأنها عديمة اللون مستطيلة الشكل مساحتها حوالى ١٫٢ : ٨ وسم (١٢ × ٨ مللى متر) بها مساحات شفافة وأخرى معتمة مع نتوءات مقابل الاجزاء الشفافة مما يمكن حدوثه (كما يقول التقرير) نتيجة المضغ بالاسنان .

ونلاحظ تناقض هذا الوصف لورقة السلوفان مع وصف مقدم طبيب محمد عبدالمنعم عثمان ورائد طبيب ثروت عبدالرحمن الجرف (فى الورقة رقم ١٩) من أن ورقة السلوفان التى أرسلت للمعامل المركزية وهى نفسها التى وردت لمصلحة الطب الشرعى كان طولها يبلغ ١/٢ ٢ سم (٢٥ مللى متر) وهذا يتناقض أيضا وصف الصيدلى يسرى أبو الدهب وهو أول من كشف عليها من أن هذه الورقة طولها ١/٢ سم (٥ مللى متر) وليس بها آثار مضغ ويمكن تفسير اختلاف وصف المحللين بمعامل القوات المسلحة باستهلاك جزء من الورقة فى التحليل وكثرة لمسها أثناء التحليل خاصة بالابرة الرفيعة التى جاء ذكرها فى كلام د . يسرى أبوالدهب والنطق يؤيد وصف المعامل المركزية ويرفض قبول وصف معامل الطب الشرعى خصوصا عن الشكل الظاهرى للورقة (مع ملاحظة أن وصف ورقة السلوفان اختلف فى الجهات الثلاث التى تداولتها وهى مستشفى المعادى والمعامل المركزية ومعامل الطب الشرعى مما يثير الشك لدى أى باحث .

٣) تحليل الحرز المحول من السيد / رئيس نيابة الجيزة الكلية (بتاريخ ١٦ / ٩ / ٦٧ - أى بعد الوفاة بيومين) الى السيد / الدكتور كبير الأطباء الشرعيين الذى حوله بدوره الى المعامل الكيماوية بمصلحة الطب الشرعى صباح يوم ١٧ / ٩ / ١٩٦٧ أى رابع يوم لوفاة المشير وهو عبارة عن ورقة " سلوفانية " عديمة اللون بداخلها ورقة سلوفانية أخرى عديمة اللون بها أجزاء شفافة وأخرى معتمة أثبت تحليل هذا الحرز أنه يحتوى على أفيون - واجراءات هذا الحرز هى أن الرائد محمد عصمت محمد مصطفى من الشرطة العسكرية عندما كان يرافق المشير فى الطريق الى المستشفى كان قد تلقى فى يديه وجمع ما لفظه

المشير من فمه على دفعات مما قيل أنه كان يمضغه وعند الوصول الى المستشفى سلمه للادارة للتحليل .. وبعد اتخاذ اجراءات اسعاف ومغادرته المستشفى بعد أن عاد الرائد عصمت الى مكتبه اكتشف المشير أن فى أحد جيوبه جزءا من المادة التى كان المشير يمضغها فى السيارة وقد بقيت معه حتى سلمها للمحقق أثناء أدلائه بشهادته .

يتضح من هذا أن اجراءات وصول هذا الحرز غير قانونية وأن أى نتيجة تؤدى اليها لا يجب أن يعتد بها لأن ذلك يثير عدة تساؤلات .. حيث لم يرد ذكر ما يقنع علميا أو منطقيا عن كيفية جمع وحفظ ووصول هذه العينة والعينتين الآخريين اللاتى لفظهما المشير من فمه فى الطريق الى المستشفى .

أكان السيد / الشاهد قد تلى واحتفظ بهذه العينات الثلاث فى يدية لحين وصوله المستشفى ؟؟ ان كان الأمر كذلك فكيف سلم عينتين ولم يسلم الثالثة ؟

من غير المعقول ومن غير المقبول أيضا أن يكون الشاهد بعد أن جمع مالفظه المشير فى يديه قد نسى ووضع جزءا مما جمعه فى جيبه ونسى أيضا أن يسلمه فى التو واللحظة وسلم الباقى مما ظل يحتفظ به فى يديه .

وان كان الشاهد بعد أن جمع هذه العينات قد وضعها فى جيبه فهل وضعها كما هى بحالتها اللزجة مختلطة باللعاب ؟ ورغم أن هذا مستبعد عمليا ومنطقيا فانه حتى لو كان قد فعل ذلك لما كان هناك مبرر أو سبب لعدم استخراج كل مافى جيبه وتسليمه .

ان كان الشاهد قد جمع مالفظه المشير فى ورقة أو منديل فمن المنطقى ومن المعقول أن يسلم الورقة أو المنديل بمحتوياته .. وواضح أن الأمر لم يكن يحتاج لورقتين أو منديلين حتى نقول أنه سلم منديلا ونسى منديلا أخر فى جيبه .

من الواضح أنه لم يكن هناك فاروق زمنى يفصل بين جمع هذه العينات ليدعى على أساسه وضعها فى أكثر من جيب يتذكر الشاهد أحداها عند وصوله المستشفى وينسى الاخر فالمسألة من منزل المشير بالجيزة حتى المستشفى لاتستغرق العربة فى قطعها أكثر من بضع دقائق .

ومن الواضح أيضا أن هذه العينات ليست من الكثرة والضخامة بحيث لا يتسع لها جيب واحد مما يستدعى حفظها فى جيبين وأن سيادة الشاهد عند وصوله الى المستشفى تذكر مافى أحد هذين الجيبين فسلمه ونسى الآخر .

وعلى هذا فاننى أرى استبعاد هذه العينات وكأنها لم تكن رغم عدم دلالتها على شىء اطلاقا بل أن ورودها على أنها مما لفظه السيد المشير يتعارض تماما مع نتائج تحليل عينة القىء ورقتى السلوفان الأخريين .. فلو أن المشير كان يضع هذه الورقة التى وجد أنها تحتوى على أفيون لكان وجد بالتأكيد اثار المورفين فى عينة القىء وخاصة أن الأفيون

يظل بالمعدة لمدة تصل الى الساعتين أى أنه لم يكن قد امتص بعد من المدة •

٤) يتضح من تصفيح دفتر الرسومات •• الفوتوغرافية والمطيافية (الاسكترو فوتومترية ماياتى :

ا ـ فى البحث عن آثار الاكونتين فى البول والدم وسائر العينات البيولوجية الاخرى من كبد وكلى استعملت طريقة تخفى على أى أمل فى العثور عليه (ص ١٢ ، ١٤ ، ١٥) فى هذه العينات بالكلوروفيوم بعد جعلها قلوية وهذا يتسبب فى تكسير التركيزات الضعيفة جدا من عناصر الاكونتين لحساسيته الشديدة وتأثيره بالقلويات وكان من الأفضل فى هذه الحالة استعمال طريقة الاستخلاص المباشر بالبنزين أو الكلوروفيوم وأنه كان قد تكون لدى الجميع فكرة عن نوع السم المستعمل •

ب ـ س٢ آخر صورة على اليمين وهى صورة الشريط اللصاق الذى قيل أنه شوهد على بطن الجثة ويستدل من عدم انتظام السطح الداخلى لهذا الشريط على كثرة استعماله • أرى أنه بالتجربة يستطيع الفاحص أن يلحظ أن مجرد فك الشريط اللصاق من على بكرته تمهيدا لاستعماله فان ذلك يتسبب فى عدم انتظام الشريط • أما بعد اللصق فمهما كان حرص من يقوم بعملية اللصق فلابد أن يلاحظ عدم انتظام الشريط وبناء على ذلك فان الاستنتاج القائل بأن عدم انتظام الشريط اللصاق دليل على كثرة الاستعمال بعيد وغير مقتنع فى نظرى •

ج ـ جاء فى تقرير المعامل الكيماوية بالطب الشرعى مايثبت وجود آثار للمورفين بالدم والبول على أننا نلاحظ أن الاطياف SPECTRA المأخوذة الخلاصة الدم والبول (ص ١٦ و ص ١٢) لاتشير الى وجود مادة المورفين فى أى منهما والشروح المكتوبة على رسوم الأطياف تنبه الى أنه لم يمكن ملاحظة مايشير الى وجود مادة الاكونتين أو الرينالين •• ولكن هذه الشروح تتجاهل تماما أى ذكر للمورفين حيث أنه كان من الممكن أن يظهر فى هذه الأطياف مايشير الى وجوده فى البول أو الدم لو كان موجودا •

واذا لم تكن هذه الطرق الطيافية قد استعملت للكشف عن المورفين فى البول والدم رغم اعتماد هم الرئيسى عليها •• فلماذا ؟ ولماذا أيضا لم توضح بالتفصيل الطرق الأخرى المستعملة حتى يتأكد الفاحص ويطمئن وخصوصا أن الطرق المطيافية لم تكتشفه ؟؟

ـ فى استراحة المريوطية :

ا ـ جاء فى أقوال د • مصطفى بيومى حسنين أنه طول مدة نوبته من الساعة ٣٠ر٥ مساء يوم ١٢ / ٩ حتى الساعة ١٠ صباح يوم ١٤ / ٩ كان ضغط الدم للمشير ١٢٠ / ٩٠ ، والنبض ثابتا وممتلئا ومنتظما (٩٠ ـ ١٠٠ فى الدقيقة) مما يستبعد معه تعاطى سيادته للأفيون أو المورفين أو الاكونتين وكانت ملاحظته الوحيدة هى أن المشير كان يسعل بشدة سعالا يعقبه قىء ••

أما السعال فقد كانت له سابقة قبل الاعتقال بدليل حرص سيادته على أخذ دواء للسعال قبل خروجه من منزله وهذا السعال اشتدت عليه وطأته لدرجة أنه كان يعقبه قئ وهذا طبيعى ويفسر اشتداد وطأة السعال مايشهد به الجميع من أن المشير كان يدخن بشراهة لفافات التبغ واحدة تلو أخرى ولا يفسر هذا القئ اطلاقا تناول سيادته لأى مادة سامة .

٢ ـ فى الوردية الثانية ابتداء من الساعة " ١٠ صباحا يوم ١٤ / ٩ حتى الساعة ٩ مساء نفس اليوم شهد رائد طبيب ابراهيم على البطاطا بما يأتى :

ا) أن صحة المشير فى تحسن وأن الضغط طبيعى والنبض طبيعى مما يؤكد ماتقطع به من عدم تناوله حتى تلك الأكونتين .

ب) أن المشير كان يتناول قطرات من عصير الجوافة المحفوظ فى علب وهنا تقفز الاسئلة الاتية والتى لاحظت تجاهلا تاما لمضمونها فى كل الأوراق الطبية وفى التحقيقات التى جرت عند الوفاة اين كان كوب عصير الجوافة الذى كان يشرب منه المشير وأين كان يوضع بين فترات استعمالة ؟ وكم كان قد تبقى فيه ؟؟ ولماذا لم يحرز للتحليل اذا لم يكن قد أخفى علما بأن هذا الاجراء طبيعى وكان اتخاذه واجبا فى مثل هذه الحالة ؟؟

علبة العصير المحفوظ أين كانت ؟ وماذا كان قد تبقى فيها ؟ ومن هو أول من فتح هذه العلبة وملأمنها الكوب ؟

٣) جاء فى أقوال د . بطاطا أن سيادة المشير فى الساعة ٤ كان يشكو من ألم فى الأسنان وطلب نوفالجين ومسا .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أنه نفسيا وطبيا يستحيل على من بيت النية على الانتحار وانصرف عقله واحساسه الى هذه الفكرة أن يحس أو يحس أى ألم فى الاسنان ناهيك عن طلب علاج لهذا الألم .

جاء أيضا أن السيد المشير نام بعد ذلك (أى من الساعة ٤ مساء) حتى الساعة ٦ مساء أى ساعتين كاملتين بدون ألم أو قئ .

ذكر د . بطاطا أنه عاد المشير فى الساعة ٦ مساء وكان سيادته نائما نوما طبيعيا وأن التنفس والحرارة والضغط فى المستوى الطبيعى ولاتدل على أيه أعراض مرضية .

وابتداء من هذه الساعة تبدأ اللحظات الحرجة .

اذ قال د . بطاطا أنه طلب الساعة ٢٠ر٦ (أى بعد ثلث ساعة من كشفه على المشير واطمئنانه على حالته) فوجد المشير نائما مغشيا عليه ممتقع اللون والنبض غير محسوس والتنفس غير منتظم .

ومن هذه نقطع أن هذه الأعراض هى نتيجة التسمم بالاكونتين الذى أعطى له بعد الساعة ٦ مباشرة وجرعة لاتقل عن ٢ مجم .

ملاحظات على أقوال د . بطاطا والخادم والممرضة .

بعد أن شهد بأن كل مرة كشف فيها على المشير كانت حالة نبضه وتنفسه وضغطه سليمة

الا أنه رجع وقال أن المشير كان غير فائق وغير طبيعى وضعفان ٠

حديث د ٠ بطاطا عن سؤال له عن نتيجة التحليل لاأساس لها من الصحة فالمشير يعلم تماما أنه لم يتعاط أى مادة سامة ٠ قال أن القىء ثم الوفاة حدثا فى أقل من ساعة لأن السيد المشير كان لآخر لحظة يتحسن من ناحية النبض وقلة القىء ويتكلم وفى وعيه وذكر للدكتور شريف عبد الفتاح أن المشير كان متماثلا للشفاء ونام من الساعة ٤ حتى الساعة ٦ ثم ذهب الى الحمام مما يدل على أنه كان قادرا على المشى ٠

قال الخادم منصور أحمد على (سفرجى من رئاسة الجمهورية) أن المشير كان يشرب من عصير الجوافة بالثلج نقطتين كل نصف ساعة ٠ وقال عريف مجند أحمد محمد مصطفى لطفى البيومى (ممرض بمستشفى الحرس الجمهورى) أن السيد المشير لم يقبل أى شراب يوم ١٤ / ٩ حتى الوقت الذى انصرف فيه هذا الممرض للنوم ٠

قال السفرجى منصور أحمد على ٠ ٠ أن السيد المشير ظهر عليه " الضعف جدا اعتبارا من الساعة ١٢ بالتدريج وحوالى الساعة ٥ عصرا طلب أن يذهب الى دورة المياة وكان جسمه غير طبيعى ورجع وسندته حتى وصل للسرير وكان باين عليه التعب جدا ٠٠الخ ٠ وهذا يتناقض مع كلام الطبيب بطاطا ٠

مناقشة التقرير الطبى الشرعى (١٢٤ طبى شرعى سنة ١٩٦٧) ـ نمهد لذكر ما جاء فى هذا التقرير من مخالفات بتلخيص من أهم ما جاء فيه :

١ ـ حدثت الوفاة الساعة ٦,٣٠ مساء ٠ ٠ أبلغ بها المحامى العام الساعة ١٠,٤٥ بعد حوالى ٥ ساعات ووصلت النيابة وكبير الأطباء الشرعيين الى الفيلا الساعة ١,٠٥ أى بعد حوالى ٧ ساعات من الوفاة ثم وصل الجميع لدار التشريح الساعة ٥,٣٠ من صباح يوم ١٤ / ١٩٦٧/٩ أى بعد حوالى ١١ ساعة من الوفاة ٠

٢ ـ تسلمت المعامل الكيماوية بالطب الشرعى عينات البول والدم وباقى العينات البيولوجية من كبير الأطباء الشرعيين صباح يوم الجمعة ١٥ / ٩ أى بعد حوالى ١٥ ساعة من الوفاة ٠

٣ ـ جاء فى ص٢ أن المشير قد ظلت حالته عادية حتى الساعة ٦ مساء يوم ١٤ / ٩ / ٦٧ حيث دخل الحمام وطلب بعض الماء فلما قدم له عامل الاستراحة لاحظ تغيير فى حالته وأخذ ينهار ٠

٤ ـ جاء فى ص٦ أن السيد المشير بدأ فى غيبوبة خطرة الساعة ٦,١٠ مساء ومات الساعة ٦,٦٠ وفى ص٦ أيضا جاء أن الفريق فوزى حضر الى الاستراحة الساعة ٧,٢٥ ومعه العميد محمد الليثى قائد الحرس الجمهورى ٠

٥ ـ جاء فى ص١٠ سطر ٥ كان من الملاحظ أن سيادته يدخن بكثرة وأن هناك سعالا تبعه القىء فورا ٠

٦ــ جاء فى ص١٠ اخر سطر، فى الساعة ٦ مساء كان نائما نوما طبيعيا وكان نبضه وحرارته وضغط دمه كلها طبيعية ثم توجه سيادته الى دورة المياة الساعة ٣٠ر٦ ٠

٧ــ جاء فى ص١٤ أن اللواء طبيب مرتجى قائد مستشفى المعادى قال أنه يوم ١٤ / ٩ الساعة ٦ مساء اتصل به الفريق أول محمد فوزى وطلب منه طبيبا على وجه السرعة ٠

من أبلغ الفريق أول فوزى قبل أن يتصل باللواء طبيب مرتجى الساعة ٦ مساء أن حالة المشير خطيرة ؟؟ وقد قال د ٠ البطاطا أن المشير فى الساعة ٦ مساء كان طبيعيا تماما من ناحية الضغط والحرارة والتنفس ؟؟

٨ــ جاء فى أقوال السادة أطباء مستشفى المعادى مايلى :

رائد طبيب حسن عبد الحى أحمد فتحى لم يتبين من الاعراض الاكلرتكية مايشير الى حصول حالة تسمم اذ أن حالة المشير العامة كانت جيدة من الناحية الطبية ٠ ٠ وان قياس النبض وضغط الدم والكشف على المشير والقلب والجهاز الهضمى والعصبى أثبت أن الحالة العامة جيدة ولم يكن بالمشير وقت الكشف مايشير الى أنه تناول مادة سامة لم يجد أعراضا مرضية بالمشير وكن مالاحظه بعض توتر حيث كان يدخن بشراهة " سيجارة " تلو أخرى كما أنه لم يلحظ أى ضمادات على جسم المشير وحدد أجزاء الجسم التى كشف عليها بأنها الصدر والقلب والبطن والرقبه والذراعين وكذلك الظهر فيما عدا الجزء العلوى ٠

وقال أنه لم يلحظ على المشير أيا من الأعراض التى تظهر على المريض عند تناولة مادة الأفيون وقال بل على العكس فان سيادته كان طبيعيا تماما ٠

عميد ط/ محمود عبد الرازق : قال أن الفريق فوزى أخبره أن هذه الامور أى محاولة المشير للانتحار تكررت ٢ مرات من قبل وأنه غير مقتنع بجدية محاولة المشير فى الانتحار ٠

قال أن المشير لم تكن تظهر عليه أعراض حالة مرضية ولم ير أنه فى حالة سيئة بل شاهدة يغادر الغرفة على قدمية حتى وصل الى المصعد وكانت حالته طبيعية وخطواته متزنة ٠

دكتور شريف عبد الفتاح : قال (ص١٨) أنه لايعتقد أن المادة التى تناولها المشير يوم ١٢ / ٩ هى سبب الهبوط الذى انتهى لوفاته فى اليوم التالى الممرضة صفاء عزت)
(ص ١٩) قالت أن سيادة المشير حضر ماشيا على قدمية وكان يضحك وغادر المستشفى ماشيا على قدميه ٠

د ٠ مصطفى بيومى حسانين : قال ص ٢٢ أن حالة المشير بعد وصوله الى الاستراحة لم يطرأ عليها سوء ولم يكن فيها مايدعو الى القلق وأن سيادته كان منتبها ويتكلم ونبضه وضغط دمه عاديان وأنه لايمكنه أن يفسر حدوث الوفاة بعد ٨ ساعات من انتهاء نوبته وقال أيضا أى ص٢٢) أن العميد سعد والمقدم عبد الكريم كانا يترددان على حجرة المشير لسؤال سيادته عما اذا كان يحتاج شيئا ٠ قال أيضا أنه عند تسليم نوبته فان حالة المشير

كانت تحسنت وأنه شخص الحالة بأنها كحة خفيفة ويعقبها قيء ؟

د · البطاطا : قال ص٢٢ أن القيء كان أقل من البيان السابق " والنبض كويس " —
قال أيضا ص ٢٢ أنه الساعة ٥ مساء عاد المشير فوجده نائما ونبضه عاديا ٩٠ وتنفسه عاديا وحالته تسير سيرا عاديا ثم عاد بعد الساعة ٦ مساء فوجده مازال نائما والحالة عادية والتنفس عاديا ·
قال أيضا ص ٢٢ أنه لم يكن يتوقع حصول الوفاة بهذه الصورة حيث أن الحالة كانت عادية تقريبا وأنه يفسر ماحدث لحصول الوفاة نتيجة سكتة قلبية مفاجئة أدت الى الوفاة فى دقائق ·

وفى ص٢٤ أنهى د · البطاطا أقواله بأن الذى حصل كان أمرا غير متوقع · ص٢٦ قال د · يسرى أبوالدهب : أنه لايقطع بوجود أفيون فى العينات التى حللها وأن هناك احتمالا لوجوده ، وأنه ذكر ذلك لامكان اسعاف المريض فقد كان رئيس القسم يتعجله لأن مستشفى المعادى تتعجل هى الاخرى النتيجة لانقاذ المريض وأعطائه مضادات للمادة السامة ·

وقال ص٢٦ أن ورقة السلوفان لم يكن بها آثار مضغ وقد انهى أقواله ص٢٧ بها اثار مضغ وقد انهى أقواله ص٢٧ بأنه يشك فى وجود أفيون بورقة السلوفان ويجزم بعدم وجود أفيون بالسائل ·

وقال فى ص٢١ ، ٢٢ أن كبير الأطباء الشرعيين لم يلحظ أى شاهد أى أثر لذرات مسادة بيضاء وعلى الشفتين أو تحت أظافر اليدين ·

مغالطات فى التقرير الطبى الشرعى :

١ — جاء فى أقوال نقيب صيدلى يسرى أبوالدهب ص٢٦ سطر ١ أن عينة ورقة السلوفان والورقة الصغيرة المفضضة بداخلها لم يكن بهما آثار مضغ ·
ولكن التقرير فى البند الثانى عشر المعنون تلخيص ومناقشة الحالة والذى يبدأ ص٤٨ يشير ويدل فى أقوال الصيدلى أبوالدهب الى النقض تماما فيذكر فى ص٥٢ سطر ٢ فى نفس التقرير ماياتى بالنص وجاء بأقواله أى تقرير أبوالدهب أن ورقة السلوفان هذه كانت صغيرة بداخلها ورقة مفضضة بهما آثار مضغ ·

٢ — جاء فى ص٢٤ أن الجرعة السامة من الاكونتين قليلة وتتراوح مابين ١ — ٦ مجم أى أن توزيعها فى الجسم فى الشخص العادى الذى يزن ٧٠ كيلوجراما يكون ضئيلا جدا وبنسبة (الى ٦ فى كل ٠٠٠٠٠٠ر٧٠)
ووجه الخطأ فى هذا هو أن الأكونتيين فى حالات التسمم الحاد الذى يعقبه الوفاة لاينتشر فى كل أنسجة الجسم كما يدعى فالثابت أن الاكونتين لايمكن اكتشافه فى الجسم بعد الوفاة الا فى القلب ومايحتويه من سم وفى الكبد وفى الكلى والبول والدم والتعرف الى وجود هذا السم فى الاحشاء ليس أمرا عسيرا بالشكل الذى يصوره التقرير ·· وفى حادثة قتل مشهورة فى بريطانيا فى أواخر الثلاثينات استطاع صيدلى إنجليزى يحمل لقب سر وأسمه

السير توماس استيفنسون " استخلاس الاكونتين من أحشاء القتيل وكشف عنه بتجربة على نفسه بالاختبار المشار اليه سابقا تحت " حقائق علمية " .

جاء في ص٤٢ عن سرعة حدوث الوفاة بالاكونتين الوفاة قد تحدث عادة بعد ٧و٨ د قائق وهناك حالات تأخر فيها حصول الوفاة الى ١٢ ــ ١٨ ساعة ثم أضاف أن الوفاة عرفت في بعض الحالات الى أسباب أخرى غير التسمم بالاكونتين ولم يذكر التقرير أن كل أعراض التسمم بالاكونتين وتأثيره في النبض والتنفس والجهاز العضلي يكون واضحا تماما في هذه الفترة التي تسبق الوفاة .

ملاحظة .

جاء في ص٢٠ سطرى ٢٤ ، ٢٥ .. قد رت الفترة التي انقضت على حصول الوفاة لحين هذا الفحص المبدئي الساعة ٣٠ر١ صباح يوم ١٩٦٧/٩/١٩ بحوالي ست الى ثماني ساعات وأعتقد أن المقصود هو يوم ١٥ / ٩ وليس ١٩ / ٩ .

ــ الملخص والنتيجة .

من الساعة ٢ بعد ظهر يوم ١٩٦٧/٩/١٢ حتى الساعة ٣٠ر٥ من مساء نفس اليوم من الحقائق العلمية السابق ذكرها ومن تقارير وأقوال السادة الاطباء والممرضات والشهود بمستشفى المعادى ومن تقارير التحاليل الطبية لورقتى السلوفان اللتين لفظهما المشير ولعينة القيء التي جمعت بعد مضغه لهاتين الورقتين نقطع بأن المشير لم يتناول لا أفيونا ولا أكونتينا للأسباب الآتية :

١ ــ أولا : يؤثر الافيون وكذلك الاكونتين تأثيرا مهبطا في عملية التنفس أى أن بلع هاتين المادتين مع بعضهما يكون من المنطقى أن تأثيرهما المثبط لعملية التنفس أقوى بكثير من تأثير أيهما بمفرده مما يسهل ملاحظته أثناء الكشف ... وهذا لم يثبت ولم يقل به أحد .

٢ ــ كما سبق أن أوضحنا فأن الافيون أو المورفين صعب الامتصاص من المعدة حيث يمكث بها من ٥ر١ الى ٢ ساعات وقد ذكر أن القيء أستحدث بعد المضغ بفترة اقل من هذه .. فلو أن اللفافة التي قيل أن سيادته كان يمضغها كان بها أفيون لكان الكشف عن المورفين في عينة القيء أدى الى نتيجة ايجابية وهو مالم يحدث .

٣ ــ ما أبداه نجيب أبوالدهب من أنه يشك في وجود الأفيون بورقة السلوفان ويجزم بعدم وجوده بالقيء يؤكد ماسبق أن قلناه أن الاختبار الذى أجراه على الورق اختبار ناقص ولا يعتد به علميا .

٤ ــ والورقة الصغيرة التي حللت بالمستشفى ثبت أنه لم يتوصل من تحليلها الى شيء .

٥ ــ افتراض أن المشير قد تناول جزءا من الاكونتين مختلطا ببعض الافيون وهو في منزله وأثناء القبض عليه ينفيه بل ويقطع بعدم صحته لثلاثة عوامل :

الأول : ماذكر عن تأثيرهما المضاعف فى التنفس وهو مالم يلحظه أحد •

والثانى : أن أصغر كمية يمكن أن يبلعها خاصة أنه من النوع المتبلور كانت كفيلة باحداث الوفاه فى دقائق بعد تعاطيها حيث أن الجرعة القاتلة لاتزيد كثيرا على المللى جرام وما قيمة وحجم هذه الكمية ؟؟ أنها أصغر كمية يمكن أن يحس بها الميزان الحساس•• أى أنها لا تكاد ترى الا لمن يدقق النظر فيها وعلى ذلك فان تعاطى كمية أقل منها غير مقبول منطقيا لعدم استطاعة تحضير هذا لمن يريده وحتى لو سلمنا جدلا بأن باستطاعة شخص ما أن يبتلع كمية تقل عن الملليجرام الواحد •• فان الاعراض التى سبق أن أوردناها لاتلبث أن تظهر ولا يخفى على أحد ملاحظتها •

والثالث : وهو مايتضح من الاختبارات البيولوجية المشار اليها سابقا من صعوبة مضغ مادة الاكونتين بما تسببه من حرقان ورعشة وارتجافات وهو مالم يلحظه أحد من مرافقى المشير من منزله الى مستشفى المعادى أو من مستشفى المعادى الى استراحة المريوطية •

بل جاءت كل الأقوال بما ينفى تماما احتمال تناول سيادته للافيون أو الاكونتين •

٦ ــ اعتماد ايجابية ورقة السلوفان التى سلمها الضابط المحقق عند استجوابه وقرر أنها كانت مما لفظه المشير من أن بها آثار مضغ وأنها تحتوى على أفيون لايعتد به لبطلان أجراءات التحريز كما أوضحنا ، ولتعارض ذلك مع الاختبارات الاخرى كما اثبتنا •

مما يقطع بأن هذا الحرز مدسوس على القضية :

من الساعة ٥ر٢ مساء ١٢ /١٩٦٧/٩ حتى العاشرة صباح ١٤ /١٩٦٧/٩ قال النقيب طبيب مصطفى بيومى المكلف لهذه الفترة أن الشكوى الوحيدة للمشير كانت كحة عنيفة يتبعها قىء وأنه طوال فترة نوبته كانت صحة المشير عادية جدا من حيث النبض وضغط الدم والتنفس وكان منتبها ويتكلم وهذا يؤكد أنه حتى انتهاء نوبة هذا الطبيب كان سيادة المشير فى صحة جيدة باستثناء السعال الشديد وهو عادة مايعقبه قىء•• ومن غير المقبول علميا أن يكون لهذا القىء سبب آخر بدليل أن سيادة المشير عندما توقف فى اليوم الثانى لاعتقاله يوم (١٤ /٩) عن التدخين تحسنت حالته وقل السعال والقىء •

من الساعة ١٠ صباح يوم ١٤ /٩ حتى الساعة ٦ مساء : قال د : البطاطا أن المشير كان فى تحسن وحتى الساعة السادسة عندما عاد وجده نائما والحالة هادئة والتنفس عادى والحالة العامة من حرارة وضغط طبيعية جدا مما يستبعد معه أن يكون سيادة المشير كان قد تناول أى مادة سامة قبل هذا الوقت •• فقد قرر الطبيب أنه لم يكن يتوقع حصول الوفاة بهذه الصورة حيث أن الحالة كانت عادية حتى الساعة ٦ مساء •

وحتى هذه اللحظة يقودنا التسلسل المنطقى للأمور الى أنه فى هذه اللحظة وضع المشير هذا السم أو شربه بطريقة ما سواء فى عصير الجوافة أو غيره •

أما القول بأن سيادته كان يحتفظ بهذا السم (الاكونتين) بوضعه تحت شريط لاصق فى

مكان ما أسفل البطن وأنه فور الانتحار فنزع الشريط اللصاق وأفرغ كمية من الاكونتين بطريقة ما ثم بعد أن بلعها بما يصاحب بلعها من ألم وما تكون عليه نفسيته فى مثل هذه الحالة من انهيار أعاد وضع شريط الريتالين المحتوى على السم تحت الشريط اللصاق ورفع ملابسه وأعيد لبس الشريط مرة أخرى على أسفل البطن .. ورغم تجافى هذا القول مع أى منطق ورغم صعوبة تصوره علميا فأننا لانعتمد على هذا فى دحر هذا القول . بل نعتمد على :

- أولا : كما قررنا سابقا أنه ثبت أن من يتعاطى جرعة من الاكونتين حتى لو كانت أقل من الجرعة القاتلة فان القوة العضلية له لاتلبث أن تنهار تماما مع مايصاحب ذلك من رعشة وارتجافات تملك الشفاة والأطراف وسائر أجزاء الجسم مما يصعب معه امكان القبض على شىء بالاصابع وهذا يدحض القول بأن المشير بعد أن يبلع الأكونتين وطعمه الحارق الشديد مازال فى فمه وحلقه وزوره وما يصاحب هذه اللحظة من فقدان لكل شعور وأحساس وأخذ الحذر والانتباه وما يمكن أن يقال من أن المشير وهو فى هذه الحالة قد رفع معطف المنامة التى يرتديها وحرك ملابسه الداخلية ليعيد لصق هذا الشريط على أسفل بطنه غير مقبول على الاطلاق . ولا يستطيع أى باحث خبير هذا السم فى تجاربه على نفسه وعلى الحيوانات أن يقر مثل هذا القول أو يستطيع أى احتمال أو يضعه فى الحسبان .

- ثانيا : ماجاء من أن مسحوق الاكونتين وجد معه فى فجوات شريط معدنى لامع يستعمل أصلا فى تعبئة أقراص الريتالين صنع ج م ع وماقيل من أنه أمكن تمييز قطعة صغيرة جدا من ورق معدنى لامع لاصقة بها يحتاج الى مناقشة حيث يريد نا هذا التقرير أن نفهم (أولا) أن المشير قد بلع كل محتوى أحدى الفجوات فى الشريط وابتلع معها هذه الورقة المفضضة والتى تغطى الفجوات المعدة أصلا لوضع الأقراص والمملؤة بالاكونتين الذى جاء فى تقارير معامل الطب الشرعى أن وزنه فى كل فجوة كان ٥٠ مللى جراما وهذا معناه أن المشير قد ابتلع ٥٠ مللى جراما كاملة .. ومثل هذه الكمية من الاكونتين المبلورتغنى لقتل خمسة وعشرين رجلا فى دقائق . ومثل هذه الكمية لو استعملت فى القتل أو الانتحار لاصبح الكشف عنها كيماويا وبيولوجيا فى منتهى السهولة ولو بعد مضى أكثر من عشر ساعات على الوفاة كما سبق أن أوضحنا .. وعليه فهو احتمال مرفوض علميا .

- ثانيا : أن يكون المشير قد حاول ابتلاع جزء من الكمية التى تحتويها أحدى الفجوات وهذا يستدعى أن يعثر على الباقى فى هذه الفجوة بعد تغطيتها بالشريط اللاصق وهو مالم يقل به أحد حيث وجدت الفجوات الثلاث فى الشريط محتوية على كميات متساوية من الاكونتين قيمة كل منها ٥٠ مللى جراما .

النتيجـة :

مما سبق لا يستطيع الباحث المنصف المدقق الا أن يقرر أن وفاة السيد المشير لم تكن انتحارا وانما كانت قتلا باعطائه سـم " الاكونتين " بطريقة أو بأخرى بعـد الساعة ٦ مســـاء يوم ١٤ /١٩٦٧/٩/ وأننى أقرر مطمئنا أن هذه الوفاة جنائية مكتملة الشروط الجنائيـــة من التعمد الى سبق الاصرار والترصد ٠

والله أعلم وهو ولى التوفيق ؞

" دكتـور "
(علـى محمـد ديـاب)
باحث وسـد رس التحليـل والسـموم
المركز القومى للبحوث

لماذات ؟؟؟

● لماذا أصر جمال عبد الناصر على عودة عبد الحكيم عامر من قريته اسطال إلى القاهرة ، بعد ان أعلن المشير عن عزمه على البقاء هناك حتى نهاية العمر ؟

● لماذا ـ وقد عاد إلى القاهرة ـ لم تجر محاكمته طوال فترة حصاره فى منزله ، رغم طلب عبد الحكيم عدة مرات ان يحاكم محاكمة علنية ؟

● لماذا نقل من داره إلى مكان بعيد عن الأهل والأعين ، رغم انه تحت حراسة رئاسة الجمهورية ؟؟

● لماذا أصر محمد فوزى على اخراج المشير من مستشفى المعادى قبل الساعة الخامسة ، حتى انه هدد مدير المستشفى ـ الفريق مرتجى ـ إذا لم يخرج المشير فى ذلك الوقت فستكون هناك حجرة له فى السجن الحربى ؟؟

● كيف وصل الشريط المزعوم إلى يد المشير ، خاصة ان تقرير مستشفى المعادى ، أفاد خلو المعدة من أى آثار مخدرة أو سامة ، حتى وقت وصول القوة برئاسة محمد فوزى لاصطحابه إلى سجنه « المريوطية » يوم ١٣/ ٩/ ٦٧ ؟

● كيف تعاطى المشير سما وهو فى المعتقل بعد أن وصل ، خاصة ان شهادة الطبيب الملازم له أكدت ان صحة المشير ومعنوياته ونبضه وتنفسه كانت جيدة ، حتى الساعة العاشرة من صباح يوم موته ؟

● كيف تدهورت صحة المشير فجأة إلى حد الموت ، خلال عشرين دقيقة ، هى الفترة التى تركه فيها الطبيب المرافق له ، والذى أكد انه تركه فى الساعة السادسة فى أحسن حال ؟

● لماذا طلب محمد فوزى من اللواء مرتجى الساعة السادسة ارسال طبيب على وجه السرعة من المستشفى لعلاج المشير ، بينما كان المشير فى تلك اللحظة على أحسن حال وفى صحة جيدة ؟!

● كيف يهتم المشير بطلب علاج اسنانه وعمل مسّ ، وطلب نوفالجين وهو مقدم على الانتحار ؟!

●أين كان جمال عبد الناصر يوم مصرع عبد الحكيم عامر فى ١٤/٩/١٩٦٧ ؟

● كيف عرف محمد فوزى فى الساعة السادسة أن المشير ستسوء حالته ويموت بعد عشرين دقيقة ؟!

● لماذا لم يسمح لشقيق المشير - المستشار عبد الجواد - برؤية جثة أخيه عن قرب ... بل ورفضوا طلبه بنزع الملاءة من على الرقبة والجثة حتى يراها ولو على البعد الذى وضعوه فيه « على باب الغرفة من الداخل » ؟؟؟

● قال السفرجى - من رئاسة الجمهورية - ان المشير كان يشرب من عصير الجوافة نقطتين كل نصف ساعة ، وان اعراض المرض ظهرت عليه فى الساعة ١٢ ظهرا .

بينما قال الممرض - من رئاسة الجمهورية - ان المشير لم يشرب أى شىء طوال يوم ١٤ سبتمبر .. فلماذا لم يلتفت المحققون إلى هذا التناقض بين اقوالهما ؟

● لماذا لم يتم معرفة من الذى فتح علبة الجوافة ؟ ومن الذى كان يصب منها فى الكوب الذى كان يقدم إلى المشير ؟!

● ولماذا لم يحرّز الكوب بما تبقى فيه ؟ ولماذا لم تحرز العلبة ؟!

●ولماذا منعت اسرته من استلام جثته ؟؟

● ولماذا اهمل التحقيق مع الخادم الذى كان يحمل فناجين القهوة وأكواب عصير الجوافة ؟

● لماذا نقل جثمانه من القاهرة إلى بلدته « اسطال » تحت حراسة مشددة من حرس رئاسة الجمهورية ، والشرطة العسكرية ، والمخابرات العامة ، والمباحث العامة ، على طول الطريق من القاهرة إلى اسطال ؟

● لماذا ضُرب الناس فى « اسطال » ، لمنعهم من الاقتراب من النعش ؟ ولم يسمح لأحد بالمشاركة فى دفنه مع رجال الأمن ؟

● لماذا أقاموا على قبره حراسة مسلحة ، ومشددة لمدة شهور بعد الدفن ؟ لم يسمح خلالها بزيارة قبره !!!

● لماذا وضع جميع اشقاء المشير فى السجن ، ولم يفرج عنهم الا بعد وفاته ؟

● لماذا .. ولماذا .. نقلت ملاءة سرير عبد الحكيم الملطخة بالدماء من فوق سريره ، ووضعت بدلاً منها ملاءة نظيفة ... ولماذا اهمل البيان « بقع الدم » ووصفها بأنها « بقع تميل إلى الاحمرار » ؟!

● لماذا ... ولماذا ... لم يتم ابلاغ المحامى العام بمصرع المشير إلا بعد خمس ساعات ؟

● ولماذا لم تصل النيابة وكبير الاطباء الشرعيين إلا بعد سبع ساعات ؟

● ولماذا لم يصل الجميع إلى دار التشريح إلا بعد احدى عشرة ساعة .

● لماذا لم يحقق فى بلاغ المهندس حسن عامر - شقيق المشير - الذى قال فيه أن أخاه مات مقتولا ؟؟؟

● لماذا لم يحقق فى البلاغ الذى أرسله صلاح نصر إلى المحامى العام ، ينفى فيه عن نفسه تهمة تقديم السم لعبد الحكيم ، ويؤكد فى ذات الوقت ، على أن عبد الحكيم عامر مات مقتولا ؟؟!!!!

● ولماذا نشروا أقوال صلاح نصر محرفة ؟ ولماذا تجاهل المحامى العام ما جاء فى بلاغه ؟ ولماذا حذفوا اتهام صلاح نصر ؟؟

ما نشر بعد الطبعة الأولى

الأخبار

فكرة!

اهدت لى الفنانة برلنتى عبدالحميد كتابها «المشير وانا» وهو كتاب ضخم يحوى قصتها مع المشير عبدالحكيم عامر وفيه اسرار كثيرة تذاع للمرة الاولى وقد ارفقت الكتاب بخطاب جاء فيه

«.. مصطفى امين. زميل فى السجن».

كان من حسن حظى وحظ بلدى انى عشت شبابى سبع سنوات مع صانعى القرار فاتيح لى ان اتعرف على كثير من الاسرار. وقد حركنى لتقديم هذا الكتاب ماعاناه شعب مصر من مظالم وافتراءات، ودفعنى الى الكتابة معاناة من يحمل امانة فى عنقه، ويصعب ردها إلى اهلها وسط زفة المنافقين والمضللين وقد جاء الوقت واذن الله تعالى برد الامانة الى شعب مصر والشعب العربى، ولعلى اكون قد وفقت باذن الله والسلام عليكم ورحمة الله

برلنتى عبدالحميد

وكتبت الاهداء «الى الرجل الذى احب غيرنا اكثر، فاحببناه اكثر احب مصر اكثر من نفسه، واحب الجيش اكثر من اولاده، واحب الشعب اكثر من اهله.. الى روح الشهيد عبدالحكيم عامر».

وذكرت ان عبدالحكيم عامر لم ينتحر وانما قتلوه وقالت، ان هزيمة ٥ يونية ومصرع المشير، اذيعت قصتها من جانب واحد، هو جانب عبدالناصر ومراكز القوى وبعض اعضاء مجلس الثورة ممن التزموا طريق «الموافقة» على الدوام لضمان سلامتهم حتى لايطاح بهم مثلما اطيح بمحمد نجيب ويوسف صديق وعبدالمنعم امين وصلاح سالم وجمال سالم وكمال الدين حسين.. اما الجانب الاخر فقد اخرس لسانه اما بالقتل او السجن او التهديد، وقد آن لهذا الجانب الصامت ان يتكلم لان الحقيقة لاتعرف من جانب واحد،

وذكرت لقد نجح عبدالحكيم عامر فى انشاء هذا الجيش الوطنى القوى، فكان لابد من مؤامرة حاكها الروس لتمزيق هذا الجيش، وتدمير قادته عن طريق عملائهم لان عبدالحكيم وقادة الجيش الوطنيين كانوا يمثلون عقبة فى طريق احلامهم فى اقامة قواعد لهم على ارض مصر تمهيدا للسيطرة والاحتواء، ونشير هنا إلى ان الروس لم يتمكنوا من اقامة قواعد لهم فى مصر الا بعد هزيمة ٥ يونيو والتخلص من عبدالحكيم عامر والقادة الوطنيين

مصطفى أمين

الوفد

كلمة حب

●● لا يمكن فى مصر ان تحتفظ باى اسرار.. لاننا نحب الكلام.. ونحب ان نؤكد دائما اننا نعرف كل شىء.. والاسرار تتسرب من خدم البيوت وسائقى السيارات عند الاكابر.. وتتحول الاسرار الى اشاعات. وبعد فترة يظهر ان الاشاعات حقائق.. وكل الاشاعات ايام عبدالناصر اصبحت حقائق بعد ذلك.. وكذلك ايام السادات.. ومن الاشاعات التى كنا نسمعها ان المشير عبدالحكيم عامر تزوج الممثلة برلنتى عبدالحميد.. ثم ظهر انها حقيقة.. وان له منها ولدا اسمه عمرو.. وقد ادلت برلنتى بشهادتها للتاريخ.. فقد كانت زوجة لرجل مهم.. تعرف كثيرا من الاسرار.. وقد بدات تنشر مذكراتها.. ونترك منها الجانب السياسى لانها غير مؤهلة لابداء اراء سياسية.. ونمسك بالوقائع التى سمعتها منه شخصيا

●● قالت برلنتى ان الروس حاولوا قتل عبدالحكيم عامر عام ١٩٦٦ عند زيارته للاتحاد السوفييتى.. وان الروس كانوا يريدون التخلص منه باى شكل.. لانه يعوق تطبيق الشيوعية فى مصر.. هو وكبار ضباطه.. وقالت ان عبدالناصر كان يدير معركة ١٩٦٧ حسب تعليمات الروس وتقاريرهم.. فقد وافق على ان تقوم مصر بالضربة الاولى ثم سحب الموافقة بناء على طلب السفير السوفييتى.. وعندما قال له صدقى محمود ان خسائرنا ستكون ٩٠٪ لو بدات اسرائيل بالهجوم قال ان الروس يقولون انها ستكون ٢٠٪.. وقد اكد ذلك كله عبدالحكيم عامر عندما قال لها.. ان ما حدث فى ٦٧ ليس حربا ولكنه خيانة.. مما يعزز الراى بان الروس وعبدالناصر اتفقوا على التخلص من عبدالحكيم عامر والجيش المصرى.. خاصة وان عبدالحكيم عامر كان يعطى الاوامر خلال المعركة وان عبدالناصر كان يلغيها.. مما سبب الارتباك الفظيع فى تحركات القوات المسلحة فى ٦٧.. ومما يعزز الراى بان قواتنا لم تعط الفرصة لكى تحارب. ولكنها كانت توضع حيث تتلقى الهزيمة.. خيانة هى ومؤامرة وليست حربا او معركة..

●● قالت ايضا ان عبدالحكيم عامر كان سيطير فى الخامسة صباحا يوم ٥ يونيو.. ولكن عبدالناصر اجل الطيران حتى الثامنة.. ومعنى ذلك واحدة من اثنتين. اما ان عبدالناصر لم يكن يعلم ان اسرائيل ستهاجم يوم ٥ يونيو كما يقول.. او انه يريد ان يقيد حركة الطيران حتى تحقق اسرائيل اهدافها.. وكلاهما جريمة..

●● وتكشف برلنتى سرا من اسرار عبدالناصر واجهزته.. تقول على لسان عبدالحكيم عامر انهم كانوا يطلقون الاشاعة ويتلقون رد الفعل ثم ينفذون ما اشاعوه. وقد اشاعوا ان عبدالحكيم عامر انتحر.. ولذلك قال لها انه سوف يقتل قريبا.. ولكن اظرف ماكشفت عنه برلنتى ان الاتحاد الإشتراكي حشد الجماهير للمطالبة بعدم تنحى عبدالناصر.. عقب القاء البيان المشهور.. وان مظاهرة بنى سويف وصلت القاهرة قبل القاء البيان بساعة.. ولذلك حجزوها عند مدخل القاهرة حتى لا تكون فضيحة.. ثم اطلقوها بعد البيان.. مما يؤكد ان مظاهرات ٩ و١٠ يونيو كانت تمثيلية.

●● وفى شهادة برلنتى عبدالحميد شهادة قريبة من الاحداث.. لانها كانت تسمع وتسال وكانت ترى عبدالحكيم عامر فى ساعات سروره وساعات ضيقه.. وكانت تحب ان تعرف.. وقد عرفت كثيرا

محمد الحيوان

المجلة

ربع قرن مر على وفاة المشير عبد الحكيم عامر والسبب الحقيقي لوفاته لا يزال علامة استفهام. هل حقاً مات المشير بالسم أم انه اقدم على الانتحار رافضاً قسوة معاملتهم له خلال فترة التحفظ عليه؟ زوجة المشير برلنتي عبد الحميد تضع حداً لهذه الالغاز في كتاب نشرته اخيراً ومن خلال الحديث التالي الذي اجرته معها «المجلة».

زوجة عبد الحكيم عامر

تتحدث وتتهم بعد صمت طويل

[illegible]

الطبيب الشرعي اعترف لي بتزوير تقريره عن انتحار المشير

برلنتي عبد الحميد زوجة المشير عامر، وصاحبة صمته الوحيدة، كما كان يردد امامها اوصدت باب سرّها في وجه الجميع منذ رحيله. اعتذرت بلباقة لكل المحاولات التي سعت لسحبها الى دائرة الضوء. على مدى ٢٥ عاما رفضت الادلاء بأية احاديث صحافية عن علاقتها بالمشير لكنها وافقت اخيرا على التحدث الى «المجلة»، وجاء حديثها ليتزامن مع نشر مذكراتها في كتاب صدر في القاهرة اخيرا تحت عنوان «المشير وأنا». كانت قد خطت سطوره قبل ١٥ عاما، واحتفظت به في باريس انتظارا لتوقيت النشر المناسب.

الكتاب هنا، بمثابة القنبلة التي فجرت حقائق [illegible] حياة عبد الناصر والمشير والعلاقة بينهما وكيف كانت تدار الحياة السياسية في مصر، ومن هم قتلة عامر؟

برلنتي عبد الحميد في مذكراتها ازاحت الستار عن ادق تفاصيل العلاقة بين زوجها وجمال عبد الناصر ومحاولة الدفاع عن عامر الانسان الذي ذاق مرارة غدر الرفاق والاصدقاء، وان ظل هناك من يضع الكتاب في خانة «على عامر لا له» على اعتبار ان في الكتاب من المعلومات ما قد

الى لحظة اللقاء الاول بينها وبين عامر وكيف تطورت العلاقة بينهما وعلاقتها بجهاز المخابرات ورئيسه صلاح نصر ثم يعرض الكتاب بالتفصيل للعلاقات التي عاصرتها خاصة التي نشأت بين عامر وعبد الناصر عقب قيام ثورة يوليو، وجرأة تحسب لها اعترفت بتفاصيل زواجها منه وروت حادثة الاجهاض التي تعرضت لها

ايضا وردت في الكتاب معلومات هامة عن المحاولات التي كانت تستهدف قتل عامر خاصة المحاولات التي كان يقف السوفييت وراءها وتصل احداث الكتاب الى نكسة يونيو (حزيران) وكيف اثرت على زوجها واودت بحياته. ولقد نفت الزوجة بشكل قاطع في الكتاب كل ما تردد حول واقعة انتحار زوجها عبد الحكيم عامر معربة عن يقينها بان عامر قتل بأمر من جمال عبد الناصر وان شهادات الاطباء تؤكد ذلك. كما ان تقاريرهم نفت تناوله اي شيء، وان اعراض السم لم تظهر عليه

● لماذا هذا الكتاب؟ وما السر في تأخير نشره طيلة هذه الفترة الماضية؟ سألنا صاحبته فاجابت:

- انتظرت حتى يشبها النائب العام الذي يمكن ان يخرج به هذا الكتاب الى القارئ. فمنذ مقتل المشير عامر وعرات معيشة تطاردني وتتعقب خطواتي اكثر من مرة انصلوا بي للحصول على هذه المذكرات خاصة في عهدي عبد الناصر والسادات ولكني كنت انتظر الوقت المناسب لنشر هذه المذكرات والتي اعتبرها شهادة من الوطن للتاريخ حرصت على ان لا يمسها اي مصدر بالتحريف او التشويه مثلما حدث في كثير من الاحداث، لاسيما انها تمثل فترة من اهم فترات التاريخ المصري الحديث

ظللت محتفظة بهذه المذكرات بعد الانتهاء من كتابتها ١٥ عاما كاملة في باريس ولم افكر في اخراجها من مكانها الا عندما تأكدت ان الوقت مناسب للنشر

● هناك من يقول ان هذا الكتاب امتداد لظاهرة الكتب التي صدرت في الفترة الاخيرة لضرب رموز «الثورة» المصرية عبر ابرز قياداتها؟

- انا مواطنة مصرية بالدرجة الاولى ولذوي ان اكون زوجة عبد الحكيم عامر، الرجل الثاني في الثورة، وقائد الجيش المصري في تلك الوقت، وبحكم هذه العلاقة كنت قريبة من احداث السلطة وعايشت الاحداث الكثيرة التي لا يعرفها رجل الشارع العادي، لكنني فجأة وجدت المشير يختفي عن مسرح الاحداث في الوقت الذي كان لا يمكن الاستغناء عنه فهو كان صمام الوسط لهذه الثورة وصمانتها وبعد اختفائه اصبح هناك خرف عاسب في الاحداث المصرعة والتفصيلات الكثيرة والحقائق المزورة. وكان لا بد ان يأتي يوم اتحدث فيه لاقول ما شاهدت، ولم يكن من الممكن ان اتحدث في توقيت غير هذا لانه لم يكن من الممكن ان ❮



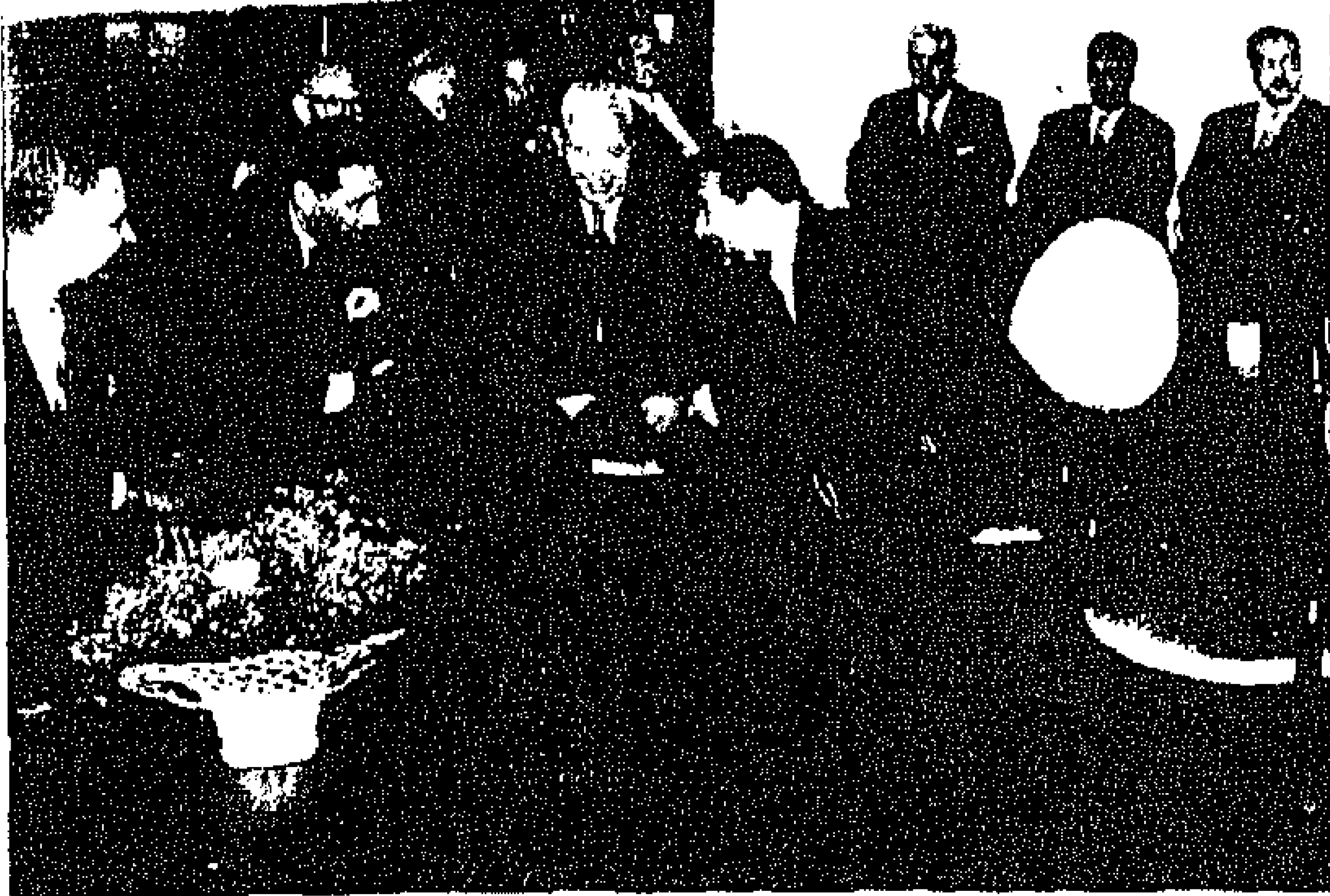
برلنتي عبد الحميد
بين الناصر وعامر

بين عامر اكثر مما يتصل القائد العسكري الذي استحوذت الفنانة الجميلة «نفيسة» الشهيرة ببرلنتي على قلبه لهوى ومعه مستقبله السياسي بسبب زواجه غير المعلن منها في بدايته

برلنتي دافعت في كتابها عن عامر الذي ضحت بشهرة الفن العريضة من اجل ضمان زواجه منها. ويتعرض الكتاب الذي يحوي خمسة فصول




برلنتي عبد الحميد (القدس العربي)


جمال عبد الناصر (الى اليسار) وبجواره المشير عبد الحكيم عامر فالزعيم السوفييتي خروشوف وسعد زايد محافظ القاهرة السابق (القدس العربي)

برلنتي عبد الحميد تروي قصة زواجها من المشير عامر [١]

اختبارات اخلاقية اجراها رجال المخابرات لها قبل مباركة الزواج!

■ القاهرة ـ مكتب «القدس العربي»:

صدر عن مكتبة مدبولي للنشر في القاهرة كتاب بعنوان «المشير وانا» من تأليف برلنتي عبد الحميد. والمشير هو عبد الحكيم عامر عضو مجلس قيادة ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ التي قامت في مصر بقيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، والتي اطاحت بالنظام الملكي. وقد صار عامر الرجل الجميع الى قلب وعقل عبد الناصر، كما كانت صداقتهما مضرب الامثال. وتولى عامر منذ البداية قيادة الجيش ومنصب النائب الاول لرئيس الجمهورية. وبعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، استقال من مناصبه، ثم حدث خلاف بينه وبين عبد الناصر، بسبب رغبته في العودة مرة اخرى للجيش، والتف حوله عدد من العسكريين الذين ارادوا فرض عودته، وقبض عليهم، ثم اعلن عن انتحار عامر.

وبرلنتي عبد الحميد هي الممثلة السينمائية المشهورة التي تزوجها بابها حتى دق جرس الهاتف وقال لها المتحدث «انا صلاح نصر مدير المخابرات الحربية».

وبعد ان اشاد بمواقفها عرض عليها التعاون معهم لان لها صداقات كثيرة بين الدبلوماسيين الاجانب ويمكن ان تحصل منهم على معلومات تفيد الوطن وتحمي الثورة. وكل المطلوب منها مجرد كتابة تقرير عن اي شيء تسمعه. لكنها رفضت كتابة تقارير. فسألها ان كان لديها مانع ان تتصل بهم اذا سمعت بهم الامن فابدت موافقتها ومرحبتها.

مع صلاح نصر

بعد ايام من هذه الحادثة فوجئت برلنتي عبد الحميد بكاتبة دينية معروفة تزورها في منزلها وقالت لها ان هناك شخصية عامة بارزة تريد ان تزورها، فلم تمانع، وبعد ساعة من انصراف الكاتبة الدينية فوجئت بجرس الباب يدق ولما فتحته وجدت الكاتبة الدينية ومعها شخصان فاسا بفحص الشقة جيدا، وبعد فترة الاشخاص وبدا الاجتماع وطلب من الحاضرين ابلاغه عن المتاعب التي يعاني منها الناس وعن اخطاء الثورة حتى يمكن تلافيها. الا ان برلنتي لاحظت ان الذين تحدثوا انشادوا بالثورة، لكنها وقفت وقالت لعبد الحكيم ان لها صديقة تبض على والدها ولا تعرف اسرته اي معلومات عن مكانه او سبب اعتقاله. فطلب عبد الحكيم بسرعة بحث هذا الموضوع.

وانفض الاجتماع، وبعد ايام اتصل بها صلاح نصر واخبرها ان الباحثة العامة هي التي قبضت عليه، وان المشير طلب سرعة التحقيق معه تمهيدا لاطلاق سراحه بعد ايام.

وبعد هذه المعادلة التليفونية بيوم واحد فوجئت بصلاح نصر يزورها في منزلها وطلب منها ان تقابل معه القرن حالا لمقابلة بعض الشخصيات الهامة، وعندما اصرت على ان تعرف من تكون هذه الشخصيات الهامة قال لها: ستقابلين عبد الحكيم عامر لانه يريد ان يتحدث معك، وطلب منها صلاح نصر الا تخبر احدا بذلك والا تقول انه اخبرها انها ستقابل عبد الحكيم.

واصيبت برلنتي بالوجوم، فقال لها عامر: طيب يا مسز سباحتي، واخذ يسالها عن الاخرين الذين قرات لهم. فقالت رواية «الام» لمكسيم غوركي واعمال ديستويفسكي وتولستوي. فقال لها ساخرا:

ـ كلهم شيوعيون، يعني تقالسه عيالا

وطلب منها ان تقرا القرآن وتقرا عن عدالة عمر بن الخطاب وعن مصطفى كامل.

وانتهت المقابلة وانصرف الجميع وقام صلاح نصر بتوصيلها الى منزلها.

غضب ومصالحة

تقول برلنتي انه مرت ايام على هذا اللقاء وكادت تنسى الامر برمته بسبب انغماسها في عملها الفني، الى ان فوجئت ذات صباح بعلي شفيق مدير مكتب عبد الحكيم عامر، يتصل بها ويسالها ان كانت مشغولة في المساء فابدت استعدادها للمجيء والاعتذار لاصدقائها الذين كانوا يلتقون في بيتها في ندوة الخميس. واخبرها شفيق ان السيد اتصل بها وطلب زيارتها، فسمحت له وقال لها ان شركة فوكس السينمائية تريد وجوها مصرية للعمل في الافلام الامريكية وانه قام بترشيحها وارسل صورتها. وان مستر «جون» مدير شركة فوكس ارسل برقية بانه سيحضر للقاهرة وطلب مرسي من برلنتي ان تاتي معه للمطار لاستقباله الا انها رفضت ساخرة. فاطلعها على التلغراف المرسل من المستر جون من لندن.

بعدها باياه حضرت الى برلنتي سيدة بدينة كانت تؤدي شخصية «رقيعة عام» في الافلام، يرافقها شاب قدمته اليها على انه «المسيو موريس» الذي جاء لرؤية بعض الوجوه المصرية لاختيارهم للعمل في افلام فرنسية، وانه ابن صاحب شركات «سيارات رينو» وكان يتحدث الفرنسية بطلاقة ولا يعرف اي كلمة عربية. وفوجئت برلنتي بان السيدة البدينة اعطتها صرة ملفوفة بالاساور والخواتم الذهبية هدية من المسيو موريس، لكنها رفضتها ولامت بتوسطه لم تاذن بعلم دهما، مما دفع بان عبد الحكيم عامر يطلبها ويسالها اين كانت فاخبرته بما حدث وهي في حالة غضب.

حكيم يعرض الزواج

وتقول برلنتي انها لاحظت ان عبد الحكيم كان سعيدا ومرحا وطلب منها ان تحضر فورا دون ان تبدل ملابسها ونزلت بسرعة وذهبت الى الشقة التي كانت تقابله فيها مع اصدقائه فوجدت عبد الحكيم في انتظارها وقال لها اهلا «عروستي».

وللفتت هذه العبارة انتباهها لكنها لم تعلق واصطحبها الى حيث كان يجلس صلاح نصر وعباس رضوان ومدير مكتبه علي شفيق، وكانوا في حالة من المرح وعلى طبيعتهم. قال المشير موجها حديثه اليها:

ـ يالله يا عروستي حضري لنا العشاء.

وهنا ادركت برلنتي ان الكلمة ليست للمزاح فسألته:

ـ عروستك؟ فاجاب عامر طبعا ...

القدس العربي السنة الرابعة ـ العدد ١٠٨٧ الاثنين ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢ الموافق ١٥ جمادي الاول ١٤١٢ هـ

برلنتي عبد الحميد تروي قصة زواجها من المشير عامر [٢]

انور السادات حضر حفل الزفاف وكان يقلد مطربي الاوبرا

■ القاهرة ـ مكتب «القدس العربي»:

تقول برلنتي ان عبد الحكيم عامر دخل الى الشقة واتجه الى غرفة الصالون بينما بقي سكرتيره محمد متولي في الصالة، ودخلت خلفه فوجدته جالسا عارا ساقيه وجلست امامه ولم يكلمها.

وفجاة نهض وقال لها بصيغة الامر: قومي، ستاتين معي الان لاريك شيئا هاما. واتجهت بهم السيارة الى المكان الذي كانت تلتقي فيه معه هو وصلاح نصر وعباس رضوان، وقادها المشير الى قاعة فسيحة فيها شاشة عرض سينمائي وجلس الاثنان على الارض، وصاح المشير: الشريط وقم كذا.. ثم قال لها: لقد غضبت عندما علمت اننا كنا نراقبك. والسبب ان ما اسمعه واشاهده هذه الايام يجعلني لا اثق في النساء.

وتقول برلنتي ان الشريط السينمائي دار، وقالت بالنص: «وقدم لي عبد الحكيم عامر البرهان واطلعني على حقيقة لم يخطر ببالي يوما انها كانت حقيقة.

وما كنت اصدق لو لم اكن قد رايتها بعيني على الشاشة. لقد نزل الامر علي كالصاعقة لهوله وفساده وبعده عن التصديق. وقال لي المشير في النهاية: هل صدقت؟ قلت نعم صدقت. ونهض المشير وعلى وجهه حزن دفين من تاثير ما شاهدناه..

ولم تعط برلنتي اية تفاصيل او حتى اشارات عما شاهدته. الا انه من كلامها يتضح انه شريط لسيدة زوجة لشخص مهم تخونه مع آخر.

كاذبة

تقول برلنتي ان عبد الحكيم طلب منها الغاء اي عقد لتمثيل فيلم ايطالي وعدم السفر.

كما طلب منها ان تنتهي من علاقدها الفنية داخل مصر. لانه لن يسمح لها بالعمل في الوسط الفني بعد ذلك. واتفق عبد الحكيم مع والدتها على ...


برلنتي عبد الحميد قبل ان تتحجب (القدس العربي)


.. وصورة لها بعد التحجب (القدس العربي)

اشخاصا بانها مخطوبة للمشير، رغم انهم اتفقوا ان يظل الامر سرا. فانكرت، وقالت انها اخبرت الكاتبة الدينية ـ سنية قراعة ـ انها مخطوبة لاحد المسؤولين في الوزارة ولم تذكر اسم احد. لكن صلاح نصر قال لها: انت كاذبة. وبكت وتركت المكان متجهة لسيارتها وقام عبد الحكيم عامر ...

طائرات وغواصات وعرضة ان اموت في اي وقت. واللي زيي ما ينساش ربنا». بدا عقلي يفيق وانا اتامل كلماته. وكان عبد الحكيم عامر يبدي لي الحب ولكنه لم يبد لي غيابا قط. ولم تظهر منه بوادر رغبة من رغبات الرجال».

الزفاف

سجينه البسيطة والطيبة وكان الاثنان يذهبان للاسكندرية ولم يكن يزورهما الا بعض اقارب المشير وانور السادات الذي كانا يحبانه. وكان كلما ياتي لمنزلهما ينادي على عبد الحكيم بصوته الجهوري: «يا... حا كيم» وكانه يغني اوبرا.. وهو يتميز بخفة الظل وحسن الدعابة. وهو من الناس الذين تطيب ...

من رجاله بتفتيش القطار ولم يجدوا شيئا. ومع ذلك سافر مع عبد الناصر للقاهرة ثم عاد مرة اخرى لطمانته.

وتقول برلنتي ان اول مرة ترى فيها عبد الناصر كانت في استراحة المشير عبد الحكيم عامر في كنج مريوط. وذات مساء كانت بمفردها وسمعت صوت كلاكسات سيارات فاسرعت الى الباب ...

حسب قولها ـ لانها اعتبرت ذلك طعنا فيها وفي قدرتها على الاحتفاظ بزوجها بدون انجاب اولاد له. فقالت لصلاح:

ـ عامر عنده سبعة اولاد. ولم يمنعه هذا من الزواج مرة اخرى.

وانتابها الكدر طوال السهرة. وكلما سالها عامر عن السبب، تخبره انها متعبة. وتشاء الاقدار بعد ذلك ان تسقط برلنتي من سلم البيت واغمي عليها واحضروا لها الطبيب وعندما افاقت اخبروها انه تم اجهاضها بسبب وقوعها.

وتروي برلنتي حكايات الهروب من الخيال بعد ذلك.

عندما حملت مرة اخرى، اذ قام المشير باسكانها في عشرة امكنة متفرقة في القاهرة وكان من بينها منزل في شارع احمد حشمت بالزمالك، زارها فيه المشير وعباس رضوان وصلاح نصر. وقبل الوضع بشهرين نقلوها الى فيلا بشارع المرغني بمصر الجديدة وهي ملك لطبيب قريب للواء عصام خليل صديق المشير.. وعندما علم المشير بان ميعاد الوضع حان اخذ يتابع الحالة بالتليفون كل ربع ساعة. وكان الوضع في الفيلا وليس في اي مستشفى. واخبرت الطبيبة المشير بالنتيجة قائلة: مبروك جالك ولد.

وترك المشير مكتبه وجاء الى الفيلا على الفور واسرع يحمل ابنه عمرو ويتفحص كل مكان في جسده. وعندما راى وحمة في الفخذ الايسر صاح المشير: «الله. دي الوحمة بتاعتي» ويقول «العينين دول عينيا. الودان دي ماركة مسجلة في العيلة. دا فيه ملامح من ابي».

كانت فرحته بعمرو لا توصف. وعندما علم عبد الناصر، قدم هدية لعمرو، عبارة عن كلمة «ما شاء الله» من الذهب. وقدم صلاح نصر ميدالية ذهبية على هيئة مصحف وارسل انور السادات قطعة موبيليا بها راديو وجهاز تسجيل وبيك آب.

معارضة عبد الناصر

ومن الامور التي عبرت برلنتي عن ...

زوجة المشير تروي تفاصيل الصراع الخفي

عامر قال قبل وفاته: عبد الناصر سيقتلني والسوفيات لم ينسوا له طرده السفير من مكتبه

القاهرة: «الشرق الاوسط»

بعد خمسة وعشرين عاما من الصمت مرت على هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧، ازاحت برلنتي عبدالحميد زوجة المشير عبدالحكيم عامر القائد العام للجيش المصري انذاك، والرجل الثاني في مصر، الستار عن العديد من الاسرار في علاقته بالرئيس جمال عبد الناصر والصراع الخفي بينهما على السلطة، وظروف وفاة عامر التي مازال الغموض يكتنفها.

وتفجر برلنتي عبدالحميد في مذكراتها مفاجأة على لسان عبدالحكيم عامر الذي أكد لها عندما سألته عمن يريد قتله، قائلا: لا تصدقي ان انتحر، لو كنت اريد ان أنتحر لكنت لتحرت يوم ٦ او ٧ يونيو. انا رجل مؤمن ولا اريد ان اموت كافرا.

وعندما سألته، لكن ليه كل ده؟ قال: «لانهم عارفين.. لو حاكموا اصغر عسكري في الجيش أروح المحكمة في عربية مصفحة واتكلم، وساعتها يعرفوا مين اللي يتحط في القفص، عشان كده لازم يقتلوني وينتقذوا من هذا المأزق».

هذه شهادة تقدمها برلنتي عبدالحميد التي عاشت مع الرجل الثاني في فترة من أخصب فترات التاريخ المصري الحديث منذ عام ٦٣ حتى منتصف عام ١٩٦٧.

عامر وعبد الناصر

كتب الكثير عن ثورة يوليو (تموز) ودور كل فرد من ضباطها وتؤكد برلنتي اهمية دور المشير الذي نجح في تجنيد اكبر عدد من الضباط الاحرار بحكم موقعه في رئاسة المشاة تحت قيادة محمد نجيب الذي نجح عامر في ضمه للضباط الأحرار ليصبح اول رئيس لمصر.

وتؤكد ايضا ان عبدالحكيم عامر كان المحرك لنشاط الثورة وهو الذي كتب بيان الثورة الذي اذاعه أنور السادات.

وتقول ان عامر روى كيف انه كتب بيان الثورة واعطاه لأخيه حسن ليحمله معه، وفي الليلة السابقة على الثورة عاد الى منزله ليرتدي الزي العسكري ثم استرد الخطاب من اخيه ووضعه في جيبه الى ان اعطاه لأنور السادات.

ويحكي عامر كيف ان جمال عبد الناصر كان يرقب عملية اقتحام مبنى الرئاسة وهو على رصيف الكلية الحربية، وهو في ثياب مدنية، وكان قد تم الاتفاق على ذلك بينه وبين عامر، حتى اذا فشل الهجوم وقبض عليهم فإن عبد الناصر يستطيع مواصلة الثورة.

وتكشف مذكرات برلنتي المزيد عن خلافات عبد الناصر وعامر فتقول: عرفت ان المشير كان يعارض جمال عبد الناصر في تطبيق قوانين الاصلاح الزراعي في سورية بعد الوحدة، كما عارض قرارات التأميم التي ادت الى تأميم الشركة الخماسية في سورية.

وتنشر برلنتي في مذكراتها نص استقالة عبد الحكيم عامر والرسالة التي وجهها لعبد الناصر عام ٦٢ والتي قال فيها:

«دعني وانا اودعك ان احدثك عن الحكومة ورأيي فيها، قبل كل شيء، لا يمكن ان تسير حكومة في طريقها الطبيعي نحو الحكم السليم اذا كان الحكم في حد ذاته ممسوخا ومشوها.

ودعني ايضا قبل ان أودعك ان اقول لك ان اختلاطك الشخصي بالناس ضروري، فانه يعطي الثقة المتبادلة. اما انعزالك التام فانه سيجعل صور الناس عندك اسطرا على ورق، او اسماء مجردة لا معنى لها».

وقد انتهت هذه الازمة ولكن الخلافات بين عامر وجمال لم تنته لانها كانت خطأ رئيسياً في هيكل العلاقة بينهما رغم ما قد يبدو من ظاهر هذه العلاقة التي تقول برلنتي عنها انهما اتفقا في اشياء كثيرة، كالقيام بالثورة معا وتولي اعلى منصبين بالبلاد الرئيس ونائبه، وواجها خطر السجن والاعدام معا، ولكن الخلاف بينهما قديم بدأ قبل الثورة في حادثة محاولة عبد الناصر قتل حسين سري التي عارضها عامر ونفذها ناصر بمفرده، وفشلت، ثم حدثت الخلافات بعد الثورة ولعل من أشهرها معارضة عامر لقرار تأميم قناة السويس لدرجة انه قال عنه ان القرار لم يكن له داع، وكان يرى احتمال نشوب حرب بسبب هذا القرار الخطير، وان هذا الهدف لا يستحق التضحية الجسيمة بتعريض البلاد لاحتمالات الحرب. وبعد اعلان القرار حدث ما توقعه عامر.

وعندما قررت الدول الثلاث الحرب ضد مصر اقترح عامر على جمال عبد الناصر سحب القوات المصرية من سيناء، لان التفوق البريطاني الفرنسي ... كب . . اعترض عبد الناصر ومعه البغدادي وزكريا محيي الدين، وأصر ... ان ينحيه عن المعركة ويديرها هو، ولكن عبد الناصر تراجع ووافق على الانسحاب، ولكنه لم ينس للمشير انه خاطبه بشكل غير لائق، فقدعاتبه بعد ذلك بسنوات قائلا: لا استطيع ان انس انك ثرت في وجهي وخاطبتني بصورة غير حسنة امام بغدادي وزكريا.

الصديق المعارض

كان عبدالحكيم عامر - حسبما تروي زوجته - هو الصديق المعارض لجمال عبد الناصر وكان مجلس قيادة الثورة يضم معارضين في البداية، وكان عامر يجد فيهم سندا وعونا ولكنهم كانوا يتناقصون على الدوام ولعل واقعة استقالة كمال الدين حسين الذي يصفه عامر بانه من أشرف الرجال المشهورين باسم «اتق الله» تكشف تناقص مساحة المعارضة داخل المجلس، ولكن عامر رغم الخلاف لم يكن يكره عبد الناصر بل كان يردد دائما «أنا مسؤول عن حياته» - يقصد عبد الناصر!

الموت مرة اولى

لم يكن موت عبدالحكيم هو اللغز الوحيد، بل تعرض قبل ذلك لمحاولات اغتيال تشبه المصيدة، فتروي برلنتي انه في عام ١٩٦٦ ذهب المشير على رأس وفد للتفاوض مع الروس حول الأسلحة التي يحتاجها الجيش المصري، واشياء أخرى كالقمح «!» وكانت العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي - السابق - فاترة في تلك الرحلة بسبب رغبة السوفيات في اقامة قواعد بحرية ومراكز استطلاع بعيدة المدى في مصر، ولكن عامر والقادة العسكريين رفضوا، ولذلك فقد كان الروس يبذلون غاية جهدهم لإبعاد المشير وهؤلاء القادة عن السلطة.

وكانت الطائرة التي تقل المشير تقل معه صلاح نصر والفريق أول محمود صدقي وعصام خليل والفريق عزت قائد البحرية، وعندما اقتربت من موسكو تلقى قائدها اشارة من مطار موسكو تفيد بانهم لا يستطيعون استقباله بالمطار بحجة سوء الاحوال الجوية، ونصحوه بالهبوط في مطار لينينجراد والغريب ان مطار لينينجراد طلب من الطيار المصري الهبوط قبل الممر المعد للنزول، اطاع الطيار التعليمات ففوجئ بانه امام مصنع ضخم ولولا مهارة الطيار وقدرته على السيطرة لما استطاع ان يرتفع في الوقت المناسب.

وتعرض المشير لحادث طائرة اخر عام ١٩٦٧ حينما بدأ هجوم الطيران الاسرائيلي، بينما كانت طائرة المشير معلقة في الجو وكان طيرانها بأمر عبد الناصر، ونجت طائرة المشير، وهذه الحادثة تقودنا لمقدمات هزيمة يونيو ١٩٦٧، والتي سنتوقف امامها كثيرا لأهميتها. وهذه المقدمات تبدأ بحرب اليمن ١٩٦٢، اذ كانت هناك ثلاث فرق عسكرية كاملة تحارب في اليمن وهي كما قيل تمثل ٥٠٪ من الجيش، فإذا اضفنا الى ذلك تخفيض ميزانية الدفاع عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ وكذلك تلكؤ الروس في ارسال ما طلبته مصر من قطع غيار للأسلحة أو اسلحة جديدة، وكان الروس يطالبون بقاعدة بحرية لهم مقابل هذه الطلبات، وكان عامر والقادة الوطنيون يعارضون هذه المحاولات الروسية وكان يقول: لقد كافحنا طويلا للتخلص من الاستعمار البريطاني فهل نقبل الآن استعمارا روسيا يأتي على ايدينا.

مشروع وطني

وكانت مصر في اوائل الستينيات قد اعدت مشروعا طموحا يهدف الى تصنيع السلاح محليا، وقد شرعت فيه فعلا واسندت الى اللواء عصام خليل مهمة الاشراف عليه ونجح في استقطاب بعض العلماء الألمان وكاد المشروع ينجح لكن الروس رفضوا ذلك وهددوا بالامتناع عن تزويد مصر بأي سلاح.

وعندما ذهب الفريق صدقي قائد القوات الجوية الى موسكو اطلعوه على معلومات تفيد بوجود حشود اسرائيلية على الحدود السورية وقالوا ان البحرية السوفياتية التقطت اشارات تفيد بذلك.

وبدأ ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل انذاك يهدد وينذر العرب فرد عليه جمال عبد الناصر بسحب قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ، واغلاق مضيق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية، وكان هذا القرار يعني الحرب بالضرورة، فلماذا قال عبد الناصر بعد الهزيمة انه لم يكن يتوقع الحرب.

سحبت القوات الدولية، وحبس العالم انفاسه ووضع المشير وقادة الجيش خطتهم العسكرية لمواجهة الموقف، وهنا حدث الخلاف الأكبر بين المشير عامر وجمال عبد الناصر، وكان سيناريو هذا الخلاف على النحو التالي - كما تذكر ... زوجة المشير -:

هجوم مصري.. الغاه عبد الناصر

كان قرار سحب قوات الطوارئ قرارا سياسيا، يستلزم تنفيذه قرارا عسكريا فكان ان اصدر عبدالحكيم عامر امر القتال رقم ١ وفيه تحدد الهجوم العسكري المصري يوم ٢٨ مايو. في نفس اليوم الذي صدر فيه القرار تسلمت القاهرة رسالة من جونسون يناشد فيها مصر ضبط النفس، واكد الروس نفس الرغبة لعبدالناصر واعلنت فرنسا انها لن تكون مع البادئ بالحرب، فاتصل عبد الناصر بعبدالحكيم عامر تليفونيا وامره بالغاء قرار القتال فاعترض عبدالحكيم قائلا: ان الانتظار هزيمة للجيش المصري قبل ان تبدأ الحرب.

فقال جمال: هذا قرار سياسي وعليك تنفيذه.. وبهذا الغي القرار رقم «١» والذي كان يهدف الى تنفيذ خطة تقضي بتوجيه ضربة اجهاض الى مطارات اسرائيل.

لن نبدأ

وتواصل التوقف امام بعض تفاصيل يوم ماقبل الهزيمة حيث قال عبد الناصر في اجتماع لقادة الجيش: لنترك اسرائيل تقع في خطأ العدوان، ونبدأ هي المعركة، ثم نرد عليها.

واضاف: ان تقرير الروس عندي بيقول لو انتظرنا الضربة الاولى من اسرائيل ستكون الخسارة ٢٠٪ فقط ودي محتملة، فسأل عبد الحكيم عامر «وما يضمن أن اسرائيل ستكون وحدها». وعلق صدقي محمود: حتى اذا اخذنا بتقارير الروس لو تدخلت الدول الكبرى فستصل الخسائر الى ٩٠٪

فرد عبد الناصر «أمال التقرير اللي عندي بيقول ان الخسائر ستكون ٢٠٪ فقط فرد صدقي مش انا اللي مقدمه.. الروس هم الذين قدموه!!

وعندما زار عبد الناصر ومعه عامر قاعدة انشاص الجوية سأل بعض الطيارين جمال «امتى حنحارب ياريس».

فابتسم جمال وقال مش هنحارب!!

وبدأ الحديث عن انتظار الضربة الأولى، وفي زيارة أخرى تمت لقاعدة أبو صوير سأل احد الطيارين لماذا لا نمسك بزمام المبادأة بايدينا ونبدأ بالضربة الأولى، فرد ناصر وليه ما نردش بالضربة الثانية، فثار طيار اخر وقال للرئيس: من وجهة نظري كطيار ارى ان من يمتلك السماء يمتلك الارض، يقصد الذي يسيطر على سماء المعركة يسيطر على ارضها.

ومع اصرار الطيارين على ان تكون الضربة الاولى مصرية وافق عبد الناصر على تنفيذ الخطة كتابة ولكن الصحف نشرت في اليوم الثاني ان القوات المصرية لن تبدأ بالضربة الأولى.

في مساء ٣ يونيو كان هناك اتفاق بين المشير والفريق صدقي على الذهاب الى الجبهة في اليوم التالي ٤ يونيو، ولكنه فوجئ بمكالمة من الرئيس يبلغه فيها بأن السفير السوفياتي جاء منزعجا من امر القتال ويريد لقاء عامر.

وحضر السفير الى منزل المشير ورابط فيه حتى اتصل جمال عبد الناصر بعامر، يطلب منه إلغاء امر القتال، واخبره بانه تلقى تأكيدا من واشنطن وموسكو بأن اسرائيل لن تبدأ بالعدوان ضد مصر والعرب.

وبعد هذه المكالمة غادر السفير منزل المشير، وفي ساعة متأخرة من الليل تلقى عامر مكالمة من عبد الناصر يطلب منه تأجيل سفره للجبهة لليوم التالي لأن وفدا عراقيا سيسافر معه، فاتصل المشير بالفريق صدقي يعتذر عن عدم السفر، وكان مقررا ان تقلع طائرة للمشير في الخامسة من فجر ٥ يونيو ولكن في اللحظة الاخيرة جاءت مكالمة أخرى من ناصر يطلب فيها تأجيل الاقلاع الى الثامنة صباحا.

النهاية

وفي نفس الساعة الثامنة صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ كان جميع قادة الجيش المصري في غير مواقعهم، كان المشير ومعه مجموعة من القادة في طائرة معلقة في السماء، والباقون كانوا في مطار تمادا ينتظرون النصف المعلق في السماء.

في هذه الساعة كانت طائرات اسرائيل تدمر جميع المطارات المصرية في سيناء وضرب الجيش المصري وتشريد افرانه.

والسؤال: كيف أمن عبد الحكيم عامر - ومن معه على انفسهم فركبوا طائرة وحلقوا بها في سماء الميدان وحديث الحرب يتردد طوال اسابيع. الجواب هو ان عبد الناصر اطمأن لكلام السفير الروسي ولكلام واشنطن بأن اسرائيل لن تبدأ العدوان فطمأن نائبه الذي طار مع نصف قادته في قفص معلق في الهواء.

ومعنى ذلك ان رواية علم عبد الناصر بموعد الحرب في ٥ يونيو غير صحيحة. وفي لحظة بدء الحرب كان القائد العام غائبا، ولكن القائد الاعلى - عبد ... الجيش بعد المشير.

برلنتي عبد الحميد

... الثانية عشرة..

وتحدث المشير لضباطه قال: ان الموقف خطير ولا يحتاج لمظاهرات فرجوكم من اجل مصر ان يذهب كل واحد الى موقعه وبكره ان شاء الله حاكون معكم في القيادة فانصرف الضباط.

وفي الصباح - يوم ١١ يونيو سمع المشير في الاذاعة قرار تعيين محمد فوزي قائدا عاما للقوات المسلحة، حاول بعض الضباط التعبير عن رفضهم لهذا القرار ولكنهم احيلوا جميعا للاستيداع وهنا قرر عبد الحكيم عامر السفر الى بلدته اسطال احدى قرى صعيد مصر، وقبل سفره ذهب لوداع جمال عبد الناصر وتروي برلنتي انه دار بينهما هذا الحوار:

عامر: جيت اودعك قبل ماارجع اسطال وان شاء الله ناوي اعيش فيها على طول.

ناصر: اوعى تكون زعلت من قرار محمد فوزي ده قرار من اجل الامن ولظروف سياسية خارجة عن ارادتي.

عامر: الله هم الروس كمان بيتدخلوا في سياستنا الداخلية.

ناصر: ده قرار مؤقت وقرارك انت هايطلع بعد ايام

عامر: رمين قال اني اقبل للرجوع المسألة انتهت وبعد الكلام عن تولي زكريا محيي الدين الرئاسة كما سبق في الاتفاق الثلاثي قال ناصر - بصراحة الروس ابلغوني رسميا بانهم لن يتعاملوا معنا وانت ترأس الجيش، انت اصلك عاملت السفير الروسي معاملة وحشة جدا...

وسافر عامر الى اسطال يرافقه اخوه حسن عامر وقال لاخيه انا خايف على حياتي وحدثت بعد ذلك عملية نقل وتصفية للضباط من انصار المشير وقد حاول عبد الناصر ارجاع عامر للقاهرة لكنه رفض، وعرض عليه منصب نائب الرئيس ونائب القائد الاعلى بدون اختصاصات فرفض ان يكون مجرد يافطة...

وكان هناك عرض اخر قاله له صلاح نصر وهو ان يتولى المشير رئاسة الجمهورية على ان يتولى جمال عبد الناصر رئاسة الاتحاد الاشتراكي فرفض المشير وقال لصلاح نصر استحلفك بالله ياصلاح بلغ الرئيس بألا يعطي اذنيه للعيال الشيوعيين!!

وحاول عبد الناصر مرة اخرى مع عامر اتصل به وقال له لو كنت تريد ان اتي بنفسي لترجع معي فانني أت اليك ولكني سارسل لك هيكل يمثلني.. وعرض ناصر على عامر ان يعود بعد ان وافق عبد الناصر على شروطه الخاصة بالافراج عن الضباط المسجونين واعادة الذين احيلوا للمعاش، وعاد عامر فذهب اليه عبد الناصر مباشرة وفي هذا اللقاء قال عبد الحكيم لصديقه - اؤكد لك انني ممكن ارجع جنديا في الجيش واحارب زي اي جندي.. بس لازم اقلك احنا ماعملناش ثورة علشان تنتهي بنهاية حياتنا لابد من وضع نظام حكم يقوم على الديمقراطية والحرية.. وقام ناصر بزيارة اخرى لعامر في منزله ودار بينهما حديث عن نظام الحكم فوجد عبد الناصر يركز على اعادة بناء الجيش واستكمال الاسلحة الناقصة.. وطلب المشير السماح له بالسفر للخارج بشرط اصدار عفو عام عن جميع الضباط المتحصنين بمنزل عامر..

وهنا حدثت واقعة غريبة جدا تكشف كيف كان تفكير القيادات المصرية ففي اثناء زيارة ناصر لعامر في بيته طرق الباب طارق فخرج عامر ليرى فرأى جلال هريدي - قائد الصاعقة الذي ... وهو احد المتحصنين ...

الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية

مجلس الإدارة
لطفى كامل مراد

الأحرار

رئيس التحرير
وحيد فازى

المشـــير .. وأنا

• • تبدأ « الأحرار » من اليوم نشر عرض لكتاب برلنتي عبدالحميد « المشير وانا » .. تروي برلنتي في الكتاب الذي تنشره دار مدبولي الصغير أسرار العلاقة بينها وبين زوجها الراحل المشير عبدالحكيم عامر وتكشف أسرارا خطيرة عن نظام الحكم في عهد عبدالناصر • •

أول رجل فى حياتى كان « ماركسيا » دربنى على توزيع المنشورات !

تفتحت عيناي على الدنيا . في حي « السيدة زينب » ففيه دخلت المدارس ، وفيه عرفت الصداقة . ورأيت أناسا ذوي عقول شامخة ، وأناسا ذوي عقول منحطة ، وعرفت الجوع والشبع ، والفقر والغني ، وعرفت التحدي والتسليم ، وفيه عرفت المسلم بالعمل ، والمسلم بشهادة الميلاد . ولكن الأهم من ذلك هو معرفتي بأن كل هذه الأشياء المتناقضة هي في النهاية تنصهر كلها في بوتقة واحدة اسمها « الحي الشعبي » .

بقلم
برلنتي عبدالحميد

وهي الوقائع التي لا أستطيع نسيانها لأثرها القوي الذي انطبع مثل « الكي » على حياتي . وكأنما اختارتها لي الأقدار لتدفعني الى اتخاذ موقف معين ، او لادراك عبرة مامن عبر الحياة او لتقوية شعور ما من مشاعري .

مدرس خصوصي

كانت تمضي بي الحياة ، وأنا أمر يوما بعد يوم ، وأنتقل من عام دراسي الى آخر ، حتى دخلت المدرسة الثانوية .

كنت في حاجة الى مدرس يساعدني على فهم الدروس وشرحها ، وتطوع ابن خالة لي بأن يحضر مدرسا يقوم بهذه المهمة . كان هذا الرجل صديقا لابن خالتي . وقد ذكره بكثير من عبارات المديح والاشادة بعلمه الراجح . وعلمه الغزير وأوضحا انه ليس مدرسا بل موظفا في مصلحة البريد . وذكر من مآثره انه حاصل على ماجستير في العلوم السياسية والمالية ، وأن عمه هو « محمد حسين هيكل باشا » باشا .... « اسكرتني هذه الصفة فيه » . كان عالم الباشوات بالنسبة لي عالما أسطوريا ، وأن يدخل رجل من هذا العالم الى بيتنا أمر يهز الوجدان .

سنوات . ظل خلالها يلح علي بالثقافة . بأن يحدثني مرة عن هذا الشيء أو ذاك . بأن يعطيني كتابا لأقرأه وكنت أقرأ مايعطيني من كتب استجابة لميل غريزي عندي الى المعرفة والاطلاع ولعل ورثت هذا من أبي الذي نزع في الميل الى القراءة لأنني كنت دائما أراه وبيده كتاب . وكان محدثا لبقا فتعلمت منه ان المعرفة تفيد التحدث في الاجتماعات والجلسات .

توزيع المنشورات

وتطورت علاقتي بمصطفى هيكل فأصبح اللقاء لايتم في بيتنا فقط وانما تعداه الى لقاءات خارج البيت وكان أكثرها يتم في حديقة الأزبكية . وكان كل لقاء أتعلم منه شيئا جديدا ، أو أقرأ كتابا جديدا ويناقشني فيه بعد قراءته ، ليعلمني كيف أحلل ما أقرأه وأفهم أبعد مما توحي به ظاهر الكلمات .

المنشورات ، بدأ سلوكه معي يتسم بالعاطفة . ولم تعد علاقته كلها منصرفة الى عقلي فقط . بل بدأ يولي عواطفي اهتماما خاصا . وكأنما هو لم يحدثني للنضال ، وانما ...

صلاح نصر حاول تجنيدى واغرانى بشقة فاخرة وزعيم حزبى

فجأة وجدت نفسى وجها لوجه أمام عبدالحكيم عامر !

عبدالحكيم عامر

برلنتي عبدالحميد

• سنية قراعة
الكاتبة الاسلامية
التي اشارت اليها برلنتي في هذه الحلقة دون ان تذكر اسمها صراحة

• نجاح عمر
الصحفية بروز اليوسف التي اشارت اليها برلنتي في هذه الحلقة دون ان تذكر اسمها صراحة

ومرت أيام كنت قد نسيت خلالها هذه الواقعة ، وفي ذات يوم زارتني في بيتي كاتبة دينية معروفة وبعد ان جلست قالت :

ـ هناك شخص يريد ان يأتي لزيارتك .. فهل لديك مانع ؟

سألتها : ومن هو ؟

ـ انه شخصية هامة ، أحد المسئولين ، لما رأيك ؟

أجابت : في شارع الهرم وإن أخبرك بتفاصيل أكثر فربما تهربين من رأيك غدا فلا داعي لأن تعرفيه .

وفي اليوم التالي . كنت قد انتويت الذهاب معها بدافع الفضول ، وأصبح كل مايشغلني هو اختيار الملابس والزينة . وعندما اقترب الموعد . لبست ثوبا أبيض ذا أكمام طويلة ، وحذاء ذا كعب منخفض ، واخترت تسريحة ...

أعداء الثورة

نسمات

○○○ من المؤكد ان التنبؤ بوقوع الزلازل امر غير ممكن ولا يزال العلم عاجزا عن ذلك حتى الآن إلا ان البعض مع الأسف الشديد يروجون الشائعات عن احتمال وقوع زلازل في مواعيد يحددونها فيثيرون الذعر والقلق والرعب لدى السكان

وبالرغم من ان موعد يوم القيامة هو من علم ربي وحده فقد تنبأ في بلغ زعيم طائفة دينية في كوريا الجنوبية بأن القيامة موعدها يوم ١٩٩٢/١٠/٢٨ ثم اعتذر عن ذلك من السجن المودع فيه بتهمة النصب والاحتيال . ومن الغريب ان صدق البعض نبوءته فباع آلاف الكوريين ممتلكاتهم وتخلوا عن أسرهم ومدارسهم ووظائفهم واجهضت بعض السيدات الحوامل انفسهن كما انتحر اربعة اشخاص

حقا إنها امور مؤسفة كما ان المؤلم هو تصديق البعض من السذج وغير المتبصرين لهذه الشائعات التي تبعث الرعب وتضر بالاقتصاد القومي في مجال الاستثمار والسياحة . وحسنا فعل الاعلام المصري قد ما العلماء ورجال الدين لتكذيب مثل هذه الافتراءات وارشاد المواطنين الى الحقائق العلمية والى ما ورد في القرآن الكريم

انالشد جميع الصحفيين في مصر ان يكونوا حذرين في نشر هذه الشائعات الضارة حفاظا على الروح المعنوية للشعب ودعما للأمن والاستقرار ودعما للمسار الاقتصادي وحماية للمصالح القومية العليا للبلاد .

• • • • • • •

○○○ نتيجة لحادث اعتداء بعض الارهابيين والمتطرفين على سيارة السياح في ديروط منذ اسابيع والذي اسفر عن مصرع سائحة بريطانية واصابة اثنين بجراح ان نصحت سفارات الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا واستراليا في مصر مواطنيها بعدم زيارة بعض المناطق بصعيد مصر ومنها منطقة ديروط كما قدمت الحكومة الامريكية النصح بعدم السفر لكل من محافظة ...

المشـــير .. وأنا

٢
بقلم
برلنتي
عبدالحميد

قلت لعبدالحكيم عامر : أريد الأمان فجذبوا طرف ثوبى ولكزونى وشدوا حزام وسطى ! وقادنى صلاح نصر إلى غرفة ضعيفة الضوء يجلس بها عدد من الرجال !

استعرضنا في العدد الماضي كيف عرفت برلنتي عبد الحميد الشاب الماركسي مصطفى هيكل الذي استغل حبها له وإعجابها به ليلقنها بتوزيع منشورات شيوعية ثم تقدم لخطبتها التي لم تتم وفر هاربا الى باريس والتحقت برلنتي بالمعهد العالي للفنون المسرحية وبدأت تشق طريقها في مجال التمثيل ولمحت وبدأ صلاح نصر ورجاله ونساؤه يحاولون تجنيدها ثم استدرجوها للقاء المشير عبد الحكيم عامر في أحد الاجتماعات التي كان يعقدها مع عدد من المسئولين في بيت مهجور .

وفي هذه الحلقة تستكمل برلنتي عبد الحميد قصتها مع المشير عامر : بدأ الاجتماع بكلمة مختصرة ألقاها عامر ثم بدأ الحاضرون يتكلمون ...

عباس رضوان

علي شفيق

صلاح نصر

برلنتي

كان عبد الحكيم عامر في تلك اللحظة بشوشا لين الجانب ، تهزه الفرحة والاعجاب ينجلي فيما أسماه الاختبارات . أما أنا فقد أحسست بالهوان فقلت محتجة .

ـ ألم يكن من اللائق ان تسألني أولا عن رأيي في الزواج ؟

مرتديا قميصا وبنطلونا . وما أن وقعت عيناه علي هتف مرحبا : أهلا عروستي !!

مفاجآت غريبة

نجحت في الامتحان

وإلى الاثنين القادم

رأى المعارضة (بقلم ...)

فاسقطه الشعب الامريكي الذي يحب دائما التغيير ، ولكن بوش سيظل على مر التاريخ الامريكي الحديث علما من أعلام السياسة الامريكية وقطبا بارزا من اقطابها ، شأنه في ذلك شأن المارشال روميل الذي خسر معركة العلمين وكسب شهرة عالمية كأعظم قائد عسكري في الحرب العالمية الثانية .

، بالرغم من سقوط بوش وفوز كلينتون عليه بنسبة كبيرة . فإنه قام بتهنئته وسيقوم بالتعاون معه في المدة الباقية لتولي كلينتون الرئاسة الامريكية في اوائل يناير القادم ، أي ان بوش تلقى الصدمة بشجاعة وبقلب ثابت مطمئن وأصبح عنوانا للديمقراطية الحقة والكفاءة المنقطعة النظير التي لم يقدرها الشعب الامريكي لأسباب تتعلق بشئونه الداخلية . ولا نملك الا ان نحيي الرئيس بوش ونهنيء الرئيس المنتخب كلينتون .. وأخيرا وليس آخرا نهنيء الشعب الامريكي لأنه شعب حر يستطيع دائما ان يعلن رأيه في حرية كاملة في انتخابات رؤسائه ونوابه .

فإذا عبرنا المحيط الاطلسي والبحر الابيض وجئنا الى مصر العزيزة ، والتي يطلق عليها (المحروسة) لوجدنا الدكتور محمود شريف وزير الادارة المحلية ، يطل على شاشة التليفزيون مبتسما وهو يعلن الغرب واعجب نتائج لانتخابات المجالس الشعبية المحلية ويؤكد ان الحزب الوطني (الديمقراطي) قد فاز بـ ٩٥ ٪ من مقاعد المجالس المحلية ويبتسم معلنا ان ذلك نصر كبير . ونحن إذ نتفق معه على ان ذلك نصر كبير من الناحية الرقمية العددية فإننا نود ان نطلعه على الحقائق التي تظهر جلية خلف الارقام التي ذكرها ، وهو ما دفعنا الى المقارنة بينه وبين الرئيس بوش !!

والحق الأمر ان انتخابات المجالس الشعبية المحلية تعتبر في رأينا ـ من المهازل السياسية التي تمت في عهد الرئيس مبارك ، شأنها شأن المهزلتين الانتخابيتين السابقتين وهما انتخابات مجلسي الشعب والشورى بالقوائم المطلقة وإصرار الحكومة على إجرائها بالرغم من مخالفتها للدستور وهو ما أكدته المحكمة الدستورية العليا في احكامها التاريخية في هذا الشأن ، مما اضطر الحكومة ان تعدل قانوني انتخاب هذين المجلسين رغم انفها الى الدوائر الفردية !! وهذا ما سيحدث بالنسبة لقانون انتخاب المجالس الشعبية المحلية الذي طعن في عدم دستوريته بأنه يحرم المواطنين من حقهم الدستوري الأصيل بالترشيح للمجالس المحلية بقوائم مثل قوائم الاحزاب ، ولكن حكومتنا الرشيدة أصرت على إجراء الانتخاب في ظل هذا ...

نسمات

• • • في الاسبوع الماضي تكرر ـ مع الأسف الشديد ـ حادث إطلاق النار على سيارة رحلات في منطقة دير مواس واصيب ١٠ ونجا ٤٠ واعاد الى ذاكرتنا حادث ديروط منذ اسابيع الذي راحت ضحيته سائحة بريطانية واصيب اثنان . إن الارهابيين والمتطرفين الذين يرتكبون مثل هذه الحوادث قد تخلوا بأنفسهم للوطن الأم وأعلنوا عداوتهم للمجتمع وتجردوا من الانسانية ولم يقيموا وزنا للصالح العام ونصبوا انفسهم حماة للدين الذي هو منهم براء .

نطالب وزارة الداخلية بسرعة ضبط الجناة وتقديمهم للمحاكمة ...

المشير .. وأنا ٢

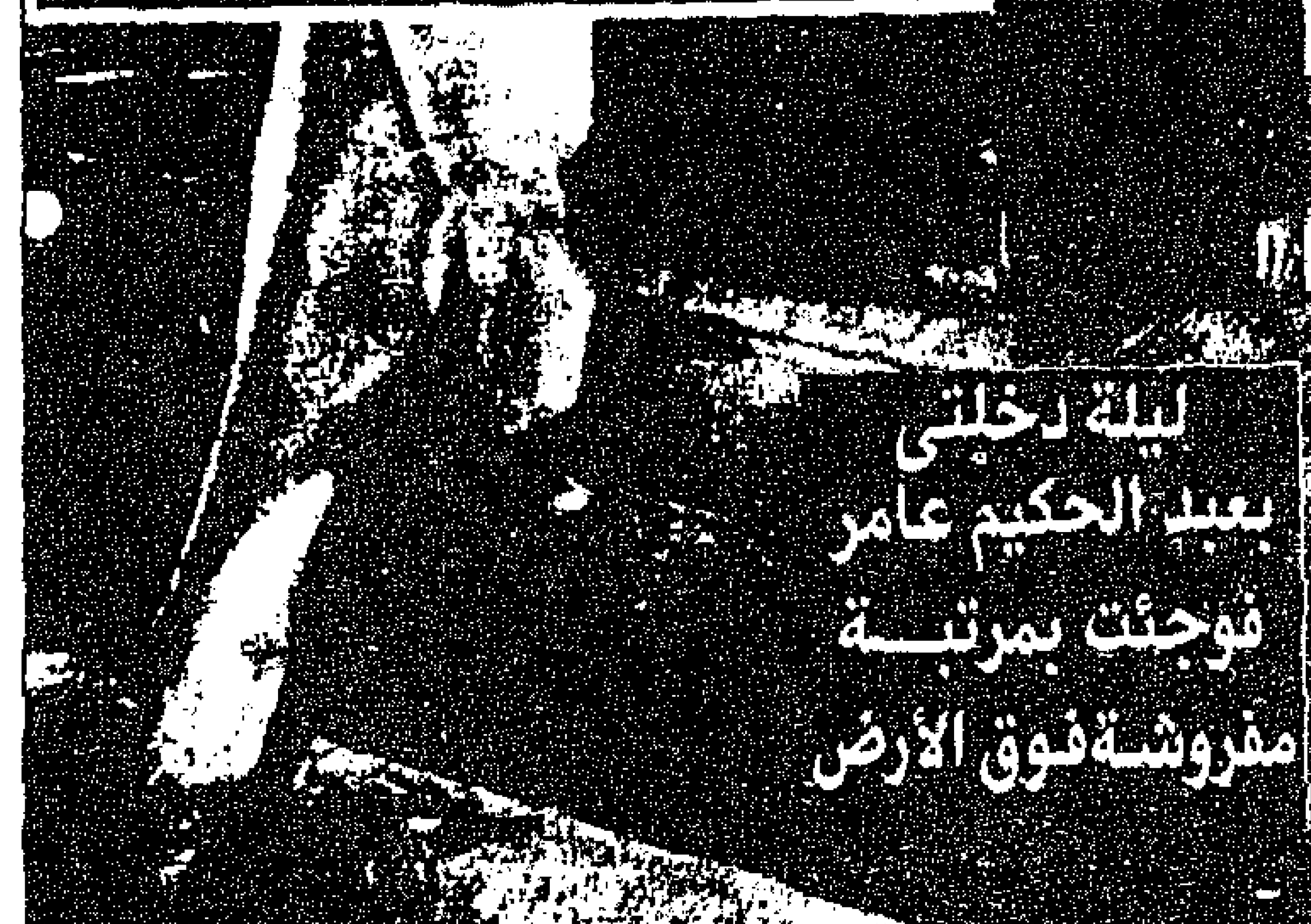
بقلم برلنتي عبدالحميد

قالت أم كلثوم: هل رأى الحب سكارى مثلنا
قلت: « نعم » .. أنا والمشير !



عندما كنت اختلي به قبل الزواج لم تكن تظهر منه بوادر رغبة من رغبات الرجال !

في كتابها « المشير وأنا » استعرضت برلنتي عبدالحميد في الحلقتين الماضيتين كيف استدرجها صلاح نصر ورجاله وساقوه الى لقاء المشير عبدالحكيم عامر - وكيف أعجب المشير بها وبفكرها ... ثم وضعوها تحت الاختبار وارسلوا لها اشخاصا يحاولون عمل علاقة معها ولكنها رفضت ونجحت في الاختبار



... صدقت ؟

سر الصداقة

أيقظني من نشوتي

المشير .. وأنا

بقلم برلنتي عبدالحميد

الحلقة الأخيرة

عبدالحكيم عامر رفض محاكمة « العسكري » الذي قتل أمه !

صحبني « مذول » الى فيلا كينج مريوط ومكثت هناك بمفردي اليوم بطوله . وفي المساء سمعت صوت « الكلاكسات » فاسرعت فرحة الى الحديقة للقاء المشير . وبينما انا اتجه متدفعة صوب العربة . رأيت الباب يفتح . وإذا بجمال عبد الناصر أمامي !

توقفت على الفور . انها أول مرة أراه فيها - وتطلعت اليه وقد شملني الوجوم . وامتلأت نفسي هيبة منه - ونظرت الى المشير . فرأيت في عينيه نظرة عطف وتشجيع . مما ساعدني على تمالك أعصابي . فبدأت الترحيب به : اهلا وسهلا .. انني سعيدة بأن تزورنا . وأن أراك بيننا ..

ولم يزد جمال عن كلمة واحدة : ازيك . ومضى راسا يتجول في الحديقة . ووجدت نفسي اسير خلفه . وكأنني انا الضيف . وهو صاحب البيت .

وفي حديقة الفيلا . كان جمال وعامر يتمشيان معا وضحك . ويثرثران . اما انا فقد انهمكت في اعداد المائدة . والكراسي والاطباق وكل شيء . واثناء انهماكي في ذلك . كان يصل الى اذنيها صوت ضحكاتهما

وبعد ان اجتمع شمل الاربعة . جمال وعامر . والسادات وعصام . على المائدة للعب البوكر . والتي كان قد جهزها على شفيق . وقف جمال الى ان انضم الآخرون . ثم جلس وجلسوا معه . وكأنهم في احد الاجتماعات الرسمية

المشير . وقد كنت انظر في ورقه . ويهرب . من عصام قائلا : « يلى » وبشركه يقول . رغم ان الورق الذي بيده كان قويا ويستطيع به ان يكسب عصام قليل !!

واكثر عروبة عامر . لم يحرم عصام من هجوم جمال عبد الناصر . ولنور ...

وكان جمال عبد الناصر يتفرج على في ذهابي وإيابي . وكأنه يستمتع بما انا فيه من إجهاد وحيرة ..

لعب البوكر

وقد انضم الى الرئيس جمال في تلك الزيارة . كل من انور السادات . وعصام خليل . وقد لاحظت ان من طبيعة هؤلاء الرجال . التحفظ الشديد في وجود النساء . وخاصة إذا كانت المرأة زوجة واحد منهم . ورغم ذلك فقد احسست طوال الوقت انني تحت عيني جمال عبد الناصر .

كانت له عينان متألقتان . تسبران غور من يقف أمامه .

هذه المجموعة التي يشجعنها غريبة منهم . وقد وصل مدى هذا القلق . بطريقة لا اعرف كيف تسربت الى نفسي .

واثناء اللعب كانوا يثرثرون . ويطلقون ككل الناس في تلك اللحظة . والغريب ان جمال عبد الناصر كان ثرثارا كثير الكلام في مثل هذه الجلسات .

ولكن ما لفت نظري اثناء لعب « البوكر » . هو الطريقة التي يلعب بها كل من جمال وعبد الحكيم . وقد كانت من الوضوح بحيث انها أصبحت مثار تعليقات . وتلميحات ذكية تصدر منهم .

مثال ذلك . اني لاحظت ان

خد الرئيس



جمال عبد الناصر



برلنتي عبد الحميد

● كان الشيخ عبدالمقصود يعالجه من الهياج العصبي !

● كانت رحلاته للصيد مليئة بالويسكي والكونياك والشمبانيا !

عبد الحكيم عامر

الويسكي والشمبانيا

رأي المعارضة

حوالى مليار جنيه . اى ان الفوائد تبلغ ثلثي الاقساط فقط في الدين الخارجي بعكس الدين المحلى الذى تبلغ فيه الفوائد كما اشرنا - ستة امثال الاقساط .

وتبلغ نسبة خدمة الدين الخارجي (الاقساط والفوائد) الى الحصيلة الجارية من جميع الصادرات السلعية والخدمية حوالى ١٤٪ اى ⅐ تقريبا ... اما اعباء خدمة الدين المحلى فانها تبلغ ما يقرب من ٢٠٪ من الموارد السيادية للدولة اى الخمس ⅕ تقريبا وهذا بدوره يؤدى الى عجز الموازنة العامة المزمن ويؤدى الى ان تضطر الحكومة لسد هذا العجز لمزيد من الاقتراض ويؤكد ذلك ان

الشباب

حكايتها مع المشير !

بعد ٢٥ عاما من رحيل المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة واحد ضباط ثورة يوليو الذى توفى عام ٦٧ واحيطت وفاته بغموض شديد تردد بين الانتحار والقتل اصدرت الفنانة برلنتي عبد الحميد ارملة المشير وزوجته الثانية مذكراتها تحت عنوان «المشير وانا».

وقد استطاعت مجلة «الشباب» ان تلتقي السيدة برلنتي عبد الحميد بالحديث الا ان ارملة المشير رأت ان الحوار يجب ان يكون غير تقليدي بمعنى ان تقوم بنفسها باختيار اجزاء من كتابها ليدخل ضمن السياق العام للحوار حرصا منها على عدم ضياع دلالة الاحداث والوقائع التى عاصرتها

تحقيق
كمال عبد الحميد

برلنتي عبدالحميد

اجهزة الدولة اذاعت خبر زواجي السري بعد هزيمة يونيو للتشهير بعامر

عبدالناصر

عبدالحكيم عامر

صلاح نصر

في ليلة الزواج اكتشفت أن حفلة الزفاف بلا أغنيات وحجرة عروس بلا سرير !

AL HAYAT
الحياة
طبعة القاهرة
٢٤ صفحة

برلنتي عبدالحميد بعد ٢٥ عاماً: المشير عامر قُتل ولم ينتحر

□ القاهرة - من احمد السكري:

■ بعد ٢٥ عاماً من الصمت قررت برلنتي عبدالحميد الزوجة الثانية للمشير عبدالحكيم عامر، الرجل الثاني وقائد الجيش المصري ابان حكم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ان تعيد فتح ملف المشير الذي اعلن يوم ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ انه توفي منتحراً لتقول هي خلاف ذلك في مذكراتها تحت اسم «المشير وأنا».

وشاء القدر ان تكون برلنتي عبدالحميد الفنانة المصرية المعروفة في بداية الستينات الى جوار المشير عامر الرجل القوي في مصر في الفترة من ١٩٦٣ الى منتصف ١٩٦٧، لتشهد مرحلة حساسة من تاريخ مصر الحديث حفلت بالخلافات بين «الصديقين اللدودين» عبدالناصر وعامر.

وتقول برلنتي إن الهدف من مذكراتها هو جلاء الحقيقة كما رأتها وعاشتها في منزل المشير، تلك الحقيقة التي شوهت وطمست عمداً عن رجل لم يحب شيئاً مثلما أحب مصر وجيشها ولم يدافع عن شيء مقدار دفاعه عن الحرية والديموقراطية، وان قصة موته اذيعت من جانب واحد فقط، اما الجانب الآخر فاضطر الى الصمت، وقد ان الاوان لهذا الجانب ان يتكلم لان الحقيقة لا تعرف من جانب واحد.

واستندت في روايتها الى موت المشير عامر واعتقادها بانه قتل ولم ينتحر الى أسباب عدة في مقدمها انه كان مؤمنا ويخشى الله وشجاعا لا يهاب المواقف وهي صفات لا يمكن ان تجعل صاحبها ينتحر. واستندت الى تقرير استشاري لاحد الخبراء الذين كلفهم المحامي العام بعد طلب شقيقه حسن عامر، إعادة فتح ملف المشير.

وجاء في تقرير الدكتور علي محمد دياب مدرس التحليل والسموم في المركز القومي للبحوث ان الباحث المنصف المدقق «لا يستطيع إلا ان يقرر أن وفاة السيد المشير لم تكن انتحارا وانما كانت قتلا باعطائه سم الاكونتين بطريقة أو باخرى بعد الساعة السادسة مساء يوم ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ وانني اقرر مطمئنا ان هذه الوفاة جنائية مكتملة الشروط الجنائية من التعمد الى سبق الاصرار والترصد».

وبين ان سم الاكونتين معروف بان الصفات التشريحية له بعد الوفاة غير مميزة على الاطلاق، وهو ذو طعم حارق ويخلط باوراق نباتية معينة لها طعم عصير الفواكه، وان الوفاة تحدث سريعا ما بين نصف ساعة الى ست ساعات وإذا عاش الشخص ما بين ٨ - ١٠ ساعات يتوقع شفاؤه.

واوضح أنه عند حدوث الوفاة بجرعة تزيد على ٣٠ ملغ امكن كشفه في الدم والكبد والكلى والبول بعد ١٢ ساعة من الوفاة مشيرا إلى ان التحاليل لعينات من دم المشير وبوله تمت بعد السابعة صباح يوم ١٥ ايلول ١٩٦٧، اي بعد الوفاة بحوالي ١٢ ساعة ونصف ساعة على تناوله كبسولة فيها ٥٠ ملغ. ومثل هذه الكمية تكفي لقتل ٢٥ رجلا في دقائق ولو استعملت في القتل أو الانتحار لاصبح كشفها كيماويا وبيولوجيا في منتهى السهولة، ولو بعد مضي اكثر من عشر ساعات.

وكشفت المذكرات ان صلاح نصر مدير الاستخبارات العامة السابق قدم بلاغا إلى النائب العام عن طريق عبدالحليم رمضان المحامي يطالب فيه باعادة التحقيق في الموضوع، مذكرا بأن المادة السامة الاكونتين كانت كاملة في مكتبه حتى تقديم استقالته في ٢٦ اب (اغسطس) ١٩٦٧. وقال نصر في بلاغه: «لقد اغفلتم شيئا مهما في التحقيق هو اني قلت هل من المعقول ان يتسلم المشير سماً في أوائل شهر نيسان (ابريل) لينتحر به في ١٤ ايلول أي بعد خمسة أشهر ومن كان يستطيع في هذا التاريخ ان يتنبأ بأن الحرب

التتمة في الصفحة (٤)

ISSN 0967-5590
05
9 770967 559118

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٧٢٤٤/ ١٩٩٢

I.S.B.N: 977-5193 - 13 - 3

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ــ أرض اللواء المهندسين
ت : ٣٠٣٦٠٩٨

المشير وأنا

لا زال الغموض يحيط بأسرار حرب ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، وبما أعقبها من أحداث داخلية كان أبرزها مقتل المشير عبد الحكيم عامر ، وما زال السؤال مطروحاً دون اجابة رغم مرور عشرات السنين ، ويتحدد فى اتجاهين ، أولهما كيف وقعت الهزيمة ، وثانيهما .. هل انتحر المشير أم قتل ؟

والكتاب الذي بين يديك يجيب عن هذه التساؤلات ، ويقدم « وثيقة » من وثائق الفترة الحافلة التى عاشتها مصر منذ عام ١٩٦٣ إلى منتصف عام ١٩٦٧ ، فهى بقلم « برلنتى عبد الحميد » التى شاء لها القدر أن تكون زوجة « لعبد الحكيم عامر » الرجل الثانى فى الدولة ، وقائد الجيش المصرى وعاشت أحداث هذه الفترة عن كثب .

وتأتى أهمية هذا الكتاب من كونه يمثل « الطرف الصامت » الذى قيّد لسانه ، وحجب رأيه عمداً ومكراً ، لينطلق « الطرف الذى تكلم » ناسباً الهزيمة إلى أناس شرفاء ، لم يسمح لهم بالحديث أو الدفاع عن أنفسهم ، أو عرض وجهة نظرهم ، وانطلق هذا « الطرف المتكلم » ليملأ الدنيا أكاذيب وادعاءات ملفقة ، فقد امتلك السلطة ، ووسائل الإعلام والصحف ، فأسبغ البطولة على الجبناء ، وأسبغ الجبن على الشجعان . ولعبت الأجهزة الخاضعة له دوراً كبيراً بل أساسياً فى ترويج الأكاذيب والإشاعات ، وإحلالها محل الحقيقة ، وأصبحت هذه الحقيقة المصطنعة هى أساس الدراسات ، والتحليلات السياسية والعسكرية ، فكان أن وقع فيها عدد من ذوى النوايا الحسنة من الكتاب والصحفيين .

ويشاء العدل الألهى أن يصدر حكم القضاء بإدانة الطغمة الكاذبة بجريمة العمالة الذين نسوا وهم يحيكون مؤامراتهم قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾

صدق ا...

النـ...

